



الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ

وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

جَامِعَةُ الْعَرَبِيِّ بِن مَهْيَدِي - أَمِّ البَوَاقِي -

كُلِّيَّةُ الْأَدَابِ وَاللُّغَاتِ

قِسْمُ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

رقم التسجيل.....

الرقم التسلسلي:.....

عُنْوَانُ الأَطْرُوحَةِ

"الْخِطَابُ الشَّعْرِيُّ عِنْدَ الْخَوَارِجِ (37 هـ - 132 هـ)

- مُقَارَبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ -

أَطْرُوحَةٌ مُقَدَّمَةٌ لِنَيْلِ شَهَادَةِ دُكْتُورَاهِ الطَّوْرِ الثَّلَاثِ (ل.م.د)

التخصُّص: البلاغة بين القديم والحديث

الشُّعْبَةُ: دراسات لغوية

إشراف الدكتور: عيسى عيساوي

إعداد الطالب: سامي قديم

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
شاكر لقمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -	رئيساً
عيسى عيساوي	أستاذ محاضر -1-	م العليا للأساتذة آسيا جبار - قسنطينة -	مُشرفاً ومُقرراً
جمال سعادنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة 01.	مناقشاً
خميسي آدامي	أستاذ محاضر -1-	جامعة عباس لغرور - خنشلة -	مناقشاً
يوسف نجعوم	أستاذ محاضر -1-	جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -	مناقشاً
سعيد قوراري	أستاذ محاضر -1-	جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -	مناقشاً



الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ

وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

جَامِعَةُ الْعَرَبِيِّ بِن مَهْيَدِي - أَمِّ البَوَاقِي -

كُلِّيَّةُ الْأَدَابِ وَاللُّغَاتِ

قِسْمُ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

رقم التسجيل.....

الرقم التسلسلي:.....

عُنْوَانُ الأَطْرُوحَةِ

"الْخِطَابُ الشَّعْرِيُّ عِنْدَ الْخَوَارِجِ (37 هـ - 132 هـ)

- مُقَارَبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ -

أَطْرُوحَةٌ مُقَدَّمَةٌ لِنَيْلِ شَهَادَةِ دُكْتُورَاهِ الطَّوْرِ الثَّلَاثِ (ل.م.د)

التخصُّص: البلاغة بين القديم والحديث

الشُّعْبَةُ: دراسات لغوية

إشراف الدكتور: عيسى عيساوي

إعداد الطالب: سامي قديم

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
شاكر لقمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -	رئيساً
عيسى عيساوي	أستاذ محاضر -1-	م العليا للأساتذة آسيا جبار - قسنطينة -	مُشرفاً ومُقرراً
جمال سعادنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة 01.	مناقشاً
خميسي آدامي	أستاذ محاضر -1-	جامعة عباس لغرور - خنشلة -	مناقشاً
يوسف نجعوم	أستاذ محاضر -1-	جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -	مناقشاً
سعيد قوراري	أستاذ محاضر -1-	جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي -	مناقشاً

# شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

شُكْرٌ وَامْتِنَانٌ وَعِرْفَانٌ

لِمَنْ رَعَى بَذْرَةَ هَذَا الْبَحْثِ

وَتَعَاهَدَهَا رَغْمَ اخْتِلَافِ الْفُصُولِ

حَتَّى آتَتْ أَكْلَهَا طَيِّبَةً - يَا ذُنَّ رَبِّهَا -،

أَسْتَاذِي الْمَشْرِفِ، وَكُلِّ أَسَاتِدْتِي

فِي قِسْمِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

## مَسْرَدُ الإِخْتِصَارَاتِ: ساط

مَدْلُوْلُهُ	الرَّمْزُ/الإِخْتِصَارُ
صَفْحَة	ص
عَدَد	ع
مُجَلَّد	مج
تُوفِي	ت
مِيْلَادِي	م
هَجْرِي	ه
نَتِيْجَة	ن
دُون تَارِيْخ	د ت
دُون بَلَد	د ب
طَبْعَة/ دُون طَبْعَة	ط / د ط
جُزْء	ج
تَقْدِيْم	تق
تَحْقِيْق	تح
مُرَاجَعَة	مُرا
شَرْح	شر
تَرْجَمَة	تر
تَرْكِيْب 01	ت 01
قَوْل 01	ق 01
حِجَّة 01	ح 01
قَانُونُ العُبُور	ق ع
قَبْلَ الهِجْرَة	ق ه
قَبْلَ المِيْلَاد	ق م

# مُقَدِّمَةٌ

## مُقَدِّمَةٌ:

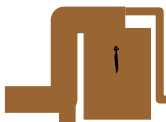
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ أَعْظَمَ كِتَابٍ وَأَوْحَىٰهِ، وَجَعَلَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً وَمُعْجِزَةً، وَتَحَدَّى الْخَلْقَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، فُبِهَتْ الَّذِي كَفَرَ وَأَعَجَزَهُ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ مَيْدَانَ اللُّغَةِ حَقْلٌ رَحْبٌ، يَتَبَارَىٰ عِلْمَاءُ اللُّغَةِ مِنْذُ الْقَدِيمِ دِرَاسَةً وَتَمْحِصًا، نُطْقًا وَكِتَابَةً، فَحَدِّدُوا مَعَانِيَهَا وَكَشَفُوا أَسْرَارَهَا، وَتَعَرَّفَتْ لَهَا ثَعْبَرٌ عَنْ أَصَالَةٍ فِي التَّفَكِيرِ اللُّغَوِيِّ، مَكَّنَتْهُمْ مِنْ تَحْقِيقِ سَبْقِ تَارِيخِيٍّ وَحَضَارِيٍّ فِي مَجَالِ الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ، وَمَا زَالَ الْإِهْتِمَامُ بِهَا مُتَوَاصِلًا، حَتَّىٰ ظَهَرَ الْمُسْتَشْرِفُونَ الَّذِينَ قَدَّمُوا نَظَرِيَّاتٍ حَدِيثَةً اهْتَمَّتْ بِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ، وَأَفَادَتْ فِي الْعَدِيدِ مِنْ مَجَالَاتِهَا، وَجَعَلُوا مِنْ إِنْتَاجِهَا اللُّغَوِيِّ مَوْضُوعًا لِلدِّرَاسَةِ وَالْبَحْثِ، وَمِنْ تِلْكَمُ النَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ، التَّدَاوُلِيَّةُ.

جاءت رَدَّةُ فِعْلٍ عَلَى "الْمَنَاهِجِ اللِّسَانِيَّةِ الَّتِي تَعَامَلَتْ مَعَ اللُّغَةِ بِوَصْفِهَا شَيْئًا تَجْرِيدِيًّا، أَوْ قَصْرِهَا عَلَى كَوْنِهَا قُدْرَةٌ ذَهْنِيَّةٌ بَحْتَةٍ، عَفْلًا مِنْ اعْتِبَارِ اسْتِعْمَالِهَا وَمُسْتَعْمِلِهَا وَوُظَائِفِهَا"<sup>1</sup>، فَاهْتَمَّتْ بِالْمَعْنَى، مُتَجَاوِزَةً كُلَّ النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي ائْتَتْ بِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ دَاخِلَ الْإِطَارِ الْمُعْلَقِ دُونَ الْإِهْتِمَامِ بِمَا يُحِيطُ بِهَا مِنْ مُلَابَسَاتٍ خَارِجِيَّةٍ، وَهِيَ سَمَةُ التَّفَرُّدِ الَّتِي خُصَّتْ بِهَا التَّدَاوُلِيَّةُ، وَبِخَاصَّةٍ تَرْكِيزَهَا عَلَى مَا تُحَدِّثُهُ اللُّغَةُ مِنْ آثَارٍ فِي الْوَاقِعِ، أَيْ: إِنَّ مَدَارَ اشْتِعَالِ الْبَحْثِ التَّدَاوُلِيِّ؛ دِرَاسَةُ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ عِنْدَ الْإِسْتِعْمَالِ الْفِعْلِيِّ، مَعَ الْعِنَايَةِ بِالْعَلَاقَةِ بَيْنَ مُسْتَحْدِمِي الْأَدَلَّةِ اللُّغَوِيَّةِ وَعَلَاقَةِ التَّأَثُّرِ وَالتَّأَثِيرِ.

وَبِهَذَا، فَالتَّدَاوُلِيَّةُ بِالْمَعْنَى الْأَدَقِّ، عِلْمٌ جَدِيدٌ لِلتَّوَاصُلِ، يُقُومُ عَلَى الْوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ وَبِنَاءِ اسْتِرَاطِيَجِيَّاتِ التَّخَاطُبِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ كَمَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ "جَاك موشلار" (Jacques Moeschler) —كما سيأتي—، تُؤَلِّي السِّيَاقَ أَهْمِيَّةً كَبِيرَةً، فَهُوَ الَّذِي يُقَرِّبُ الْفَهْمَ وَيُوصِلُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ، فَلَا حَيَاةَ لِلْخِطَابِ بِإِهْمَالِ السِّيَاقِ وَالظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْخِطَابُ الْأَدَبِيُّ شِعْرِيًّا، وَيَحْتَاجُ إِلَى زَادٍ مَعْرِفِيٍّ وَحُسْنِ بَحْثٍ وَتَقْصُّ لِلإِحَاطَةِ بِمَعَانِيهِ وَدَلَالَاتِهِ، وَبِمَعْنَى خَاصٍّ؛ يَحْتَاجُ إِلَى آليَّةٍ تُحَلِّلُهُ وَتُظَهِّرُ مَعَانِيَهُ، ذَلِكَ أَنَّ مَقَاصِدَ الْمُتَكَلِّمِينَ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ فَهْمِ اللُّغَةِ/الْخِطَابِ فِي سِيَاقِ الْإِسْتِعْمَالِ الْمُتَّحَدِّدِ، وَبِتَوْظِيفِ مَنْهَجٍ لَهُ آليَّاتُهُ الْإِجْرَائِيَّةُ/التَّطْبِيقِيَّةُ لِلتَّحْلِيلِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِثْلُ التَّدَاوُلِيَّةِ.

<sup>1</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب —مقاربة لغوية تداولية—، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2004، ص 21.



وَأَنَّ قِرَاءَةَ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ تُصْبِحُ صَعْبَةً إِذَا "لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى كِفَاءَةِ لُغَوِيَّةٍ وَأَدْبِيَّةٍ وَمَعْرِفَةِ مَوْسُوعِيَّةٍ بِالْأَطْرِ الْمَرْجِعِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، لِذَا يَجِبُ اعْتِمَادُ آيَةٍ وَاضِحَةٍ فِي تَحْلِيلِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ لِمَعْرِفَةِ الْمَعْنَى الَّذِي يَرْمِي إِلَيْهِ صَاحِبُ النَّصِّ وَالْمَعَانِي الْمَبْتُوتَةُ فِي الْعَمَلِ الْإِبْدَاعِيِّ، وَلَقَدْ بَاتَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ لِلنَّصِّ بِخَاصَّةٍ الْإِبْدَاعِيَّ مِنْهُ بِنِيَّةٍ مُهَاجِرَةً مُؤَسَّسَةً عَلَى نَفْضِ الْعَلَاقَاتِ النَّسَقِيَّةِ الْعُرْفِيَّةِ مِمَّا يُبْلَغُهُ الْأَقَاصِي وَتُخْرَقُ بِهِ عَتَبَاتُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهَذَا مَا يَضْمَنُ لَهُ التَّمَوُّ وَالِاسْتِمْرَارِيَّةَ وَالتَّجَدُّدَ بِفِعْلِ الْقِرَاءَةِ، وَلَعَلَّهُ يُضَحِّي بِهَا مُتَجَاوِزًا سُلْطَانَ التَّارِيخِ الَّذِي يَبِيْتُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى اسْتِنزَافِ إِمْكَانَاتِهِ الدَّلَالِيَّةِ، وَلَمَّا كَانَ التَّارِيخُ يَحْمِلُ مَعَانِي الْعَفَاءِ وَالْفَنَاءِ وَالْمَوْتِ؛ فَإِنَّ النَّصَّ خُلُودًا وَمُعَالَبَةً لِلْمَوْتِ وَسَعْيًا إِلَى الْإِنْتِظَاقِ"<sup>1</sup>.

وَأَنَّهُ مَتَى اشْتَعَلَ الدَّارِسُ عَلَى مَنْهَجِ تَحْلِيلِيٍّ يُفَسِّرُ الظَّاهِرَةَ اللُّغَوِيَّةَ/الْعَمَلِ الْأَدْبِيَّ، سَهَّلَ عَلَيْهِ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِ ذَلِكَ الْخِطَابِ وَكَشَفَ أَعْوَارِهِ، وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أُثْبِتَتِ الْعَدِيدُ مِنَ الدَّرَاسَاتِ عَدَمَ كِفَايَةِ بَعْضِ الْمَنَاهِجِ وَعَجْزَهَا عَنِ دِرَاسَةِ الظَّاهِرَةِ الْأَدْبِيَّةِ، إِذْ إِنَّ الْوَاقِعَ الْأَدْبِيَّ الْيَوْمَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ وَالْبَحْثِ عَنِ مَقَاصِدِ اللُّغَةِ وَمَعَانِيهَا أَكْثَرَ مِنْهُ إِلَى الْوَصْفِ، كَوْنِ الْأَخِيرِ يَكْتَفِي بِوَصْفِ الظَّاهِرَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي مَرَحَلَةٍ زَمْنِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَبُقْعَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي اسْتَدْعَى تَبْنِي الْمَنْهَجِ التَّدَاوُلِيِّ كَالِيَّةٍ لِفَهْمِ الْخِطَابِ الْأَدْبِيِّ عُمُومًا، وَالشَّعْرِيِّ خُصُوصًا.

وَنَظَرًا لِلْأَهْمِيَّةِ الَّتِي اِكْتَسَبَتْهَا التَّدَاوُلِيَّةُ فِي افْتِحَامِ مَيْدَانِ الْخِطَابِ الْأَدْبِيِّ، بِوَصْفِهَا أَلِيَّةً قِرَائِيَّةً وَإِحْرَاقِيَّةً جَدِيدَةً لِلإِنْتِجَاعِ الْأَدْبِيِّ، وَفِي ضَوْءِ مُحَاوَلَةِ الْكَشْفِ عَنِ أَعْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَبَيَانِ مَقَاصِدِهِمُ التَّوَاصُلِيَّةِ؛ وَقَعَ الْإِحْتِيَارُ عَلَى مُدَوَّنَةٍ ثَرَاتِيَّةٍ هِيَ "دِيْوَانُ شِعْرِ الْخَوَارِجِ" ل: "إِحْسَانِ عَبَّاسٍ"، وَالَّتِي تُعَدُّ مِنْ دُرَرِ الشَّعْرِ النَّابِعِ مِنْ مَعِينِ صَادِقٍ، جَاءَ كَرْدُودٍ فِعْلٍ لِمُعَارَضَتِهِمُ السُّلْطَةَ، هُوَ شِعْرٌ ثَوْرِيٌّ عَقْدِيٌّ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى، أَسْهَمَ فِي تَوْصِيلِ آرَائِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ، وَعَبَّرُوا بِهِ عَنِ قَضِيَّتِهِمُ الدِّيْنِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَقَدْ وُصِفَ غُنْوَانُ أُطْرُوحَةِ الْإِشْتِعَالِ عَلَى هَذِهِ الْمُدَوَّنَةِ بِ:

"الْخِطَابُ الشَّعْرِيُّ عِنْدَ الْخَوَارِجِ (37 هـ - 132 هـ) - مُقَارَنَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ -".

وَفِي ضَوْءِ هَذَا التَّقْدِيمِ؛ سَعَيْتُ بِهَذِهِ الدَّرَاسَةِ لِلإِجَابَةِ عَلَى سُؤَالِ التَّدَاوُلِيَّةِ الْأَشْهَرِ: مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟ وَكَيْفَ تَكَلَّمَ؟ وَمَاذَا يُرِيدُ الْمُتَكَلِّمُ أَنْ يَقُولَ؟ لِأَصِلَ إِلَى السُّؤَالِ الْجَوْهَرِيِّ الْجَامِعِ: كَيْفَ

<sup>1</sup> حَمَّادِي صَمُود: قِرَاءَةُ نَصِّ شِعْرِيٍّ مِنْ دِيْوَانِ أَغَانِي مِهْيَارِ الدَّمَشْقِيِّ لِأُدُونِيْس، ضَمِنَ كِتَاب: صِنَاعَةُ الْمَعْنَى وَتَأْوِيلِ النَّصِّ، مَنَشُورَاتُ كَلْبَةِ الْآدَابِ، جَامِعَةُ مَتَوْبَةِ، تُونِسَ، (ط 8)، 1992، ص 353.

اسْتَطَاعَ الْخِطَابُ الْخَوَارِجِيُّ أَنْ يَكُونَ تَدَاوُلِيًّا؟ وَمَا مَدَى قَابِلِيَّةِ خِطَابِهِمْ احْتِوَاءَ هَذِهِ الْمُقَارِنَةِ  
اللِّسَانِيَّةِ؟ الْأَمْرُ الَّذِي يُفُودُ إِلَى طَرَحِ افْتِرَاضَاتٍ وَتَسْأُؤَلَاتٍ فَرَعِيَّةٍ مِنْهَا:

❖ إِذَا كُنَّا نُقِرُّ مَبْدِئِيًّا بِأَنَّ لُغَةَ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ بَوَصْفِهَا أَدَاءً إِبْلَاجِيَّةً تَوَاصُلِيَّةً مُنْذُ الْقَدِيمِ، أَفَلَا  
تَسْتَجِيبُ لِآلِيَّاتِ الدَّرْسِ التَّدَاوُلِيِّ الْحَدِيثِ؟.

❖ وَإِنْ أُمَكِّنَ ذَلِكَ، فَمَا أَتَبَرُّزُ الْمَلَامِحِ التَّدَاوُلِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ الْخَوَارِجِيِّ؟ وَاللِّقْرَاءَةَ الْمُعَاصِرَةَ أَنْ  
تُنَسَّجِمَ وَالْخِطَابَ الْقَدِيمَ؟.

❖ مَا الْخِصَائِصُ الَّتِي تُمَيِّزُ الْخِطَابَ الشَّعْرِيَّ عِنْدَ الْخَوَارِجِ عَنْ بَاقِي الْفِرَقِ الْمُعَاصِرَةِ لَهَا؟.

❖ مَا الْآلِيَّاتُ الَّتِي اعْتَمَدَهَا شُعْرَاءُ الْخَوَارِجِ فِي التَّأَثِيرِ فِي الْمُتَلَقِّي وَاسْتِمَالَتِهِ؟.

تُعَدُّ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ وَأُخْرَى سَتَأْتِي تَحْتَ تَوْطِئَةٍ كُلِّ فَصْلِ، تَقْدِيمًا لِلْإِجَابَةِ عَنِ الْإِشْكَالِيَّاتِ  
الْكُبْرَى لِهَذَا الْبَحْثِ، وَحَسَبَ الْإِطْلَاعِ، فَإِنَّ مُدَوَّنَةَ شِعْرِ الْخَوَارِجِ لَمْ تُدْرَسْ وَفَقَّ التَّحْلِيلُ التَّدَاوُلِيُّ،  
وَتَفْحُصُهَا أَظْهَرَ مَنَاطِقَ بَكْرًا جَدِيدَةً بِالدِّرَاسَةِ وَتَطْبِيقِ الْمَبَاحِثِ التَّدَاوُلِيَّةِ عَلَيْهَا، وَمِنْ أَتَبَرُّزِ الدَّوَائِعِ الَّتِي  
جَعَلْتَنِي أَتَبَنَّيَ هَذِهِ الْمُدَوَّنَةَ بِالدِّرَاسَةِ:

❖ إِنَّ الدِّرَاسَةَ التَّدَاوُلِيَّةَ هِيَ الْأَقْرَبُ لِلتَّخْصُّصِ الدِّرَاسِيِّ "الْبَلَاغَةُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ"، فَأَرَدْتُ أَنْ  
أَجْمَعَ بَيْنَ الْقَدِيمِ كَمُدَوَّنَةٍ، وَالْحَدِيثِ كَمَنْهَجٍ إِجْرَائِيِّ.

❖ ضَرُورَةٌ لَفَتِ انْتِبَاهَ الْبَاحِثِينَ وَالْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ إِلَى ثَرَاتٍ عَرَبِيٍّ أَصِيلٍ لَمْ يَحْظَ بِوَأْفِرِ الدِّرَاسَةِ وَالْبَحْثِ.

❖ الْقِيَمَةُ التُّرَاثِيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ لِشِعْرِ الْخَوَارِجِ الَّذِي لَمْ يَحْضَرَ بِدِرَاسَاتٍ وَافِيَّةٍ.

❖ الْكِفَاءَةُ اللَّغَوِيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ وَالِدِينِيَّةُ لِلْخَوَارِجِ.

❖ مُلَاءَمَةُ الْمُدَوَّنَةِ -بَعْدَ الْإِطْلَاعِ- وَاحْتِوَائِهَا عَلَى مَا يُنَاسِبُ مَبَاحِثَ الدَّرْسِ التَّدَاوُلِيِّ.

❖ شِعْرُ الْخَوَارِجِ صَادِقٌ، وَهَذَا مَا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ مَقَاصِدِهِمُ التَّدَاوُلِيَّةِ.

وَتَأْتِي أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ فِي كَوْنِهِ مُقَارِنَةً لِسَانِيَّةً حَدِيثَةً، تَجْعَلُ نُصُوصَ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فِي مَرْمَى  
الِاسْتِعْغَالِ اللَّغَوِيِّ، حَيْثُ تُدْرَسُ اللَّغَةُ بِوَصْفِهَا ظَاهِرَةً تَوَاصُلِيَّةً فِي فَهْمِ الْخِطَابِ، كَمَا يُبَيِّنُ أَثَرُ آلِيَّاتِ  
التَّحْلِيلِ التَّدَاوُلِيِّ فِي الْكَشْفِ عَنْ خُصُوصِيَّةِ شِعْرِ الْخَوَارِجِ فِي حِقْبَةِ شَهَدَاتِ الْكَثِيرِ مِنَ الْفِتَنِ وَالصَّرَاعَاتِ  
- مِنْ 37 هـ إِلَى 132 هـ -، مَعَ تَفْحُصِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ.

هَذَا، وَإِنَّ أَيْ عَمَلٍ لَا يَخْلُو مِنْ صُعُوبَاتٍ وَعَوَائِقَ تُوَجِّهُهُ، وَإِنْ جَارَ ذِكْرُهَا، فَهَذِهِ أَتَبَرُّزُهَا:

- ❖ اِخْتِلَافُ الْمُصْطَلَحَاتِ وَتَعَدُّدُهَا مِنْ بَاحِثٍ لِأَخَرَ.
  - ❖ نُذْرَةُ الدَّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ ثَرَاتِ الخَوَارِجِ الشُّعْرِيِّ.
  - ❖ غِيَابُ الشُّرُوحَاتِ عَلَى شِعْرِ الخَوَارِجِ، صَعَبَ تَأْوِيلِ العَدِيدِ مِنَ الدَّلَالَاتِ فِي الدِّيَوَانِ.
  - ❖ غِيَابُ التَّشْكِيلِ عَنِ غَالِبِ المَدُونَةِ، مَا جَعَلَنِي أَتَّبِعُ المَصَادِرَ الَّتِي أَخَذَ عَنْهَا المُوَلِّفُ لِضَبْطِ الكَلِمَاتِ وَتَحْدِيدِ مَعْنَاهَا.
  - ❖ حَسَاسِيَّةُ التَّعَامُلِ مَعَ أَحْدَاثِ الفِتْنَةِ الكُبْرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ مَا يُلْزِمُ الحَدَرَ أَتْنَاءَ البَحْثِ وَالتَّحْقِيقِ فِيمَا جَرَى بَيْنَهُمْ.
  - ويَجْدُرُ بِالبَاحِثِ أَنْ يُصَرِّحَ بِالدَّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ جَوَانِبَ مِنَ البَحْثِ سَبَقَهُ إِلَيْهَا العَدِيدُ مِنَ البَاحِثِينَ -عَلَى قَلْتِهَا-، وَلِلأَمَانَةِ العِلْمِيَّةِ وَبَعْدَ اِطِّلَاعِ البَاحِثِ، فَهَذِهِ أَبْرَزُ الدَّرَاسَاتِ:
  - ❖ "أَدَبُ الخَوَارِجِ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ" ل: "سُهَيْرِ قَلْمَاوِي" (1945).
  - ❖ "شِعْرُ الخَوَارِجِ -خِصَائِصُهُ المَعْنَوِيَّةُ وَالفَنِيَّةُ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ-" ل: العِيدِ سُلْطَانِي (1984).
  - ❖ "الشُّعْرُ السِّيَاسِيُّ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ" ل: أَحْمَدُ الشَّايِبِ (1976).
  - ❖ "حِزْبُ الخَوَارِجِ فِي أَدَبِ العَصْرِ الأُمَوِيِّ" ل: ثُرَيَّا عِبْدِ الفَتْاحِ مِلْحَسِ (1989).
  - ❖ "الخَوَارِجُ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ -نَشَأَتُهُمْ، تَارِيخُهُمْ، عَقَائِدُهُمْ، أَدَبُهُمْ-" ل: نَائِفِ مَعْرُوفِ (2006).
  - ❖ "الخَوَارِجُ - فِي التَّارِيخِ وَالسِّيَاسَةِ وَعِلْمِ الكَلَامِ الخُطْبِ وَالتَّرَائِفِ-" ل: أَمِيرَةَ فَرِحَاتِ (2009).
  - ❖ أَطْرُوحَةُ دُكْتُورَاهِ بَعْنَوَانِ: "بَلَاغَةُ الخِطَابِ الشُّعْرِيِّ عِنْدَ الخَوَارِجِ" ل: عَيْسَى عَيْسَاوِي (2016).
- وَقَدْ اسْتَعْنَتْ فِي إِخْرَاجِ هَذَا البَحْثِ وَالإِلْمَامِ بِجَوَانِبِهِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَرَاجِعِ المُتَنَوِّعَةِ بَيْنَ القَدِيمِ وَالحَدِيثِ، وَخَاصَّةَ الحَدِيثِ، وَالَّتِي تَصُبُّ فِي مَجَالِ التَّدَاوُلِيَّةِ، مِنْهَا: "آفَاقُ جَدِيدَةٌ فِي البَحْثِ اللُّغَوِيِّ المُعَاَصِرِ" ل: مَحْمُودِ أَحْمَدِ نَحْلَةَ، وَ"اسْتِرَاطِيَجِيَّاتِ الخِطَابِ -مُقَارِبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ-" ل: عِبْدِ الهَادِيِ بِنِ ظَافِرِ الشُّهْرِيِّ، وَ"اللِّسَانُ وَالمِيزَانُ أَوْ التَّكْوِثُ العَقْلِيّ" ل: طَهِ عِبْدِ الرَّحْمَانِ، وَ"التَّدَاوُلِيَّةُ عِنْدَ العُلَمَاءِ العَرَبِ" ل: مَسْعُودِ صَحْرَاوِي، وَ"الاسْتِزَامُ الحَوَارِيّ فِي التَّدَاوُلِ اللِّسَانِيّ" ل: أَدْرَاوِي العِيَاشِي، وَ"نَظَرِيَّةُ أَفْعَالِ الكَلَامِ" ل: جُونِ أَوْسْتِينِ، أَمَّا بَاقِي المُوَلِّفَاتِ المُعْتَمَدَةِ وَالَّتِي دَلَّلَتِ الصُّعُوبَاتِ وَخَدَمَتِ المَوْضُوعَ، فَمُوثَقَةٌ فِي ثَبَتِ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ (مَكْتَبَةُ البَحْثِ).

وَلِيَخْرَجَ الْعَمَلُ فِي شَكْلِ لَائِقٍ، وَإِجَابَةً عَنِ اسْئَلَةِ الْبَحْثِ، وَوُعْيَةً بِنَاءِ نَمُودَجِ تَطْبِيقِي جَيِّدٍ، اِفْتَضَتْ طَبِيعَةُ الدَّرَاسَةِ أَنْ أُفَسِّمَ الْبَحْثَ إِلَى مُقَدِّمَةٍ وَمَدْخَلٍ وَخَمْسَةِ فُصُولٍ.

حَوَتْ الْمُقَدِّمَةُ عُنْوَانَ الْبَحْثِ، أَسْبَابَ اخْتِيَارِهِ، أَهْمِيَّتَهُ، إِشْكَالِيَّةَ الْبَحْثِ، الدَّرَاسَاتِ الَّتِي مَسَّتْ جَوَانِبَ الدَّرَاسَةِ، مَعَ ذِكْرِ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي وَاجَهَتِ الْبَاحِثَ، لَتُخْتَمَ بِالْمَنْهَجِ الْمُتَّبَعِ فِي الدَّرَاسَةِ. أَمَّا الْمَدْخَلُ فَأَصْأَاءٌ وَأَصَلٌ لِلتَّادُولِيَّةِ وَأُسْسِيهَا، مَعَ بَسْطِ الْحَدِيثِ عَنِ أَلْيَاتِهَا الْإِجْرَائِيَّةِ، كَمَا أَطَّلَ عَلَى تَقَاطُعِ التَّادُولِيَّةِ مَعَ بَعْضِ التَّخْصُّصَاتِ، وَنَظَرَ فِي تَلَفِّي الْمُحَدِّثِينَ الْعَرَبِ لِلتَّادُولِيَّةِ، وَأَنْتَهَى بِمُنَاقَشَةِ اخْتِلَافِ الْمُصْطَلَحِ وَتَعَدُّدِ تَسْمِيَاتِهِ.

لِيَلِيَهُ **أَوَّلُ الْفُصُولِ**، وَقَدْ تَمَحَّوَرَ حَوْلَ مُدْوَنَةِ الدَّرَاسَةِ، فَحَمَلَ عُنْوَانَ: "الْخَوَارِجُ، تَارِيخُهُمْ وَأَدَبُهُمْ"، وَالَّذِي يُعَدُّ فَصَلًا هَامًا لِلتَّعْرِيفِ بِالْفِكْرِ الْخَوَارِجِيِّ وَظُهُورِهِ وَتَشَكُّلِ الْحَرَكَةِ الْخَوَارِجِيَّةِ، وَقَدْ خُصِّصَ الْمَبْحَثُ الثَّانِي مِنَ الْفَصْلِ لِشِعْرِ الْخَوَارِجِ وَأَبْرَزَ مَوْضُوعَاتِهِمْ، أَنْتَهَاءً بِأَعْرَاضِهِ وَخِصَائِصِهِ الشَّعْرِيَّةِ. ثَانِي الْفُصُولِ جَاءَ لِدِرَاسَةِ "الْإِشَارِيَّاتِ الْمَقَامِيَّةِ وَمَرْجِعِيَّتِهَا الْخَطَابِيَّةِ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ"، وَقَدْ حُدِّدَ فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَصْلِ: مَفْهُومُ الْإِشَارِيَّاتِ، أَنْوَاعُهَا، مُسَمِّيَاتُهَا، وَأَشْهُرُ مُقَابَلَاتِهَا عِنْدَ الْعَرَبِ الْأَوَائِلِ، أَنْتَهَاءً بِأَهْمِيَّتِهَا، وَخُصِّصَ الْمَبْحَثُ الثَّانِي لِتَتَبُّعِ أَنْوَاعِ الْإِشَارِيَّاتِ دَاخِلَ الْمُدْوَنَةِ.

وَتَحَدَّثَ الْفَصْلُ الثَّلَاثُ وَالَّذِي عُنُونُهُ: "إِنْجَارِيَّةُ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ" فِي مَبْحَثِهِ الْأَوَّلِ عَنِ مُنْطَلَقَاتِ نَظَرِيَّةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ بَدءًا بِالتَّأْسِيسِ، تَلِيَهُ أَصْنَافُ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ حَسَبَ تَصْنِيفِ "سِيرِل" كَبْدِيلٍ لِتَصْنِيفِ أُسْتَاذِهِ "أُوسْتِين"، وَخُصِّصَ الْمَبْحَثُ الثَّانِي لِبَيَانِ فَاعِلِيَّةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ وَإِنْجَارِيَّتِهَا فِي الْخِطَابِ الْخَارِجِيِّ.

وَعُنُونُ رَابِعِ الْفُصُولِ: "الْإِسْتِلْزَامُ التَّخَاطِبِيُّ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ"، وَقَدْ تَنَاوَلَ الْمَبْحَثُ الْإِسْتِلْزَامَ الْعَرَبِيَّ مِنْ مَنْظُورِ "غُرَايْس" وَمَبَادِيهِ الَّتِي وَضَعَهَا، تَلِيَهُ الْقَوَاعِدُ الْمُكْمَلَةُ لِمَبْدَأِ التَّعَاوُنِ، وَالْيَاتِ الْعُدُولِ فِي الْخِطَابِ، لِيُخْتَمَ الْفَصْلُ بِمَبْحَثٍ عَرَضَتْ فِيهِ لِمَفْهُومِ الْإِسْتِلْزَامِ التَّخَاطِبِيِّ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ مِنْ مَنْظُورِ الْوَعْيِ الْبَلَاغِيِّ الْقَدِيمِ بِهِ، وَجَاءَ الْإِنْشَاءُ الطَّلْبِيُّ عَيْنَةً لِلتَّطْبِيقِ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ.

لِيُكْشَفَ الْفَصْلُ الْأَخِيرُ عَنِ الْحِجَاجِ فِي الدَّرْسِ الْبَلَاغِيِّ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَسِمَ الْفَصْلُ بِ: "الْحِجَاجُ الْبَلَاغِيُّ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ"، تَنَاوَلَ الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ الْأُسُسَ النَّظَرِيَّةَ وَالْمَعْرِفِيَّةَ لِنَظَرِيَّةِ الْحِجَاجِ،

وَعُنِيَ الْمَبْحَثُ الثَّانِي بِحِجَابِيَّةِ الْأَشْكَالِ الْبَلَاغِيَّةِ حَسَبِ تَقْسِيمِ "بِيرْلَمَان" وَ"تَيْكَا"، لَيْسَتْ هِيَ بِحِجَابِيَّةِ الصُّورِ الْبَيَانِيَّةِ وَالْأَسَالِيْبِ الْبَلَاغِيَّةِ كَالِإِلْتِفَاتِ وَالتَّكْرَارِ مِنْ مَنْظُورِ حِجَابِيٍّ.

وَأخِيرًا، خَاتِمَةٌ عَامَّةٌ تَضَمَّنَتْ أَهَمَّ النَّتَائِجِ الْمُتَوَصَّلِ إِلَيْهَا فِي الْبَحْثِ.

أَمَّا بِخُصُوصِ الْمَنْهَجِ الْمُتَّبَعِ فِي الدِّرَاسَةِ، فَخُصُوصِيَّةُ الْمُدَوَّنَةِ، اسْتَدْعَتْ التَّنَوُّعَ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَنَاهِجِ، فَكَانَ لِلْمَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ حُضُورٌ فِي بَابِ التَّارِيخِ لِلْحَوَارِجِ كَفِكْرٍ، ثُمَّ كَفَرَقَةٍ مُمْنَهَجَةٍ وَرَصْدِ أَهَمِّ أَرَائِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ وَالَّتِي انْعَكَسَتْ بَعْدُ عَلَى شِعْرِهِمْ، مَعَ تَقْصُّ لِأُصُولِ الْفِكْرِ التَّدَاوُلِيِّ، وَكَوْنِ الْعَمَلِ يَحْتَاجُ إِلَى رَصْدِ مُفْرَدَاتِ الدِّرَاسَةِ، فَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَى الْمَنْهَجِ الْوَصْفِيِّ الَّذِي رَصَدَ أَهَمَّ الْمَبَاحِثِ التَّدَاوُلِيَّةِ كَجَانِبِ نَظَرِيٍّ اِهْتَمَّ بِنَشْأَةِ التَّدَاوُلِيَّةِ وَالْبَحْثِ فِي أَهَمِّ مُصْطَلَحَاتِهَا، وَكَيْفِيَّةِ تَلْقَى الدَّارِسِينَ الْعَرَبَ لِهَذَا الْوَأْفِدِ الْعَرَبِيِّ، خِتَامًا بِمَنْهَجِ نَقْدِيٍّ يُصَوِّرُ الظَّاهِرَةَ الْعَامَّةَ لِلْحِطَابِ، وَيُقَرِّبُ الْبَاحِثَ مِنْ أَهَمِّ الْمَادَّةِ الشَّعْرِيَّةِ، أَلَا وَهُوَ الْمَنْهَجُ التَّدَاوُلِيُّ، الْمَعْنِيُّ بِالنَّظَرِ فِي السِّيَاقِ بِصِفَتِهِ زَكِيَّةٌ أَسَاسِيَّةٌ لِإِنْتِجَاجِ الدَّلَالَةِ، وَكَشْفِ مَدَى فَاعِلِيَّةِ التَّوَاصُلِ.

وَفِي الْخِتَامِ، أُزْجِي خَالِصَ الشُّكْرِ لِأَسَاتِدَتِي أَعْضَاءَ لِحْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ، أَحْصُ كُلًّا بِاسْمِهِ وَجَمِيلِ وَسْمِهِ، شَاكِرًا لَهُمْ قِرَاءَةَ الْبَحْثِ وَقَبُولَهُمْ مُنَاقَشَتَهُ، وَالشُّكْرُ مُوَصَّلٌ لِأُسْتَاذِي الْمُشْرِفِ عَيْسَى عَيْسَاوِي، صَاحِبِ الْفَضْلِ فِي اسْتِوَاءِ الْبَحْثِ عَلَى سُوقِهِ، ثُمَّ إِنِّي قَدْ اجْتَهَدْتُ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ مَا اسْتَطَعْتُ، مَعَ يَقِينِي بِأَنَّ بَضَاعَتِي مُرْجَاهُ، وَزَادِي فِيهَا قَلِيلٌ، فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ صَوَابٍ فَهُوَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ نَقْصٍ فَهُوَ شَأْنُ الْعَمَلِ الْبَشَرِيِّ، وَحَسْبِي أَنِّي بَدَلْتُ مَا اسْتَطَعْتُ، وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى شَأْنُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الطَّالِبُ: سَامِي قَدِيم

الإثنين 29 شَوَّال 1443 هـ

الموافق ل: 30 ماي 2022 م

## مَدخلُ: الأُسُسُ النَّظْرِيَّةُ وَالْمَعْرِفِيَّةُ لِلتَّداوَلِيَّةِ

### تَوَطُّنَةٌ

#### أَوَّلًا: التَّداوَلِيَّةُ؛ الْمَفْهُومُ وَالنَّشْأَةُ

01. مَفْهُومُ التَّداوَلِيَّةِ

02. نَشْأَةُ التَّداوَلِيَّةِ

03. مُمَيِّزَاتُ التَّداوَلِيَّةِ

#### ثَانِيًا: التَّداوَلِيَّةُ؛ مَحَاوِرُهَا وَمَهَامُهَا

01. مَحَاوِرُ التَّداوَلِيَّةِ

02. مَهَامُ التَّداوَلِيَّةِ

#### ثَالِثًا: تَقَاطَعُ التَّداوَلِيَّةِ مَعَ بَعْضِ التَّخْصُّصَاتِ

01. التَّداوَلِيَّةُ وَعِلْمُ الدَّلَالَةِ (*Sémantiques*):

02. التَّداوَلِيَّةُ وَالْبَلَاغَةُ

03. التَّداوَلِيَّةُ وَالنَّحْوُ / التَّرْكِيبُ (*Syntax*)

04. التَّداوَلِيَّةُ وَاللِّسَانِيَّاتُ (*Linguistics*)

05. التَّداوَلِيَّةُ وَتَحْلِيلُ الْخَطَابِ (*discours analysis*)

## توطئة:

المقصد الأساس من استعمال اللغة؛ التواصل، فهي الوسيلة والأداة التي ينقل بها الإنسان أفكاره وما يختلج نفسه، وصفتها التواصلية، جاءت لهدف التعبير عن أغراض البشر، قال ابن جني: "أما حدها - أي اللغة - فهي أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>1</sup>، وهذا التواصل المستمر يصبح تداولاً للاستعمال الفعلي للغة، وكل ذلك في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظيفتها إلا داخل التواصل. وفي حضم التعيرات والتحويلات الفكرية في الأوساط العربية؛ وجب تبني منهج علمي يضبط تلك المعتزكات الفكرية بين الفلاسفة، وهنا برغ نجم علم جديد يهتم باللغة واستعمالاتها، ويولي أهمية كبرى لأحوال المتخاطبين، مركزاً على الفهم والإفهام، مؤسساً بآلياتها الإجرائية لعلم دراسة اللغة، والبحث في كيفيات التحليل، حيث تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة.

وبهذا التقديم نصاغ الأسئلة الآتية:

❖ ما التداولية؟ وما السياق التقايي الذي نشأت فيه؟

❖ ما أبرز المفاهيم التي قامت عليها؟

<sup>1</sup> أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: عبد الوهاب هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1421 هـ، (ج 1)، ص 82.

أولاً- التداولية: مفهوماً، نشأتها وأهميتها:

### 01. مفهوم التداولية:

1- لغة: تعددت التعريفات للجزء اللغوي (د و ل)، جاء في "أساس البلاغة" للزمخشري (ت 538 هـ) قوله: «دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان على عدوهم: جعل الكره عليه، واستدل الأيام: استعطفها، قال: استدال الأيام فالدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم، والمأشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما»<sup>1</sup>. وورد في "لسان العرب" لابن منظور (ت 711 هـ)، قوله: «(دول)، والمصدّر تداول، يقال: دال، يدول، دولا: إنتقل من حال إلى حال، وأدال الشيء: جعله متداولاً. دوايتك: أي: مداولة على الأمر، ودالت الأيام: دارت، والله يداولها بين الناس»<sup>2</sup>.

يلاحظ مما تقدم أن دلالة "التداول" هي التحول من حال إلى آخر، ومن القوة إلى الضعف، تناقل، تحول، تبدل وتفاعل.

أما الأصل الأجنبي لكلمة "تداولية"، (*Pragmatique*) بالفرنسية، و(*Pragmatics*) بالإنجليزية؛ فيعود إلى المفردة اللاتينية (*Pragmaticus*)، والتي يرجع استعمالها إلى العقد الرابع من القرن الرابع عشر<sup>3</sup>، وتدل مفردة (*Pragmatic*) في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية<sup>4</sup>.

### ب- اصطلاحاً:

التداولية علمٌ جديدٌ، لا تكفي بالوصف والتفسير، بل تتعدى ذلك لدراسة الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، وهي تمثل حلقة وصل بين العديد من الحقول المعرفية، كالفلسفة، اللسانيات، الأسلوبية والبلاغة، ولقد تعددت تعريفاتها، فقول: هي: «فرعٌ لسانيٌّ يعنى بدراسة التواصل (*communication*) بين المتكلم والمتلقي»<sup>5</sup>، وهي عند "فرانسيس جاك" (*Francis Jaque*): "ظاهرةٌ خطابيةٌ وتواصليةٌ واجتماعيةٌ معاً"<sup>6</sup>، ويُعرفها "الجيلالي دلاش" بأنها: "تخصُّصٌ لسانيٌّ، يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب

<sup>1</sup> جاز الله الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل غيون السود، منشورات: محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط 1)، 1419 هـ - 1998 م، ص 303.

<sup>2</sup> جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار الحديث، مصر، (د ط)، 1423 هـ - 2003 م، (مج 3)، (دول)، ص 450.

<sup>3</sup> نؤاري سعودي: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، (ط 1)، 2009، ص 18.

<sup>4</sup> فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، (ط 1)، 2007، ص 17.

<sup>5</sup> نادية رمضان النجار: الإتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس، مصر، (ط 1)، 2013، ص 09.

<sup>6</sup> نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د ط)، 2003، ص 174.

أحاديثهم وخطاباتهم، وتُعنى بكيفية تأويل تلك الخطابات والأحاديث<sup>1</sup>، والتداولية عند "فيليب بلانشيه" (*Philippe Blanchet*): "دراسة للغة بوصفها ظاهرةً خطابية، وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت"<sup>2</sup>، ويجعلها "مسعود صحراوي": "مذهباً لسانياً يدُرُّ علاقة النشاط اللغوي بمُستعمليه، وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات المقامية التي يُنجزُ ضمنها الخطاب، وفي الوقت نفسه؛ البحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالةً تواصليةً واضحةً وناجحة"<sup>3</sup>.

يتَّضح جلياً من هذه التعريفات الإصطلاحية أن التداولية هي لسانيات الحوار، أو الملكة التبليغية، وهي منهجٌ جديدٌ يقومُ بدراسة نشاط الإنسان اللغوي، ويهتمُّ بتأويل الخطاب وبيان مقاصده وأغراضه، ولا يمكنُ بأيِّ حالٍ من الأحوال تحديد المعنى إلا من خلال التداولية وآلياتها الإجرائية التي وُضعت لهذا الأساس.

## 02. نشأة التداولية:

النَّاظرُ في نشأة العلوم والمُتَّبِع لتطوُّرها يلاحظُ أنَّها لم تنشأ دفعةً واحدةً، وإنما تشكَّلت وتطوَّرت عبر مراحلَ زمنيةٍ حتَّى وصلتْ وبلغتْ درجةَ التمام والانتشار، الأمرُ شأنه مع التداولية، والتي يُجمَع المؤرِّخونَ على أنَّها جاءتْ ردًّا على التيارات والإجتهادات التي أهملتْ دراسةَ اللغة في الإستعمال والتواصل، حيثُ تُجمَع الدراساتُ على أنَّ نواةَ نشأة التداولية كانت مع "تشارلز موريس" (*C. Morris*) والذي يُعرِّفها على أنَّها "دراسة علاقات العلامات بمُستعملها وبطُروف استعمالها"<sup>4</sup>، وهو تعريفٌ واسعٌ وفَضفاضٌ، سيميائيٌّ بالدرجة الأولى، وهي دراسة العلامات بمفسريها، ثمَّ عَمَمَ هذا التعريف ليُصبح "دراسة علاقات العلامات بمُستخدميها"<sup>5</sup>، فبهذا التعريف جعل التداولية آليةً إجرائيةً تحليليةً سيميائيةً للملفوظات التي تُمثِّلُ الوحدات

<sup>1</sup> الجيلاي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يجان، ديوان مطبوعات الجامعة، (د ط)، (د ت)، ص 01.

<sup>2</sup> ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19.

<sup>3</sup> مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، دار التنوير، الجزائر، (ط 1)، 2008، ص 03.

\* تشارلز موريس: وُلِدَ سَنَةَ 1901م بولاية كُولورادُو الأمريكية، عالمٌ لغويٌّ وفيلسوفٌ، مُتَحَصِّلٌ على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سَنَةَ 1925، وعيِّنَ أستاذًا بجامعة شيكاغو 1945، ثمَّ بجامعة فلوريدا، ثمَّ رئيسًا للقسم الغربي للجمعية الفلسفية الأمريكية، مُهتَمٌّ بالسيميائيات، مِنَ المُتَأَثِّرِينَ بِأفكارِ "تشارلز بيرس" اللغوية، لَهُ فَضْلٌ سَبِقٌ فِي إِرساءِ تعريفِ مقصودِ لمصطلح التداولية، تُوفي سنة 1979. يُنظر: نادية رمضان التجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 22.

والموسوعة العربية: <http://arab-ency.com>.

<sup>4</sup> فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 08.

<sup>5</sup> محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، لبنان، (ط 2)، 2007، ص 137.

الصُّغْرَى لِلنَّصِّ، والهدفُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ؛ إزالة العُمُوضِ بين عناصرِ التَّواصلِ اللُّغَوِيِّ. وَتَجْعَلُهَا "ماري ديلر" *(Marie Diller)*: "دراسة استعمال اللُّغة في الخِطَابِ شاهدةٌ على ذلك مَقْدِرُهَا الخِطَابِيَّة" <sup>1</sup>، ما يعني إنَّهَا تَبْحَثُ في الكَشْفِ عن القُدْرَاتِ الإِبْلَاجِيَّةِ والتَّواصلِيَّةِ الَّتِي تُفِيدُهَا العِبَارَاتُ اللُّغَوِيَّةُ، أي: في الإِسْتِعْمَالِ، ما يعني إنَّهَا لا تَهْتَمُّ بِالْمَبْنَى، وَتَهْتَمُّ بِاللُّغَةِ في التَّواصلِ.

وَتَجْدُرُ الإِشَارَةُ في هَذَا المَقَامِ إلى أَنَّ التَّداوُلِيَّةَ بادئِ الأمرِ كانتْ مُقتَصِرَةً في ذهنِ "مُوريسن" على دراسةِ الصَّمائِرِ وظُرُوفِ الزَّمَانِ والمَكَانِ والتَّعابِيرِ الَّتِي تَسْتَقِي دِلالاتِها مِنْ مُعْطِيَاتِ تَكُونُ جُزْئِيًّا خَارِجَ اللُّغَةِ نَفْسِهَا، أي المَقَامِ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ التَّواصلُ <sup>2</sup>، غَيْرَ أَنَّ التَّداوُلِيَّةَ لَمْ تُصَبِّحْ مَجَالًا يُعْتَدُّ به في الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ إلاَّ مع "مَطْلَعِ العَقْدِ السَّابِعِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، مع فِلاسِفَةِ اللُّغَةِ "جُون لَانْجِشَو أوستين" *(J.l Austin)* و"جون سيرل" <sup>\*\*</sup> *(J.searl)* و"بول غرايس" <sup>\*\*\*</sup> *(Paul Grice)*، فأوستين مِنْ واضعي نِوَاةِ التَّداوُلِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ في فِكْرَةِ أفعالِ الكلامِ مِنْ خِلالِ مُؤَلَّفِهِ: *(How to do things with words)* وهي مِجْمُوعَةٌ مُحاضراتُ ألقاها بِجامِعةِ "هارفارد" سنة 1955، وِجْمَعَتْ سنة 1960، وَنُشِرَتْ سنة 1962 <sup>3</sup>، وَهَذِهِ المُحاضراتُ لَمْ تَكُنْ تَهْدَفُ إلى تَأْسِيسِ فِرْعٍ جَدِيدٍ لِلِّسَانِيَّاتِ، وَإِنَّمَا "هَدَفَتْ لِتَأْسِيسِ فِرْعٍ فِلسَفيِّ مَوْسُومٍ بِفِلسَفَةِ اللُّغَةِ، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ فيما بَعْدُ بِنُوقَةٍ لِلِّسَانِيَّاتِ التَّداوُلِيَّةِ" <sup>4</sup>.

لَقَدْ وَضَعَ فِلاسِفَةُ اللُّغَةِ نِوَاةَ التَّداوُلِيَّةِ الأُولَى، وَطَوَّرُوا مَفْهُومَ "الفِعْلِ اللُّغَوِيِّ"، وَفي سنة 1957 نَشَرَ "غرايس" أَعْمَالًا تَهْتَمُّ بِالدَّلالةِ والمعنى وما يَنْتُجُ عن هَذِهِ الدَّلالاتِ مِنْ مَعانِي صَرِيحَةٍ وَأخرى ضَمْنِيَّةٍ، وَبِذَلِكَ

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصَّفحة نَفْسِهَا.

<sup>2</sup> آن ريبول وِجَاك موشلار: التَّداوُلِيَّةُ اليَوْمِ، ص 29.

\* جُون أوستين (1911-1960): فِيلْسُوفُ اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ، يُعَدُّ أبًا لِلتَّداوُلِيَّةِ، عَمِلَ أستاذًا لِفِلسَفَةِ الأخلاقِ بِجامِعةِ أكسفُورد، مُؤَسِّسُ تداوُلِيَّةِ أفعالِ الكلامِ، نُشِرَ لَهُ كِتابٌ واحِدٌ عُنْوانُهُ: "كَيْفَ نَصْنَعُ الأَشْيَاءَ بِالكَلِماتِ"، وَقَدْ جُمِعَ لَهُ مِجْمُوعَةٌ مُحاضراتُ ألقاها بِجامِعةِ "هارفارد" سنة 1955، وَكانَ ذَلِكَ سنة 1960، وَنُشِرَ الكِتابُ عام 1962. / نادِيَةُ رَمْضَانَ النِّجَارِ: الأَتجاهُ التَّداوُلِيُّ والوظِيفِيُّ في الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ، ص 27.

\*\* جُون سيرل: فِيلْسُوفٌ آمِريكيٌّ، مِنْ أبْرَزِ الفِلاسِفَةِ المُحَدِّثِينَ الَّذِيْنَ يَنْتَمُونَ إلى تَبَّارِ الفِلسَفَةِ الحَدِيثَةِ، مُدْرِّسٌ في جامِعةِ "كاليفورنيا"، مِنْ أَشْهُرِ أَعْمالِهِ: "القَصْدِيَّةُ"، "التَّعْبِيرُ والمعنى"، "أفعالِ الكلامِ". / المرجع نَفْسِهِ: ص 28.

\*\*\* هَرَبَرْتُ بُولُ غرايس (1913-1988)، فِيلْسُوفٌ ولُّغَوِيٌّ، عَمِلَ أستاذًا بِجامِعتَيْ "كاليفورنيا" و"أكسفُورد"، عَضُوُّ الأَكاديمِيَّةِ الأَمِريكيَّةِ لِلنُّونِ والعلومِ، مِتَخَصِّصُ في دراسةِ اللُّغَةِ والمعنى، وَلهُ نَظَرِيَّةٌ في ذَلِكَ وهي "المعنى"، وَصاحبُ الآليَّةِ التَّداوُلِيَّةِ: الإِسْتِزَامُ الحِواريُّ/التَّخاطِبيُّ. / الموسِوعةُ العَرَبِيَّةُ: <http://arab-ency.com>.

<sup>3</sup> يُنظَرُ: نادِيَةُ رَمْضَانَ النِّجَارِ: الأَتجاهُ التَّداوُلِيُّ والوظِيفِيُّ في الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ، ص 27.

<sup>4</sup> آن ريبول وِجَاك موشلار: التَّداوُلِيَّةُ اليَوْمِ، ص 29.

أنتجوا أسئلةً بحثيةً جديدةً ستكون سبباً للاعتراف بالتداولية كونها من البحوث اللسانية الأكثر حداثة، إذ بدأت تتألق في سماء الدرس اللساني مقولات تداولية جديدة مثل: البؤرة، الإقتضاء، والاستلزام التخاطبي<sup>1</sup>.

وهناك من يرى أن الجذور الأولى للتداولية ابتدأت مع "الفلسفة التحليلية"، لأنها "المصدر المعري لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية"<sup>2</sup>، والإبجاه الرئيس في فلسفة اللغة والتي ركزت على موضوع اللغة محاولة تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها<sup>3</sup>، حيث تعود نشأتها إلى "العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا" بالنمسا، على يد الفيلسوف "غوتلوب فريجة" *(Gottlob Frege)* وقد وصفت بأنها ثورة فلسفية، لأنها جاءت دحضاً للمثالية التي سادت التفكير الإنجليزي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر<sup>4</sup>، ما يعني إن دافع ظهور الفلسفة التحليلية هو القضاء على التفكير الإنجليزي الذي حاد عن مجراه الصحيح وخالف العقل، وتبني المثالية في كل شيء من نواحي الحياة.

وإن تعدد معارف واتجاهات الفلسفة التحليلية يصعب الأمر في تقديم تعريف جامع لها، ومع ذلك فقد عرفت بأنها تلك "الفلسفة التي ترى أن التحليل الفلسفي للغة كفيلاً بإيصالنا إلى تفسير فلسفي للفكر، وتفسير الفكر كفيلاً بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون"<sup>5</sup>، ولعل أهم ما جاءت به الفلسفة التحليلية؛ نظرهم للغة على أنها هدف من أهداف البحث الفلسفي، ما يعني إنها ليست وسيلة للتأمل فقط، وبذلك تكون قد حددت لنفسها مهمة البحث في اللغة وتوضيحها، وبذلك عدت فلاسفة التحليل هذا المبدأ علامة قوة من هجهم وحقائيقته<sup>6</sup>

<sup>1</sup> يُنظر: بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والتقدي، مؤسسة السياب، لندن، (ط 1)، 2012، ص 36.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 20.

<sup>3</sup> مؤيد آل صوينت: الخطاب القرآني - دراسة في البعد التداولي-، مكتبة الحضارة، لبنان، (ط 1)، 2010، ص 23.

\* غوتلوب فريجة: "فيلسوف ألماني ولد سنة 1848م، يُعدُّ مؤسس المنطق الرياضي الحديث والفلسفة الرياضية وفلسفة اللغة، كانت اهتماماته منصبّة في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، تحصل على الدكتوراه سنة 1973م، من أعماله: كتاب التصورات سنة 1879م، أسس علم الحساب 1894م، توفّي سنة 1925م". يُنظر: حسن حنفي: مقدّمة في علم الاستغراب، دار مجد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط 3)، 2006، ص 277.

<sup>4</sup> محمد رشوان وركريا عصام: فلسفة اللغة، دار المسيرة، عمان، الأردن، (ط 1)، 2012، ص 24.

<sup>5</sup> مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث الغربي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2003، 2004، ص 40.

<sup>6</sup> مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 20.

ومنْ جُمْلَةِ الأُمُورِ الَّتِي دَافَعْتُ عَنْهَا الفَلَسَفَةُ التَّحْلِيلِيَّةُ، المَبَادِئُ العَامَّةُ الَّتِي دَعَتْ إِليهَا وَصَارَتْ مِنْهَا لَهَا مِنْ بَعْدُ، وَهِيَ<sup>1</sup>:

- التَّحَلِّيُّ عَنِ أُسْلُوبِ البَحْثِ الفَلَسَفِيِّ القَدِيمِ (وَبِالْخُصُوصِ مَا تَعَلَّقَ بِالجَانِبِ المِيتافِيزِيقِيِّ).
  - الإِنْتِقَالُ مِنْ مَوْضُوعِ نَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ إِلى مَوْضُوعِ التَّحْلِيلِ اللُّغَوِيِّ.
  - التَّجْدِيدُ عَلَى مُسْتَوَى بَعْضِ المَبَاحِثِ اللُّغَوِيَّةِ، لا سِوَمَا مِباحِثِ الدَّلَالَةِ وَالظُّوَاهِرِ المُتَفَرِّعَةِ عَنْهُ.
- وَعَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ، فَإِنَّ "الفَلَسَفَةَ التَّحْلِيلِيَّةَ" أَدَاءً وَصَلًا لِإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي التَّفَكِيرِ الفَلَسَفِيِّ المِثَالِيِّ، وَهِيَ وَسِيلَةٌ لَفَهْمِ الحَقِيقَةِ، مُسْتَعْمَلِينَ فِي ذَلِكَ اللُّغَةَ العَادِيَّةَ وَالأَلْفَاظَ الَّتِي تُدُلُّ عَلَى مَعْنَاهَا الصَّادِقِ، فَالوَاقِعُ مُسْتَقَلٌّ عَنِ المَعْرِفَةِ، لِذَا وَجِبَ تَفْسِيرُ الوَاقِعِ بِلِغَةٍ عَادِيَّةٍ يَفْهَمُهَا النَّاسُ، بَعِيدَةٍ عَنِ التَّضَلُّيلِ وَالإِلْتِبَاسِ.
- 03. مُمَيِّزَاتُ التَّداوُلِيَّةِ:**

- لِلتَّداوُلِيَّةِ خِصَائِصٌ مُبَيَّنَةٌ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ مَجَالَاتِ البَحْثِ اللُّغَوِيِّ، وَلِعَلَّ أَهْمُهَا مَا يَأْتِي<sup>2</sup>:
- تَدْرُسُ التَّداوُلِيَّةُ الإِسْتِعْمَالَ اللُّغَوِيَّ، وَتُوظِّفُهُ فِي الإِسْتِعْمَالِ الفِعْلِيِّ. (المُمارَسَةُ).
- لَيْسَ لِلتَّداوُلِيَّةِ وَحِدَاتٌ تُحْلِلُ خَاصَّةً بِهَا وَلَا مَوْضُوعَاتٌ مُتَرَابِطَةٌ.
- تَدْرُسُ اللُّغَةَ دِرَاسَةً وَظِيفِيَّةً عَامَّةً (أَي: تُحِيطُ بِجَمِيعِ نَوَاحِي الكَلَامِ الثَّقَافِيَّةِ، الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ).
- التَّداوُلِيَّةُ بَحْرٌ يَصُبُّ فِيهِ مَجَالَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنَ العُلُومِ المُتَّصِلَةِ بِاللُّغَةِ، كَعِلْمِ الدَّلَالَةِ وَعِلْمِ اللُّغَةِ الإِجْتِمَاعِيِّ، وَتَحْلِيلِ الخِطَابِ<sup>3</sup>.
- تُؤَلِّي التَّداوُلِيَّةُ أَهْمِيَّةً لِشُرُوطِ نِجَاحِ الخِطَابِ، وَالمُتَعَلِّقَةِ بِالسِّيَاقِ وَالمَقَامِ وَالمُتَكَلِّمِينَ وَحَيْثِيَّاتِ الإِسْتِعْمَالِ<sup>4</sup>.
- التَّداوُلِيَّةُ نُقْطَةُ التَّقَاءِ مَجَالَاتٍ لَعَدَّةٍ عُلُومٍ مُتَّصِلَةٍ بِاللُّغَةِ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

<sup>2</sup> يُنظَرُ: حَامِدُ خَلِيلٍ، المَنْطِقُ البَرَاغِمَاتِي عِنْدَ تَشَارِكِ بِيرْسِ، دَارُ البِنَابِيْعِ، دَمِشْقَ، سُورِيَا، (د ط)، 1996، ص 198.

<sup>3</sup> مَحْمُودُ نَحْلَةَ: آفَاقُ جَدِيدَةٌ فِي البَحْثِ اللُّغَوِيِّ المَعَاوِرِ، ص 15.

<sup>4</sup> مَقْبُولُ إِدْرِيسَ: البُعْدُ التَّداوُلِيُّ عِنْدَ سِيبَوِيهِ، عَالَمُ الفِكرِ، الكُوَيْتِ، (د ط)، 2004، ص 246.

ثانياً- التَّداوُلِيَّةُ: مَحَاوِرُهَا وَمَهَامُهَا:

01. مَحَاوِرُ التَّداوُلِيَّةِ: تهتمُّ التَّداوُلِيَّةُ بالمعاني داخل السِّيَاقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وتُرَكِّزُ اهتمامها على عُنْصَرِي الخِطَابِ مِنْ مُرْسَلٍ وَمُتَلَقٍّ، وللكشفِ عن هذه المعاني وتحليلها؛ لا بُدَّ مِنْ آليَّاتٍ إجرائيَّةٍ لذلك، وفي هذا الباب؛ يتَّفَقُ مُعْظَمُ الدَّرَاسِيْنَ على حَصرِ مجالات وآليَّاتِ التَّداوُلِيَّةِ التَّطْبِيقِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ على تحليل الخِطَابِ وتَفْكيكِ تراكيبه وبيانِ مَقاصِده وأغراضه في الآتي:

أ- أفعالُ الكلام (*Les actes de parole*): مِنْ أهمِّ آليَّاتِ تحليل الخِطَابِ -سيأتي الحديث عنها-.

ب- الإشاريَّات (*Dectiques*): آليَّةٌ لُغَوِيَّةٌ في التَّحليل التَّداوُلِيَّ، وهي أُولَى درجاتِ التَّحليل عند هانسون -سيأتي الحديث عنها-.

ج- الإِستِزَامُ الحِوَارِيُّ (*Conversational Implicature*): مَبْحَثٌ إجرائيٌّ، مِنْ أهمِّ مباحثِ الدَّرْسِ التَّداوُلِيَّ، وآليَّةٌ مِنْ آليَّاتِ إنتاجِ الخِطَابِ -سيأتي الحديث عنه-.

د- النَّظْرِيَّةُ الحِجَاجِيَّةُ (*L'argumentation*):

مَحَوْرُ مُهْمُ في التَّداوُلِيَّةِ، فَعَالِيَّةٌ تداوُلِيَّةٌ جدليَّةٌ، ونشاطٌ إنسانيٌّ لسانيٌّ، تُصَادِفُهُ في "الحِوَارَاتِ، على صفحاتِ الجرائدِ، في البرامجِ الإذاعيَّةِ والتِّلْفِزيَّةِ، ويُلْتَمَسُ في النُّصوصِ والعُرُوضِ الإِشْهاريَّةِ، يُلجَأُ إليه دِفَاعاً عن قضيَّةٍ أو تَبْريرِ سُلُوكٍ، لثِدِينِ أو تَمَدِّحٍ، لَتَقِفَ مَعِ أو ضِدَّ اختيَارٍ أو قَرَارٍ"<sup>1</sup>، ويهتمُّ بدراسةِ التَّقْنِيَّاتِ والآليَّاتِ الإِجرائيَّةِ الَّتِي يجعلها المُتَكَلِّمُ وسيلةً للتَّأثيرِ في المُتَلَقِّي.

الحِجَاجُ عُنْصَرٌ مهمٌّ تُوليه التَّداوُلِيَّةُ عنايةً كبيرةً، جُذوره ضاربةٌ في التَّاريخِ، اهتمَّ به اليُونانُ القُدَامِي والعربُ الأوائلُ، وأولاده المُحدَثُونَ عنايةً خاصَّةً، وتناولته العديد من الإِبْجَاهاتِ، وخاصَّةً البلاغَةُ الجديدة، بعدَهُ آليَّةٌ مِنْ آليَّاتِ تحليلِ الخِطَابِ.

ومِنْ الآليَّاتِ الإِجرائيَّةِ في تحليلِ الخِطَابِ كذلك:

ه- السِّيَاقُ (*Contexte*): وهو ذلك "الجزءُ مِنَ الكلامِ المكتوبِ/ المَقُولِ الَّذِي يَتْبَعُ كلمةً ما في القِطْعةِ يُؤدِّي إلى المعنى، ودُونه لا يُمكنُ أَنْ يُفْهَمَ ذلك المعنى"<sup>2</sup>، ويعني أيضاً؛ الإِطارَ العامَ الَّذِي "يَحْوَطُ الخِطَابُ/

<sup>1</sup> يُنظر: مُحَمَّد طروس، النَّظْرِيَّةُ الحِجَاجِيَّةُ مِنْ خلالِ الدَّرَاسَاتِ البلاغيَّةِ والمنطقيَّةِ واللِّسانيَّةِ، دارُ الثَّقافةِ، الدَّارُ البيضاءِ، المغرب، (ط 1)، 2005، ص 07.

<sup>2</sup> نَوَافِ نَصَّار: معجم المصطلحات الأدبيَّة -عربي إنجليزي-، دار المعترز، عمَّان، الأردن، (ط 1)، 2011، ص 160.

النصّ، حيثُ يعملُ على اختيارِ آليّاتٍ مُناسبةٍ لعمليّةِ الإفهامِ بينِ طرفي الخطاب<sup>1</sup>، ما يعني إنّه آليّةٌ إجرائيّةٌ تُعتمدُ في تحليلِ الخطاباتِ، وتُهمُّ أساسًا بتفسيرِ النصوصِ، فلا يُمكنُ أنْ تُفهمَ نصًّا/ كلامًا دونَ النَّظَرِ في السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَ فيه، واقتطاعُ جُملةٍ عن سياقها الَّذِي وَرَدَتْ فيه؛ يجعلُ الكلامَ متبورًا غيرَ مفهومِ الهدفِ والغرضِ، ما يعني إنّه أساسُ فُهمِ المقاصدِ الّتي يَروُمُها المتكلّم.

للسِّيَاقِ أثرٌ عميقٌ في عمليّةِ تشكيلِ الفعلِ التّواصلِيّ وبناءِ الخطابِ، حيثُ يُسهمُ بشكلٍ فاعلٍ في الكشْفِ عن العلاقاتِ الدّلالِيَّةِ القائمةِ بينِ عناصرِ الخطابِ، ويعملُ على تلاحمِ عناصرِ النصّ وتماسُكهِ، فلا أهميَّةٌ للمفرداتِ خارجَ سياقها، ولتتضحَ المقاصدُ والمعاني؛ لا بدّ منْ وُجودِ السِّيَاقِ، وبذلك يتّضحُ المعنى ويتعد عن الغموضِ.

### و- القصدية (Intentionnalité):

القصدُ، القصديةُ أو علمُ المقاصدِ، وهي "خاصيةٌ تُوجّهُ الكثيرَ منَ الحالاتِ العقليّةِ والأحداثِ إلى إنجازِ الأشياءِ، والتعبيرِ عن الحالاتِ في العالمِ بيانِ قَصدٍ وغرضِ المتكلّمِ للوصولِ إلى المعنى المتوخّى"<sup>2</sup>، والمعنى المتوخّى: هو المُبتغى الَّذِي يسعى الكاتبُ/ المتكلّمُ إلى إيصالهِ للقارئِ/ المُتلقيّ.

### ز- الافتراضُ المُسبق (presupposition):

هو ما يفترضه المتكلّمُ قَبْلَ التّطوُّقِ بالكلامِ، وهو مجموعةٌ منَ "المعلّوماتِ الواجبِ أنْ يشتركَ فيها المتكلّمُ والمتلقيّ، بمعنى إنّها تكونُ معروفةً مُسبقًا، فالمتكلّمُ لا يُوجّهُ حديثه إلى المُستمعِ/ القارئِ إلّا على أساسِ ما يفترض أنّهُ معلومٌ مُسبقًا"<sup>3</sup>، ما يعني إنّه وليدُ قَصدٍ مُعيّنٍ، وهو أداةٌ يَرتكزُ عليها الخطابُ في تماسُكهِ، ضروريٌّ في إنجازِ العمليّةِ التّواصلِيَّةِ والكشْفِ عن المعاني المُتنوّعةِ داخلِ الخطابِ. مثلاً واقعيٌّ: في أحدِ لقاءاتِ والي ولاية "سوقِ اهراس" مع رؤساءِ البلديّاتِ، خاطبَ السيّدُ الوالي رئيسَ إحدى البلديّاتِ (بها العديد من التّحاوراتِ) قائلاً: - أقمَ أمرَ بلديّتك، فملفُوظُ الوالي له خلفيّةٌ افتراضيّةٌ، مضمونها أنّ البلديّةَ فيها مشاكلٌ عديدة، وأنّ هناك ما يدعُو إلى علاجِ هذه المشاكلِ، إضافةً إلى قُدرةِ المُخاطَبِ (رئيسِ البلديّةِ) على التّغييرِ، كما أنّ الملفوظَ يُشيرُ أيضًا إلى المكانةِ الّتي يحتلّها المتكلّمُ والّتي تُحوّله إصدارَ الأمرِ.

<sup>1</sup> دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمّد يحياتن، الدّار العربيّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 2000، ص 271.

<sup>2</sup> جميل حمداوي: التّداوُلِيّاتِ وتحليلِ الخطابِ، مؤسّسةُ المثقفِ العربيّ، سيدي، أستراليا، (ط 1)، 2015، ص 15.

<sup>3</sup> محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة للبحث اللّغويّ المعاصر، دار المعارف الجامعيّة، مصر، (ط 1)، 2006، ص 26.

ولا يقوم أي حوار دون "معلومات ومعارف مسبقة، ما يعني إنه لا بُد من وجود رصيد من الافتراضات المسبقة التي تضم معلومات مستمدة من المعرفة العامة"<sup>1</sup>، وبهذا فالافتراض المسبق متعلق بالمتكلمين لا بالجمَل، وهو معلومات تسبق التلقظ بالخطاب ويبنى عليها الحديث.

## 02. مهام التداولية:

تتعلق التداولية مع العديد من العلوم -سيأتي ذكر بعضها-، ولعل ما قد يُميزها عن بعض هذه التخصصات؛ اهتمامها بجميع شروط الخطاب، وبكيفية استخدام اللغة، وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدّد معناها إلا بالاستعمال، ويمكن حصر أبرز مهامها في النقاط الآتية:

- تدريس التداولية اللغة أثناء الإستعمال، التلقظ.
- بيان كيف للتواصل غير الحرفي أن يكون أفضل استعمالاً من التواصل الحرفي المباشر.
- تهدف إلى تحقيق غرض تواصلية مُحدّد<sup>2</sup>.
- دراسة شروط نجاح العبارات وصياغتها بطريقة مناسبة<sup>3</sup>.
- تقديم تأويلات للجملة، وبيان قيمة القول المُفصح عنه<sup>4</sup>.
- تهتم بتتبع المعنى عبر مجموعة من العناصر التي تُسهّم بشكل كبير في إبرازه، وذلك بالنظر إل مُنتجه ومُتلقيه وسياقاته المختلفة التي قيلت فيه، والغاية التي من أجلها أنشئ الكلام<sup>5</sup>.
- دراسة أفعال الكلام ومعرفة الأغراض المُستهدفة من إنجازها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> جون براون وجورن يول: تحليل الخطاب، تر: محمّد الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، (د ط)، 1997، ص 96.

<sup>2</sup> مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 26.

<sup>3</sup> فان دايك: النص والسياق في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قبني، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2000، ص 256.

<sup>4</sup> جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، إشراف: عز الدين المحدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 30.

<sup>5</sup> خالد العيساوي: الخطاب الإشهاري بين البعد التداولي وسلطة النص، بحث ضمن كتاب: التداولية في ظلال المفهوم وآفاقه، مجموعة مؤلفين، تح: حسن الملخ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، (ط 1)، (د ت)، ص 74.

<sup>6</sup> خالد العيساوي: الخطاب الإشهاري بين البعد التداولي وسلطة النص، ص 96.

ولعلَّ مُلخَّصَ ما تَسعى إليه التَّداولِيَّة؛ الإجابة عن الأسئلة الآتية: ماذا نصنعُ حين نتكلَّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلَّم؟ مَنْ يتكلَّم وإلى مَنْ يتكلَّم؟ ماذا علينا أن نَعلم حتَّى يَرْتفع الإبهام عن جُملة وأخرى؟ وهل يُمكن الرُّكون إلى المعنى الحرفيِّ لَقصد المُتكلِّم؟ وما هي استعمالات اللُّغة؟<sup>1</sup>

ثالثاً- تقاطع التَّداولِيَّة مع بعض التَّخصُّصات:

التَّداولِيَّة تخصُّصٌ مُنفتحٌ على العديد من التَّخصُّصات التي تهتمُّ بدراسة اللُّغة، كحقلِ البلاغة والسَّائياتِ والدَّلالةِ والتَّحوِّ وتحليلِ الخطابِ، والبحثِ في هذا البابِ يطوُّلُ، لذا سيُقتصر على بعض التَّخصُّصات التي تتعلَّقُ معها التَّداولِيَّة وتتداخل.

### 01- علاقة التَّداولِيَّة بعلم الدَّلالة (Sémanique):

يُعرَّف علم الدَّلالة بأنَّه "علمُ دراسة المعنى"<sup>2</sup>، ما يعني إنَّ موضوع علم الدَّلالة هو البحثُ والتَّقصِّي عن المعنى، ويعرَّف أيضاً: "العلمُ الَّذي يدرُسُ علاقةَ العلاماتِ بالأشياء التي تدلُّ عليها أو تُحيلُ إليها"<sup>3</sup>. ويُفرِّقُ "أوستين" بين العَلَمين ويرى أنَّ "علمَ الدَّلالة يهتمُّ بمعرفة اللُّغة، والتَّداولِيَّة تهتمُّ بالأداء والإيجاز والاستعمال"<sup>4</sup>، وبهذا تُكوِّن التَّداولِيَّة مُكمِّلة لعلمِ الدَّلالة.

جُمْل القول: إنَّ الجَامع بين التَّداولِيَّة وعِلْمِ الدَّلالة؛ دراسةُ المعنى، فالأولى تُؤسِّس لدراسَتِها على الاستعمالِ اللُّغويِّ، وتدرُسُ اللُّغة عند التَّلْفُظ، مع مُراعاةِ ظُروفِ الكلامِ والمَقامِ الَّذي يردُّ فيه، بينما يدرُسُ عِلْمُ الدَّلالة المعنى خارجاً عن السِّياق، وإنَّ جاز القول؛ فالتَّداولِيَّة تبتدئُ من حيث انتهى إليه عِلْمُ الدَّلالة.

### 02- التَّداولِيَّة والبلاغة:

غايةُ البلاغةِ مُنذ القديم؛ الإقناعُ، وهو ما يَسعى إليه الحجاجُ كمبحثٍ وآليَّةٍ في التَّداولِيَّة، حيثُ يُعدُّ التَّأثيرُ والإقناعُ من الوظائفِ التَّواصلِيَّةِ لِلُّغة، والتَّداولِيَّة: "تهتمُّ بالتَّواصلِ والاستعمالِ اللُّغويِّ للكلامِ، أي: توصيلِ المعنى وفُقِّ ما يتطلَّبه المَقام"<sup>5</sup>، والبحثُ في مَقاصِدِ الكلامِ وكيفيَّةِ التَّأثيرِ في المُتلقِ؛ هو من صميمِ التَّداولِيَّة، وليس أدلَّ على طبيعةِ التَّعلُقِ بين التَّداولِيَّة والبلاغةِ من قولِ "هنريش بليث"

<sup>1</sup> فرانسواز أرمينكو: المقارنة التَّداولِيَّة، تر: سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، الرباط، المغرب، (د ط)، 1986، ص 11.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر: علمُ الدَّلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (ط 5)، 1998، ص 11.

<sup>3</sup> أحمد فهد صالح شاهين: التَّنظيرُ التَّداولِيَّة وأثرها في الدَّراسات النَّحوِيَّة المعاصرة، ص 28

<sup>4</sup> جون ليونز: اللُّغة والمعنى والسِّياق، تر: عبَّاس صادق عبد الوهاب، دار الشُّؤون العامَّة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (ط 1)، 1987، ص 31، 32.

<sup>5</sup> آن ريبول وحاك موشلار: التَّداولِيَّة اليوم علم جديدٌ في التَّواصل، تر: سيف الدَّين دغفوس ومحمَّد شيباني، مرا: لطيفة زيتوني، المنظمة العربيَّة للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2003، ص 29.

(*Blythe Heinrich*): "إِنَّ تَوَجُّهُ البلاغةِ نحو الأثرِ التَّداوُلِيَّ يَظْهَرُ في تَمَيِّزِها مُنذ القَدِيمِ بَيْنَ ثلاثةِ أنماطٍ أساسِيَّةٍ مِنَ المَقْصَدِيَّةِ، الأَوَّلُ تَعْلِيمِيٌّ، وَيَهْتَمُّ بِإِخْبَارِ المُتَلَقِّي بِوَأَقِعِ ما، وَهَذَا التَّقْدِيمُ يُشْتَرَطُ فِيهِ المَوْضُوعِيَّةُ، وَالمُكَوَّنُ الحِجَاجِي الَّذِي يَهْدَفُ إِلَى التَّأثيرِ، وَالعَرَضُ الثَّالِثُ؛ المَكُونُ الأَخْلاقِيُّ، وَالَّذِي يَرُومُ الصِّدْقَ كَأَساسٍ فِي العَمَلِيَّةِ الكَلَامِيَّةِ"<sup>1</sup>، وَهَذِهِ المَقاصِدُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ذَكَرَها "هَنْرِيش"؛ هِيَ مَقْصَدٌ وَغَايَةُ البَحْثِ التَّداوُلِيَّ.

وَمَا يُمَكِّنُ قَوْلَهُ كخِلاصَةٍ فِي التَّعَالُقِ بَيْنَ التَّداوُلِيَّةِ وَالبِلاغَةِ: إِهْمَا يَشْتَرِكَانِ فِي عَنائِيهِمَا بِالْحِجَاجِ كَأَلِيَّةِ إِقْناعِيَّةِ، وَيُؤَلِّقُ عَناصِرَ الخِطابِ أَهْمِيَّةً كَبِيرَةً مِنْ مُرْسَلٍ وَمُرْسَلٍ إِلَيْهِ وَرِسالَةٍ، كَمَا يَعتَنُونَ بِالمَقَامِ (السِّيَاقِ)، فَلا مَعانِي تُفْهَمُ خَارِجَ السِّيَاقِ، وَيَجْعَلُونَ مِنْ قَاعِدَةٍ "لكلِّ مَقامٍ مَقالٌ" أَساسًا فِي تَحليلِ الخِطابِ.

**03- التَّداوُلِيَّةُ وَالنَّحْوُ / التَّرْكِيبُ (Syntax):** عِلْمُ التَّرْكِيبِ: هُوَ "دِراسَةُ العِلاقاتِ بَيْنَ الصِّغِغِ اللُّغَوِيَّةِ وَكِيفِيَّةِ تَنْظِيمِها فِي تَتابِعٍ مُعَيَّنٍ"<sup>2</sup>، وَلا شَكَّ أَنَّ النَّحْوَ حاضِرٌ فِي جَميعِ العِلْمِ اللُّغَوِيَّةِ، وَإِذا ذَكَرْتَ اللُّغَةَ حَضَرَ النَّحْوُ، وَهناكَ تَدَاخُلٌ بَيْنَ النَّحْوِ وَالتَّداوُلِيَّةِ بِلا شَكِّ، وَهَذَا ما تَحَدَّثَ عَنْهُ "فانْ دايك" (*Van Dijk*) فِي حَدِيثِهِ عَنِ تَحديدِ العِلاقةِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالتَّداوُلِيَّةِ: "إِنَّ صِياغَةَ القِواعِدِ التَّداوُلِيَّةِ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ تَعني أَنَّ مِثْلَ النَّحْوِ يَنْبَغِي تَفْسيرُهُ، لَيْسَ فَقطِ القُدْرَةُ عَلَى تَرْكِيبِ العِباراتِ الصَّحِيحَةِ، بَلِ القُدْرَةُ أَيْضًا عَلَى تَوْظِيفِ وَاسْتِخدامِ تِلْكَ القُدْرَةِ فِي بَعْضِ المَواقِفِ التَّواصِلِيَّةِ"<sup>3</sup>.

فِسلامَةُ التَّرْكِيبِ / الجُمْلَةُ نَحْوِيًّا لا يُفْهَمُ فِي العالِبِ المَعْنى، فَقولُكَ مِثْلاً: "إِنَّ هَناكَ تَمَرُّدًا وَاضِحًا"، فَهَذِهِ الجُمْلَةُ سَلِمةُ التَّرْكِيبِ، صَحِيحَةٌ نَحْوِيًّا، لَكِنَّها لا تُسْهَمُ فِي إِيجادِ المَعْنى، وَهنا يَأْتِي دَوْرُ التَّحليلِ التَّداوُلِيَّ لِيقَدِّمَ مَجموعَةً مِنَ المَعانِي وَالإِحتمالاتِ الَّتِي يَتَوافِقُ أَحَدُها مِنْها وَسِياقِ التَّرْكِيبِ، مِثْلاً:

- وَقَع تَخْرِبٌ.

- خُرُوجُ مَظاهِرَاتٍ.

- آراءُ وَأَقوالُ مُخالِفةٍ / تَحْرِيطِيَّةِ.

فِإِذا وَضِعَتْ هَذِهِ المَعانِي فِي سِياقِها؛ قَدْ تُفِيدُ وَتَدُلُّ السَّماعَ بِما أَرادَهُ المُتَكَلِّمُ.

<sup>1</sup> هَنْرِيش بَلِيث: البِلاغَةُ وَالأَسْلُوبِيَّةُ -نَحْوِ نَموذِجِ سِيميائِي لِتَحليلِ النُّصُوصِ-، تَر: مُحَمَّدِ العَمري، إِفريقيَا الشَّرْقِ، المَغربِ، (ط) 2، 1999، ص 25.

<sup>2</sup> عَبدُ الهادي الشَّهري: اسْتِراتيجِيَّاتُ الخِطابِ، ص 19.

<sup>3</sup> جِورْجِ يُول: التَّداوُلِيَّةُ، تَر: قَصي العِتابي، الدارُ العَرَبِيَّةُ لِلْعِلْمِ نَاشِرُونَ، بَيرُوتَ، لَبْنانَ، (د ط)، 2010، ص 145.

#### 04- التَّداوُلِيَّةُ وَاللِّسَانِيَّاتُ (*Linguistics*):

تُعَدُّ التَّداوُلِيَّةُ "قاعدة اللِّسَانِيَّاتِ وأساسها"<sup>1</sup>، فالأولى تهتمُّ بِالْمَلْفُوظِ وَالْمَقَامِ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ، وَلَا تُلْغِي الأبعادَ الحِيْطَةَ بِالإنْسَانِ، مِنْ ظُرُوفِهِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ، النَّفْسِيَّةِ، الثَّقَافِيَّةِ، عَادَاتِهِ وَتَقَالِيدِهِ، وَكَمَا تَهْتَمُّ بِالْمُتَكَلِّمِ؛ تَهْتَمُّ بِالسَّمْعِ، وَهَذَا الإِهْتِمَامُ مِنْ صَمِيمِ دِلالاتٍ بِنَاحِ فِعْلِ الكَلَامِ، وَتَهْتَمُّ الثَّانِيَّةُ بِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ وَالتِّي تَحْتَلِفُ عَنِ "الكَلَامِ فِي أَهْمَا شَيْءٍ يُمَكِّنُ دِرَاسَتَهُ بِصُورَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ"<sup>2</sup>، مَا يَعْنِي أَنَّ اللِّسَانِيَّاتِ تُؤَلِي أَهْتِمَامًا بِاللُّغَةِ، أَي: تَبْحَثُ فِي ذَاتِهَا، وَلَا تَهْتَمُّ بِالْمُتَكَلِّمِ وَلَا سِيَّاقِ وَمَقَامِ الكَلَامِ.

وَهَنَّاكَ مَنْ يَرَى أَنَّ التَّداوُلِيَّةَ دَاخِلَ النَّظَرِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ، مَعَ صُعُوبَةٍ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ: "إِنَّ اللِّسَانِيَّاتِ عِلْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّظَرِيَّاتِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُتْرَابِطَةِ وَالْمُتَدَاخِلَةِ، وَالتَّداوُلِيَّةُ إِحْدَى هَذِهِ النَّظَرِيَّاتِ"<sup>3</sup>.

فالتَّداوُلِيَّةُ كَمَا يَرَى "مَسْعُودٌ صَحْرَاوِيٌّ" "لَيْسَتْ سَلَّةً لِمُهْمَلَاتِ اللِّسَانِيَّاتِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَدَاةٌ لِتَبْسِيطِهَا، فَالظَّوَاهِرُ الَّتِي تَدُرُّهَا اللِّسَانِيَّاتِ لَيْسَتْ مُهْمَلَةٌ وَلَا مَتْرُوكَةٌ بِالصَّرُورَةِ، وَهِيَ تَقُومُ بِإِزَالَةِ العُمُوضِ عَنِ عُنَاوِرِ التَّوَاصُلِ اللُّغَوِيِّ"<sup>4</sup>، وَعُوضًا عَنِ دِرَاسَةِ اللُّغَةِ بِمَسْتَوِيَّاتِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ؛ تَقُومُ "التَّداوُلِيَّةُ بِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ أَثْنَاءَ الإِسْتِعْمَالِ"<sup>5</sup>، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّداوُلِيَّةَ تَتَجَاوَزُ دِرَاسَةَ اللُّغَةِ بِمَعْنَاهَا البَنَوِيَّ الضِّيْقِ إِلَى أَحْوَالِ الإِسْتِعْمَالِ، وَفِي جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ المَقَامِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، وَكُلِّ ذَلِكَ حَسَبِ أَغْرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ وَأَحْوَالِ المُخَاطَبِينَ.

إِنَّ التَّعَالُقَ بَيْنَ التَّداوُلِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّاتِ يَكْمُنُ فِي أَهْمَا يَجْعَلَانِ مِنَ "اللُّغَةِ مَحَلًّا لِلإِهْتِمَامِ وَالدِّرَاسَةِ، وَمَا أَهْتَمَّتْ بِهِ اللِّسَانِيَّاتِ مِنْ دِرَاسَاتٍ لَطَرِقِ التَّنْظِيمِ مِنْ جَمْعِ الأَصْوَاتِ وَجَمْعِ المَعَانِي (الشَّكْلِ وَالمَعْنَى)، تَجَاوَزَتْهُ التَّداوُلِيَّةُ إِلَى المَلْفُوظِيَّةِ وَالحِجَاجِ وَمَظَاهِرِ الإِسْتِدْلَالِ"<sup>6</sup>، فَالإِشْتِرَاكُ الأَوْحَدُ هُوَ دِرَاسَةُ اللُّغَةِ.

#### 05- التَّداوُلِيَّةُ وَتَحْلِيلُ الخِطَابِ (*discours analysis*):

يَسْعَى الخِطَابُ إِلَى رِبْطِ المَلْفُوظَاتِ بِسِيَّاقَاتِهَا، حَيْثُ لَا يُوجَدُ إِجْمَاعٌ حَوْلَ طَبِيعَةِ مُقَوِّمَاتِ السِّيَاقِ، وَمَعَ ذَلِكَ؛ تُوجَدُ نَوَاةٌ مِنَ المَقَوِّمَاتِ مُجْمَعٌ

<sup>1</sup> نَوَّارِي سَعُودِي: فِي تَدَاوُلِيَّةِ الخِطَابِ الأَدَبِيِّ، ص 21.

<sup>2</sup> فَرْدِيانَد دِيَسُوسِير: عِلْمُ اللُّغَةِ العَامِ، تَر: يُوْنِيْل يُوْسُفِ عَزِير، مَرَا: مَالِك يُوْسُفِ المَطْلَبِي، دَارِ آفَاقِ عَرَبِيَّةِ، بَغْدَادِ، العِرَاقِ، (ط 3)، (د ت)، ص 33.

<sup>3</sup> F.L Traverse, le pragmatique –historique et critique-, pierre mordage éditeur, Bruxelles, Belgique, 1987, p 161,162.

<sup>4</sup> مَسْعُودٌ صَحْرَاوِي: التَّداوُلِيَّةُ عِنْدَ العُلَمَاءِ العَرَبِ، ص 27.

<sup>5</sup> المَرْجِعُ نَفْسُهُ: ص 28

<sup>6</sup> خَلِيفَةُ بُوْجَادِي: فِي اللِّسَانِيَّاتِ التَّداوُلِيَّةِ مَعَ مُحَاوَلَةِ تَأْصِيلِيَّةِ فِي الدَّرْسِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ، بَيْتُ الحِكْمَةِ، العِلْمَةُ، الجَزَائِرِ، (ط 1)، 2009، ص 126.

عليها وهي: "المشاركون في العملية الخطابية، الإطار المكاني، الغاية (الهدف)، وهي تتمفصل بشكلٍ مُستقرّ عبر مؤسسات لغويةٍ مُحدّدة، بوصفها عقوداً للكلام أو أنواع الخطاب"<sup>1</sup>.

والتداولية تعمل على إنجاح الخطاب وتحصيل شروطه، ليكون الخطاب نشاطاً تفاعلياً أساسياً، فتحليل الخطاب من صميم البحث التداولي، كما تحرص بعد تحليل الأقوال والخطابات على الإهتمام بجميع شروط نجاح الخطاب، وهناك من يجعل التداولية وتحليل الخطاب "شيئاً واحداً، بمعنى أنّهما مترادفان، أو وجهان لعملية واحدة، وترد أيضاً التداولية بوصفها نوعاً من تحليل الخطاب"<sup>2</sup>.

فالتداولية تدرس الكلام/الخطاب/اللفظ عند الإستعمال، وتُحاول معرفة مدى انسجامه والمُخاطبين، وتتساكل مع تحليل الخطاب في تجاوزه اللفظ ليشمل النصّ.

مما تقدّم؛ نلاحظ تداخلاً واضحاً بين التداولية وبعض التخصصات التي تهتمُّ باللُّغة والخطاب، بل هي جزءٌ من بعضها، وقد تُشابه البعض الآخر، وكلُّ هذه الحقول تشترك في دراسة اللُّغة، ويمكن توضيح علاقة التداولية ببعض تلك التخصصات في الشكل الآتي:



شكل 01: علاقة التداولية ببعض التخصصات.

\* العقود: مجموعة "المبادئ والقواعد التي تُسيّر الخطاب وتجعله مُمكنًا، وهي بمثابة المواثيق". دومينيك مانغونو: المُصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 30.

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 09.

<sup>2</sup> مزيد بهاء الدين: تبسيط التداولية من أفعال اللُّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2010، ص 86.

## خلاصة المدخل:

تَبَحُّثُ التَّداوُلِيَّةِ فِي كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَصَلَ الْمَعْنَى إِلَى السَّمَاعِ مَفْهُومًا وَاضِحًا، وَتَبَحُّثُ فِي الشُّرُوطِ الَّتِي بِهَا يَتَأَسَّسُ خَطَابُ تَوَاصُلِيٍّ نَاحِجٍ، وَتَعْمَلُ عَلَى إِبْرَازِ الْمَعَانِي الْكَامِنَةِ دَاخِلَ الْكَلَامِ، وَبَعْدَ هَذِهِ الْجَوْلَةِ فِي التَّأْسِيسِ لِلنَّظَرِيَّةِ التَّداوُلِيَّةِ؛ خُلِصَتْ إِلَى التَّنَائِجِ الْآتِيَةِ:

1. التَّداوُلِيَّةُ مُقَابِرَةٌ لِسَانِيَّةٌ، تَدْرُسُ مُخْتَلَفَ الْإِسْتِعْمَالَاتِ لِلُّغَةِ.
2. التَّداوُلِيَّةُ مُسْتَوَى جَدِيدٌ فِي الدَّرْسِ اللَّسَانِيِّ، يَمَلَأُ الْفَجَوَاتِ الَّتِي تَرَكَّتْهَا الْمُسْتَوِيَّاتُ الْآخَرَى.
3. تَهْتَمُّ التَّداوُلِيَّةُ بِاللُّغَةِ وَمُسْتَعْمَلِيهَا.
4. التَّداوُلِيَّةُ مَبْحَثٌ مَرْجِعِيَّتُهُ الْفَلَسَفَةُ التَّحْلِيلِيَّةُ.
5. الْمَبَاحِثُ التَّداوُلِيَّةُ حَاضِرَةٌ فِي التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، وَإِنْ اِخْتَلَفَتِ التَّسْمِيَّاتُ فَالْمَحْتَوَى وَاحِدٌ.
6. أَشْهَرُ مَفَاهِيمِ التَّداوُلِيَّةِ إِسْتِعْمَالًا؛ الْإِشَارِيَّاتُ، الْأَفْعَالُ الْكَلَامِيَّةُ، الْإِسْتِلْزَامُ الْحَوَارِيُّ وَالْحِجَاجُ.
7. التَّداوُلِيَّةُ مُصْطَلَحٌ مُتَعَدِّدُ التَّرْجَمَاتِ بَيْنَ الدَّرَاسِيْنَ، وَأَعْلَبُهُمْ يَرْفُضُونَ التَّداوُلِيَّةَ مُقَابِلًا لِلْمِصْطَلَحِ

### الأجنبيَّة *Pragmatique*.

8. هُنَاكَ إِقْبَالٌ كَبِيرٌ عَلَى الْوَافِدِ الْأَجْنَبِيِّ دِرَاسَةً وَتَحْلِيلًا وَتَرْجَمَةً مِنْ قِبَلِ الدَّرَاسِيْنَ الْعَرَبِ.
- مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ، ارْتَأَيْتُ أَنْ أُقَدِّمَ دِرَاسَةً فِي ضَوْءِ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ وَالْمَبَاحِثِ وَالآلِيَّاتِ التَّداوُلِيَّةِ لِهَذَا الْمَوْزُوتِ الْعَرَبِيِّ الْأَصِيلِ -شِعْرُ الْخَوَارِجِ-، وَقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي التَّحْلِيلِ/التَّطْبِيقِ/الإِجْرَاءِ، بَدَأَ لِي مِنْ بَابِ أَوْلَى تَقْدِيمِ تَوَطُّئَةٍ حَوْلَ نَشْأَةِ الْخَوَارِجِ وَبَيَانِ عَقِيدَتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ الَّتِي انْعَكَسَتْ بَعْدُ عَلَى شِعْرِهِمْ، إِذْ يَصْعَبُ الْحَدِيثُ عَنِ شِعْرِ الْخَوَارِجِ وَالْعَوَاصِ فِي ثَنَائِهِ دُونَ مَعْرِفَةٍ شَامِلَةٍ بِنَشَأَتِهِمْ، وَدُونَ عِلْمٍ وَدِرَايَةٍ بِشِعْرِهِمْ وَخِصَائِصِهِ وَأَعْرَاضِهِ، وَهَذَا مَا سَأُحَاوِلُ عَرَضَهُ فِي الْفَصْلِ الْمُوَالِي - الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الدَّرَاسَةِ -.

## الفصل الأول: الخوارج: تاريخهم وأدبهم

تمهيد

المبحث الأول: الخوارج (النشأة والمعتقد)

أولاً- الخوارج: نظرة في التاريخ الإسلامي

01: الخوارج: المصطلح والظهور

ا- الخوارج في اللغة والاصطلاح

ب- إخبار النبي عن الفتن وظهور الخوارج

ثانياً- مقتل عثمان رضي الله عنه وبداية الفتنة

01- مقتل عثمان رضي الله عنه

02- علي رضي الله عنه والفتنة الكبرى

03- تشكل الحركة الخارجية

ثالثاً- الخوارج: فرقهم، ألقابهم ومبادئهم

01: فرق الخوارج

02: ألقابهم

03: المبادئ العامة في فكر الخوارج

المبحث الثاني: شعر الخوارج: موضوعاته، أغراضه وخصائصه

أولاً- موضوعات شعر الخوارج

ثانياً- أغراض شعر الخوارج

ثالثاً- خصائص شعر الخوارج

## توطئة:

يُجْمَعُ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ الْخَوَارِجَ أَوَّلَ حَرَكَةٍ ثَوْرِيَّةٍ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، يُورِّخُ أَصْحَابُ السِّيَرِ لِبِدَايَةِ ظُهُورِهَا مِنْ مَعْرَكَةِ صِفِّينَ سَنَةَ (37 هـ)، وَمَعَ بُزُوغِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَخَاصَّةً فِي الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ وَكَثْرَةِ الصَّرَاعَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ؛ كَانَ لِرَامَا عَلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَنْ تَجِدَ وَسِيلَةً دِعَائِيَّةً لِتَرْوِيحِ أَفْكَارِهَا وَعَقِيدَتِهَا، وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ أَدَاءً لِلدَّفَاعِ عَنِ كُلِّ مَا يَعْتَرِضُ لَهَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ كَالشُّعْرِ.

شَعُرَ الْخَوَارِجُ ثَوْرِيًّا جَامِحًا، جَاءَ كَخُلَاصَةِ بَحَارِبِ ذَاتِيَّةٍ حَيَّةٍ عَاشَهَا الْخَوَارِجُ فِي ظِلِّ فِتْرَةٍ صَعْبَةٍ مَلِيئَةٍ بِالنِّزَاعَاتِ وَالصَّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَمَعَ هَذَا التَّنَوُّعِ وَالْحَرَكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي شَهِدَتْهُ تِلْكَ الْحَقْبَةُ؛ اهْتَمَّ شُعْرَاءُ هَذِهِ الْفِرْقَةِ بِالدَّفَاعِ عَنِ أَفْكَارِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، مَا جَعَلَ أَدَبَهُمْ أَدَبًا حَرِيئًا ثَوْرِيًّا عَقْدِيًّا، مُخْتَلِفًا عَنِ بَاقِي الْفِرْقِ الَّتِي عَاصَرْتَهُمْ، أَسَاسُهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالَّتِي تُمَثِّلُ أُبْرَزَ رُؤْيِ الْخَوَارِجِ الْعَقْدِيَّةِ، فَأَدَبُهُمْ كَانَ مُعَبِّرًا عَنِ مَا يَخْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ كَوَامِنٍ وَطُمُوحَاتٍ، وَخُصُوصِيَّةِ الشُّعْرِ عِنْدَهُمْ تَكْمُنُ فِي انْفِرَادِهِ بِمَوْضُوعَاتٍ وَأَعْرَاضٍ جَدِيدَةٍ وَخَصَائِصَ مَيَّزَتْ شِعْرَهُمْ وَلَمْ تَكُنْ عِنْدَ مُعَاصِرِيهِمْ وَلَا سَلْفِهِمْ مِنْ إِسْلَامِيِّينَ وَجَاهِلِيِّينَ.

وَمِمَّا تَقَدَّمَ، يُمَكِّنُ طَرْحَ التَّسْأُولَاتِ الْآتِيَةِ:

- ❖ مَنْ هُمْ الْخَوَارِجُ؟ وَمَا أَهْمُ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَمَبَادِيئِهِمْ؟
- ❖ مَا أُبْرَزُ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي تَطَّرَقَ إِلَيْهَا الْخَوَارِجُ فِي شِعْرِهِمْ؟
- ❖ وَمَا الْأَعْرَاضُ الشُّعْرِيَّةُ الَّتِي احْتَفَى بِهَا أَدَبُهُمْ؟
- ❖ وَمَا أُبْرَزُ خَصَائِصِ هَذَا الشُّعْرِ؟

## المبحث الأول - الخوارج (النشأة والمعتقد):

رُوح الخُروج ظاهرةٌ طبيعِيَّةٌ في التَّاريخِ البَشَرِيِّ، هي بالمفهومِ العامِّ؛ التَّمَرُّدُ على قَوَانِينِ وأَعْرَافِ وأَحْكَامِ شَرِيعَةِ قَوْمٍ ما، وإِذَا أَرَدْنَا التَّخْصِيصَ؛ فَالْخُورُجُ وَالْمُفَارَقَةُ بَدَأَتْ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَذُرَّارِيهِمْ، فَخَرَجَ قَوْمُ نُوحٍ عَلَيْهِ وَتَهَكَّمُوا عَلَى دَعْوَتِهِ، وَخَرَجَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا، وَخَالَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى عَلَيْهِ فِي شَرِيعَتِهِ الَّتِي أَقْرَهَا لَهُمْ، وَفِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ اشْتَهَرَ الصَّعَالِيكُ فِي خُورُجِهِمْ عَلَى قَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَخَالَفُوا الْأَعْرَافَ، فَفَطَعُوا الطَّرِيقَ وَقَتَّلُوا النَّاسَ وَاسْتَبَاحُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَعْرَاضَ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَتَمَرَّدَتْ قُرَيْشٌ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَدَعْوَتِهِ، وَنَاصَبُوهُ الْعِدَاءَ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ بِغْتَنِ سَتَحَدُّثُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَخْرُجُ طَائِفَةٌ ظَالِمَةٌ أَبَقَّةٌ تَحْمِلُ فِكْرَ الْخِلَافِ وَالْفِرْقَةِ، تَتَغَيَّرُ أَوْضَاعُ الْمُسْلِمِينَ بِخُورُجِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

## أولاً- الخوارج: نظرة في التاريخ الإسلامي:

### 01. الخوارج: المصطلح والظهور:

#### 1. الخوارج في اللغة والإصلاح:

لِمُصْطَلِحِ الْخُورُجِ فِي اللُّغَةِ عِدَّةٌ مَعَانٍ، مِنْهَا: تَقُولُ: "الْخُورُجُ نَقِيضُ الدُّخُولِ"<sup>1</sup>، وَهُوَ خَارِجِيٌّ: "بَرَزَ مِنْ مَحَلِّهِ، وَالْخُورُجُ حَالَةٌ أَنْفِصَالٍ عَنِ النَّاسِ وَالسُّلْطَانِ، وَالْخُورُجُ؛ التَّمَرُّدُ"<sup>2</sup>، وَيَقُولُ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي (ت 817 هـ): "خَرَجَتْ خَوَارِجٌ فَلَانٍ إِذَا ظَهَرَتْ بِنَجَابَتِهِ وَانْحَاةٍ لِإِثْرَامِ الْأُمُورِ وَاحْتِكَامِهَا"<sup>3</sup>.

يَلَاحِظُ أَنَّ مَفْهُومَ الْخُورُجِ حَمَلَ دِلَالَاتٍ عِدَّةً، مِنْهَا: الْبُرُوزُ، الظُّهُورُ، الْإِنْفِصَالُ وَالتَّمَرُّدُ.

وَفِي اصْطِلَاحِ عُلَمَاءِ الْفِرْقِ:

يُعَرَّفُ "الشَّهْرَسْتَانِي" (ت 548 هـ) الْخُورُجَ بِقَوْلِهِ: "كُلُّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَقِّ الَّذِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ، سِوَاءَ كَانَتْ خُرُوجُهُ أَيْامَ الصَّحَابَةِ عَلَى الْأَيْمَةِ الرَّاشِدِينَ أَوْ مَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ"<sup>4</sup>، وَمُصْطَلِحُ الْخُورُجِ عِنْدَ الْإِمَامِ "أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ" (ت 330 هـ) جَاءَ مَخْصُوصًا بِالْفِئَةِ الَّتِي "خَرَجَتْ عَلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ، وَالسَّبَبُ الَّذِي سُمُّوا بِهِ خَوَارِجًا؛ خُرُوجُهُمْ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ"<sup>5</sup>، وَهُوَ

<sup>1</sup> مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيِّ: تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، تَح: إِسْلَامُ سِرْحَانَ، الدَّارُ الْمِصْرِيَّةُ، مِصْرَ، (د ط)، (د ت)، (ج 7)، ص 49.

<sup>2</sup> جَمَالُ الدِّينِ بْنِ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، الْمَطْبَعَةُ الْعِلْمِيَّةُ، بِيْرُوتَ، (د ط)، 2005، (ج 10)، ص 808.

<sup>3</sup> مُحَمَّدُ الدِّينِ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي: الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، تَح: مَكْتَبُ التَّرَاثِ، بِيْرُوتَ، لِبْنَانَ، (د ط)، 2005، (ج 2)، ص 17.

<sup>4</sup> تَاجُ الدِّينِ الشَّهْرَسْتَانِي: الْجَمَلُ وَالنَّحْلُ، تَح: مُحَمَّدُ كِبْلَانِي، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، لِبْنَانَ، (د ط)، 1989، (ج 1)، ص 105.

<sup>5</sup> أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ وَاحْتِلَافُ الْمُصَلِّينَ، تَح: مُحَمَّدُ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةُ، مِصْرَ، (ط 1)، 1950، (ج 1)، ص 204.

تعريف غير دقيق، وما يعارضه أقوال النبي ﷺ - كما سيأتي - في أنهم لا يزالون يخرجون إلى آخر الزمان، وهذا التعريف يصلح أن يكون تعريفاً لظهور الخواج كفرقة ممنهجة صاحبة فكر ومعتقد.

يُستتج أن الخواج طائفة أو جماعة أبت إلا تمزيق وحدة المسلمين، منهجها التمرّد على الأئمة وؤلاة الأمر، وبهذا يتوسّع مفهوم الخروج ليختصّ بكلّ من فارق الجماعة والسلطان أو ثار على الدولة، أو هو الانقلاب بالمفهوم الحديث والمعاصر.

## 02. إخبار النبي ﷺ عن الفتن وظهور الخواج:

بعد تمكين الله سبحانه للمسلمين في الأرض، تفرّغ عليه السلام لبناء الدولة، واختار نقرأ من صحابته وأوكل لكل واحد مهمة، وكلف علياً\* بجمع صدقات أهل اليمن، فعن "أبي سعيد الخدري" ﷺ أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً بعث بها عليّ ﷺ من اليمن، فقسمها ﷺ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظليّ المصاعبي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، وعلمة بن علاثة العامري، وهم رؤساء في أقوامهم، وقد كانوا حديثي عهد بكفر، فتألفهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المال؛ ليثبتوا على الإسلام، فيثبت قومهم معهم، فلما خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العطاء؛ أتاه ذو الخويصرة، واسمه خرفوص بن زهير، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا محمّد، إعدل في القسمة، فعضب النبي عليه السلام وقال للرجل: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!»<sup>1</sup>، والمراد؛ إن لم أعديل وأنا أمين وحي السماء، وأحق الناس بتطبيق العدل، فمن سيعديل؟، فلذلك علل صلى الله عليه وسلم بقوله: «قَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ»<sup>2</sup>، فقام عمر بن الخطاب وأراد ضرب عنقه، فمعه صلى الله عليه وسلم من قتله تأليفاً لغيره، وأمره أن يتركه، وقال: «إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ»<sup>3</sup>، فهذه الكلمات من ذي الخويصرة؛ فيها إنكار لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، قدّم رأيه وهواه، وهي سريرة خائبة جعلته يقول هذا

\* هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ولد سنة ثلاث وعشرين (ق. هـ)، أخذ المبشرين بالحنّة، ابن عمّ رسولنا الكريم، وزوج ابنته فاطمة، القاضي العادل، طعن عدداً، ومات في الحادي والعشرين من رمضان سنة (40 هـ) وعمره ستون سنة. / يُنظر: علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، تح: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 21.

<sup>1</sup> محمّد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (ط 1)، 2002، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3610، ص 888. [حديث صحيح].

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَفِي رِوَايَةٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ ضَيْضِي هَذَا يَخْرُجُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَفْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَنْ أَدْرِكْتُهُمْ لِأَقْتُلْتَهُمْ قَتْلَ عَادٍ»<sup>1</sup>، وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارٌ صَرِيحٌ بِخُرُوجِ مَنْ يَحْمَلُ هَذَا الْفِكْرَ الضَّالِّ الَّذِي مَبْدَأُهُ الطَّعْنُ وَالتَّشْكِيكُ مِنْ أَمْثَالِ "ذِي الْخُوَيْصِرَةِ" وَغَيْرِهِ، بَلْ عَدَّ الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ الَّتِي مَا لَبِثَتْ أَنْ تَحَقَّقَتْ، وَابْتَدَأَ هَذَا الْفِكْرُ يَتَفَسَّيُ فِي الْأُمَّةِ.

وَفِي حَدِيثِ "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ" رضي الله عنه قَالَ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِالسُّبُوحِ لَا يَعْدُو تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»<sup>2</sup>، وَفِي حَدِيثِ آخَرَ لـ "سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ" يُسَأَلُ فِيهِ "يُسِيرَ بَنَ عَمْرٍو" قَالَ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ شَيْئًا؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَالَ: «يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»<sup>3</sup>.

وَيُجْبَرُ عليه السلام عَنْ وَفُوعِ الْفِتَنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَشْرَفَ يَوْمًا عَلَى أَحَدِ تَلَالِ الْمَدِينَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَفْعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوْفَعِ الْقَطْرِ»<sup>4</sup>، وَقَدْ عَلَّقَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ (ت 676 هـ) عَلَى الْحَدِيثِ قَائِلًا: "وَمَوَاقِعُ الْقَطْرِ دِلَالَةٌ عَلَى كَثْرَةِ الْفِتَنِ، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى الْخُرُوبِ الْحَارِيَّةِ بَيْنَهُمْ، كَوْفَعَةِ الْجَمَلِ وَصِفِينِ وَالْحَرَّةِ، وَمَقْتَلِ عُثْمَانَ، وَمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فِتَنِ"<sup>5</sup>.

بَعْدَ تَتَبُّعِ الْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ خُرُوجِ أَهْلِ فِكْرِ ضَالٍّ يَفْسِمُ وَحِدَةَ الْمُسْلِمِينَ؛ نَجْدُ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ قَدْ رَوَوْا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا كُلُّهَا عَنِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ وَوُجُوبِ قِتَالِهِمْ، وَأَجْرٍ مَنْ يَقْتُلُهُمْ، وَالْبَحْثُ لَيْسَ تَارِيحِيًّا، لِذَا اقْتَصَرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَحَادِيثِ وَالْإِخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الرَّاجِحَةِ فِي الْمَسْأَلَةِ تَمْهِيدًا لِلْحَدِيثِ عَنِ بَدَايَةِ تَحَقُّقِ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَحُصُولِ النَّزَاعِ وَظُهُورِ الْفِرْقِ وَالتَّفَرُّقِ.

<sup>1</sup> مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيسَابُورِيُّ: صَحِيحُ مُسْلِمٍ، تَح: مُحَمَّدُ فَوَّادُ عَبْدُ الْبَاقِي، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، (ط 1)، 1991، (ج 1)، كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: ذِكْرُ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمٌ: 1064، ص 741. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

<sup>2</sup> أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْمُسْتَدْرَكُ، مَوْسَسَةُ الرَّسَالَةِ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، (د ط)، (د ت)، (ج 1)، ص 404. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

<sup>3</sup> صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: كِتَابُ: اسْتِثَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ، بَابُ: قِتَالِ الْخَوَارِجِ، رَقْمٌ: 6934، ص 1715. [حَدِيثٌ صَحِيحٌ].

<sup>4</sup> صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: كِتَابُ: الْفِتَنِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ عليه السلام: "وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ"، رَقْمٌ: 7060، ص 1749.

<sup>5</sup> يَحْيَى الْخَزَامِيُّ النَّوَوِيُّ: صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ، الْمَكْتَبَةُ الْمِصْرِيَّةُ، مِصْرَ، (ط 1)، 1929، (ج 7)، ص 14.

ثانياً- عثمان رضي الله عنه وبداية الفتنة:

01. مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه \* :

استقرت الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم "الأبي بكر الصديق" رضي الله عنه ، فوقعت حروب الردة المشهورة في التاريخ الإسلامي، ولكن ما لبثت تلك الفتنة حتى انطفأت جذوتها وقضى الخليفة على هذا التمرد الذي رجعت فيه بعض القبائل عن شريعة الله ورَسُولِهِ، وبحدّ السيف؛ استدبّ الأمن والأمان، وفي خلافة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه التي دامت عشر سنين، ساد فيها الأمور "بحكمة وشدة، حتى سُميت خلافته بعصر الفتوحات، ومرت الخلافتان دون فرقة نُشئت للمسلمين أو تُمزق شملهم"<sup>1</sup>، بل ولم يصدُر صوت الخلاف في الإمامة في حياتهما، وفي هذا الباب يقول "أبو الحسن الأشعري": "ولم يحدث الخلاف في الإمامة في حياة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن وليّ عثمان بن عفان الخلافة"<sup>2</sup>.

وفي السنة الثالثة والعشرين للهجرة، وليّ "عثمان" رضي الله عنه الخلافة شهر ذي الحجة إثر مقتل عمر رضي الله عنه بعد مشاوره دامت أياماً، استقرّ له الحكم فيها<sup>3</sup>، وكانت السنوات الأولى لخلافته ذات استقرار وفتوحات ونشر للدعوة، سالكا طريق الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وما لبث هذا الاستقرار أن تعكّر صفوه مع بداية ظهور نزعة الخروج في أواخر خلافته رضي الله عنه حين "سعى المصريون في عزل عمرو بن العاص" رضي الله عنه الذي كان شديداً في حكمه، ولم يترك لهم مجالاً للعبث ونقد الخليفة، وهذا ابتدأوا يُظهرون

\* هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وُلِدَ سَنَةَ (47 ق هـ)، الْخَلِيفَةُ الثَّلَاثُ، أَحَدُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْحَنَّةِ، جَمَعَ الْأُمَّةَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ بَعْدَ الْإِخْتِلَافِ، الْبَاذِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَائِلِ، قُتِلَ شَهِيدًا مَظْلُومًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ حَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهَجْرَةِ، وَعُمُرُهُ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. / يُنظر: أسد الغابة، ص 584. وصحيح البخاري: كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان، رقم: 3698، ص 909.

\*\* هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ)، وُلِدَ سَنَةَ (50 ق هـ)، صَاحِبُ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ وَوَزِيرُهُ الْأَخْزَمُ، أَوَّلُ خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، لَمْ تَدُمْ خِلَافَتُهُ كَثِيرًا، مَاتَ سَنَةَ (13 هـ) وَعُمُرُهُ (63) سَنَةً. / يُنظر: عز الدين بن الأثير بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1975، (ج 3)، ص 309.

<sup>1</sup> أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك - تاريخ الطبري-، اعتنى به: أبو ضهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، (د ط)، (د ت)، ص 1866.

<sup>2</sup> أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 03.

<sup>3</sup> الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص 1755.

\*\*\* هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ الْقُرَشِيِّ الْكِنَانِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (47 ق هـ)، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، قَائِدٌ عَسْكَرِيٌّ مُنْتَكٌ، حَكَمَ مِصْرَ سِنِينَ، لَهُ يَدٌ عَلَى الْخَوَارِجِ، شَارَكَ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَعَارِكِ وَالْعَزَوَاتِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهَجْرَةِ وَعُمُرُهُ تِسْعُونَ سَنَةً. / يُنظر: أسد الغابة: 569. وصحيح البخاري: كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر، رقم: 2745، ص 877.

البُغْضَ لِلْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ، وَيَتَنَاوَلُونَهُ بِقِيحِ الْكَلَامِ وَيَنْقُمُونَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِ الْإِجْتِهَادِيَّةِ"<sup>1</sup>، ومنها "أنه خصَّ قَوْمَهُ وَحَابَاهُمْ، فَلَقَدْ كَانُوا يَنْعَمُونَ بِالسِّيَادَةِ لِأَنَّهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَيْضًا تَفَشَّى الطَّبَقِيَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَظَهَرَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ السَّبْيِيِّ يُرِيدُونَ الْمَنَاصِبَ فِي الدَّوْلَةِ"<sup>2</sup>، ثُمَّ تَوَالَتِ الْأَحْدَاثُ، وَتَرَأَسَلَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَتَنَادَوْا لِقِتَالِ عُثْمَانَ وَنَصَرَ الدِّينَ -بِرَعْمِهِمْ-، وَأَجْمَعُوا الْأَمْرَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ "سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَحَاصَرُوا عُثْمَانَ بِدَارِهِ، وَاسْتَمَرَّتِ الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ وَعَبَثُوا بِلِحْيَتِهِ وَقَطَعُوا ذِرَاعَهُ وَقَتَلُوهُ طَعْنًا، وَضَرَبُوا زَوْجَهُ، وَأَهَانُوا بِذَلِكَ خَيْرَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ"<sup>3</sup>، وَهَكَذَا، جَرَى أَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِيدًا مَظْلُومًا، وَبِذَلِكَ تَحَقَّقَتْ بُؤُوءَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَخْبَرَ عَنِ الْفِتْنَةِ الَّتِي سَتَحْصُلُ فِي الْأُمَّةِ وَيُقْتَلُ فِيهَا عُثْمَانُ شَهِيدًا، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْمُقْتَنَعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُومًا» قَالَ: فَتَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ"<sup>4</sup>، وَقَالَ "أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ"<sup>\*\*</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُ وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فِي الدُّخُولِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنِّدْنِ لَهُ وَيَسِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ»<sup>5</sup>.

بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتُحَ بَابُ الْفِتْنَةِ عَلَى مِصْرَاعِيهِ، فُرْقَةٌ مَقِيئَةٌ سَتَقْسِمُ الْأُمَّةَ وَتُشْتَتِّهَا، وَسَتَظْهَرُ فِتْنٌ كَمَوْجِ اللَّيْلِ الْحَالِكِ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فِيهَا، وَهَذِهِ الْفِتْنُ الْكُبْرَى سَتَبْدَأُ مَعَ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>1</sup> سليمان بن صالح الغصن: الخوارج -نشأهم، فرقتهم، صفاتهم والرد على أبرز عقائدهم-، دار كنوز إشبيليا، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، (ط 1)، 1430 هـ، 2009، ص 17.

<sup>2</sup> سهير قلماوي: الخوارج في العصر الأموي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، (د ط)، 1945، ص 09.

<sup>3</sup> عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، اعتنى به: حسنان عبد المنان، بيت الأفكار الدولي، الأردن-السعودية، (ط 4)، 2004، (ج 10)، ص 270.

<sup>4</sup> مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد: (ج 2) رقم الحديث: 5799، ص 126.

<sup>\*\*</sup> أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، وُلِدَ سَنَةَ (19 ق هـ)، صَحَابِيُّ جَلِيلٍ، مِنْ زُوَاةِ الْحَدِيثِ، اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْيَمَنِ، وَوَلَّاهُ عُمَرُ الْبَصْرَةَ، لَمْ يَرِ أَعْلَمَ مِنْهُ، تُوفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ سَنَةً. يُنْظَرُ: أَسْدُ الْعَابَةِ: (ج 6)، ص 306.

<sup>5</sup> صحيح البخاري: كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان، رقم الحديث: 3698، ص 909.

## 02. عليٌّ رضي الله عنه والفتنة الكبرى:

بَعَدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه سَنَةً خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهَجْرَةِ؛ بُوِيَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ قَتْلُهُ عُثْمَانَ رضي الله عنه أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى إِتْمَامِ الْبَيْعَةِ لِلْخَلِيفَةِ الْجَدِيدِ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خُرُوجَهُمْ عَلَى عُثْمَانَ "لَمْ يَكُنْ نُصْرَةً لِلدِّينِ وَلَا إِقْصَاءً لِقُرَيْشٍ مِنَ الْحُكْمِ كَمَا زَعَمُوا، وَإِنَّمَا هُوَ حِقْدٌ ذَفِينٌ وَطَمَعٌ بِالْحُكْمِ"<sup>1</sup>، وَابْتَدَأَ الْخِلَافُ يَتَّفَاقُمُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا الْخِلَافُ لَمْ يَكُنْ طَعْنًا فِي أَحَقِّيَّةِ عَلِيِّ رضي الله عنه بِالْخِلَافَةِ، وَفِي هَذَا الْبَابِ يَقُولُ "ابْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ" (ت 384 هـ): "وَلَمْ يُنْكَرْ مُعَاوِيَةُ فَضْلَ عَلِيٍّ وَاسْتِحْقَاقَهُ الْخِلَافَةَ، بَلِ اجْتَهَدَ وَرَأَى الْقَصَاصَ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ قَبْلَ إِعْطَاءِ عَلِيٍّ الْبَيْعَةَ"<sup>2</sup>، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ دَلِيلٌ عَلَى رَدِّ شُبُهَةِ أَنَّ "مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ" \* قَاتَلَ لِأَجْلِ الْخِلَافَةِ وَالْحُكْمِ، بَلْ إِنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا أَيْضًا فِي أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ؛ وَهُوَ الْقَصَاصُ مِنَ الْقَتْلِ، بَلِ اخْتَلَفُوا فِي طَرِيقَةِ الْقَصَاصِ، فَطَائِفَةٌ تَرَى التَّعْجِيلَ بِأَخْذِ نَارِ عُثْمَانَ، وَأُخْرَى تَرَى تَأْجِيلَ الْإِقْتِصَاصِ مِنْ أَوْلَيْكَ إِلَى حِينِ اسْتِقْرَارِ الْأَوْضَاعِ وَهُدُوءِ الْفِتْنَةِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ.

### 1. وَقَعَةُ الْجَمَلِ (37 هـ):

بَلَغَ أَمْرُ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه وَفَجِيعَةِ التَّنْكِيلِ بِهِ وَزَوْجَهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ "عَائِشَةَ" \* رضي الله عنها وَجَمْعًا مِنَ الصَّحَابَةِ فَطَالَبَتْ بِدَمِهِ، وَكَانَ مَعَهَا جَمْعٌ مِنْ خَيْرَةِ الصَّحَابَةِ يَوْمئِذٍ، فَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْبَصْرَةِ، وَلَمَّا عَلِمَ عَلِيُّ رضي الله عنه بِخُرُوجِهِمْ؛ سَارَعَ لِحَلِّ الْأَمْرِ، وَقَدْ جَاءَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَعَ "طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ" \*\*\*، وَالتَّقَى جُنْدُ

<sup>1</sup> لطيفة البكاي: حركة الخوارج - نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي -، دار الطليعة، لبنان، (د ط)، 2001، ص 19.

<sup>2</sup> أبو محمد علي بن أحمد (ابن حزم الظاهري): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1996، (ج 4)، ص 160.

\* هُوَ "مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْأُمَوِيُّ الْقُرَشِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (18 ق هـ)، وَوَلِيَ الشَّامَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَأَقْرَبُهُ عُثْمَانُ عَلَيْهِمَا، وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ تَنَازُلِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ لَهُ سَنَةَ 41 هـ، وَاتَّخَذَ مِنْ دِمَشْقَ عَاصِمَةً لِحُكْمِهِ، تُؤَيِّ سَنَةَ 60 هـ". / خَيْرُ الدِّينِ الرَّزْكَلِيُّ: الْأَعْلَامُ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، (د ط)، 1989، (ج 7)، ص 261.

\*\* "أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَوُلِدَتْ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِأَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ، ثَالِثُ الْأَزْوَاجِ، الْمَطَهَّرَةُ الْمُبْرَأَةُ الْخَافِظَةُ، تُوفِّيتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ لِلْهَجْرَةِ، صَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَدُفِنَتْ فِي الْبَقِيعِ". / شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الدَّهْلِيُّ، سَيَرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، تح: عِيَادِي بن عبد الحليم، دار البيان الحديثة، القاهرة، مصر، (ط 1)، (ج 2)، 2003، ص 135.

\*\*\* هُوَ "طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ، أَحَدُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْحِنَّةِ، وَأَحَدُ أَصْحَابِ الشُّورَى السِّتَةِ، مِنْ ذُهَابِ قُرَيْشٍ، كَانَ عَالِمًا، شَهِدَ أُحُدًا، قُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ لِلْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَصْرَةِ، وَوَلَهُ فِي الصَّحَابَةِ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا". / الدَّهْلِيُّ: سَيَرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، (ج 1)، ص 24.

البصرة مع جند عليّ، وبعد مشاوراتٍ؛ اتفقوا على الصلح، فلما "أحسن الذين نُسب إليهم قتل عثمان ما سيخرج به الفريقان من صلح، خشوا أن يُقتلوا فاتفقوا على إشعال نار الفتنة والحرب بينهم".<sup>1</sup>

تمّ الصلح، فاتفق أهل الفتنة على إذكاء نار الحرب بين الجيشين، فانقسموا إلى "فريقين، فريق في جيش عليّ وآخر تسلّل إلى جيش البصرة، وابتدأوا رمي السهام، فصاحت طائفة: غدر طلحة وصحبه، وصاحت الأخرى: غدر عليّ وجيشه، فتمّ لهم ذلك، ونسبت الحرب"<sup>2</sup>، وللهي تخريج جيد حسم فيه المسألة والشبهات التي أثارها المعرضون في أن أم المؤمنين ومن معها بادروا القتال، يقول: "كانت وقعة الجمل لفتنة أثارها السبئية في كلا الفريقين، وعليّ وطلحة رضي الله عنهما لم يكن لهما قصد القتال، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، ونسبت نار الحرب، وثارت النفوس"<sup>3</sup>، وقيل "طلحة بن عبيد الله"، فخرجت "عائشة" رضي الله عنها تريد الصلح، وبذلك يسمع الناس كلامها وتنطفئ الفتنة، فما إن دخلت المعركة حتى رمى السبئية هودجها وأزادوا قتلها، فاستمات البصريون في الدفاع عن أم المؤمنين، واشتدّ القتل عند جملها، فأمر عليّ بإخراج عائشة من المعركة، وبذلك رجع البصريون منهزمين"<sup>4</sup>.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها؛ نادى أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في القوم: "من ألقى السلاح فهو آمن، وحفظ لهم دماءهم"<sup>5</sup>، وهكذا استقرت الأمور لصالح عليّ رضي الله عنه وصحبه، وبعد هذا الاستقرار الذي لن يدوم طويلاً؛ والذي لعب فيه فكر التمرد دوراً أساسياً في إحداث التفرقة؛ ستظهر أحداث جسام تُغيّر مجرى التاريخ، وسيكون لأصحاب الفتنة من السبئية الدور الكبير في انقسام المسلمين وانكسارهم.

<sup>1</sup> الحافظ شهاب الدين بن أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح على صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، (ط 1)، 2001، (ج 13) ص 56.

<sup>2</sup> الحافظ يوسف بن عبد الله بن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، تح: سعيد أحمد أعراب، دار الحديث الحسنية، المغرب، (د ط)، 1976، (ج 5)، ص 233.

<sup>3</sup> الذهبي: تاريخ الإسلام، (ج 1) ص 195.

<sup>4</sup> الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبه: المصنف، تح: حمد عبد الله الجمعة، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، (ط 1)، 2004، (ج 15)، ص 233.

<sup>5</sup> أحمد معينة، الإسلام الخوارجي - قراءة في الفكر والفن -، دار الحوار، سوريا، (ط 1)، 2000، ص 187.

ب. معركة صفين (37 هـ):

بعد معركة "الجمل"؛ طلب عليٌّ رضي الله عنه البيعة من معاوية رضي الله عنه وأهل الشام، فقال أهل الشام: "لا تُبايع من يؤوي قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان" <sup>1</sup>، وتتوالى الكتب من عليٍّ رضي الله عنه مخاطبًا عقلاء الشام دون جدوى، فالقوم مُصرّون على الإقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه ثم مبايعة عليٍّ على السمع والطاعة، ولمّا يُيسر منهم؛ "جهّز عليٌّ الجيوش لقتالهم، ووصل الكوفة، وترتّب حفنًا للدماء، وأرسل إلى معاوية يدعوه إلى البيعة حِرصًا منه على جمع الكلمة" <sup>2</sup>، وُجمِع الروايات <sup>3</sup> أنّ جيش الشام خرج وعبر الفرات ونزل بصفين، ولحقه جيش عليٍّ رضي الله عنه والتقى الجمعان، وبعد محاولات عديدة من عليٍّ للصّح، إلّا أنّ معاوية وجيشه تعصّبوا لرأيهم، وهو المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، وتلاحم الجيشان، وكثُر القتل، واستمرّ الحال أيامًا.

وبعد أن انكسر جيش الشام نادوا بالتحكيم، جاء في مُسند "الإمام أحمد" عن حبيب بن ثابت قال: "كُنّا بصفين، فلما استحرّ القتل بأهل الشام؛ اعتصموا بتلّ، فقال عمرو بن العاص: أرسل إلى عليٍّ بمُصحفٍ وادّعه إلى كتاب الله، فإنّه لن يأبى عليك، فجاء عليًّا رجلٌ بكتاب معاوية، فقال عليٌّ رضي الله عنه نعم، أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله" <sup>4</sup>، وبقبول عليٍّ رضي الله عنه التحكيم، سيحدث الإنقسام وتظهر الخوارج.

قيل عليٍّ رضي الله عنه التحكيم والرّجوع إلى كتاب الله، وهو مطلب أهل الشام، وأقرّهم على ذلك "فئة كبيرة من جيش عليٍّ، وما لبثت تلك الفئة تُطالب عليًّا باستمرار القتال، إلّا أنّه رفض" <sup>5</sup>، وبعد التحكيم ستنشق هذه الفئة، ويبدأ الصّراع.

وإنّ تعجّب؛ فعجّب فعل هذه الفئة وأنشاقهم عن صفوف المسلمين، وقد كانوا من المُنادين إلى تحكيم كتاب الله، ويُرجع المؤرّخون <sup>6</sup> سبب تراجعهم عن التّحكّم أنّ شروطه ليست في صالحهم، فمن بين شروط وثيقة الصّح: تقديم قتلة عثمان إلى القصاص، وهو ما جعلهم يرجعون عن رأيهم، ويخرجون في أعداد هائلة إلى حروراء واستقرّوا بها، وتنادوا "لا حكم إلّا لله".

<sup>1</sup> القاضي أبو بكر بن العريبي المالكي: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تح: محب الدين الخطيب، مكتبة السنّة، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1405 هـ، ص 162.

<sup>2</sup> تاريخ الطبري: (ج 5)، ص 338.

<sup>3</sup> تاريخ الطبري: ص 348. تاريخ الإسلام للذهبي: (ج 1)، ص 211. مُسنّف ابن أبي شيبة: (ج 16)، ص 125.

<sup>4</sup> مُسند الإمام أحمد: (ج 25)، رقم: 15675، ص 348، [حديث صحيح].

<sup>5</sup> ابن كثير: البداية والنهاية، (ج 10)، ص 546.

<sup>6</sup> يُنظر: نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، دار التفائس، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1977، ص 142.

### 03. تشكُّل الحركة الخارجية:

عَلِمَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا سَيُؤُولُ إِلَيْهِ هَذَا الْإِنْقِسَامُ وَالتَّمَرُّدُ وَشَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ مِنْ أَحْدَاثٍ، فَأَرْسَلَ "عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ" \* لِمُنَازَرَتِهِمْ \*\*، وَرَجَعَ مَعَهُ إِلَى الْحَقِّ قُرَابَةَ أَلْفَيْنِ مِنْهُمْ<sup>1</sup>، وَبَعَدَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَى أَهْلِ حُرُورَاءَ وَرَفُضِ أَكْثَرِهِمُ الرُّجُوعَ إِلَى جَيْشِ عَلِيٍّ؛ تَشَكَّلَتِ الْحَرَكَةُ الْخَارِجِيَّةُ، وَتُعْلَنُ الْعِصْيَانَ عَلَى الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ.

وَفِي تَحْدِيدِ فِتْرَةِ ظُهُورِ الْخَوَارِجِ كَحَرَكَةِ مَذَهَبِيَّةٍ لَهَا آرَاءٌ وَمُعْتَقَدَاتٌ؛ يُرْجَعُ "نَايِفٌ مَعْرُوفٌ" نَشْأَةً الْخَوَارِجِ إِلَى "النَّصَبِ الثَّانِي مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ حَتَّى قَتَلَهُ"<sup>2</sup>، وَهُوَ قَوْلٌ تَنْقُصُهُ الدَّقَّةُ، إِذِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا غَوْغَاءَ وَمَجْمُوعَةً غَيْرَ مُنْظَمَةٍ، تَحْكُمُهُمُ الْأَهْوَاءُ، خَرَجُوا لِلدُّنْيَا، وَيَرَى "شَوْقِي ضَيْفٌ" أَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ؛ "هُم مُقَدَّمَةٌ وَبِدْرَةٌ نَشْأَةُ الْخَوَارِجِ فِي الْإِسْلَامِ"<sup>3</sup>.

وَبَعْدَ تَتَبُعِ الْخَوَارِجِ تَارِيحِيًّا، يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ ظُهُورَهُمْ كَفَرَقَةً دِينِيَّةً وَجِزْبٍ سِيَاسِيًّا؛ كَانَتْ بَوَادِرُهَا مِنْدُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ خُرُوجِهِمْ، وَبَدَأَتْ تَبَرُّزُ مَعَ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَشَكَّلَتْ كَحَرَكَةٍ مُمْنَهَجَةٍ لَهَا قُؤَادٌ وَآرَاءٌ وَمُعْتَقَدَاتٌ بَعْدَ الْحُكُومَةِ فِي صِفَيْنَ وَقِتَالِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "النَّهْرَوَانَ"<sup>\*\*\*</sup>.

ثُمَّ تَوَالَتْ مُرَاسَلَاتٌ عَدِيدَةٌ يَطْلُبُ فِيهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْخَوَارِجِ الرُّجُوعَ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، فَتَعَصَّبُوا وَأَرَادُوا الْفُرْقَةَ، فَلَمْ يُبَادِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّى "جِيءَ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ حَبَّابٍ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ قَتِيلًا، فَصَاحَ عَلِيٌّ فِي جَيْشِهِ: الْآنَ حَلَّ قِتَالُهُمْ، وَتَقَاتَلَتِ الْفِئْتَانِ، فَلَمْ يَنْجُ مِنَ الْحُرُورِيَّةِ غَيْرَ نَقَرٍ يَسِيرٍ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ"<sup>4</sup>.

\* هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (03 ق هـ)، ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ، بَحْرُ الْأُمَّةِ وَفَقِيهَهَا، مِنَ الْمُكْتَبَرِينَ لِرِوَايَةِ الْحَدِيثِ، تُؤَيِّفُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ لِلْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ بِالطَّائِفِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ ابْنُ إِخْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً. / أَسَدُ الْعَابَةِ: (ج 3)، ص 290.

\*\* نَظَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْخَوَارِجَ، وَرَدَّ عَلَى كُلِّ شَبْهِهِمْ، حَتَّى رَجَعَ مَعَهُ الْكَثِيرُ، وَلَيْسَ الْمَجَالُ يَتَّسِعُ لِإِيْرَادِ الْمُنَاطَرَةِ كَامِلَةً لَطُولِ الرُّدُودِ فِيهَا، وَلَكِنْ لِلِإِطْلَاقِ؛ يُنْظَرُ مِثْلًا: أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبِيهَقَمِيِّ: السُّنَنُ الْكُبْرَى، تَح: مُحَمَّدُ عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، (د ط)، (د ت)، (ج 8)، ص 310-314.

<sup>1</sup> تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ: (ج 6)، ص 3353.

<sup>2</sup> نَايِفٌ مَعْرُوفٌ: الْخَوَارِجُ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، ص 55.

<sup>3</sup> شَوْقِي ضَيْفٌ: التَّطَوُّرُ وَالتَّحْدِيدُ فِي الشَّعْرِ الْأُمَوِيِّ، دَارُ الْمَعَارِفِ، الْقَاهِرَةُ، مِصْرَ، (ط 6)، 1977، ص 87.

\*\*\* مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ لِبَعْدَادَ، وَاسْمُهَا لِلنَّهْرِ الَّذِي يَشُقُّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ، كَأَنَّهَا حَرْبٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْخَوَارِجِ بَعْدَ وَقْعَةِ صِفَيْنَ. / يُنْظَرُ: مُحَمَّدُ شَرِيفِ سَلِيمٍ، مُلَخَّصُ تَارِيخِ الْخَوَارِجِ، الدَّارُ الثَّقَافِيَّةُ لِلنَّشْرِ، الْقَاهِرَةُ، مِصْرَ، (ط 1)، 2007، ص 146.

<sup>4</sup> يُرَاجَعُ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَسْعُودِيِّ: مُرُوجُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، لُبْنَانَ، (د ط)، 2006، (ج 2)، ص 284. وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ: (ج 6)، ص 3382.

وبعد معركة "النهرِوان" سنة ثمانٍ وثلاثين للهجرة؛ تشتتت الخوارج، وتبددوا في البلاد، وسيظلون هكذا حتى مقتل عليّ سنة أربعين للهجرة، تقول الرواية: إن ثلاثة من الخوارج، تذاكروا أمر الناس "وعابوا على ولاتهم هذا التفريق، ثم ذكروا أهل النهروان فتراحموا عليهم، وقرروا بزعمهم تخليص الأمة من شر هؤلاء الحكام، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص<sup>1</sup>، ويجري أمر الله سبحانه أن يُقتل عليّ عليه السلام شهيداً، ويخلفه ابنه "الحسن" عليه السلام، ويتنازل بأشهر على الخلافة ل: "معاوية بن أبي سفيان"، ويتم الصلح بين المسلمين، وتتحقق نبوءته عليه السلام في قوله: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»<sup>2</sup>.

وستظل الخوارج في خلافة معاوية وابنه "يزيد" <sup>\*\*</sup> متنازلاً، خطرهما قليل، إلى أن يتولى "عبد الملك بن مروان" <sup>\*\*\*</sup> الحكم سنة خمس وستين للهجرة، ويظهر الانقسام من جديد بين المسلمين، فيرجع الخوارج بقوة، وتبدئ ملاحم الدم، وسيظلون هكذا إلى نهاية الخلافة الأموية سنة 132 هـ. إن العرض من دراسة تاريخ الخوارج؛ التعرف على فكرٍ كان له بالغ الأثر على الحضارة الإسلامية، ففكر هذه الطائفة المارقة أسهم في انكسار الأمة، والأحداث التي جرت ليست مجرد فتنة حدثت بين المسلمين، وإنما هي نقطة تحول في الأمة، وذلك بالانتقال من الخلافة الراشدة إلى الملكية، انعطافة في التاريخ الإسلامي، ومعتقد هذه الطائفة كما انعكس على سلوكهم؛ انعكس على أدبهم.

<sup>1</sup> المرجع السابق: (ج 3)، ص 155، 156.

\* هو الحسن بن علي بن أبي طالب، وُلد سنة (03 هـ)، ابن فاطمة الزهراء وسبط النبي الأكرم، سيد شباب أهل الجنة، خامس الخلفاء، بُوع سنة أربعين للهجرة، دامت خلافته ستة أشهر، ثم تنازل على الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، توفي عام إحدى وخمسين للهجرة". / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1984، (ج 2)، ص 295.

<sup>2</sup> صحيح البخاري: كتاب الصلح، باب: قوله عليه السلام: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"، رقم: 2704، ص 661.

\*\* هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وُلد سنة (26 هـ)، ولي الخلافة بعد أبيه سنة ستين للهجرة، قاتل الحسين بن علي، توفي سنة أربع وستين للهجرة". / مختصر تاريخ البصرة: ص 45.

\*\*\* "عبد الملك بن مروان بن عبد الحكم، وُلد سنة (26 هـ)، خليفة أموي، عُيّن والياً على مصر في خلافة أبيه مروان بن الحكم، ثم ولي الخلافة سنة 65 هـ، عرفت خلافته الكثير من الإنقسامات، توفي سنة 86 هـ". / إراجع: الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 222. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج 3)، ص 73.

ثالثاً- الخوارج: فرقهم، ألقابهم ومبادئهم:

### 01. فِرْقُ الخَوَارِجِ:

اختلفت المصادر في تحديد فرق الخوارج، ف قيل هُم: "واحدٌ وعِشرونَ فرقة"<sup>1</sup>، وقال "عبد القاهر البغدادي" (ت 429 هـ): "الخوارجُ عِشرونَ فرقة"<sup>2</sup>، وقصرها "الحسن الأشعري" على أربع فرق<sup>3</sup>، وما عداها هُم فُرُوعٌ للفرق الكبرى، وبعدهم مراجعة أهم ما قيل في فرق الخوارج، فعدهم لا يخرج عن الفرق التي سيأتي ذكرها-وهي المشهورة-، وأغلبها مأخوذة من أسماء زعمائها:

أ- المَحْكَمَةُ: وهم الطائفة التي رفضت التحكيم، وخرجت على عليٍّ عليه السلام، "زعيمهم عبد الله بن الكواء وعبد الله الراسبي، شعارهم "لا حكم إلا لله"<sup>4</sup>.

ب- الأزارقة: هم أتباع نافع بن الأزرق، "فرقة متطرفة، مبدأها البراءة من المسلمين وتكفيرهم، فكفروا إمام المسلمين علياً، واستحلوا دماء وأموال وأمانات كل من خالفهم"<sup>5</sup>.

ج- النجدات: أصحاب بحدّة بن عامر الحنفي، أساس فكرها: لا حاجة للناس بإمام قط، فتكفي الجماعة من أهل الحل والعقد لتسيير أمور العامة<sup>6</sup>.

د. الصُفْرِيَّة: هُم أتباع زياد بن الأصغر، أقل الفرق تطرفاً وغلواً، أصحاب الكبراء عندهم غير كفار، لا يُقتلون قتل نساء وأطفال مخالفيهم<sup>7</sup>.

هـ. الإباضية: أصحاب "عبد الله بن أباض، أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، وأبعدهم عن الغلو والتزمت"<sup>8</sup>، ولعل اعتدالها ووسطيتها هو ما جعل مذهبها ينتشر في العديد من الدول ويلقى القبول، وخاصةً بسلطنة عُمان والجزائر وتونس.

<sup>1</sup> فخر الدين محمد بن عمر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمُشركين، مُرا: علي سامي النشار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ط)، 1938، ص 46.

<sup>2</sup> عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تح: محمد الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، (د ط)، 2000، ص 72.

<sup>3</sup> أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 101.

<sup>4</sup> يُنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص 107.

<sup>5</sup> يُنظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 78، 79.

<sup>6</sup> يُنظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مُرا: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2000، (ج 3)، ص 182.

<sup>7</sup> يُنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص 134.

<sup>8</sup> يُراجع: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 95. وتاريخ ابن خلدون، ص 182.

و. العجاردة: أتباع "عبد الكريم بن عجرد"، أكثر الفرق تشكيكاً في القرآن، فيرون مثلاً أن سورة يوسف ليست قرآناً، ونفوا أن تكون قصة العشق من القرآن<sup>1</sup>.

## 02. ألقاب الخوارج:

أطلق على الخوارج عبر التاريخ العديد من الأسماء، وأهمها:

أ- الخوارج: أشهر أسماء الفرقة صينياً وأكثرها استعمالاً، وهو الاسم الجامع لكل الفرق، سُموا به لأنهم "خرجوا على إمام المسلمين وجماعتهم"<sup>2</sup>، وهذا الاسم لا يختص فقط بمن خرج على علي رضي الله عنه وإنما هو اسم عام.

ب- المحكّمة: لُقّبوا بالمحكّمة؛ لرفضهم التحكيم، فلا حكم إلا لله بزعمهم، فكفروا الحكّمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص<sup>3</sup>، وكل من رضي بالتحكيم.

ج- الشراة: جمع شار، من أحب الألقاب إلى الخوارج، لأنهم شروا أنفسهم وباعوها في سبيل الله بزعمهم<sup>4</sup>.

د- البغاة: الباغية؛ الظالم، سُموا به لإعتدائهم على المسلمين، وقيل لظلمهم وبعيهم على أنفسهم<sup>5</sup>.

هـ- أهل النهروان: وهذه التسمية نسبة لمدينة صغيرة في الشمال الشرقي لبغداد، بها نهر يشقها، قاتل علي الخوارج بقرية<sup>6</sup>.

و- الحرورية: سُموا بالحرورية، لأنهم بعد انشقاقهم عن جيش علي رضي الله عنه؛ سكنوا هذه القرية التي بقرب الكوفة<sup>7</sup>، يقال لها: "حروراء"، فنسبوا إليها.

ز- المارقة: اشتق هذا الاسم من قوله ﷺ: "يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: الشَّهْرَسْتَانِي: المِلَلُ والنَّحْلُ، ص 127.

<sup>2</sup> عزُّ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ الشَّيْبَانِيِّ (ابن الأثير): الكاملُ في التَّاريخِ، اعتنى به: أبو صُهَيْبِ الكَرْمِيِّ، بيتُ الأفكارِ الدَّولِيَّةِ، الأردن، السُّعُودِيَّةِ، (د ط)، 1981، (ج 3)، ص 995.

<sup>3</sup> يُنظر: البَغْدَادِيّ: الفَرْقُ بينَ الفِرْقِ، ص 73.

<sup>4</sup> أبو الحسن الأشعريّ: مقالات الإسلاميين، ص 207.

<sup>5</sup> يُنظر: الشَّهْرَسْتَانِي: المِلَلُ والنَّحْلُ، ص 114.

<sup>6</sup> محمَّد شَرِيفِ سَلِيمٍ، مُلَخَّصُ تاريخِ الخوارجِ، ص 146.

<sup>7</sup> يُنظر: البَغْدَادِيّ: الفَرْقُ بينَ الفِرْقِ، ص 75.

<sup>8</sup> يُنظر: الشَّهْرَسْتَانِي: المِلَلُ والنَّحْلُ، ص 115.

ح- الفُرَاء: وهذه التسمية نسبة لكثرة قراءتهم للقرآن، قال ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ): "كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْفُرَاءُ؛ لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التَّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ وَيَسْتَبِدُونَ بِرَأْيِهِمْ"<sup>1</sup>.

ط- النَّوَاصِبُ: جاء في القاموس المحيط: "وَالنَّوَاصِبُ وَالنَّاصِبَةُ؛ الْمُتَدَيِّنُونَ بِبُغْضِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ نَصَبُوا لَهُ، أَيْ: عَادَوْهُ"<sup>2</sup>.

هذه أشهر أسماء الحوارج التي ذكرتها كتب الفرق، وهم يفتخرون بهذه التسميات ويعتدون بها ولا ينكرونها، ويتحفظون فقط على اسم واحد، وهو تلقبهم بالمارقة، يقول الإمام الأشعري: "وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِهَذِهِ التَّسْمِيَاتِ كُلِّهَا إِلَّا الْمَارِقَةَ، فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونُوا مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ"<sup>3</sup> خارجين عنه، فهم يرون أنهم قاموا لأجل الدين وإعلاء كلمته لزيغ الفريقين يومها، فكيف يكونون مارقين عن الدين خارجين عنه. وإنه مهما اختلفت تسميات الحوارج وتعددت؛ فالفكر واحد، والعقيدة واحدة، والضلال واحد.

### 03. المبادئ العامة في فكر الحوارج:

كان الحوارج بادئ الأمر فرقة واحدة، وما لبثت أن انقسمت إلى فرق، ومع تلك الفرقة التي حصلت بينهم، إلا أن آراءهم كانت موحدة في أغلبها، فهم يشتركون في ثوابت لم يحدوا عنها، واختلفوا في بعضها، ومن ذلكم:

- أ- نظرهم للخلافة الراشدة: يتفق الحوارج على صحة خلافة "أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ويثرون بصحة خلافة علي رضي الله عنه قبل أن يقبل "التحكيم"<sup>4</sup>، ولا يرونه إماماً شرعياً، بل ويكفرونه.
- ب- قضية التحكيم: كل فرق الحوارج الكبرى وما تفرع عنها يرفضون التحكيم، فلا حكم إلا لله.
- ج- التكفير: ابتداء منهج التكفير في الإسلام مع الحوارج، فكفروا علياً رضي الله عنه ومن رضي بالتحكيم من كلا الفريقين بادئ الأمر، ثم ما لبثت المغالاة تتطور شيئاً فشيئاً، فكفروا "أهل الذنوب من المؤمنين، بل كفروا حتى الخطأ في الرأي، وهذا ما حملهم على تكفير علي رضي الله عنه، فهم يرون أنه أخطأ في الرأي -قبول التحكيم- وجانب الصواب والحق"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، (ج 12)، ص 351.

<sup>2</sup> الفيروز آبادي: القاموس المحيط، (ج 1)، ص 133.

<sup>3</sup> أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 217.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 224.

<sup>5</sup> يُنظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 73.

د- الاستعراض (القتل): ظاهرة الاستعراض (القتل) أخطر ما مارسه الخوارج في تاريخهم، فالاستعراض؛ هو اعتراض الناس وقتلهم والتعدي على حرمتهم، وهذا المبدأ لم يكن محل اتفاق بينهم، ومن شواهد الدموية التي ارتكبتها الخوارج؛ "قتل الكيبار والصغار، وعقر الدواب، وشق بطن الحبالى وسبي النساء"<sup>1</sup>.

ه- نظرتهم للمخالف: غالى الخوارج في الحكم على مخالفيهم، فأدنى درجات الحكم على من لم يَر اعتقادهم ولم ينتهج طريقهم؛ التفسير، وقد يصل الحكم إلى التكفير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـ): "الخوارج أول من كفر المسلمين، يكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله"<sup>2</sup>.

و- القول في القعدة: سكت الخوارج أول الأمر عن القاعدين لأنهم كانوا يرون مذهبهم، ولما اشتدت شوكتهم، أصبحوا في حاجة لكل يد تبطش معهم، فمن قعد عن القتال وإن رأى رأيهم كفروه"<sup>3</sup>.

ز- إنكار المعلوم من الدين وما صح الدليل عليه، كإنكارهم عذاب القبر ونعيمه، قال "أبو الحسن الأشعري": "والخوارج لا يقولون بعذاب القبر، ولا ترى أحداً يُعذب في قبره"<sup>4</sup>.

ح- قولهم في الإمام (الحاكم): يرى الخوارج وجوب عدم طاعة الإمام إذا قصر في مسؤوليته، ويتخذون من العمل المسلح أساساً للتغيير، فالإمام في نظرهم: "يستمر في وظيفته ما قام بالعدل وأقام الشرع وابتعد عن الخطأ، فإذا جار وانحرف؛ وجب عزله أو قتله"<sup>5</sup>، وهذا مبدأ باطل لتأويلاتهم الخاطئة في فهم النصوص.

ط- تعيين إمام المسلمين:

الحكم في نظر الخوارج وظيفية، ومتى قصر الحاكم في إحدى مسؤولياته؛ وجب خلعه والخروج عليه، ويُفرون "مبدأ الشورى الذي سارت عليه الأمة منذ العهد النبوي، أما التعيين أو العهد بالولاية والوصاية؛ فليس طريقاً صحيحاً لتعيين الإمام"<sup>6</sup>، فكل المسلمين لهم الحق في الحكم، شريطة توفر الشروط لذلك.

<sup>1</sup> صابر طعيمة: دراسات في الفرق، مكتبة العارف، الرياض، السعودية، (د ط)، 2007، ص 149.

<sup>2</sup> تقي الدين أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة، السعودية، (د ط)، 1995، (ج 3)، ص 279.

<sup>3</sup> يُنظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 83.

<sup>4</sup> أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 224.

<sup>5</sup> أحمد محمد مجلي: الفرق في تاريخ المسلمين - الخوارج والشيعة -، مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، السعودية، (ط 1)، 1986، ص 62.

<sup>6</sup> البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 79.

المبحث الثاني - شعر الخوارج (موضوعاته، أغراضه وخصائصه):

أولاً- موضوعات شعر الخوارج:

كثيرة هي الموضوعات التي تطرقت إليها الخوارج في شعرهم، وهي بعد الإحصاء لا تخرج عن هذه الموضوعات:

### 01. البطولة:

تعني البطولة؛ ذلك اللفظ الدال على القوة والبسالة، الحامل لجميع صفات الإباء والشجاعة والتحدى، وهي أيضاً: "العلبة على الأقران، وهي علبة يرتفع بها البطل عمّن حوله من الناس ارتفاعاً يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكباراً"<sup>1</sup>، وليس هناك ميدان تبرز فيه البطولة كميدان الحروب التي "لا يُفئت منها رغب فيها ولا كاره، فالجميع يصطلون بناها، بل يتزامون فيها تزامي الفراش، فهي مبتغاهم وأملهم"<sup>2</sup>، وشعر الخوارج قد حفل بهذه الصفة المادية التي لم تتمثل في حزب كما تمثلت في فرق الخوارج، فكل خارجي إذا حمي الوطيس "كشّر عن أنيابه، مُمتشّقاً حُسامه، يُقاتل حتى يُقتل تحت ظلال السيوف قتلة شريفة، حتى إنّه ليعدّ عند الخوارج سبّةً أن يموت الإنسان على فراشه موتة الضعاف الجبناء الذين قعدوا عن الحرب"<sup>3</sup>، وليس أدل على بطولة الخوارج من تصريح "عمران بن حطّان" لكُرهه الحياة وإقباله على الموت:<sup>4</sup>

[الوافر]

01 لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بُغْضًا      وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ

02 أَحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي      وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَى الْعَوَالِي

تمثّل هذه المقطوعة -أصلها خمسة أبيات- رؤية الخوارج للموت الذي يبعثونه ويسعون إليه، بل "ويبدلون لهذه الغاية المستحيل، ولا يتمنون قدوم الأجل وهم على الفراش، وهذه النظرة التي صورها عمران لم يسبقه إليها أحد من الخوارج"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1970، ص 09.

<sup>2</sup> شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي-، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط)، 1961، ص 63.

<sup>3</sup> شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ص 17.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، مصر، (ط 4)، 1982 م، ص 159.

<sup>5</sup> يُنظر: مصطفى الشعكة، الأدب في الحضارة الإسلامية، مكتبة الإنجاد، القاهرة، مصر، (د ط)، 1968، ص 76.

ويقول "عبد الله بن وهب الراسبي" مُشيدًا ببطلته في محاربة الأعداء: <sup>1</sup> [الرجز]

- 01 أَنَا ابْنُ وَهَبِ الرَّاسِيِّ الشَّارِي  
02 أَضْرِبُ فِي الْقَوْمِ لِأَخَذِ الثَّارِ  
03 حَتَّى تَزُولَ دَوْلَةُ الْأَشْرَارِ  
04 وَيَرْجِعَ الْحَقُّ إِلَى الْأَخْيَارِ

02. الشجاعة: تناقلت الأخبار شجاعة الخوارج وبساتتهم، ما يدل على أن تاريخهم مملوء بالبطولات، يقول صاحب "العقد القريد": "وليس في الأفراق كلها أشد بصائر من الخوارج، ولا أشد اجتهادًا ولا أوطن أنفسًا على الموت، فمنهم الذي طعن فأنقذه الرنح، فجعل يسعى إلى قاتله ويقول: "وعجلت إليك رب لترضى"<sup>2</sup>، بل وجاء في كتاب "فجر الإسلام" ما يدل على أن الخوارج من أشد الفرق فتكًا بالخصوم: "إن فتك الحرورية بخصومهم يفوق فتك غيرهم بعشرة أصناف"<sup>3</sup>، ومن هذه الصور الحية الدالة على شجاعتهم، قول أحد زعمائهم "أبو بلال مرداس"<sup>4</sup> يتمي الشهادة مُقبلًا عليها: [البيسط]

01 نَرْجُو الْجَنَانَ إِذَا صَارَتْ جَمَاعِمُنَا تَحْتَ الْعَجَاجِ كَمِثْلِ الْخَنْظَلِ الْبَالِي

02 إِنِّي أَمْرٌو بَاعِثِي رَبِّي لِمَوْعِدِهِ إِذَا الْقُلُوبُ هَوَتْ مِنْ خَوْفِ أَهْوَالِ

- وقول "حارثة القيني" في إحدى المعارك مع جند "زياد بن أبيه" <sup>\*\*</sup> مُشيدًا بشجاعته وصحبه: <sup>5</sup> [الوافر]

01 فَإِنَّا لَا نَفِرُّ مِنَ الْمَنَايَا وَلَا نَنْحَاشُ مِنْ ضَرْبِ النَّصَالِ

02 وَلَكِنَّا نُفِيمُ لَكُمْ طَعَانَا وَضَرْبًا يَخْتَلِي هَامَ الرَّجَالِ

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 43، 44.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد القريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1983، (ج 1)، ص 110.

<sup>3</sup> أحمد أمين: فجر الإسلام - الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية -، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1933، ص 251.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 64.

<sup>\*</sup> كان من أتباع معاوية، وقد سيره إلى مصر واليا، فلقي قوما من الخوارج فأمالوه إلى زبهم فصار خارجيا، فطلبه زياد والي العراق ليرجع إلى الحادة، لكنه رفض وبقي على مذهب الخوارج". / ينظر: أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1996، (ج 5)، ص 182.

<sup>\*\*</sup> زياد بن أبيه: "وُلد في السنة الأولى للهجرة - 622 م، خطيب موهبة، كاتب لبعض الصحابة، ولي فارس في خلافة علي بن أبي طالب، وولي البصرة والكوفة وباقي العراق في عهد معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة 53 هـ - 673 م". / ينظر: علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، ص 35.

<sup>5</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 61.

وكما اشتهر رجال الخوارج بالشجاعة؛ اشتهرت نساؤهم كذلك، فكنن ذات بسالة وإقدام، فها هي

"أم حكيم" -مثلاً- تحمِلُ في الحروبِ على الأعداءِ وهي ترتجزُ:<sup>1</sup>

01 أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سِئِمْتُ حَمْلَهُ

02 وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَعَسَلَهُ

03 أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ

تحمِلُ هذه المقطوعة معاني الشجاعة النادرة، شجاعة المرأة المحاربة، فالخوارج رجالاً/نساءً خرجوا لذات الغاية، فالكلُّ في عقيدتهم مكلفٌ حسب طاقته، ما جعلهم يتميِّزونَ عن باقي الفرقِ في أدبهم وحياتهم.

03. التكفير: عرّف الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في الدين والتكفير والتطرف، فكفروا أصحاب الكبراء، وكفروا من خالفهم، حيث ابتدأت بوادر هذا المنهج الضال المتشدد بعد "قضية التحكيم"، فكفروا من حكم الرجال في دين الله، وهذا التكفير خرج من الولاة إلى كلِّ من والاهم من جندٍ وأقوامٍ وتبئ رأيهم، وفي هذا الباب يقول "عمرو القنا العنبري" في حربه مع "المهلب بن أبي صفرة" \* وكان يومَ عيدٍ، وقد كان نذر أن يُقاتل كلَّ الظلِّمة: <sup>2</sup> [الرجز]

01 نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ

02 بِالْخَيْلِ أَمْثَالِ الْوَشِيحِ تَسْرِي

03 يَقْدُمُهَا عَمْرُو الْقَنَا فِي الْفَجْرِ

04 إِلَى أَنْاسٍ لَهْجُوا بِالْكَفْرِ

05 فَالْيَوْمَ أَقْضِي فِي الْعَدُوِّ نَذْرِي

- ويقول "قطري بن العجاءة" في بابٍ ذكر شجاعته وصحبه، وكيف يعدو على الكفار: <sup>3</sup> [الطويل]

01 فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمِ

02 رَأَتْ فَتِيَةً بَاعُوا إِلَاهَهُ نُفُوسَهُمْ بِجَنَاتٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 142.

\* من قبيلة أزد، وُلِدَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، عُبَيْنٌ وَالِيًا عَلَى خُرَّاسَانَ فِي خِلَافَةِ بَنِي أُمَيَّةَ سَنَةَ 78 هـ، مُشَتْتٌ فِرْقَ الْخَوَارِجِ وَقَاتِلَ الْعَدِيدِ مِنْ قُوَادِمِهَا، فَرَضَ سَيْطَرَةَ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْأَرَاضِي، تُؤَيِّ سَنَةَ 82 هـ. / ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 205.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 104.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 121.

- وتورد "أم عمران الراسي" أبياتاً في رثاء ابنها وكيف كان يتمنى أن يُرزق الشهادة على أيدي من تصفهم بأهم ملاحدة كفار: <sup>1</sup> [البيط]

01 اللهُ أَيَّـدَ عِمْرَانَ وَطَهَّرَهُ وَكَانَ عِمْرَانٌ يَدْعُو اللهَ فِي السَّحْرِ

02 يَدْعُوهُ سِرًّا وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ شَهَادَةً بِيَدِي مِلْحَادَةٍ غُدْرٍ

الملاحظ على مدونة شعر الخوارج؛ أن التكفير قد شغل حيزاً كبيراً منها، جاء كله في تكفير من خالفهم، فرموا به كل من ناهض عقيدتهم، والمستقري لمنهج باقي الفرق الأخرى؛ يجد أن التكفير أيضاً مبدأ متفرق عندهم كالمعتزلة والشيعة، لكن الأمر اشتهر في فرقة الخوارج بجميع تفرعاتها أكثر، لأنهم صرخوا وأعلنوا وشاربوا وقاتلوا، بعكس باقي الفرق التي كانت تظهر التقيّة حتى تتغلب، وبذلك يكون الخوارج أول الفرق في الإسلام ظهوراً وكفراً وجماعة منظمة، قامت لأجل إحقاق العدل -بزعمهم-.

#### 04. نقد الحياة عامّة:

لم تقم ثورة الخوارج ضد مخالفيهم وجور الولاة والحق في الحكم فقط، بل هاجموا كذلك غيوب المجتمع وكل ما يخالف المروءة والفطرة السويّة، من نفاق وكذب وظلم وحب للمال ونقد لسياسة الحكام،  
فها هو "الطرمّاح بن حكيم" يتور على الحرص والحشع وحشد الأموال، يقول: <sup>2</sup> [الرجز]

01 عَجَباً مَا عَجِبْتُ لِلْجَامِعِ الْمَالِ يُبَاهِي بِهِ وَيَرْتَفِئُهُ

02 وَيُضَيِّعُ الَّذِي يُصَيِّرُهُ اللهُ إِلَيْهِ فَلَيْسَ يَعْتَقِدُهُ

03 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْمُخَوَّلَ ذَا الثَّرْوَةِ خِلَانُهُ وَلَا وَلَدُهُ

04 يَوْمَ يُؤْتَى بِهِ وَخَصَمَاهُ وَسَطَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ رِجْلُهُ وَيَدُهُ

- وفي قول "عمران بن حطان": <sup>3</sup> [الكامل]

01 حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكَاسِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ وَأَنْتَ لِأَهٍ تَرْتَعُ

02 فَتَزُودَنَّ لِيَوْمٍ فَفَرِّكَ دَائِبًا وَاجْمَعْ لِنَفْسِكَ لَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 85.

\* الطرمّاح بن حكيم (75 هـ - 125 هـ)، شاعر من قبيلة طي الفحطانيّة، رمز المقاومة في حزب الخوارج وسلاخها، اشتهر بحجائه المقتدع، من حفاظ الأنساب. / يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، (ج 19)، ص 128.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 34.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 173، 174.

ظاهر هذه الأبيات (ت 1+2)؛ أن الخطاب "موجهٌ لدائرةٍ خارجٍ محيطِ الدائرة الخارجية، إذ إن الجماعة لم تشك التفاوت بين الغنى والفقر"<sup>1</sup>، فزهدهم في الدنيا وملذاتها وكثرة حروبهم وتنقلهم من مكان لآخر؛ لم يتزك لهم مجالاً لجمع الأموال.

وفي ذم الكذب والتملق ومدح من لا يستحق المدح - كما سيأتي في خصائص شعر الخوارج-، يقول "عمران بن حطان" مؤاخداً "الفرزدق"<sup>2</sup>: [الخفيف]

01 لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ      وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

وفي نقد سياسة "بني مروان" يقول "عمران" أيضاً:<sup>3</sup>

01 حَتَّى مَتَى لَا نَرَى عَدْلًا نَعِيشُ بِهِ      وَلَا نَرَى لِدُعَاةِ الْحَقِّ أَعْوَانَا

وقول "أبي بلال مرداس بن أديه"<sup>4</sup>: [الطويل]

01 وَقَدْ أَظْهَرَ الْجُورَ الْوُلَاةُ وَأَجْمَعُوا      عَلَى ظُلْمِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْعَدْرِ وَالْكَفْرِ

ومن جماع بعض هذه المواقف التي ذكرت، تتشكك "سمه التفرّد في شعر الخوارج، إذ استطاع شعريهم أن يكون عيناً راصدةً للمجتمع، فنقد حدّ التحريج، ودبّ عن المذهب باستماتة، قلّ ما توجد لدى المذاهب الأخرى في تلك الحقبة"<sup>5</sup>، ما يدل على أن الخوارج مزجوا بين السياسة وصراعها، وأمور المجتمع واختلالها، وذلك كله محاولة منهم لبناء لينة أساسها المجتمع الذي يُمثّل الأرضية لممارسة الحكم والسلطة.

## 05. الأخلاق:

يعلم الخارجي يقيناً ما للأخلاق من أثرٍ في بناء مجتمعٍ قويٍّ متماسكٍ "نؤطره تعاليم الإسلام، ونُرشدّه إلى الخيرية، فكلّما انتشرت هذه الفضائل انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي"<sup>6</sup>، ولما كان لهذه السجاياء من دورٍ في النفوس والإشادة بالجناب المشرقة فيها؛ فقد اهتم الخوارج بهذه القضية وأولواها اهتماماً كبيراً، والحديث عن الأخلاق ومكارمها في مدونة شعر الخوارج قد أخذ حيزاً لا بأس به، وسيكتفى ببعض النماذج التي احتفت بأخلاقهم وسجاياتهم التي يرونها عقيدةً في بناء المجتمع والدولة.

<sup>1</sup> علي حقل، الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، ص 64.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 34.176.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 36.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 65، 66.

<sup>5</sup> رضي عبد الله عليي: الشعر بين الشكل الوجيه والمعنى المتعدد، مجلة نزوى، وزارة الإعلام، عُمان، ع 106، فبراير 2016، ص 145.

<sup>6</sup> ينظر: مقداد الجرن، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، (ط 2)، 2003، ص 08.

ومن الأمثلة على الوفاء بالعهد -حتى مع الأعداء-، يضرب "عمران بن حطان" أسمى مثال على ذلك، حيث تقول الرواية: "إن الحجاج بن يوسف\* لما ظفر بعمران أخذ عليه عهداً بأن لا يرفع السلاح لمحاربتة، فأعطاه عمران وعداً بذلك، فلما رجع عمران إلى قومه قالوا له: عُد إلى قتال الحجاج، فقال:

هيئات، قد استرق ربة من أعتقه"<sup>1</sup>، وأنشد قائلاً:<sup>2</sup> [الكامل]

01 أقاتل الحجاج عن سلطانِهِ      بيد تُقَرُّ بأنَّها مولاتُهُ

02 إني إذن لأخو الدناة والذِي      عفت على عرفانه جهالاتُهُ

03 ماذا أقول إذا وقفت موازياً      في الصف واحتجت له فعلاَتُهُ

04 أقول جار علي؟ إني فيكم      لأحق من جارت عليه ولاتُهُ

وفي موقف آخر يدل الشهامة، يحفظ "عمران" المعروف "لروح بن زباع" الذي أكرمه وأحسن

منزله:<sup>3</sup> [البيط]

01 أكرم بروح بن زباع وأسرته      قوم دعا أوليهم للعلا داع

02 جاورتهم سنة فيما أسر به      عرضي صحيح ونومي غير تهجاع

وتُخبر "مليكة الشيبانية" عن حصال الخير التي كان "الضحك بن قيس" يحت عليها:<sup>4</sup> [الكامل]

01 ذهب الذي قد كان يأمرنا      بالخير والمعرُوف والذكر

وتقول "امرأة من الخوارج" تُعدُّ شمائل الصلاح التي كان يتصف بها "الضحك":<sup>5</sup> [الكامل]

01 خلوا الشمائل حين تخبره      حسن السيرة ماجد شهم

02 يصل القرابة والجوار إذا      قطع القرابة صاحب الظلم

\* "وُلِدَ سَنَةَ 40 هـ فِي مَنَازِلِ تَيْفِيفِ بِالطَّائِفِ، ضَرَبَ مَكَّةَ سَنَةَ 73 هـ، قَاتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَلَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْعِرَاقِيْنَ (البَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ) سَنَةَ 75 هـ، خَاضَ حُرُوبًا عَدِيدَةً ضِدَّ الْخَوَارِجِ، بَنَى مَدِينَةَ وَاسِطَ، تُؤَيِّ سَنَةَ 95 هـ." / اللّهُبِي، سِيَرُ أَعْلَامِ التُّبَلَاءِ، ص 126. وابن كثير: البدايئ والنهائى، (ج 8)، ص 124. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص 313.

<sup>1</sup> محمد شريف سليم، ملخص تاريخ الخوارج، ص 45.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 187.

\*\* هو رُوْحُ بْنُ زُبَاعِ بْنِ سَلَامَةَ الْجُدَامِيِّ (10 هـ - 84 هـ)، كَانَ مِنْ أُمَّرَاءِ الشَّامِ، وَفِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ قَرَبَهُ وَجَعَلَهُ مِنْ مُسْتَشَارِيهِ وَخَاصَّتِيهِ، ثُمَّ عَيَّنَهُ قَائِدًا لَشُرَطَتِهِ وَحَرَسِيهِ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمُعَارِضِينَ لِسِيَّاسَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ. / يُنظَرُ:

الزركلي: الأعلام، (ج 3)، ص 34.

<sup>3</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 181.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 238.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 240.

## 06. المرأة في شعر الخوارج:

الناظر في مُدَوَّنَة شعرِ الخوارجِ يَجِدُ أَنَّ المرأةَ لَمْ تَكُنْ رَمْزًا لِلحُبِّ والجَمالِ فَحَسَب، بل هِيَ "رَمزٌ يُشارِكُ الخارِجِيَّ مُعاناتِهِ وهُمومَهُ، بلِ وتَتَرَبَّعُ على عَرشِ قَلْبِهِ لِثَبِيرِ رَغْبَةِ التَّمسُّكِ بِعَقِيدَتِهِ ومبادئِهِ"<sup>1</sup>، والحديثُ في هذا البابِ إمَّا هو عن المرأةِ رَفيقَةِ السِّلاحِ في الكِفافِ، المرأةِ المُجاهِدةِ المُحاربةِ رَمزِ التَّحَدِّيِّ.

- تقولُ "مريمُ امرأةُ المُختارِ بنِ عَوفٍ" وهي تَحْمَلُ على جُنْدِ المَدِينَةِ في وَاقِعَةِ "قَدِيدٍ"<sup>2</sup>: [الرَّجَز]

01 أَنَا ابْنَةُ الشَّيْخِ الكَرِيمِ الأَعْلَمِ

02 مَنْ سَأَلَ عَنِ اسْمِي فَاسْمِي مَرِيمُ

03 بَعَثْتُ سِوَارِيَّ بِسَيْفٍ مِخْذَمِ

- وتقولُ "أُمُّ البَرَاءِ بِنْتُ صَفْوَانَ" تُحَرِّضُ ابْنَهَا على الأَعْدَاءِ وَقَتَالَهُمْ:<sup>3</sup> [الكامل]

01 يَا عَمْرُو دُونَكَ صَارِمًا ذَا رُونَقٍ عَضَبَ المَهْزَةَ لَيْسَ بِالخَوَّارِ

02 أَسْرَحَ جَوَادَكَ مُسْرِعًا وَمُشَمَّرًا لِلحَرْبِ غَيْرَ مُعْرِدٍ لِفِرَارِ

03 أَجِبِ الإِمَامَ وَدُبَّ تَحْتِ لَوَائِهِ وَافِرِ العَدُوِّ بِصَارِمِ بَتَّارِ

وفي ذاتِ سِياقِ التَّحْرِيزِ على القِتالِ، تقولُ "سَوْدَةَ بِنْتُ عِمَارَةَ بنِ الأَشْتَرِ" لابْنِهَا:<sup>4</sup> [الكامل]

01 شَمَّرَ لِفِعْلِ أَيْبِكَ يَا بِنَّ عِمَارَةَ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الأَقْرَانِ

02 فَفَقَدَ الجُيُوشَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَائِهِ قُدَمًا بِأَبْيَضِ صَارِمِ وَسِنَانِ

ولَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنِ التَّحْرِيزِ والقِتالِ، تُعَيِّرُ المرأةُ الخارِجِيَّةُ زَوْجَهَا لِتُعَوِّدَهُ وَعَدِمَ مُشارَكَتِهِ في الحُرُوبِ،

فيقولُ "أحد الخوارج":<sup>5</sup> [الطويل]

01 تُعَيِّرُنِي بِالحَرْبِ عَرْسِي وَمَا دَرْتُ بِأَنِّي لَهَا فِي كُلِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ ضِدُّ

02 لَحَا اللهُ قَوْمًا يَقْعُدُونَ وَعِنْدَهُمْ سِوْفٌ وَلَمْ يُعْصَبْ بِأَيْدِيهِمْ قِدُّ

<sup>1</sup> أمل نصير: صورة المرأة في الشعر الأموي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، (ط 1)، 2000، ص 204.  
\* معركة وقعت بين الخوارج وأهل المدينة بالقرب من وادي قديد قرب مكة، وانتهت بانتصار الخوارج بقيادة المختار بن عوف الأزدي، وقتل يومها رهط كثير من أهل المدينة. / يُنظر: محمد شريف سليم، ملخص تاريخ الخوارج، ص 145.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 245.

<sup>3</sup> ابن عبد ربه: العقد الفريد، (ج 2)، ص 102، 103.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 124.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 254.

وفي تصوير المرأة الخارجيّة لشجاعيتها وبطشها؛ ما يدلّ على مشاركتها للرجال في القتال، قول "أمّ

الحازوق الشيباني":<sup>1</sup> [الرجز]

01 نَحْنُ عَبْرْنَا الْخَنْدَقَ الْمُقَعَّرَا

02 يَوْمَ لَقَيْنَاكُمْ وَجُزْنَا الْعَسْكَرَا

03 حَتَّى قَتَلْنَا عَاصِمًا وَجَعَفَرَا

04 وَالْفَاسِقَ الضَّيِّبِي لَمَّا أَذْبَرَا

05 فَلَا تَحْسَبُوا ضَرْبَ الشُّرَاةِ سُكْرَا

من خلال هذه المقدمات؛ يظهر جلياً مشاركة المرأة الخارجيّة في الحروب مع الرجل ضدّ دولة بني أمية، فسيبيل التضحية والاستشهاد مبدأً عامّاً لكلا الجنسين، فالمرأة الخارجيّة ساندت الرجل واهتمت بالسياسة وشاركت في الحروب، وبذلك أبطلت المفاهيم الملتصقة بالأذهان من كونها جنساً لطيفاً فقط، مهامها خدمة الرجال والقيام بأعباء الدور وتربية العيال، وبذلك جمعت بين الحسنيين، المرأة الأمّ، الزوجة، والمرأة المحاربة رمز التحدى والشجاعة.

## 07. الموت والحياة:

ثنائية الموت/ الحياة من المواضيع التي اهتمّ بها الخوارج وشغلت تفكيرهم، كيف سيموتون؟ وما سيؤول إليه مصيرهم؟، فالموت هو التهديد المستمرّ لحياة الخارجيّ، وخوف هذا الأخير من الموت ليس لذات الموت، وإنما للطريقة التي سيموت بها، فالموت في عقيدة الخارجيّ خلاصٌ وحرية، لذلك يستعجلون حضور المنيّة، وهكذا يتخلّصون من واقع الحياة المليء بالظلم والآثام، وبذلك يكون "الموت المطهر الحقيقي للنفس، حيث تُبعث -حسبهم- بعده طاهرةً نقيّة"<sup>2</sup>، وهذه النظرة الفلسفيّة للموت تحمّل مضموناً إيجابياً، وهو الانتصار على واقع الدنيا المليئة بالآثام.

والمُتفحّص لشعر الخوارج؛ يجدُ الثنائية الضديّة للموت/الحياة تُشكّل الأساس واللبنة التي تُبنى عليها قصائدهم، إمّا بالفاظ مُصرّح بها أو ضمنيّة، ومن ذلكم:

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 203.

<sup>2</sup> أحمد معيطة: الإسلام الخوارجي، ص 89.

- يقول "قطريُّ بنُ الفُجاءة" يُخبرُ بحقيقةِ أنَّه مهما طالَ عُمرُ الإنسانِ فالموتُ طريقُه وسبيلُه: <sup>1</sup> [الوافر]

01 سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلِّ حَيٍّ فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ

- وقول "عروة بن أديّة" يوضّح فيه أنّ الموتَ هو العَلامَةُ الفاصلة لتحديدِ الكَريمِ مِنَ الدَمِيمِ في هذه الحَيَاة: <sup>2</sup> [الطَّويل]

01 لَعْمَرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا الْفَتَى لَأَقَى الْحِمَامَ كَرِيمًا

02 وَلكِنَّمَا ضَرُّ الْحَيَاةِ وَعَارُهَا أَحَالٌ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ ذَمِيمًا

فتحديدُ الإنسانِ الكَريمِ يكونُ بحسبِ مَوْتِهِ، فإن ماتَ في ميدانِ الوغى مُدْبِرًا عن الدُّنيا؛ فهي مَوْتَةٌ كريمةٌ، وإن ماتَ قاعدًا مُقبلاً على الدُّنيا؛ ماتَ ذَمِيمًا، وعليه فطريقَةُ موتِ الإنسانِ هي العَلامَةُ الَّتِي تُحدِّدُ مِيتَةَ الفخرِ مِنَ مِيتَةِ الدُّلِّ حَسَبَ الخوارجِ.

- ويسألُ "أحدُ الخوارجِ" الله الثَّباتَ حَتَّى يَبِيعَ نَفْسَهُ في سَبِيلِ الشَّهَادَةِ وَيَشْتَرِيَ دارَ البقاء: <sup>3</sup> [البسيط]

01 يَا رَبِّ هَبْ لِي الثَّقَى وَالصَّدَقَ فِي ثَبَتٍ وَأَكْفِ الْمُهَمَّ فَأَنْتَ الرَّازِقُ الْكَافِي

02 حَتَّى أبيعَ الَّذِي يَفْنَى بِأَخْرَةٍ تَبْقَى عَلَى دِينَ مِرْدَاسٍ وَطَوَافٍ

تُوضِّحُ الأمثلةُ المُقدَّمةُ جِزْوَ الخارِجِيِّ على الموتِ، موتِ الشَّهَادَةِ والكرامةِ، ما يجعلُه خطأً محورِيًّا تُبنى عليه قصائدهم، ومع كثرةِ الفتنِ والصِّراعاتِ في دولةِ بني أمية؛ أصبحَ الموتُ ملاذً وخلصًا الخارِجِيِّ مِنْ تلكِ الفتنِ، وبذلكَ فالموتُ هو الحرِيَّةُ الَّتِي لا يُعادِلُها شيءٌ في الوجودِ.

ثانيًا- أغراضُ الشَّعرِ الخارِجِيِّ:

الخوارجُ أوَّلَ الفرقِ الَّتِي خالفتِ الأغراضَ الشَّعْرِيَّةَ المُتعارفَ عليها في تاريخِ الأدبِ الجاهليِّ والإسلاميِّ، فأغراضُ شِعْرِهِم اختلفتْ باختلافِ قَضِيَّتِهِم وعَقِيدَتِهِم، فترَفَّعُوا عن الهجاءِ المُقذعِ -إلا ما ندر- والمدحِ الكاذبِ، وكلِّ ما يُدنِّسُ عَقِيدَتَهُم، وبعدَ تفحُّصِ مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الخوارجِ، يُمكنُ تقسيمُ الأغراضِ الَّتِي جاءتْ في شِعْرِهِم إلى قِسْمينِ:

01. الأغراضُ الأساسِيَّةُ: يَدورُ شِعْرُ الخوارجِ في إطارِ عَقائِدِهِم الخارِجِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ، وهي بَعْدَ

الإحصاءِ لا تَخْرُجُ عن عَرَضَيْنِ، هما:

<sup>1</sup> إحسان عباس: شِعْرُ الخوارجِ، ص 123.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 66.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 73.

١- قضية التحكيم:

أولى الخوارج قضية التحكيم اهتماماً كبيراً، إذ هي سبب الخروج، فأبدوا رأيهم في ذلك "الحدث الحلال الذي قام عليه مذهبهم، فتعالت الأقوال مُنددةً بموقفهم من عليٍّ عليه السلام حين حُكِّم الرجال في أمر صدر فيه أمر الله"<sup>1</sup>، فهذا هو أحد زعمائهم "فروته بن نوفل الأشجعي" يذكر أمر التحكيم ويجهز بمفارقة أمير المؤمنين علياً ويدعو إلى قتال من يُقاتلهم، قال: **[الوافر]**<sup>2</sup>

- 01 نَقَاتِلْ مَنْ يُقَاتِلُنَا وَنَرَضَى بِحُكْمِ اللَّهِ لَا حُكْمَ الرَّجَالِ  
02 وَفَارَقْنَا أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا فَمَا مِنْ رَجْعَةٍ أُخْرَى اللَّيَالِي  
03 فَحَكَّمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَمْرًا وَذَاكَ الْأَشْعَرِيُّ أَخَا الصَّلَالِ

وهذا "العيراز بن الأحنس الطائي" يذكر حادثة "النَّهْرَوَان" ويكي أصحابه الذين قُتلوا يومها جاعلاً

من قضية التحكيم أساساً وسبباً لخروجهم، قال: **[الطويل]**<sup>3</sup>

- 01 أَلَا لَيْتَنِي فِي يَوْمِ صِفِّينَ لَمْ أُؤَبِّ وَغُودِرْتُ فِي الْقَتْلَى بِصَفِّينَ ثَاوِيًا  
02 ثَمَانُونَ مِنْ حَيِّي جَدِيلَةَ قَتَّلُوا عَلَى النَّهْرِ كَانُوا يَخْضِبُونَ الْعَوَالِيَا  
03 يُنَادُونَ لَا لَا حُكْمَ إِلَّا لِرَبِّنَا حَنَائِكَ فَاغْفِرْ حَوْبَنَا وَالْمَسَاوِيَا  
04 هُمْ فَارَقُوا فِي اللَّهِ مَنْ جَارَ حُكْمُهُ وَكُلٌّ عَنِ الرَّحْمَنِ أَصْبَحَ رَاضِيًا

ب- الشراية والخروج:

كان الخوارج بادئ الأمر فئة قليلة، وكان لا بُدَّ لهم من استنهاض همم أقوامهم لنصرة قضيتهم، فعقيدتهم قررت منهج "وجوب الخروج"<sup>4</sup>، خروج من ديار الكفر والضلال وحكام الجور -بزعمهم-، وفي هذا الباب يقول "قطري بن الفجاءة" يُحرض أحد معارفه على الخروج ويُجذره من المُعوذ قائلًا: **[الطويل]**<sup>5</sup>

- 01 أبا خَالِدٍ يَا أَنْفِرْ فَلَسْتَ بِخَالِدٍ وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ عُذْرًا لِقَاعِدِ  
02 أَتَزْعَمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهُدَى وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لِصٍّ وَجَا حِدِ

<sup>1</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص 350.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 56، 57.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 45.

<sup>4</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص 352.

<sup>5</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 119.

وفي موضع آخر يُعلَنُ "مرداسُ بنُ أدية" صراحةً خُروجه من الثُرى التي ظلمَ الوُلاةَ أهلها قائلاً:<sup>1</sup> [الطويل]

01 وَقَدْ أَظْهَرَ الْجُورَ الْوُلاةَ وَأَجْمَعُوا عَلَى ظَلَمِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْعَدْرِ وَالْكَفْرِ

02 وَيَسِّرْ لَنَا خَيْراً وَلَا تَحْرِمَنَّنا لِقَاءَ ذَوِي الْإِلْحَادِ فِي عَدَدِ دَثْرِ

ومن مُتَقَرِّراتِ عَقيدةِ الخوارج أيضاً؛ "وَجُوبِ الشَّرِيَةِ"<sup>2</sup>، شِرايَةُ النَّفْسِ وَيَبِعُها فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْتِغَاءَ نَيْلِ

جَنانِ الخُلْدِ، وَمَنْ الشَّوَاهِدِ فِي هَذَا البابِ قَوْلُ "الصَّحاري بنِ شبيب"<sup>3</sup>: [المديد]

01 إِنِّي شَارِ بِنَفْسِي لِرَبِّي تَارِكٌ قَيْلاً لَدَيْهِمْ وَقَالَا

02 بَائِعِ أَهْلِي وَمَالِي، أَرْجُو فِي جَنانِ الخُلْدِ أَهْلاً وَمَلاً

ونجدُ كذلك خارجياً آخر وهو "أبو الوازع الراسبي" من أشدِّ النَّاقِمِينَ على ظلمِ الحُكَّامِ واستبدادِهِم،

فكانَ يصدُحُ بخُروجه عليهم في كُلِّ نادٍ، وَمِنْ ذلكم قولُه:<sup>4</sup> [الطويل]

01 سَأَشْرِي وَلَا أَبْغِي سِوَى اللَّهِ صَاحِباً وَأَبْيَضَ كَالْمِخْرَاقِ عَضِبِ الْمَضارِبِ

02 فَقَدْ ظَهَرَ الْجُورُ الْمُبِيرُ وَأَجْمَعَتْ عَلَى ذَاكَ أَقْوامٌ كَثِيرُوا التَّكادُبِ

إنَّ الخُروجَ والشَّرِيَةَ أَهمُّ مَبْدَأينِ عندِ الخوارجِ قَامَتْ عليهما عَقيدَتُهُم، فَكفَرُوا "كلَّ قاعِدٍ مُتخادِلاً في

نُصْرَتِهِم والحربِ مَعَهُم، وَوَصَلَ الأمرُ ببعضِ الفِرَقِ المُتشدِّدَةِ منهم إلى حَدِّ المُغالاةِ في دِماءِ المُتخَلِّفِينَ عن

خُروبِهِم مِنْ بني جِلدَتِهِم، فَكُلُّ مَنْ آتَرَ البَقَاءَ في دِيارِ الكُفْرِ -بِرَعْمِهِمْ-؛ حَلَّ دَمُهُ واسْتَبِيحَتْ أَمْوالُهُ"<sup>5</sup>.

## 02. الأَغراضُ الفرعيَّةُ:

1- الهِجاءُ: كانَ الهِجاءُ ولا يَرالُ أَحَدٌ أبْرَزَ أَغراضِ الشَّعْرِ العَرَبِيِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَلِئِنْ "خَفَّتْ حَدُّهُ في

بعضِ العُصورِ؛ فَإِنَّهُ يَبقى سِمةً بارِزةً في الأَدبِ الإنسانيِّ، وليس في الشَّعْرِ العَرَبِيِّ فقط، وإنَّما في كُلِّ الأَدابِ

العالمية"<sup>6</sup>، وإنَّ ما يُميِّزُ هِجاءَ الخوارجِ؛ أَنَّهُ مُوجَّهٌ في غالِيهِ إلى الأَفْرادِ لا الجَماعاتِ، فلا يُؤخَذُ الرِّجُلُ بِجَرِيَّةِ

غيرِهِ، ولا يَهْجُونَ إِلاَّ مَنْ قُدِحَ في دِينِهِ وَعَقيدَتِهِ، وبهذا يَكُونُ الهِجاءُ قَدْ نَحَا نَحْواً جَدِيدًا، يَدورُ موضوعُهُ في

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 65، 66.

<sup>2</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص 352.

<sup>3</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 218.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 145.

<sup>5</sup> أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، ص 26، 27.

<sup>6</sup> عزوز زرقان، الحسين سياسي: الخوارج في شعرهم -أهم القضايا والطواهر الفنية- دراسة نقدية، البدر الساطع، العلمة،

الجزائر، (ط 1)، 2017، ص 99.

إطار العقيدة الخارجية الدينية والسياسية، والهجاء عند الخوارج سلاح فعّال ضدّ مخالفيهم، وله الأثر الكبير في نفوس المخالفين، وسيكتفى في هذا الباب بنماذج تُوضّح الهدف من توظيف هذا الغرض.

- يقول "الطرمّاح بن حكيم" يهجو "الفرزدق" وقبيلته التي وآلت بني أمية وتتزلّف إلى حكامها، واصفًا حالهم بأنهم ضلّوا عن الهدى<sup>1</sup>: [الطويل]

- 01 تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا      وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتِ  
02 أَرَى اللَّيْلَ يَجْلُوهُ التَّهَارُ وَلَا أَرَى      خِلَالَ الْمَخَازِي عَن تَمِيمٍ تَجَلَّتِ  
03 وَلَوْ أَنَّ بُرْغُوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ      يَكُرُّ عَلَى صَفِيٍّ تَمِيمٍ لَوَلَّتِ  
04 ذَبَحْنَا فَسَمِينًا فَحَلَّ ذَبِيحَنَا      وَمَا ذَبَحَتْ يَوْمًا تَمِيمٌ فَسَمَّتِ  
05 أَفَاضَتْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِحِجَّةٍ      فَلَمَّا أَتَتْهُ نَافَقَتْ وَتَخَلَّتِ

ما يُميّز شعر الخوارج أنّ هجاءهم موجّه في غالبيه للأفراد لا الجماعات، فلا يُؤخذ الإنسان بجريرة غيره، وما جعل الطرمّاح يحمّل على بني تميم؛ موالاتهم جميعًا لبني أمية، وبذلك استحقّوا الهجاء والتشهير.

ويهجو "سوادة الحروري" "المهلب بن أبي صفرة" ورسوله الذي لم يلب في خطابه مع الخوارج،

وبذلك يُستدلّ على أنّ الرسول أخذ الجرأة من سيده، قال: [الطويل]<sup>2</sup>

- 01 وَلَمَّا اخْتَبَرْنَا ظَالِمًا بِرَسُولِهِ      وَجَدْنَاهُ ذَا رَأْيٍ سَخِيفٍ مُضَلَّلًا  
02 شَبِيهُ أَبِيهِ فِي اسْمِهِ وَفِعَالِهِ      وَمُسْتَأْجِرًا يُعْطَى إِذَا الشَّهْرُ أَكْمَلَا  
03 فَلَوْ كَانَ ذَا رَأْيٍ وَحُسْنِ تَبُّبٍ      رَسُولُكَ يَا مَظْلُومٌ أَنْجَحُ مُرْسَلَا  
04 لِأَنَّ رَسُولَ الْمَرْءِ لُطْفًا بِرَفْقِهِ      يُلِينُ قَلْبَ الْمَلِكِ إِمَّا تَذَلَّلَا

وبعث "عبّان بن أصيلة" برسالة إلى "عبد الملك" يُذكره فيها بأيام وفعاتهم مع "شبيب"<sup>3</sup>: [الطويل]

- 01 لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى شَبِيبٌ وَصَحْبُهُ      عَلَى الْبَابِ لَوْ أَنَّ الْأَمِيرَ يُجِيبُ  
02 فَأَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً      وَذُو النُّصْحِ لَوْ تُصْغِي إِلَيْهِ قَرِيبُ

<sup>1</sup> الحكم بن حكيم بن مالك (الطرمّاح): ديوان الطرمّاح، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1994، ص 74-77.

<sup>2</sup> إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص 145.

\* هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني الحاربي، من خوارج الموصل الذين خرجوا على عبد الملك بن مروان سنة ست وسبعين للهجرة، شاعرٌ مُكثّر، قاتل الحجاج وحاصره وانتصر عليه في العديد من الوقائع، وأشهرها: واقعة الكوفة، مع زوجته غزاة الشيبانية، مات غرقًا في "دجيل" بالعراق سنة سبع وسبعين للهجرة. / ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 160.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص 200.

03 أَتَذْكُرُ إِذْ دَارَتْ عَلَيْكَ رِمَاحَنَا بِمَسْكِنٍ وَالْكَلْبِيُّ ثُمَّ غَرِيبُ

04 فَوَارِسُنَا مَنْ يَلْقَهُمْ يَلْقَ حَتْفَهُ وَمَنْ يَنْجُ مِنْهُمْ يَنْجُ وَهُوَ سَلِيبُ

بعد حصارِ شبيبٍ "للحجاج بن يوسف" في قَصْرِ الكُوفَةِ، هَدَدَهُ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِرِسَالَةٍ إِلَى "عبد الملك" يُذَكِّرُهُ بِوَقْعَاتِهِم بِالْعِرَاقِ وَهَزِيمَةِ الْخَوَارِجِ لِحُنْدِهِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَرْمِيهِ بِالضَّعْفِ وَجُبْنِ مَنْ يُرْسِلُهُمْ لِقِتَالِهِ، مُشِيدًا بِرِسَالَةِ فَوَارِسِ الشُّرَاةِ وَقُوَّتِهِمْ.

ويقول "عمران بن حطان" يهجو "الحجاج" لَمَّا فَرَّ مِنْ "غزاة الشَّيبَانِيَّة":<sup>1</sup> [الكامل]

02 هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

03 صَدَعْتَ غَزَاةَ قَلْبِهِ بِفَوَارِسِ تَرَكْتَ مَنَابِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

04 أَلْقِ السَّلَاحَ وَخُذْ وَشَاحِي مُعْصِرِ وَاعْمَدْ لِمَنْزِلَةِ الْجَبَانِ الْكَافِرِ

يَهْجُو الشَّاعِرُ "الحجاج" وَيَعِيبُ عَلَيْهِ هُرُوبَهُ مِنْ "غَزَاةِ الشَّيبَانِيَّةِ"، وَفِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُلْقِيَ السَّلَاحَ وَأَنْ يَرْتَدِيَ لِبَاسِ النِّسَاءِ فَذَلِكَ الْيَقِينُ بِهِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ قَدْ هَجَاهُ وَسَلَّحَ عَلَيْهِ.

ما يجدرُ التَّنْبِيهُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِطْلَاقِ عَلَى شِعْرِ الْخَوَارِجِ؛ أَنَّ الْهَجَاءَ عِنْدَهُمْ "كَانَ مَحْدُودًا وَلَا يُمْتَلُ الْجَاهَا ظَاهِرًا فِي أَدَبِهِمْ، فَهُوَ هَجَاءٌ بَعِيدٌ عَنِ الْفُحْشِ وَتَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ"<sup>2</sup>، فَلَا يَهْجُونَ إِلَّا مِنْ اسْتِحْقَاقِ الذَّمِّ أَوْ التَّهْكُمِ، وَلَا يَصِفُونَ أَحَدًا إِلَّا بِمَا فِيهِ، وَلَا يُبَالِغُونَ فِيهِ إِلَى دَرَجَةِ الْفُحْشِ، حَيْثُ يَذْكُرُ صَاحِبُ "كِتَابِ الْأَغَانِي" أَنَّ "يَزِيدَ بْنَ حَبْنَاءَ" مَرَّ بِ: "زِيَادِ الْأَعْجَمِ" وَهُوَ يُكَيِّزُ مِنَ الْفُحْشِ فِي هِجَائِهِ فَقَالَ لَهُ: "وَيْحَكَ، حَتَّى مَتَى تَتَمَادَى فِي الضَّلَالِ؟ كَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ قَدْ صَبَّحَكَ أَوْ مَسَّكَ"<sup>3</sup>.

\* غَزَاةُ الشَّيبَانِيَّةِ: "زَوْجَةُ شَيْبِ بْنِ يَزِيدِ الشَّيبَانِيِّ، مِنْ شَهِيْرَاتِ نِسَاءِ الْعَرَبِ، وَوُلِدَتْ بِالْمُوصِلِ، وَخَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ، مِنْ أَشْهَرِ أَخْبَارِهَا: فِرَارُ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفٍ مِنْهَا فِي الْوَأَقِعَةِ الشَّهِيْرَةِ، فَتَلَّهَا خَالِدُ بْنُ عِتَابِ الرِّيَاحِيِّ فِي مَعْرَكَةٍ عَلَى أَبْوَابِ الْكُوفَةِ، وَمَاتَ شَيْبٌ بَعْدَهَا". / يُنْظَرُ: الدَّهْيُ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، ص 214.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 184.

<sup>2</sup> علي جفال: الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، ص 375.

<sup>3</sup> علي بن الحسن أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تر: سمير جابي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1986، (ج 15)، ص 315.

ب- الرثاء:

يكتسي الرثاء عند الخوارج صبغة الإشادة بمناب الميِّت، من: "التَّقْوَى والشَّجَاعَةَ والنَّبَاتِ على العقيدة، ولأنَّ الخوارج لم يَعْرِفُوا المَدْحَ في صِغَتِهِ الشَّائِعَةِ؛ فقد جعلوه فُرْصَةً لامتداح المَرثِيِّ، وما يلاحظ على هذا الرثاء؛ أنَّه رثاءٌ مذهبيٌّ، ما يعني: إنَّه يختصُّ فقط بأبناءِ العقيدةِ الواحدةِ فرادى وجماعاتٍ، شأنه كشأنِ الشعرِ الخارجيِّ بشكْلِ عامٍّ، حيثُ يُشكِّلُ الإنسانُ الخارجيُّ الموضوعَ الإجماليَّ لهذا الشعرِ"<sup>1</sup>.

ومن صور الرثاء التي حضرت كثيراً في شعر الخوارج؛ رثاء القادة والزعماء، رثاء الأبناء، الزوجات، الإخوة، وهو رثاءٌ يدور حول الاستشهاد والجهاد، دفاعاً عن معتقداتهم، ومن ذلكم: رثاء امرأةٍ خارجيةٍ من "بني سليط" ترثي أحد زعماء الخوارج "أبو بلال مرداس" وأصحابه الذين شروا أنفسهم في سبيل الله، سائلةً الله أن يُغيثهم برحمته غيثاً كثيراً الرُّعود، قالت:<sup>2</sup> [الطويل]

01 سَقَى اللهُ مِرْدَاساً وَأَصْحَابَهُ الأُلَى شَرَوْا مَعَهُ غَيْثاً كَثِيراً الزَّمَاجِرِ

02 فَكُلُّهُمْ قَدْ جَادَ اللهُ مُخْلِصاً بِمُهْجَتِهِ عِنْدَ التَّقَاءِ العَسَاكِرِ

وتبكي "ليلى بنت طريف" أحاما "الوليد" سيّد القوم على شكلٍ تبيينٍ تُخلدُ فيه ذكْرَه ومحاسنَه،

ولمكانة المَرثِيِّ؛ تتميَّ فِدَاءَه بألوفٍ، فرجلٌ هذه صفاته؛ جديرٌ أن يحزنَ الكونُ عليه، تقول:<sup>3</sup> [الطويل]

01 فَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالِكِ مُورِقَا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

02 فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا المَالَ إِلَّا مِنَ قَنَا وَسُيُوفِ

03 فَقَدْنَاهُ فَقَدَ الشُّبَّانِ وَلَيْتَنَا فَدَيْنَاكَ مِنْ فِتْيَانِنَا بِأُلُوفِ

وفي رثاء الأبناء في شعر الخوارج؛ نجدُ أنَّ الحُرْفَةَ تزدادُ حِدَّةً، مع إظهارِ عاطفةٍ تَعْلُبُ عليها الرقَّةُ وعدمُ الجزعِ، غيرَ أنَّ عاطفةَ الأبوةِ لا يُمكنُ حجبها، وفي هذا الباب، يقول "سميرة بن الجعد" مُصَوِّراً

حزنه على ولده:<sup>4</sup> [الطويل]

01 عَجِبْتُ لِحَالَاتِ الأَنَامِ وَلِلدَّهْرِ وَللِحِينِ يَأْتِي المَرَّةَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

02 إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي مَعَ اللَّيْلِ مَحْزِراً تَأَوَّهَتْ مِنْ حُزْنِ عَلَيْهِ إِلَى الفَجْرِ

03 سَرَى مَحْزِراً وَاللهُ أَكْرَمُ مَحْزِراً بِمَنْزِلِ أَصْحَابِ النَّخِيلَةِ وَالتَّهْرِ

<sup>1</sup> أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، ص 94.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 67.

<sup>3</sup> نايف معروف: ديوان الخوارج - شعرهم، رسائلهم، خطبهم، - دار المسيرة، بيروت، ص 172.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 138.

أمَّا رثاءُ الرّوجاتِ في شعر الخوارجِ فقليلٌ، مضمونه عاديٌّ ومعانيه مُستفيضة شوقًا، شأنهم في ذلك شأن مَنْ فقدَ عزيزًا أو رفيقًا، وفي هذه الجزئية؛ يقول "مالك المزموم" \* يرثي زوجته "أمّ العلاء" شريكته في الخروجِ ومُحاربةِ جُنْدِ الحجاج: <sup>1</sup> [الكامل]

01 أَمْرُزْ عَلَيَّ الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَاءِ فَنَادَهَا لَوْ تَسْمَعُ

02 أَنَّى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جَدًّا فَرُوقَةً بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْرَغُ

03 صَلَّى إِلَاهُهُ عَلَيْكَ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يَلَائِمُكَ الْمَكَانُ الْبَلْقَعُ

ما يُلاحظُ على الرثاءِ في شعرِ الخوارجِ؛ خُلُوهُ مِنَ النَّحِيبِ وَالتَّفَجُّعِ، وذلك "لِعِلْمِهِمْ وَتَقِينِهِمْ بِأَنَّ مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ لَهُو خَيْرٌ عَزَاءٍ لَهُمْ"<sup>2</sup>، كما ابتعدوا عن نَزْعَةِ الفُنُوطِ وَالْيَأْسِ، وما يُميّزُ الرثاءَ أيضًا؛ اصطباغُ مبانيه بالمعاني الإسلاميّة، ما يجعلُ عاطفته صادقةً، تَطِيفُ بِهَا "حِيَالَاتُ الإِطْمِنَانِ وَالتَّسْلِيمِ بِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَالرِّضَى بِقَضَائِهِ، وَتَمَثُّلُ الشَّهَادَةِ فِي تَقْوَاهُمْ وَالدَّعْوَةَ إِلَى الإِحْتِدَاءِ بِبِسَالَتِهِمْ وَتَمَيُّ الشَّهَادَةِ"<sup>3</sup>.

ج- الفخر:

يُشكِّلُ الفخرُ في شعرِ الخوارجِ نَقْلَةً نَوْعِيَّةً خَالِفُوا فِيهَا الْقُدَامَى، فَتَجَنَّبُوا الْمُغَالَاةَ فِي أَقْوَاهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ افْتِخَارُهُمْ لَا بِنَسَبٍ وَلَا بِقَبِيلَةٍ وَلَا بِدَعَاوِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَخَوَاهُ صَادِقَةٌ فِي إِطَارِ الْعَقِيدَةِ الْخَارِجِيَّةِ، وَقَدْ تَنَوَّعَ الفخرُ في شعرهم بين الإعتزازِ بانتسابهم إلى الإسلامِ، وفخرٍ بالحزبِ الخارِجِيِّ وَجَمَاعَتِهِ، وفخرٍ ذاتيٍّ لَمْ يَحْتَلِّ حيزًا كبيرًا في مُدَوَّنَةِ شعرهم.

يفخرُ الخارِجِيُّ مُعْتَزًّا بِانْتِمَائِهِ إِلَى الإِسْلَامِ، وَفِي هَذَا الْبَابِ يَقُولُ "عَيْسَى بْنُ فَاتِكٍ" يُجِبُّ أَنَّ الإِفْتِخَارَ بِالْحَسَبِ لَا يُغْنِي عَنِ الْإِنْسَانِ شَيْئًا، فَالْتَّقْوَى أَسَاسُ الْحَسَبِ الْكَرِيمِ: <sup>4</sup> [الوافر]

01 أَبِي الإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا فَخَرُوا بِبِكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ

02 دَعِي الْقَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيَهُ لِيُحِقَّهُ بِذِي الْحَسَبِ الصَّمِيمِ

03 وَمَا حَسَبٌ وَلَوْ كَرَّمْتَ عُرُوقٌ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْكَرِيمُ

\* هُوَ مَالِكُ الْمَزْمُومِ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ ذُهَلٍ، كَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ، كَثِيرُ قَوْلِ الشُّعْرِ، قَدْ طَلَبَهُ الْحَجَّاجُ فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قِرَاءَةً لِلْقُرْآنِ. / يُنظر: الأصفهاني، الأغاني، (ج 18)، ص 58.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 194، 195.

<sup>2</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص 364.

<sup>3</sup> التعمان القاضي: الفرق الإسلاميّة في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1970، ص 442.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 72.

وفي سياقِ الفخرِ بالعقيدةِ الخارجيّة؛ يقول "عميرة العنبري" في حملته على جيش "المُهَلَّب" وصَرَّعه

للمغيرة ابنه، أنه على دين "أبي بلالٍ مرداس":<sup>1</sup> [الرَّجَز]

01 أَنَا ابْنُ خَيْرِ قَوْمِهِ هَالَالُ

02 شَيْخٌ عَلَى دِينَ أَبِي بِلَالٍ

03 وَذَاكَ دِينِي أَخِرَ اللَّيَالِي

وإذا ذُكِرَ الانتماءُ الحزبيُّ كانَ ذلكَ عقيدةً ودينًا لدى الخارجيّ، يقول "عبيدة اليشكري" مُصَرِّحًا

بأنه باقٍ على دينه غير مُفارقٍ لجماعته لَمَّا دعاه "سُفيانُ بنُ الأبرد" لمُبايعة "عبد الملك":<sup>2</sup> [الطَّوِيل]

01 لَعْمَرِي لَسِنٌ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعِي وَفَارَقْتُ دِينِي إِنِّي لَجَهْلُولُ

وفي إطارِ الفخرِ الدَّائِيّ يَضْرِبُ "الطَّرْمَاحُ بنُ حكيمٍ" أَسْمَى الأمثلةِ على ذلك، مُعتدًا بشجاعته

وحنكته في الحياة، وأنه ابنُ الحربِ:<sup>3</sup> [الوافر]

01 أَنَا ابْنُ الْحَرْبِ رَبَّتِي وَوَلِيدًا إِلَى أَنْ شَبْتُ وَآكْتَهَلْتُ لِذَاتِي

02 وَضَارَسْتُ الْأُمُورَ وَضَارَسْتَنِي فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ تَضْعُفْ فَنَاتِي

جماعُ القولِ في شعرِ الفخرِ عند الخوارج؛ تنوعُ موضوعاته بين الدِّيْنِيّ، العقديّ، السِّيَاسِيّ والدَّائِيّ،

وهو فخرٌ مُتْرَمٌ بقواعدِ الأخلاقِ الَّتِي تُقَرِّها الشَّرِيعَةُ وتُدافع عنها العقيدة الخارجيّة، وخالفَ في مُعظَمِهِ

المَقاييس المشهورةَ عند العربِ في الجاهليّة، فلا فخرَ بالأنساب -عدا بعضَ المقطوعاتِ للطَّرْمَاح- ولا طعنَ

في الأحسابِ ولا اعتزازَ بحميّةِ الجاهليّة، وذلك لارتباطه بواقعِ الحربِ والصِّراعِ السِّيَاسِيّ، فَقدَ كانَ الفخرُ

سِلاحَهُمُ النَّفْسِيّ ومُتَنَفِّسَهُمُ الَّذِي يُحَرِّكُون به حماسَتَهُم وصَحْبَهُم.

د- الزُّهْد: ظهرت نزعَةُ الزُّهْدِ عندَ الخوارجِ استجابةً لتعاليمِ الإسلامِ الكابحةِ للشَّهواتِ، وأمرٌ تدعو إلى

"التَّعَلُّقِ بالدِّينِيّ المجرَّدِ عِوضًا عن الدُّنيويِّ المحسوسِ، فَحَفَلَتْ حياتُهُم بالعبادةِ والتَّقشُّفِ ورَفُضَ زخارفُ

الدُّنيا، والإكتفاءُ بالقليلِ ابتغاءً مَرْضاةَ اللهِ"<sup>4</sup>، ونتيجةً لهذا الزُّهْدِ؛ أَقبَلُوا على الآخرةِ يَسْتَعجِلُونها، وفي هذا

البابِ يقولُ "قطريُّ بنُ الفُجاءة":<sup>5</sup> [الطَّوِيل]

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 111.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 114.

<sup>3</sup> ديوانُ الطَّرْمَاح: ص 57.

<sup>4</sup> أحمد مَعِيطة، الإسلامُ الخوارجيُّ، ص 99.

<sup>5</sup> إحسان عبَّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 135.

01 هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى الرَّغِيبُ ثَوَابُهَا إِذَا نَالَ فِي الدُّنْيَا الْغِنَى كُلُّ تَاجِرٍ

فالخارجي موقنٌ بأنه مهما حرصَ على الدنيا فهي فانية، يقول "عمران بن حطان" يُخْبِرُ فِي دَعْوَةِ

صريحةً بأنَّ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْحَرِصَ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ فِيهَا مَرَجَعُهُ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ سُبْحَانَهُ: <sup>1</sup> [الوافر]

01 أَرَانَا لَا نَمَلُ الْعَيْشَ فِيهَا وَأَوْلَعْنَا بِحِرْصٍ وَانْتِظَارِ

02 وَلَا تَبْقَى وَلَا تَبْقَى عَلَيْهَا وَلَا فِي الْأَمْرِ نَأْخُذُ بِالْخِيَارِ

03 وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوَارٍ سَيَأْخُذُهَا الْمُعِيرُ مِنَ الْمُعَارِ

ويُنْقَلُ "عيسى بن فاتك" مَشْهَدًا يُصَوِّرُ فِيهِ تَقْوَى الْخَوَارِجِ وَخَوْفَهُمْ مِنَ اللَّهِ، حَتَّى سَلَبَهُمْ ذَلِكَ الْفَرْعُ

النَّوْمَ: <sup>2</sup> [الوافر]

01 أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ

02 لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ أَنْبِئْ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضُّلُوعُ

03 وَخُرْسٌ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتٍ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعٌ

وفي حَرْبِ "الْأَزَارِقَةَ" مَعَ "الْحِجَاجِ" يُخْبِرُ "عَمْرُو الْقَنَا" عَنِ تَقْوَى صَاحِبِهِ وَزُهْدِهِمْ، يَقُولُ: <sup>3</sup> [الطويل]

01 لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبٌ

02 أَجَاهِدُ أَعْدَائِي إِذَا مَا تَتَابَعُوا وَأُدْعَى بِاسْمِي لِلْهُدَى فَأَجِيبُ

03 مَعِيَ كُلُّ أَوَاهِ بَرَى الصَّوْمِ جِسْمَهُ فَفِي الْجِسْمِ مِنْهُ نَهْكَةٌ وَشُحُوبٌ

يُلاحِظُ عَلَى الزُّهْدِ فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ؛ أَنَّهُ مَوْضُوعٌ حَصَبٌ مُشْبِعٌ بِالْمَعَانِي الْإِيمَانِيَّةِ، فَصَوَّرُوا بِشِعْرِهِمْ

تَعْبُدُهُمْ وَتَرْفَعُهُمْ عَنِ مِلْدَاتِ الْحَيَاةِ، فَذَاعَ زُهْدُهُمُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْقِيَمِ وَالْإِنْتِصَارِ لَهَا، وَمَا أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ؛

فَلتَكُنِ التَّقْوَى وَالْعِبَادَةُ الزَّادَ الَّذِي يَتَرَحَّلُونَ بِهِ مِنْهَا لِلْعُبُورِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهُمْ بِذَلِكَ قَدْ أَسَّسُوا لِمَذْهَبِ

خَارِجِيٍّ زُهْدِيٍّ خَاصٍّ بِهِمْ، أَسَاسُهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الْآخِرَةِ وَالْإِدْبَارُ عَنِ الدُّنْيَا.

هـ- المديح:

لَمْ يُعْرَفْ عَنِ الْخَوَارِجِ كَثْرَةُ الْمَدْحِ، فَشِعْرُهُمْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّكْسِبِ وَلَا التَّرْتُّفِ إِلَى الْحُكَّامِ، مَا جَعَلَ هَذَا

الْغُرْضَ قَلِيلًا فِي شِعْرِهِمْ، فَمَعَ خُرُوجِهِمْ عَلَى الْحُكَّامِ قَامُوا كَذَلِكَ ضِدَّ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَمِنْهَا الْكُذْبُ، فَلَا

يَمْدُحُونَ إِلَى صِدْقًا، فَكَانَ مَدْحُهُمْ كُلُّهُ فِي إِطَارِ عَقِيدَتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمُ الشُّرَاةِ، وَحَتَّى إِنْ كَانَ الْمَدْحُ خَارِجًا عَنِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 172.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 70.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 102.

جماعتهم؛ فهم يمدحون بما شهدوا من خصال تستوجب المدح، يقول "مُنِيرُ بْنُ صَخْرِ الرَّاسِيِّ" يمدح "بني عقيل" لإغاثتهم وإجارتهم له من "عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ"، يُرِيدُ بذلك ردَّ الحَمِيلِ: <sup>1</sup> [الطَّوِيل]

01 وَجَارُ عَقِيلٍ لَا يَخَافُ هَضِيمَةً يَحِلُّ نَجَاةً عَنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ

02 تَرَى جَارَهُمْ فِيهِمْ كَرِيمًا وَضَيْفُهُمْ مَنِيعًا أَمِنَّا لِلْفَوَائِلِ

وما يُمَيِّزُ مديحهم أيضًا، أَنَّهُ تَخَلَّى عَنْ وَظِيفَتِهِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَاهْتَمَّ بِالدَّعْوَةِ الْخَارِجِيَّةِ، وَتَصْوِيرِ شَجَاعَةِ الْخَوَارِجِ فِي حُرُوبِهِمْ، يَقُولُ "أَحَدُ الْخَوَارِجِ" يُنْبِئُ عَلَى الشُّرَاةِ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ لِلْحَرْبِ، يَصِفُ حَالَهُمْ وَهُمْ يَرِدُونَ غِمَارِ الْوَعْيِ: <sup>2</sup> [الكَامِل]

01 وَهُمْ الْأَسْوَدُ لَدَى الْعَرِينِ بَسَالَةً وَمِنَ الْخُشُوعِ كَأَنَّهُمْ أَحْبَارُ

02 يَمْضُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْعَلَا مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتَبْشَارُ

03 يَرِدُونَ حَوْمَاتِ الْحِمَامِ وَإِنَّهَا تَالَلَهُ عِنْدَ نُفُوسِهِمْ لَصَغَارُ

ويُثْنِي "الطَّرْمَاحُ" عَلَى حُسْنِ عِبَادَةِ الشُّرَاةِ وَخَوْفِهِمْ مِنْ عَظِيمِ عَذَابِ اللَّهِ، يَقُولُ: <sup>3</sup> [الْمَنْسَرِح]

01 اللَّهُ دَرُّ الشُّرَاةِ إِنَّهُمْ إِذَا الْكَرَى مَالٍ بِالطَّلَى أَرْقُوا

02 خَوْفًا تَبَيَّتْ الْقُلُوبُ وَاجْفَاءً تَكَادُ عَنْهَا الصُّدُورُ تَنْفَلِقُ

03 قَوْمٌ شَحَاحٌ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ بِالْفُوزِ مِمَّا يَخَافُ قَدْ وَثَقُوا

يُلاحِظُ عَلَى الْأَغْرَاضِ الشُّعْرِيَّةِ عِنْدَ الْخَوَارِجِ؛ أَنَّهُمَا تَدُورُ فِي حَقْلِ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْخَارِجِيَّةُ وَالْإِنْسَانِ الْخَارِجِيَّ، حَيْثُ تَسْتَحُوذُ قَضِيَّتَا التَّحْكِيمِ وَالشُّرَاةِ وَالخُرُوجِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي جَاءَ لِأَجْلِهَا شِعْرُهُمْ، وَالخَوَارِجُ كَأَصْحَابِ عَقِيدَةٍ لَهَا خُصُوصِيَّتُهَا الْفِكْرِيَّةُ؛ "لَمْ يَعْتَنُوا بِالْقِيَمِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي أَرْسَاهَا أَسْلَافُهُمْ وَحَرِصَ عَلَيْهَا مُعَاصِرُهُمْ"<sup>4</sup>، وَسَبَبُ عَدَمِ الْإِهْتِمَامِ بِهَذِهِ الْأَغْرَاضِ وَتَبَيُّ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ؛ كَثْرَةُ حُرُوبِهِمْ وَصِرَاعَاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ، وَمَنْهَجُهُمُ الْعَقْدِيَّ الَّذِي قَامَ عَلَى نَبَذِ الْكُذِبِ وَالتَّرْتُّفِ إِلَى الْحُكَّامِ، مَا جَعَلَ أَغْرَاضَهُمُ الشُّعْرِيَّةَ الْفِرْعَوِيَّةَ وَإِنْ تَشَابَهَتْ فِي الْمُسَمِّيَّاتِ؛ لَكِنَّ الْمَضْمُونِ مُخْتَلَفٌ، فَلَا هِجَاءَ مَقْدَعًا، وَلَا مَدْحَ كَاذِبًا وَلَا رِيَاءَ فِي الرَّهْدِ، وَلَا فَخْرَ بِأَحْسَابٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وَتِلْكَ سِمَاتُ التَّفَرُّدِ فِي شِعْرِهِمْ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 78.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 257.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 265.

<sup>4</sup> أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، ص 215.

ثالثاً- خصائص شعر الخوارج:

### 01. ضياع الكثير من شعرهم:

منّ المعلوم أنّ الخوارج - منّ المغضوب عليهم - عند حُكّام بني أميّة ومنّ جاء بعدهم، وهم كفئةٍ سياسيّةٍ لاقت كلّ أنواع الضّغطِ والتّشكيلِ والتّحذيرِ منّ مُعتقداتهم؛ لمّ يحظّ أدبهم بكثيرِ اهتمامٍ في تلك الفترة، فهُم في نظر "العلماء والخلفاء خارجون مُفارقون للجماعة، لذلك لمّ يسلم أدبهم من هذه الحملات التي تُشوّه سيرتهم وأدبهم، فخضع الكثير منه للإهمال والإزدراء"<sup>1</sup>، ولعلّ السبب الأبرز في عدم انتشار شعرهم؛ غيابُ رِوَاةٍ يتناقلونه ويُشيدونه، ومُؤرّخين يُدوّنون أخبارهم - على غرار بعض الأخبار المُتناثرة في بعض الكتب -، فالرِوَاة والمُؤرّخون: "عندما يدور الكلام على شخصيّة من شخصيات الخوارج الأدبيّة أو العسكريّة أو على معركة من معاركهم؛ يُتبعون كلامهم بجملة "عنهم الله" - في الغالب -"<sup>2</sup>، أو يقولون: "عن عقائدهم أنّها ذات أصولٍ فاسدةٍ وباطلة"<sup>3</sup>، ما يُثير في النفس الخوفَ والإرتيابَ، وبذلك يُتجنب الحديث عن شعرهم، وتداوله.

جُمْلُ القول: إنّ ما بعث الناس على اختلاف مشارهم من عدم تداول شعر الخوارج وتناقله؛ اعتباره خروجاً على ولاة الأمر - قضيةً دينيّةً -، وخوف الناس من تهديدات الخلفاء، والسبب الأهم؛ عدم تناقل الرِوَاة والمُؤرّخين لأخبارهم وأدبهم، وعدم الاهتمام به في عصر التدوين، فلا يمكن أن تصل معرفة أخبار عصر ما، دون مؤرّخ يُؤصل وينقل لك أخبار تلك الحقبة وأدبها.

### 02. الوحدة الموضوعيّة:

قدّما؛ يُعدّ الشاعِرُ مُجيداً إذا "سلك الأساليب المتنوّعة داخل النصّ الواحد"<sup>4</sup>، فترى الشاعِرَ منهم يُوجع الموضوعات داخل قصائده، بل وقد تحوي القصيدة الواحدة عدّة مواضيع من: غزل، مديح وذكّر للديار، لكنّ شعراء الخوارج قد تخلّصوا من هذه الأغراض الشائعة في قصائدهم، والتزموا في نُصوصهم الموضوع الواحد، والذي يدور في أغلبه حول عقيدتهم وآرائهم السياسيّة، وتنبع هذه الوحدة داخل نُصوصهم من «كُون الشعر الخارجيّ صادراً عن نهجٍ فكريّ واحدٍ يُنظّم العقيدة الخارجيّة، ويوجّه مُراسات أفراد الخوارج"<sup>5</sup>، فلموث عند

<sup>1</sup> علي جفّال، الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1990، ص 80.

<sup>2</sup> يُنظر: المرجع نفسه: ص 81.

<sup>3</sup> عبد الرّحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص 172.

<sup>4</sup> عبد الله الدّنوري (ابن فُتَيْبة)، عيُونُ الأخبار، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1930، ص 75.

<sup>5</sup> أحمد معيطة، الإسلام الخوارجيّ، ص 143.

الخوارج مثلاً واحداً، وحدثهم عنه لغاية الشهادة، ومن الأمثلة على تَبَنِّي الوحدة الموضوعية في شعرهم، نأتي بقصيدة مطوّلة لـ: "عمرو بن الحُصَيْن" يرثي فيها "أبا حمزة" وصحبه من الشُّرَاة، يقول فيها: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 هَبَّتْ فَبَيْلَ تَبْلُجِ الْفَجْرِ      هِنْدٌ تُقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي  
02 إِذْ أَبْصَرْتَ عَيْنِي وَأَدْمَعُهَا      يَنْهَالُ وَاكْفُهَا عَلَى النَّحْرِ  
03 أَنَّنِي اعْتَرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا      سَرِبَ الدُّمُوعُ، وَكُنْتَ ذَا صَبْرِ  
04 أَقْدَى بِعَيْنِكَ مَا يُفَارِقُهَا      أَمْ عَاثِرٍ أَمْ مَالَهَا تَنْذِرِي  
05 أَمْ ذَكَرُ إِخْوَانٍ فُجِعْتَ بِهِمْ      سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ عَلَى قَدَرٍ

هذه المقطوعة من قصيدة تحوي خمسة وخمسين بيتاً، جاءت كلها حُمةً واحدة، موضوعها "رثاء البطل الخارجي"، يصف فيها الشاعر صحبه وصفاً معنوياً (العفة، الخشوع والتعبُد..)، وما لهذا الوصف من أثر في القلوب، فالقصيدة الخارجية "لم تعد إلا شكلاً من الإيمان الذي يُغلف كل موضوعات أدبهم وأفكارهم وخواطيرهم"<sup>2</sup>، لكن قد تتجلى في بعض القصائد مُقدّمات غزليّة مثلاً، وهذه الأخيرة وإن امتزجت بنص الشعر الخارجي؛ فهي افتتاحية وشحنة لانطلاقاً حماسية يُخبر فيها الشاعر عن شجاعته وطولاته في ضرب خصومه ودخضهم، كما في قول "قطري بن الفجاءة":<sup>3</sup> [الطويل]

- 01 لَعْمُرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ      وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقُ أَمْ حَكِيمٌ  
02 مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا      شِفَاءً لِذِي بَثٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ  
03 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ      طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ دَمِيمٍ

03. البعد عن التقليد:

لم يترسّم الخوارج طريق القدامى في بناء قصائدهم، فسأقتهم "أصالتهم إلى التجديد في الشكل، فكأنوا أسبق من فحول الشعراء الذي حملوا لواء التجديد في صدر العصر العباسي، فاستغنوا عن المُقدّمة الطلّية في استفتاح قصائدهم"<sup>4</sup>، عدا بعض التقديم في مقطوعات لا تتجاوز الخمس، وتحرّروا من تقاليد بعض الجاهليين في أشعارهم، كمخاطبة الإثنين، ووصف الرّاحلة، والحديث عن المُنادمة والخمر والبكاء على الأطلال.

<sup>1</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 247-251.

<sup>2</sup> علي جفّال: الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، ص 91.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 120، 121.

<sup>4</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص 381.

#### 04. البُعدُ عن التَّكسُّب:

اتَّسَمَ شعراءُ الخوارجِ بنباتِ الكلمة، فكانَ شعْرهم يَسْتَنهضُ الهَمَّ ويُقوي العزائمَ، وغايَتُهُمُ الأَسْمَى التي خَرَجُوا لأجلِها؛ مَنَعْتُهُمُ مِنْ أَنْ يُهَانُوا أو يُسْتَعْلُوا، ما جَعَلَ الخارجيَّ يَتَعَدُّ عن التَّدَلُّ وإِراقةِ ماءِ الوَجْهِ، وَيَرْتَبُّ مِنْ أَنْ يَقُولَ لِيُعْطَى، أو يَكْذِبَ لِيُجْزَلَ لَهُ العَطَاءُ، وفي هذا البابِ مثلاً، يقولُ "عِمْرانُ بْنُ حِطَّانٍ" مُؤاخِذاً "الْفَرَزْدَقَ" وينهاهُ عن سؤَالِ العبادِ والتَّوجُّهِ بسؤَالِهِ لربِّ العبادِ: <sup>1</sup> [الخَفِيف]

01 أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى      إِنَّ لِلَّهِ مَا بِيَايِدِي الْعِبَادِ

02 فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ      وَأَرْجُ فَضْلَ الْمُقْسِمِ الْعَوَادِ

03 لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ      وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

#### 05. مِنْ حَيْثُ بَنِيَّةُ الْقَصِيدَةِ:

النَّسَقُ الغالبُ على بَنِيَّةِ المقطوعاتِ/ القصائدِ في شعر الخوارجِ؛ الدُّخُولُ المُباشِرُ في صُلبِ المَوْضوعِ المَطْرُوحِ، مع تَحَرُّرٍ مِنْ قِيُودِ القَصِيدَةِ القَدِيمَةِ، فَشِعْرُهُمْ فَنِيٌّ ذُو تَجَارِبٍ واقِعِيَّةٍ، مُتَنَوِّعَةٌ مَوْضُوعَاتٍ شِعْرُهُمْ بَيْنَ بَطُولَةٍ، حَرْبٍ، شَهَادَةٍ، قَتْلِ وَهْجَاءٍ، وَتَعَلُّبٍ على قِصائِدِهِمُ البُحُورِ الشَّعْرِيَّةِ القَدِيمَةِ، وَأَشْهَرُهَا اسْتِعْمالاً "بِحَرْبِ الطَّوِيلِ"، أَمَّا القَافِيَةُ فِجَاءَتْ في مُعْظَمِهَا: "قَافِيَةٌ مُطْلَقَةٌ"، ما يُشِيرُ إلى "حَالَتِهِمُ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَتَّسِمُ بِالبِساطَةِ، الخَالِيَةِ مِنْ كُلِّ تَعْقِيدٍ، فَهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ صَنَعَةٍ شِعْرِيَّةٍ، فَكانتِ القَوافي مِنْ التَّوَعِ السَّهْلِ البَسِيطِ"<sup>2</sup>، أَمَّا أَلْفاظُ شِعْرُهُمْ؛ فَسَهْلَةٌ بَسِيطَةٌ—إِلَّا ما نَدَرَ—واضحةُ المَعاني والأفكارِ، بَيِّنَةٌ أنماطُ قِصائِدِهِمْ في أَغْلِيبِها على النَّمطِينِ السَّرْدِيِّ والوَصْفِيِّ، وتلكِ القِصائِدُ تَعَلُّبٌ عَلَيْها الأراجيزُ بِنسبَةٍ عالِيَةٍ، مع قَلَّةٍ في القِصائِدِ، فَمِنْ إجمالِيٍّ ما ذُكِرَ في المَدُونَةِ؛ نَجْدُ أَنْ أربَعَةً وخَمْسِينَ شاعراً لَمْ يَتَجَاوَزِ القَصِيدَةَ الوَاحِدَةَ، ولعلَّ السَّبَبُ في عَدَمِ الإِكْتِثارِ؛ أَوْضاعُهُمُ الَّتِي يَعيِشُونُها، وَخُرُوبُهُمُ الدَّائِمَةُ، وَفِرارُهُمْ مِنْ مَكَانٍ لآخِرَ.

جاءتِ القِصائِدُ الخارجِيَّةُ في دِيوانِ "إِحسانِ عَبَّاسٍ"—في مُعْظَمِها—إمَّا تُنْتَفَا أو مَقْطُوعَاتٍ قَصِيرَةٍ،

وَدُونِكَ وَصَفًا لِلْمَدُونَةِ:

<sup>1</sup> إحسان عَبَّاسٍ: ديوانُ شعر الخوارجِ، ص 176.

\* وهي "القافيةُ الَّتِي يَتَحَرَّكُ آخِرُ الرَّوِيِّ فِيها، وَقَدْ يُوصَلُ رَوِيُّها بِحَرْفِ مَدٍّ: أَلْفاً أو وَاوًا أو ياءً، وَقَدْ يُوصَلُ الرَّوِيُّ بِهاءٍ./ ينظر: كامل السَّيِّدِ شاهين، اللَّبابِ في العَروضِ والقافية، دارِ الجُمهوريَّةِ لِلصحافةِ، مِصرَ، (د ط)، 2009، ص 235.

<sup>2</sup> عَزَّوَزُ زَرْقان، الحَسينِ سِياسِي: الخوارجُ في شِعْرِهِمْ—أهمُّ القِضايا والطَّواهِرِ الفِنيَّةِ—دراسةٌ نَقديَّةٌ، البدرِ السَّاطِعِ، العِلْمَةُ، الجِزائِرِ، (ط 1)، 2017، ص 227.

المقطوعات والقصائد	أيام عليّ	أيام معاوية ويزيد	أيام عبد الملك	ما بعد عبد الملك	=
البيتُ التيمّم	03	11	30	12	56
القطع ذاتُ البينين	04	04	21	13	42
القطع ذاتُ الثلاث	03	10	22	16	51
القطع ذاتُ الأربع	02	05	20	04	31
القطع ذاتُ الخمس	01	04	07	12	24
القطع ذاتُ الستّ	/	02	05	06	13
القصائد*	02	08	33	12	55
الأراجيز	07	02	21	14	44
إجماليّ المقطوعات والقصائد	22	58	159	87	316

## 06. جزالة الأسلوب وقوّته:

امتاز أسلوبُ الخوارج في بناء خطابهم بالقوّة والجزالة، فقد كانوا بعيدين عن الحضارة وفسادها بما لا يسمّح للسانهم بأن تشوبه العجمة، فقوّة اللّغة عندهم تُقابل قوّة السيف، وما زاد "اللّغة استواءً حتّى صارت طيّعةً بين أيديهم؛ حفظهم للقرآن ولشعر العرب"<sup>1</sup>، ومن أبرز شعراء الخوارج "علماً بالشعر واللّغة؛" "الرّهين المرادي" و"عمران بن حطّان"، وكذلك القرآن والآثار والسير والغريب"<sup>2</sup>.

فأدبُ الخوارج -عموماً- كانَ جديداً في موضوعاته، إذ يدور "حول ما جاء به الإسلام من تعاليم، مُتغذياً بأصوله الفلسفيّة السّياسيّة والدينيّة، وكانَ جديداً في معانيه التي استُقيت في مجملها من القرآن وأحاديث الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وكانَ جديداً أيضاً من حيث الغاية؛ الجهاد في سبيل الله وإقامة الحُكم الصّالح بين العباد"<sup>3</sup>، فشعراء الخوارج -بلا ريب- أهلُ فصاحةٍ وطلاقةٍ لسانٍ، فقرّض الشعر عندهم أصلٌ يجري في عُروقهم، وليس أدلّ على حُسن اختيار ألفاظهم وصياغتها الرّصينة من هذه الرّواية التي أوردتها

\* القصيد: "هي الأبيات المنظومة على رويّ واحدٍ، بحيث لا تقلّ عن سبعة أبيات، وهو ما اعتمده وقرّره ابنُ رشيق القيرّواي". / يُنظر: محمّد قلجعي، معجم لغة الفقهاء، دار النّفّاس، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1985، ص 365. بتصرّف.

<sup>1</sup> عليّ جفّال، الخوارج -تاريخهم وأدبهم-، ص 93.

<sup>2</sup> أبو العبّاس محمّد بن يزيد المُبرّد: الكامل في اللّغة والأدب، تح: صلاح الهواري، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (ط 1)،

1998، (ج 3)، ص 232.

<sup>3</sup> عليّ جفّال، الخوارج -تاريخهم وأدبهم-، ص 94.

"أبو الفرج الأصفهاني" (284 هـ - 356 هـ)، قال: "إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَالَ يَوْمًا: لَقَدْ أَحْسَنَ بِنَا عِمْرَانَ بِنُ حِطَّانَ حَيْثُ لَمْ يَأْخُذْ فِيمَا أَخَذْنَا فِيهِ، لَوْ أَخَذَ فِيمَا أَخَذْنَا فِيهِ لَأَسْفَطْنَا، يَعْنِي لِحُجُودَةِ شِعْرِهِ وَحِدَّةِ عَوَاطِفِهِ"<sup>1</sup>، وهذه شهادة شاعرٍ فحلِّ مِوَالٍ لِحُكْمِ بَنِي أُمَيَّةَ، يُفْتَرُ فِيهَا بِرَاعَةٌ نُمُودَجٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْخَوَارِجِ، مَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ شِعْرِهِمْ وَأَصَالَتِهِ.

## 06. شِعْرُ حِمَاسِيٍّ:

شِعْرُ الْحِمَاسَةِ مِنْ أَبْوَابِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَمَوْضُوعَاتِهِ، يُحْتَفَى فِيهِ "بِالْإِشَادَةِ بِأَجَادِ الْأَقْوَامِ وَانْتِصَارَاتِهِمْ فِي الْحُرُوبِ، وَالْحِقْدِ الْبَالِغِ عَلَى الْخُصُومِ، وَالتَّغْنِيِ بِالْمَثَلِ الرَّفِيعَةِ، وَكَثِيرًا مَا يَرْتَبِطُ بِوَصْفِ الْحُرُوبِ وَالْإِشَادَةِ بِشِجَاعَةِ الْفُرْسَانِ وَحَثِّهِمْ عَلَى الْإِقْدَامِ وَالْقِتَالِ"<sup>2</sup>، وَشِعْرُ الْحِمَاسَةِ يَأْتِي بَعْدَ الرِّثَاءِ فِي مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الْخَوَارِجِ، فَهُوَ شِعْرٌ ثَوْرِيٌّ تُرَافِقُ فِيهِ السُّيُوفُ الْأُرُوحَ فِي الْمَعَارِكِ، شِعْرٌ يَسْتَعْدِبُ الْمَوْتَ غَيْرَ أَبِيهِ بِالْحَيَاةِ، إِذِ الْغَايَةُ الَّتِي يَنْشُدُونَهَا؛ الْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِذَلِكَ لَمْ يَثْمُ شِعْرُهُمْ عَلَى الْعَصْبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ وَالْأَخْذِ بِالتَّأْرِ، وَإِنَّمَا هِيَ عَصْبِيَّةٌ دِينِيَّةٌ سِيَاسِيَّةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ "قَطْرِيٍّ بِنِ الْفُجَاءَةِ" يَمْدُحُ الْمُسْرِعِينَ إِلَى سَاحَاتِ الْوَعْيِ الْخَائِضِينَ غَمْرَاتِ الْمَوْتِ يَبْعُونَ الثَّوَابَ، مَا يَحْمَلُ صِدْقًا فِي الْعَاطِفَةِ وَدَقَّةً فِي التَّصْوِيرِ وَبِرَاعَةً فِي الْأَسْلُوبِ:<sup>3</sup> [الطَّوِيل]

- 01 وَرُبَّ مَصَالِيْتٍ نَشَاطٍ إِلَى الْوَعْيِ سَرَاعٍ إِلَى الدَّاعِي كِرَامِ الْمَقَادِمِ  
02 أَخْضَتْهُمْ بَحْرَ الْحَمَامِ وَخُضَّتُهُ رَجَاءَ الثَّوَابِ لَا رَجَاءَ الْمَغَانِمِ  
03 فَأُبْنَا وَقَدْ حُزْنَا الثَّوَابَ وَلَمْ نُرِدْ سِوَى الْمَوْتِ غُنْمًا وَابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ

## 07. شِعْرٌ مُلْتَزِمٌ:

لَمْ يَعْرِفِ الْأَوَائِلُ الْإِلْتِزَامَ بِمَفْهُومِهِ الْحَدِيثِيِّ، وَإِنَّمَا هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي جَعَلْتَهُمْ يَتَبَنَّوْنَ قَضَايَا الْأُمَّةِ وَيُدَافِعُونَ عَنْهَا، فَكَانَ "شِعْرُ الْخَوَارِجِ تَعْبِيرًا تَلَقَائِيًّا عَنِ الْمَشَاعِرِ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا نُفُوسُهُمْ، فَانْطَلَقَتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ تُعَبِّرُ عَمَّا تُكِنُّهُ الْأَفئِدَةُ الصَّادِقَةُ"<sup>4</sup>، فَالتَّزَمُوا بِقَضِيَّتِهِمْ أَسَاسِ خُرُوجِهِمْ، فَدَافَعُوا عَنْ عَقِيدَتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَأَحْلَامِهِمْ فِي بِنَاءِ أُمَّةٍ -حَسْبِهِمْ- يَسُودُهَا الْعَدْلُ، فَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ صَادِقَةً، مُنَدِّدَةً بِالْحَرِيَّةِ الَّتِي سُلِبَتْ مِنْ الْأُمَّةِ، وَالْمُسْتَقْرَى لِشِعْرِ الْخَوَارِجِ يَجِدُ الْإِلْتِزَامَ قَدْ تَجَسَّدَ بَعْدَ الدِّفَاعِ عَنْ مُعْتَقِدِهِمْ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي تَطَّرَقُوا إِلَيْهَا، مِنْ شَهَادَةِ وَحُرُوبٍ وَشِجَاعَةِ وَرثَاءِ الْأَبْطَالِ وَظُلْمِ الْوُلَاةِ لَهُمْ، وَالتِّي وَصَفُوا بِهَا مُعَانَاتَهُمْ وَاضْطِهَادِ السُّلْطَةِ

<sup>1</sup> أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، (ج 16)، ص 155.

<sup>2</sup> مجدي وهبة، كامل المهندس: مُعْجَمُ الْمَصْطَلِحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، مَكْتَبَةُ لُبْنَانَ، (د ط)، 1984، ص 153.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 133.

<sup>4</sup> عزّوز زرقان، الحسين سياسي: الخوارج في شعرهم، ص 67.

لهم (خلفاء بني أمية)، ما يجعله التزامًا مرتبطًا بالصراع السياسي والمذهبي في تلك الفترة، وبهذا يكون شعراء الخوارج قد انغمسوا في الحياة العامة، وشاركوا مجتمعاتهم ومشكلاتهم وعالجوها في أشعارهم، ولم يجيدوا عن الأهداف السامية التي سطرّوها في الدفاع عن فكرهم ومعتقدهم، وعليه يمكن القول: إن الخوارج أصحاب مدرسة الالتزام في فن الشعر، التزام "لم يعرف ولم يؤلف عند معاصريهم من شعراء الفرق الإسلامية الأخرى، كما لم يؤلف عند الشعراء السابقين، وبذلك يكون لشعراء الخوارج قصب السبق والريادة في هذا السبيل"<sup>1</sup>.

## 08. شعر صادق:

لقد بلغت شهرة الخوارج الحدّ البعيد، وصدّتهم جاء لسلامة العقيدة التي تنبذ الكذب، بل يعدونه من الكبار، فقد كان "مذهب الخوارج تكفير الكاذب، وذلك ما جعل الكذب فيهم قليلاً"<sup>2</sup>، ويُذكر أن "عبد الملك بن مروان" اجتمع مع عدد من الشعراء، فقال لهم: "أبقي أحد أشعر منكم؟ فقالوا: لا. فقال الفرزدق: كذبوا يا أمير المؤمنين، قد بقي من هو أشعر منهم. قال: من؟ قال: عمران بن حطان. قال: وكيف؟ قال: لأنه قال وهو صادق ففاقهم، فكيف لو كذب كما كذبوا"<sup>3</sup>، يعني بذلك مدح الخلفاء لأجل الأعطيات، وبتحنب الخوارج الكذب وتبذره؛ فقد عدّهم أهل رواية الحديث من أصدق أصحاب الأهواء حديثًا، فقد نقل "ابن حجر العسقلاني" (-582 هـ) عن "أبي داؤود" (202 هـ - 275 هـ) صاحب "السنن" قوله: "ليس في أهل الأهواء أصح حديثًا من الخوارج"<sup>4</sup>، ومن المعلوم أن أصحاب الحديث أشدّ الناس تحريًا وتبئًا في الثقل عن الرجال، ولعل سبب أخذ الحديث عنهم؛ تحاشي الخوارج الكذب وتكفيرهم لفاعله، وانعكست صفة الصديق على أدبهم، فجعلت له نعمًا خاصًا له قوته وأثره في النفوس.

## 09. اصطبغ شعرهم بالقرآن:

لقد كان لتدوين الخوارج بالغ الأثر في الانعكاس على أدبهم، نثره وشعره، وكان القرآن عنصرًا حيًا "قوي الأثر في حياتهم، استشهدوا بآياته في تأييد وجهات نظرهم وتمثّلوا به في أحوالهم المختلفة، فلا تكاد تقرأ لأديب خارجي نثرًا / شعرًا دون أن تلحظ الأثر القوي للشعور الديني في آثاره وتضمينه لأيّ الذكر الحكيم داخل خطابه"<sup>5</sup>، فكان التأثير بلغة القرآن وأسلوبه كثير الحضور في أشعارهم من خلال التضمين

<sup>1</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأموي، ص 379.

<sup>2</sup> محمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، رئاسة البحوث العمليّة، الرياض، السعوديّة، (د ط)، 1404 هـ، ص 87.

<sup>3</sup> علي جفال، الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، ص 107.

<sup>4</sup> ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، (ج 8)، ص 127.

<sup>5</sup> سهير قلماوي: الخوارج في العصر الأموي، ص 41.

الكامل للعديد من آي الذكر الشريف، وهي كثيرة في الديوان\*، ومن ذلكم: قول "عيسى بن فاتك"<sup>1</sup>:  
[الوافر]

01 هُمُ الْفَيْئَةُ الْقَلِيلَةُ غَيْرَ شَكِّ عَلَى الْفَيْئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ  
وهذا القول تأثر بقوله سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُطُئُونَ أَنفُسَهُمْ يَسَاءَ مَا يُلْقُوا لِلَّهِ كَمَ مِنْ فَيْئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَيْئَةٌ كَثِيرَةٌ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة 249، ومن الأمثلة، قول "عمران بن حطان"<sup>2</sup>: [المُنْسَرِح]

01 أَمَ مَنْ تَلَطَّى عَلَيْهِ مَوْقِدَةٌ النَّارِ مُحِيطٌ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

02 أَمَ أَسْكُنُ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْأَبْرَارُ مَصْفُوفَةً نَمَارِقُهَا

فالملاحظ على ألفاظ وتراكيب هذين البيتين؛ احتوائها تضمينات مع عدد من آي القرآن، وهي على التتابع: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾<sup>(١٦)</sup> الليل 14، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾<sup>(٢٩)</sup> الكهف 29، وقوله تعالى شأنه: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً﴾<sup>(١٥)</sup> الغاشية 15.

بعد استعراض شعر الخوارج وأهم موضوعاته والأغراض الشعرية التي قيل لأجلها وخصائصه الفنية؛ نجد أن اللعنة كما حلت على الخوارج كفرقة، حلت على أدبهم، فاضطهدهم الرواة والمؤرخون وأهملوا نتائجهم الأدبي شعراً ونثراً، فلم يُعَنَّ بشعرهم كما اعتنيت بشعر باقي الفرق التي ظهرت في زمانهم، فكيف يُفسَّرُ إذاً وصول أشعار الشيعة بكثرة، بينما وصل شعر الخوارج مُتَنَاطِراً بين طيات بعض الكتب، ومع ذلك، فما وصل من أشعارهم على قلته؛ ينمُّ على قدرة عالية ومملكة شعرية لم تكن عند معاصريهم، فهو شعرٌ مُلتزمٌ بموضوعات العقيدة الخارجية، أغراضه متنوعة، أساسها الدفاع عن آرائهم العقديَّة والسِّيَاسِيَّةِ، هو شكلٌ وحيٌّ المَبْنَى، مُتَعَدِّدُ المعنى.

\* جاء شعر الخوارج مُتَضَمِّناً بكثرة العديد من ألفاظ القرآن وتراكيبه. يُنظر على سبيل المثال الصفحات: 76، 77، 101، 125، 141، 168، 169.

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 68.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 188.

## خلاصة الفصل:

بعد تتبع الخوارج تاريخيًا والحديث عن نشأتهم ومعتقداتهم، وإبراز خصائص شعرهم؛ خلصت إلى النتائج الآتية:

1. الخوارج؛ أول الفرق الإسلامية ظهورًا في التاريخ.
2. الصحابة كلهم عدول ثقات، وحقيقة الخلاف بينهم كان سياسيًا.
3. شعر الخوارج وثيقة تاريخية تعكس الفكر السياسي في تلك الحقبة.
4. جدّد الخوارج في أغراضهم الشعرية وموضوعاتهم الخطابية.
5. رؤية الخوارج واحدة، وشعرهم وُظفَ خدمةً لقضيتهم.
6. شعر الخوارج سياسي، ثوري، مذهبيّ وملتزم.
7. شعر الخوارج وحيز المبنى، متعدّد المعنى.

بعد تتبع الخوارج تاريخيًا والحديث عن نشأتهم ومعتقداتهم، وإبراز خصائص شعرهم، واستكمالاً لما تقدّم من تناول شعر الخوارج دراسةً وتطبيقًا، يأتي الفصل الإجرائي الأول تحت عنوان: الإشارات المقامية ومرجعيتها الخطابية في شعر الخوارج، مبيّنًا نجاعة هذه الإشارات في استجلاء مقاصد شعراء الخوارج، مع بيان كيفية استثمار هذه الآلية في فهم وتأويل الرموز اللغوية للخطاب الخوارجي.

## الفصل الثاني: الإشارات المَقَامِيَّةُ ومَرَجِعِيَّتُهَا الخَطَابِيَّةُ فِي شِعْرِ الخَوَاجِ

### توطئة

#### المبحثُ الأوَّلُ: الإشاراتُ مبحثٌ تداوليٌّ

أولاً: مفهومُ الإشاراتِ وتحديدُ أنواعها

01. الإشاراتُ لغةً واصطلاحاً

02. أنواعُ الإشاراتِ

ثانياً: تسمياتُ الإشاراتِ

ثالثاً: مُصطلحُ الإشاراتِ عند العرب

01. مُقابلاتُ الإشاراتِ عند العرب

02. أهميَّةُ الإشاراتِ

#### المبحثُ الثاني: المَرَجِيعِيَّةُ الخَطَابِيَّةُ للإشاراتِ

أولاً: الإشاراتُ الشَّخْصِيَّةُ (*Personnel Deictics*)

01. الضَّمائر

02. الأسماءُ الموصولة

ثانياً. الإشاراتُ الإجماعيَّةُ (*Le Deixis Mémoirelle*)

ثالثاً. الإشاراتُ المكانية (*Spatial Deictics*)

01. أسماءُ الإشارة

02. ظروفُ المكان (المُختَصَّة والمُهممة)

رابعاً. الإشاراتُ الزمانيَّةُ (*Temporal Deictics*)

01. ظروفُ الزمان (المُهممة وغير المُهممة)

02. الزَّمَنُ النَّحْوِيُّ (الأفعال)

## توطئة:

تعدُّ لغة الخطاب الشعريّ عند الخواج أداةً تواصلٍ نفعيٍّ بنوا عليه جملةً من الأهداف، فخطابهم يتَّسم بالواقعيّة، وقد حوت خطاباًهم العديد من المباحث ذات الأهميّة الكبيرة في اللسانيّات التداوليّة، ومن جملة هذه المباحث؛ الإشارات/المشيريات، والتي يقول فيها "بار هيليل" (*Joshua Bar-Hillel*): "إنَّ لِلعبارات الإشاريّة أهميّة بالغة في سياق التّواصل اللّسانيّ، وأنَّ أكثر من تسعين بالمائة من التّلفّظات التي نطقُ بها في سياق حياتنا اليوميّة هي تلفّظات إشاريّة"<sup>1</sup>، ولقد عدَّ جمع من الباحثين الإشارات "مكوّناً لسانياً تتغيّر إسهاماته الدلاليّة بتغيّر سياق التّلفّظ بقصد إنجاز وظيفة إحصاليّة معيّنة"<sup>2</sup>، ما يعني إنّها تعتمد اعتماداً تامّاً على السياق الذي يتمُّ إنتاجها فيه، ولا يُمكن إنتاجها أو تفسيرها بمعزلٍ عنه.

والإشارات كمبحثٍ تداوليٍّ تهتمُّ مباشرةً بالعلاقة بين التّركيب اللّغويّ والسياق المُستعمله فيه، ما يعني إنّها تبحث في كلّ العناصر اللّغويّة التي تُحيلُ مباشرةً على المَقام من حيث وجود الدّات المُتكلمة أو الزّمن أو المكان، وسيستقطُّ الفصلُ الإشارات على لغة الخطاب الشعريّ عند الخواج، وذلك باختيار نماذجٍ للإجراء/التّطبيق والتّحليل، وبَيان:

- أبرز أنواع الإشارات استعمالاً في شعر الخواج؟
- كيفيّة تعبير الخواج عن ذاتهم وأهدافهم؟
- طريقة إسهام الإشارات المقاميّة في عمليّة التّواصل؟
- طيّعة الإشارات الموظّفة في شعر الخواج؟

<sup>1</sup> يوسف السيساوي: الإشارات: مقارنة تداوليّة، كتاب التداوليّات علم استعمال اللّغة، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، (ط 1)، 2011، ص 441.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصّفحة نفسها.

المبحث الأول - الإشارات مبحث تداولي:

أولاً - الإشارات: مفهومها وأنواعها:

01. حدُّ الإشارات:

1. لغة: تندرج الإشارات/ المُشيرَات تحت الجذرين اللغويين لمادتي: (أشَر) و(بَهَم)، جاء في "لسان العرب": "شَ وَ رَ، أَي: أَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ كَذَا، أَي: أَمَرَهُ بِهِ، وَأَشَارَ الرَّجُلُ إِشَارَةً، إِذَا أَوْمَأَ بِيَدَيْهِ، وَيُقَالُ: شَوَّرْتُ إِلَيْهِ بِيَدِي وَأَشَرْتُ إِلَيْهِ، أَي: لَوَحْتُ وَأَحْتُ إِلَيْهِ"<sup>1</sup>، والتلويح هنا يهدف إلى لفت الانتباه، ويورد الأزهري (ت 370 هـ) في "تهذيب اللغة" الإشارات تحت مادة (ب ه م)، قال: "المُبَهَمَةُ: الَّتِي لَا أَقْفَالَ عَلَيْهَا، يُقَالُ: أَمَرَ مُبَهَمًا: إِذَا كَانَ مُلْتَبَسًا لَا يُعْرَفُ بِمَعْنَاهُ وَلَا بِأَبْنَاءِهِ، وَالْحُرُوفُ الْمُبَهَمَةُ الَّتِي لَا اسْتِثْقَاقَ لَهَا وَلَا يُعْرَفُ لَهَا أَصُولٌ، مِثْلُ: الَّذِي، الَّذِي وَمَا أَشَبَّهَهَا، وَالْكَلَامُ الْمُبَهَمُ، الَّذِي لَا يُعْرَفُ لَهُ وَجْهٌ يُؤْتَى مِنْهُ"<sup>2</sup>، وفي "المعجم الوسيط" جاءت تدلُّ على "تعيين الشيء باليد ونحوها، والتلويح بشيء يفهم منه المراد"<sup>3</sup>.

تعددت التعريفات لمصطلح الإشارات في اللغة بين من يجعلها بمعنى الإيحاء والتعيين والإشارة، وبين من يجعلها بمعنى الغموض أو الإبهام.

وفي المعاجم الغربية تعددت تسميات مصطلح الإشارات - كما سيأتي -:

ففي الفرنسية يُطلق عليها "*Embrayeurs*" وهو مصطلح يعني الربط والوصل، أي: "وصل شيءٍ بآخر، أو وصل تحويل السرعة"<sup>4</sup>، ويعني مصطلح "*Dectiques*" : "الإبهام والغموض واللبس"<sup>5</sup>.

يتضح من التعريف اللغوي في الثقافة الغربية أن مصطلح "الإشارات" لا يختلف عن التعريف اللغوي العربي، والتي تدلُّ على الوصل والربط، وكشف الغموض واللبس والإبهام عن الشيء.

ب. اصطلاحاً: جاءت التعريفات مُركزةً على الدور المقامي الذي تردُّ فيه، وتحديد المراد التي تُشير إليه، وهي عند "رُومان جاكسون" (*Roman Jakobson*): "وحدات لغوية نظامية لا تتحدَّد إلا في الخطاب لحظةً

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مج 4، مادة (شَ وَ رَ)، ص 437.

<sup>2</sup> الأزهري: تهذيب اللغة، تح: محمد خفاجي، الدار المصرية، مصر، (د ط)، (د ت)، (ج 6)، ص 338، باب: (بَهَم).

<sup>3</sup> مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم أنيس وآخرون، دار المعارف، مصر، (ط 2)، 1972، (ج 1)، ص 499، مادة (أشَر).

<sup>4</sup> *Al-kamil al-wasit plus, dictionnaire français, Youssouf m-reda, imprime an liban, 1997, p 294.*

<sup>5</sup> *Dictionnaire des élèves, arabe, français bilingue français- arabe, libi maliha fayad, daral-kotob, Bierut, libanan, 2eme édition, 2005, p 16.*

التلفظ<sup>1</sup>، ما يعني إنها وحدات مئّنة لا تدلّ على شيءٍ دون المقام الذي يُحدّد دورها وما تدلّ عليه، الشيء الذي جعل العديد من الباحثين يصطلح عليها بـ: "الإشارات/المشيريات المقامية".

وتعني الإشارات عند "أركيوني" (C.K. Orecchioni): "الوحدات اللغوية التي يقتضي اشتغالها الدلاليّ الإحاليّ اعتباراً بعض العناصر المكوّنة لمقام التّخاطب"<sup>2</sup>، ويصطلح عليها الفدّامي - كما أشرت سابقاً - بمصطلح الإحالة، أي: الوحدات التي تُحيلُ إلى معنى / شيء، والإشارات بالمفهوم المُبسّط؛ عُنصر مهمّ من عناصر التّداوليّة، يُقصدُ بها كلُّ ما يُشيرُ إلى ذاتٍ أو موقعٍ أو زمنٍ، وهي ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بالمُشير (المُتكلم)<sup>3</sup>.

وتُطلقُ عليها "حسن رقيّة" مصطلح "الإحالة"، بمعنى: إنها عناصرٌ مُحيلَةٌ لا تكفي بذاتها من حيث التّأويل والتفسير، إذ لا بُدّ من العودة إلى ما يُشيرُ إليه بُغية فهمها وتأويلها<sup>4</sup>.

مما تقدّم طرحه، يُستنتج أنّ "الإشارات المقامية" هي وحدات مُحيلَةٌ مُبهمَةٌ في ذاتها، أي: لا تحمّل المعنى في ذاتها، وإنما تكتسبه بالاستعمال والتداول في سياقٍ ما، ولبلوغ الفائدة بها؛ كان لازماً ربطها بالسياق/ المقام لمعرفة مرجعيّتها وما تُحيلُ إليه، إذ لا بُدّ من الإلمام بالعناصر المحيطة بعملية التّواصل لتحديد دلالتها.

## 02. أنواع الإشارات:

للإشارات أهمية كبيرة في عملية التّواصل فهي أداة ربط بين طرفي العملية التّواصلية، حيث لا يُمكن أن تتمّ عملية التّواصل إلاّ بمعرفة مرجع ثلاثة أنواع من هذه الإشارات:

أ- الإشارات الشخصية/الذاتية: يُحددها الفلاسفة التّداوليون بسلسلة الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة<sup>5</sup>.

ب- الإشارات المقامية الزمانية: وهي التي تدلّ على زمانٍ يُحدده السياق بالقياس إلى زمان المُتكلم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> نرجس باديس: المُشيريات المقامية في اللغة العربيّة، مركز النّشر الجامعيّ، تونس، (د ط)، 2009، ص 75.

<sup>2</sup> عبد الجليل مرتاض: اللسانيّات والأسلوبية، دار هومو للنّشر، الجزائر، (د ط)، 2013، ص 208.

<sup>3</sup> نادية رمضان النّجار: الإبحار التّداولي، ص 87.

<sup>4</sup> محمّد خطّاي: لسانيّات النصّ - مدخلٌ في انسجام الخطاب -، المركز الثّقافي، المغرب، (ط 2)، 2006، ص 16، 17.

<sup>5</sup> محمود نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي، ص 82.

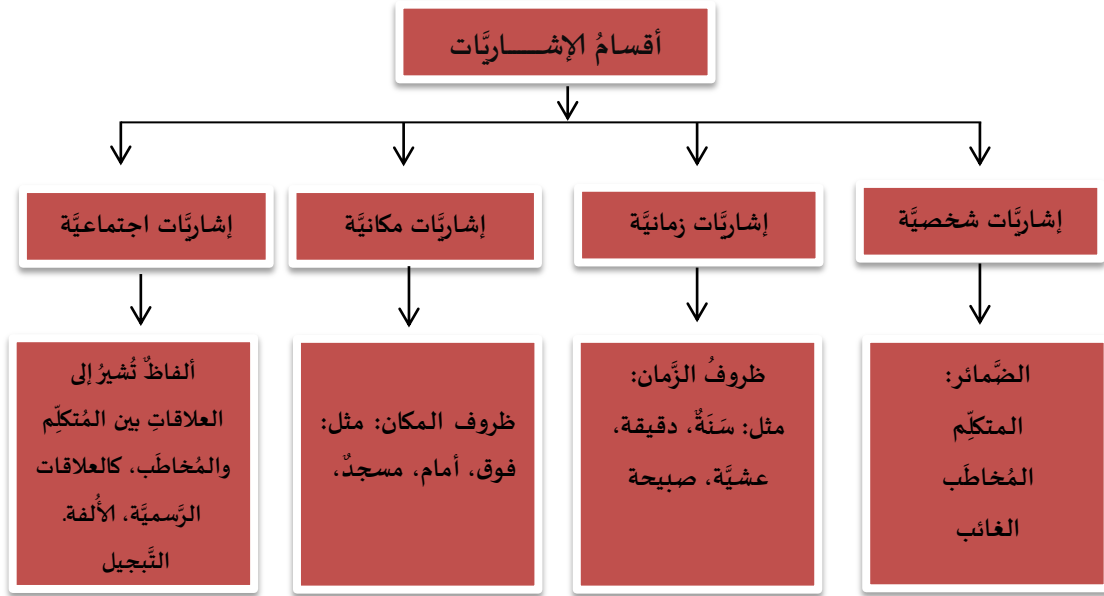
<sup>6</sup> المرجع نفسه: ص 19.

ج- الإشارات المكانية: وهي عناصر تُشيرُ إلى أماكن يعتمدُ استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المُتكلم وقت التكلّم<sup>1</sup>.

وهذه الأنواع الثلاثة، بمثابة حجر الأساس لبداية عملية حوارية ناجحة، إذ لا تتم عملية التلقظ بالخطاب دون حضور هذه الإشارات، وقد أُضيف لهذه الثلاث عنصران هما:

د- الإشارات الاجتماعية: وهي ألفاظ تُشيرُ إلى العلاقات الاجتماعية بين المُتكلمين والمُخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة أو مودّة، ويدخل ضمنها التّبجيل<sup>2</sup>، وهذا القسم عنصرٌ مهمٌ في حياة الإنسان، لا يكادُ يخلو منه الاستعمال.

هـ- الإشارات الخطابية (*Discoure Deixis*): وهي العناصر التي تُشيرُ إلى خطابٍ ما، وتختلفُ عن الإشارات الضميرية في كونها "لا تُحيلُ إلى ذات المرجع الذي تُحيلُ إليه الإشارات الضميرية"<sup>2</sup>، ما يعني إنّها تدلُّ وتُبينُ عن موقف المُتكلم ويتّضحُ بها الخطاب، ومن عباراتها: من قبيل، على أيّة حال، لكن، بالإضافة. ومن هذا التّقدم، يُمكنُ وضعُ خطّاطةٍ لتوضيحِ أنواعِ الإشارات التي ستكونُ عيّنة للدراسة.



شكل 01: أقسام الإشارات.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 21.

<sup>2</sup> نعمان بُوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، (ط 1)، (د ت)، ص 87.

ثانياً- تسميات الإشارات:

تعددت تسميات الإشارات في الإستعمال، فأطلق عليها: "العناصر الإشارية" (*Deictics*)، وعند فلاسفة اللغة تُسمى (*Indexical Expressions*)<sup>1</sup>، وتُسمى أيضاً بـ: "المعينات" (*Déictique*) والقرائن المُدججة/الواصلة (*Embrayeurs*)، وبما أن "شارل بيرس" هو أول واضع لهذا المُصطلح، فقد اصطلح عليه بـ: "الوحدة الإشارية" (*Index*)، ويصطلحُ عليها "بار هيليل" (*Bar-Hillel*) بـ: "التعبير الإشاري" (*Indicateur*)، أو "دليل التلُفُظ" (*Indice de l'énonciation*)<sup>2</sup>.

ويُطلقُ عليها كذلك مُصطلح (*Signe*)، والذي يعني: "علامة أو إشارة أو دليلاً، ومن هنا جاء مُصطلح (*Désigner*) ليدلُّ على لَفَتِ النَّظَرِ أو الإشارة"<sup>3</sup>، ويتبني "جميل حمداوي"<sup>4</sup> مُصطلح "المعينات" للدلالة على الإشارات (*Déictique*)، إذ إنَّ جميع العلامات اللغوية قد تكون مُعَيَّنات (*Des indicsteurs*)، ولكنّها لا تكونُ جميعاً مُشيرَاتٍ مُقاميةٍ (*Deictiques*)، ما جعل "المُشيرَاتِ المقامية" تَطغى في الإستعمال بين الباحثين.

ثالثاً. مُصطلحُ الإشارات في الإستعمال العربي:

#### 01. مُقابلات مُصطلح "الإشارات" عند العرب:

اهتمَّ العربُ بقضية المُكوّنات الإشارية، وأطلقوا على هذا المفهوم الغربي عدَّ تسمياتٍ، منها:

1. المُبَهَمَات: هذا المُصطلحُ نحويٌّ في الأساس، وقد تناول النَّحويُّون الإشارات، وجعلوها تحت باب: "المُبَهَمَات"، يقول "سيبويه" (ت 180 هـ): "وأما الأسماءُ المُبَهَمَةُ فنحو: هذا وهذه، وهذان وهاتان وهؤلاء، وذلك وتلك وأولئك، وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة؛ لأنّها أسماءُ إشارةٍ إلى الشّيءِ دونَ سائرِ أمته"<sup>5</sup>، ويتحدّثُ "المُبَرِّد" (ت 285 هـ) عن تعريفِ الأسماءِ المُبَهَمَةِ فيقول: "والأسماءُ المُبَهَمَةُ؛ هي التي تقعُ للإشارة، ولا تخصُّ شيئاً بشيءٍ، وهي: هذا وهذاك، وأولئك، وهؤلاء، ونحوه"<sup>6</sup>، ويبيِّن "ابن يعيش" (ت 643 هـ) سببَ تسميتها بالمُبَهَمَات فيقول: "وهي مُبَهَمَاتٌ، لأنك تُشيرُ بها إلى كلِّ ما بحضرتك، وقد

<sup>1</sup> محمود نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 16.

<sup>2</sup> جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، ص 22.

<sup>3</sup> *Kanze al-taleba dictionnaire des étudiants français- arabe bilingue, par gerwan sabek entre brise nationale du liver alger, 1 er édition, 1991, p 183.*

<sup>4</sup> جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، ص 25.

<sup>5</sup> عمرو بن عثمان (سيبويه): الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (ط 3)، 1988، (ج 2)، ص 5.

<sup>6</sup> محمّد الأزدي (المُبَرِّد): المُقتضب، تح: محمّد عظيمه، عالم الكتب، لبنان، (د ط)، 1996، (ج 2)، ص 186.

يكون ما بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمةً لذلك، وعليه لزمها البيان بالصفة عند الإلباس<sup>1</sup>.

### ب. الخوالف:

وهو مصطلح يُستعمل عند الفلاسفة العرب، يقول "الفارابي" (ت 339 هـ): "الخوالف: كل حرفٍ معجمٍ أو كل لفظٍ قام مقام الاسم متى لم يُصرَّح بالاسم، ومثاله: حرف الهاء في قولنا: ضربته، والياء في قولنا: تويي، والتاء في: ضربت، وأشبه ذلك من الحروف المعجمة التي تختلف عن الاسم وتقوم مقامه، مثل قولنا: أنا، أنت، وما أشبه ذلك، وكلها تُسمى الخوالف"<sup>2</sup>، ويجعل "الخوارزمي" (ت 387 هـ): "الخوالف هي الأسماء التي يُسميها النحويون بالأسماء المبهمة والمضمرة، مثل: أنا، أنت، هو"<sup>3</sup>، فمصطلح الخوالف يعني كلّ الوحدات اللغوية التي تحل محلّ ذاتٍ أخرى، سواء أكانت ذاتاً إنسانية أو غير إنسانية.

### ج. الإحالة:

عرّف العلماء القدماء الرّبط بالضمير أو الرّبط بالحرف مُقابلاً لمصطلح "الإحالة" التداولي، والتي هي أحد الجوانب "الإخبارية التّواصلية التي منها قواعدُ المُحادثة ومُراعاةُ الإستعمال"<sup>4</sup>، ومُمكنُ المُخاطب من التّعرّف على "الذات المقصودة، ويتم ذلك عن طريق إمداد المُخاطب بكلّ المعلومات التي يمتلكها المُتكلم عن الذات المقصودة"<sup>5</sup>، وتنقسم هذه الإحالة قسماً: "إحالة داخل النصّ، وهي قسمان: إحالة سابقة قبليّة، وإحالة بعديّة، وتُستعمل في الإحالة أدوات من قبيل: الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة (...). والإحالة التّائيّة هي: الإحالة المقاميّة"<sup>6</sup>، والتي يدلّ عليها السّياق والمعنى. وقد تأتي الإحالة لتدلّ على معاني في خاطئة في السّياق ولا تُوضّح، وتُسمى الإحالة الخاطئة، وفي هذا الباب، يذكر "ابن عبد ربّه" (ت 328 هـ) مثلاً عن الإحالة الخاطئة، فيقول: "قال "المتملّس الضبي": [الطويل]

01 وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ إِخْتِصَارِهِ      بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمٍ

<sup>1</sup> موفّق الدّين بن يعّيش: شرح المُفصّل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د ط)، 1985، (ج 5)، ص 126.

<sup>2</sup> محمّد الفارابي: الألفاظ المُستعملة في المنطق، موقع الرّزّاق، أبو ظبي، الإمارات، 2015، ص 225.

<sup>3</sup> محمّد البلخي الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (ط 2)، 1989، ص 169.

<sup>4</sup> عامر الجراح: التّفكيّر البياني عند العرب -قراءة تداوليّة-، دار سنابل، اسطنبول، تركيا، (ط 1)، 2019، ص 54.

<sup>5</sup> دي بوجراند روبرت: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تَمّام حسّان، عالم الكتب، لبنان، (د ط)، 1998، ص 124.

<sup>6</sup> زايد عبد الرّزّاق: كتاب سِرّ الفصاحة لابن سنان الحفّاجي -دراسة وتحليل-، مكتبة الشّباب، المنصورة، مصر، (ط 1)،

فَلَفْظُ "الصَّيْعَرِيَّةِ" إِحَالَةٌ خَاطِئَةٌ عَلَى الْمَعْنَى، "إِذْ تَعْنِي: سِمَةً لِلنُّوقِ، فَجَعَلَهَا الشَّاعِرُ صِفَةً لِلْفَحْلِ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ "طَرْفَةَ بَنِ الْعَبْدِ" كَانَ صَغِيرًا يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ، فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ قَالَ: اسْتَنْوَقَ الْحَمْلَ، أَي: صَارَ نَاقَةً، فَضَحِكَ النَّاسُ"<sup>1</sup>، وَصَارَ الْمَثَلُ يُضْرَبُ فِي الْحَالَاتِ الَّتِي يُشَاهَدُ فِيهَا الْقُصُورُ وَتَبَادُلُ فِيهَا الْأَدْوَارِ.

## 02. أھمیة الإشارات:

تحتلُّ الإشاراتُ أھمیةً كَبیرةً فی التَّحلیل التَّداوُلِیَّ، لِأَنَّهَا تَهْتَمُّ مُبَاشَرَةً بِالْعِلَاقَةِ بَیْنَ التَّرْکِیبِ اللُّغَوِیِّ وَالسَّیَاقِ الَّذِی تَرُدُّ فِیهِ، فَهِيَ "تَجْمَعُ بَیْنَ الْعِنَاصِرِ اللُّغَوِیَّةِ الَّتِی تُحْمِلُ مُبَاشَرَةً عَلَى الْمَقَامِ مِنْ حِیْثُ الذَّاتِ الْمُتَكَلِّمَةُ أَوْ الزَّمَنُ أَوْ الْمَكَانُ، حِیْثُ یُنْحَزُ الْمَلْفُوظُ الْمُرتَبِطُ بِهِ مَعْنَاهُ"<sup>2</sup>، وَالفِعْلُ اللُّغَوِیُّ لَا یَكُونُ نَاجِحًا إِلَّا إِذَا عَلِمَ الْمُخَاطَبُ قَصْدَ وَإِحَالَةَ الْعِبَارَةِ، وَإِذَا كَانَ لِلْمُتَكَلِّمِ غَرَضٌ یُنْبَغِی بِمُوجِبِهِ أَنْ یُشَكَّلَ الْمُخَاطَبُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ"<sup>3</sup>، فَكُلُّ نَصٍّ/خِطَابٍ لَا بُدَّ مِنْ اِحْتَوَائِهِ لِإِشَارَاتٍ دَاخِلٍ بِنِیَّتِهِ قَطْعًا، فَالنَّصُّ یَنْبَغِی عَلَى هَذِهِ الثَّمَمَاتِ الْأَسَاسِیَّةِ الَّتِی تَسْعَى لِكَشْفِ رُؤَاةِ الشَّعْرِیَّةِ، وَبِذَلِكَ فَهِيَ بِمِثَابَةِ بَوَابَةٍ یُوَلِّجُ بِهَا إِلَى النَّصِّ.

فوظیفَةُ الإشاراتِ الْأَسَاسِیَّةِ؛ "تَفْسِیرُ الْمَلْفُوظَاتِ وَتَحْدِیدُ مَجَالِهَا التَّبْلِغِیِّ دَاخِلَ الْخِطَابِ، وَیَقِیمُ ذَلِكَ بِاسْتِخْدَامِ "عِنَاصِرِ إِشَارِیَّةٍ تُحْتَوِیْهَا تِلْكَ الْمَلْفُوظَاتُ دَاخِلَ السَّیَاقِ الَّذِی قِیلَتْ فِیهِ"<sup>4</sup>، وَهِنَا یَجْدُرُ التَّنْوِیهُ إِلَى الدَّوْرِ الْمُهْمِّ الَّذِی یَلْعَبُهُ السَّیَاقُ فِی تَحْلِیلِ الْعِنَاصِرِ الإِشَارِیَّةِ الْخَاصَّةِ بِكُلِّ مَلْفُوظٍ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ هُنَاكَ "كَلِمَاتٍ وَتَعْبِیرَاتٍ تَعْتَمِدُ أَسَاسًا عَلَى السَّیَاقِ الَّذِی تُسْتَحْدَمُ فِیهِ، وَلَا یَسْتَطِيعُ إِنتَاجُهَا أَوْ تَفْسِیرُهَا بِمَعزِلٍ عَنْهُ"<sup>5</sup>، وَتَظْهَرُ أھمیةُ الإشاراتِ أیضًا فِی كَوْنِهَا: "تَذْکِیرٌ دَائِمٌ لِلْبَاحِثِیْنَ النَّظْرِیِّیْنَ فِی عِلْمِ اللُّغَةِ فِی أَنَّ اللُّغَاتِ الطَّبِیْعِیَّةَ وَضِعَتْ لِلتَّوَاصُلِ الْمُبَاشِرِ بَیْنَ النَّاسِ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَتَظْهَرُ أھمیةُهَا الْبَالِغَةُ حِیْنَ یَعِیْبُ عَنَّا مَا تُشِیرُ إِلَیْهِ، وَحِیْنَهَا یَسُودُ الْعُمُوضُ وَیَسْتَغْلِقُ الْفَهْمُ"<sup>6</sup>، مَا یَجْعَلُ الْمُخَاطَبَ/القَارِئَ یَبْحَثُ فِی الدَّلَالَاتِ الَّتِی جَاءَتْ تَدُلُّ عَلَیْهَا.

<sup>1</sup> ابن عبد ربّه: العقد الفريد، (ج 2)، ص 205، 206.

<sup>2</sup> الأزهر الزنّاد: نسیج النصّ - بحثٌ فی ما یكون به الملفوظ نصًّا-، المركز العربيّ، المغرب، (ط 1)، 1993، ص 116.

<sup>3</sup> فان دايك: النصّ والسّیاق - استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتّداوُلِیّ-، تر: عبد القادر قیني، الدار البيضاء- إفريقيا الشّرق، المغرب، (د ط)، 2000، ص 266.

<sup>4</sup> حمادي مصطفى: تداولیة الإشارات في الخطاب القرآنيّ، مجلّة الأثر، جامعة قاصدي مریاح، ورقلة، الجزائر، ع 26، سبتمبر 2016، ص 64.

<sup>5</sup> محمود نخلّة: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ص 16

<sup>6</sup> المرجع نفسه: الصّفحة نفسها.

ويحصر "شارل فوريس" مجال عمل التداولية في أنه "لا يعدو العناية بضمائر الكلام وظروف الزمان والمكان، ومختلف التعبيرات التي تستقي مرجعيتها من مقامات التواصل"<sup>1</sup>، وبهذه المقدمات في تناول أهمية وفائدة الإشارات، نخلص إلى هذه النتائج:

- تعمل الإشارات على تحليل الملفوظات داخل الخطاب.
- تربط الإشارات النص بالسياق الذي يتفاعل معه.
- الإشارات عبارة عن مفاتيح تستغل على المتلقي ما لم تكن في وسط تداولي يحل أغازها.
- تعمل الإشارات على الربط وتحقيق التماسك النصي.
- تساعد الضمائر الإشارية على تحديد المكانة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب.

وركحا على ما تقدم، فإن للغة قوانين ثابتة تضبط استعمالها، وللاستعمال/ التداول أثره الكبير في معرفة دلالات توظيفها، وكل استعمال خارج السياق، يجعلها كلمات أو إشارات ميتة، وإحيائها ومعرفة دلالاتها؛ لا بُد من توظيفها في مقام محدد، والمتلقي لا يفهم/ يدرك هذه الدلالات إلا من خلال السياق والمرجعية الخطابية لهذه المشيرات على اختلاف أنواعها، وبما أن المشيرات وحدات لغوية مبهمه، فسنعرض لها لمعرفة كيف وظف شعراء الخواج هذه المبهمات؟ وما أشهر أنماطها استعمالاً؟ وعلى ما تعود؟.

<sup>1</sup> ختام جواد: التداولية أصولها وأبحاثها، دار كنوز، الأردن، (ط 1)، 2016، ص 27.

المبحث الثاني - المرجعية الخطابية للإشارات:

أولاً - الإشارات الشخصية (Personnel Deictics):

01- الضمائر: تنقسم الضمائر في العربية إلى ثلاثة أقسام: ضمائر مُتكلمٍ وغيابٍ وحاضرٍ، وهي "اللفظُ الَّذِي وُضِعَ لتعيين مُسمّاه"<sup>1</sup>، وهي: ضمائر المُتكلم (أنا، تاء المُتكلم، ياء المُتكلم، نا، نحن)، وضمائر المَحاطَب (أنت، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن)، وضمائر الغائب (هو، هي، هما، هم، هن).

أ- ضمائر المُتكلم: وتنقسم بدورها إلى قسمين: وُجوديّة: (أنا، أنت) وملكيّة: ياء المُتكلم في: (كِتابي).

✓ الضميرُ المنفصل "أنا": ورد الضميرُ "أنا" بكثرة في مُدونة شعر الخوارج، ومن ذلك:

- قال "عبدُ الله بنُ وهبِ الرّاسبي" مُشيداً ببطلته في مُحاربة الأعداء:<sup>2</sup> [الرّجز]

01 أَنَا ابْنُ وَهَبِ الرَّاسِبِيِّ الشَّارِي

02 أَضْرِبُ فِي الْقَوْمِ لِأَخَذِ الثَّارِ

03 حَتَّى تَزُولَ دَوْلَةُ الْأَشْرَارِ

04 وَيَرْجِعَ الْحَقُّ إِلَى الْأَخْيَارِ

جاءَ توظيفُ الشّاعرِ لضميرِ المُتكلم (أنا) جلياً مُصدراً به القَصيدة، ومرجع الضمير؛ الشّاعرُ نفسه، وقد جاءَ به مُفاخرًا لأنّه من الشُّراة، الَّذين باعوا أنفُسهم في سبيلِ الجَنّة، وقد تضافرَ الضميرُ (أنا) مع الضميرِ المُستترِ في (أضربُ) العائد على الشّاعرِ أيضًا لتبيين قُوته وشجاعته في الحربِ لِأخذِ الثَّارِ، واصفًا في البيتِ الثَّالثِ خلافةَ عليٍّ عليه السلام بدولةِ الأشرارِ، داعيًا إلى زوالها وعودةِ الحقِّ إلى الأخيارِ وهم الخوارجُ.

✓ ياءُ المُتكلم: قال "ابنُ مُلجمٍ"<sup>\*</sup> في تشييعِ المُسلمين جنازةَ "أبجرِ النُّصراني"، وكان ابنه "حجّارُ"

مُسلمًا:<sup>3</sup> [الطَّويل]

01 لئن كان حجّارُ بنُ أبجرٍ مُسلمًا لَقَدْ بوعِدَت مِنْهُ جَنَازَةُ أبجرِ

02 وإن كان حجّارُ بنُ أبجرٍ كافرًا فَمَا مِثْلُ هَذَا مِنْ كُفُورٍ بِمُنْكَرِ

<sup>1</sup> بدرُ الدّين حسن بن قاسم المُرداي: كتابُ توضيح المسالك بِشرح ألفيّة ابن مالك، شر وتَح: عبد الرّحمان سليمان، دار الفكر العربي، مصر، (ط 1)، 2008، (ج 1)، (مج 1)، ص 359.

<sup>2</sup> إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص 43، 44.

<sup>\*</sup> "عَبْدُ الرَّحْمَانِ بنُ مُلْجَمِ المُرداي، أَحَدُ أَعْلَامِ الخَوَارِجِ، شَقِي قَوْمِهِ، طَاعَنَ عَلِيَّ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ سَنَةَ 40 هـ انْتِقَامًا لِقَتْلَى الخَوَارِجِ"، يُنظَر: مُحَمَّدُ شَرِيفِ سَلِيم، مُلَخَّصُ تاريخِ الخَوَارِجِ، ص 105.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص 47.

03 أَتْرَضُونَ هَذَا أَنْ قِسًّا وَمُسْلِمًا جَمِيعاً لَدَى نَعَشٍ فَيَا فُبْحَ مَنْظَرِ

04 فَلَوْلَا الَّذِي أَنْوِي لَفَرَّقْتُ جَمْعَهُمْ بِأَبْيَضَ مَصْفُورِ الرَّئَاسِ مُشَهَّرِ

05 وَلَكِنِّي أَنْوِي بِذَلِكَ وَسِيْلَةً إِلَى اللَّهِ أَوْ هَذَا فَخُذْ ذَاكَ أَوْ ذَرِ

يَحَدِّثُ "ابنُ مُلْجَمٍ" على ما شاهدهُ قَبْلَ عَدْرِهِ بَعْلِيٌّ رضي الله عنه، وَأَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةِ "ابنِ أَيْمَرٍ" الَّذِي ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَصْبَحَ قِسِّيًّا، وَفِي الْمُشَيِّعِينَ ابْنَهُ "حَجَّارٍ" مِنْ صَحَابَةِ عَلِيٍّ، وَهُنَا يَتَسَاءَلُ "ابنُ مُلْجَمٍ" عَنِ اجْتِمَاعِ القِسَاوِسَةِ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى جَنَازَةِ مَيِّتٍ وَالَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ كَافِرٌ لَا تَجُوزُ اتِّبَاعُ جَنَازَتِهِ، وَاصْفَاءَ اجْتِمَاعِهِمْ بِالْفِعْلِ القَبِيحِ، وَقَدْ وَظَّفَ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ (الياء) فِي كَلِمَاتِ (أَنْوِي، لَكِنِّي)، المُحِيلِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَالَّذِي مَرَّجَعُهُ ذَاتُ الشَّاعِرِ، وَقَدْ دَلَّ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ بِالْفِعْلِ (أَنْوِي) عَلَى نِيَّةٍ مُبَيَّنَةٍ لِفِعْلِ شَيْعٍ سَيَقُومُ بِهِ، قَالَ (فَلَوْلَا الَّذِي أَنْوِي)، أَي: تَبَيَّنَتْ قَتْلَ عَلِيٍّ، لَفَرَّقَ هَذَا الْجَمْعَ الَّذِي عَدَّ صَنِيعَهُ مُخَالَفًا لِلشَّرْعِ، ثُمَّ يُبْرِزُ ضَلَالَ فِعْلَتِهِ بِأَنَّهَا تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ بِرَعْمِهِ، فَالضَّمِيرُ (ياءُ المُتَكَلِّمِ) جَاءَ مُبْهِمًا، وَقَدْ وَضَّحَ السِّيَاقُ دِلَالَةَ الضَّمِيرِينَ اللَّذِينَ دَلَّ عَلَى جُرْمِ وَسُوءِ صَنِيعِ ابْنِ مُلْجَمٍ.

✓ تَاءُ الْمُتَكَلِّمِ:

- يَقُولُ "حَطَّانُ الْأَعْمَسِرِ" مِنْ أَصْحَابِ "عَبِيدَةَ الْيَشْكُرِيِّ":<sup>1</sup> [الطَّوِيل]

01 بَلِيْتُ وَأَبْلَانِي الْجِهَادُ وَسَاقِنِي إِلَى الْمَوْتِ إِخْوَانُ لَنَا وَأَقَارِبُ

02 شَرِيْتُ فَلَمْ أَقْتَلْ وَنَازَلْتُ لَمْ أَصَبْ كَذَاكَ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِينَا عَجَائِبُ

يُعْبَرُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ المَقْطُوعَةِ عَنِ ذَاتِهِ، مُوَظَّفًا ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ الْمُتَّصِلِ (التَّاءِ)، وَالَّذِي مَرَّجَعُهُ ذَاتُ الشَّاعِرِ "حَطَّانُ"، يَصِفُ حَالَهُ فِيهَا مَعَ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ، قَالَ: (بَلِيْتُ) أَي: قَضَيْتُ عُمْرِي فِي سَاحَاتِ الوَعَى حَتَّى تَلَاشَتْ قُوَايَ، وَأَنَّهُ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ، قَالَ: (شَرِيْتُ)، وَنَازَلَ وَلَمْ يُصَبْ، وَبِتَوْظِيفِهِ تَاءُ الْمُتَكَلِّمِ فِي كَلَامِهِ، عَبَّرَ عَنِ دِلَالَاتِ الحُزْنِ وَالْأَسَى لِعَدَمِ تَبَيُّنِ المُرَادِ، وَهُوَ الشَّهَادَةُ، وَفِي الوَقْتِ ذَاتَهُ فَهُوَ يُحْمَسُ صَحْبُهُ بِقَوْلِهِ هَذَا، وَخَاصَّةً إِذَا عُلِمَ أَنَّ مُنَاسِبَةَ قَوْلِ البَيْتَيْنِ جَاءَا فِي بَابِ الحِمَاسَةِ، وَدَفَعَ صَحْبَهُ لِمُقَاتَلَةِ الْأَعْدَاءِ، وَبِذَلِكَ يُحَدِّثُ أَكْبَرَ قَدْرِ مِنَ التَّأثيرِ فِي المُتَلَقِّي.

✓ تَوْظِيفُ (نَا) الدَّالَّةِ عَلَى الفَاعِلِ الجَمْعِيِّ: قَالَ "قَطْرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ" يَذْكُرُ ضَعْفَ "خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ"

عِنْدَ لِقَائِهِ الْأَزَارِقَةَ، وَكَيْفَ تَعَيَّرَتْ حَالَ المَعْرَكَةِ حِينَ تَوَلَّى "المُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ" القِيَادَةَ:<sup>2</sup> [الطَّوِيل]

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 116.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 127.

01 وَأَنَا أَخَذْنَا مَالَهُ وَسِلَاحَهُ وَسُفْنَا لَهُ نِيرَانَهَا تَتَاهَبُ

02 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ مُهْجَةٍ نَفْسِهِ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْمَوْتُ شَبْرًا وَأَقْرَبُ

03 وَلَكِنْ مُنِينًا بِالْمُهَلَّبِ إِنَّهُ شَجَى قَاتِلٍ فِي دَاخِلِ الْحَلْقِ مُنْشَبُ

وظَّفَ الشَّاعِرُ ضَمِيرَ الْجَمْعِ (نا) فِي (أَنَا) مُقْتَرِنًا مَعَ الْحَرْفِ الْمُشَبَّهِ بِالْفِعْلِ، أَي: أَنْ وَاسْمُهَا، وَقَدْ أَحَالَ الْمُشِيرُ إِلَى حُضُورِ الْمُتَكَلِّمِ سِيَاقِيًّا وَمَرْجِعِيًّا أَتْنَاءَ عَمَلِيَّةِ التَّلْفُظِ، وَهَذَا قَدْ اشْتَرَكِ الْمُتَلَفُّظُ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَعَزَّزَ حُضُورَهُ ضِمْنَهَا، وَبَتَوْظِيفِ ضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمُتَّصِلِ بِالْفِعْلِ أَخَذَ (أَخَذْنَا) أَشَادَ بَانْتِصَارِهِمْ عَلَى جُنْدِ الشَّامِ، قَالَ: (وَأَنَا أَخَذْنَا مَالَهُ وَسِلَاحَهُ)، وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَبَّرَ عَنِ شِدَّةِ الْوَقْعِ الَّذِي حَدَثَ يَوْمَهَا حَتَّى كَادَ يَقْضِي عَلَى "خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ" لَوْلَا تَدْخُلُ "الْمُهَلَّبُ" الَّذِي قَلَّبَ الْمَوَازِينَ وَجَعَلَهُ يَنْسَحِبُ وَجُنْدَهُ، قَالَ: (وَلَكِنْ مُنِينًا بِالْمُهَلَّبِ)، وَهَذَا الْإِسْتِدْرَاكُ جَاءَ لِقَلْبِ جَوْ الْمَقْطُوعَةِ مِنَ الْفَخْرِ بِالنَّصْرِ إِلَى التَّأْسُفِ عَلَى نَتِيجَةِ حَالِ الْمَعْرَكَةِ، وَالَّتِي نَجَا مِنْهَا "خَالِدٌ" بِأَعْجُوبَةٍ، وَجَاءَتْ لَفْظَةً (مُنِينًا) الْفِعْلُ + ضَمِيرُ الْجَمْعِ الْمُتَّصِلِ لُتَبَرَّرَ عَنِ حَالَةِ الشَّاعِرِ وَصَحْبِهِ النَّفْسِيَّةِ الْمُتَأَسِّفَةِ عَلَى نَتِيجَةِ الْوَقِيعَةِ، فَضَمِيرُ الْجَمْعِ قَدْ شَكَّلَ ثُنَائِيَّةً ضِدِّيَّةً دَاخِلَ الْمَقْطُوعَةِ، فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ دَلَّ الْإِشْتِرَاكُ عَلَى الْفَخْرِ وَالْإِعْتِزَالِ وَالْقُوَّةِ، وَدَلَّ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي عَلَى خُزْنِ وَتَأْسُفٍ عَلَى نَتِيجَةِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

### ✓ تَوْظِيفُ ضَمِيرِ "نَحْنُ" الْمُنْفَصِلِ الدَّلَالِ عَلَى الْجَمْعِ:

وَرَدَ ضَمِيرُ جَمْعِ الْمُتَكَلِّمِينَ مُنْفَصِلًا فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الْخَوَاجِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- قَالَ "مِيَّاسُ الْمُرَادِيِّ" فِي قَتْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: <sup>1</sup> [الطويل]

01 وَنَحْنُ ضَرَبْنَا يَا لَكَ الْخَيْرُ حَيْدَرًا أَبَا حَسَنِ مَأْمُومَةً فَتَفَطَّرَا

02 وَنَحْنُ حَلَّلْنَا مُلْكَهُ مِنْ نِظَامِهِ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ إِذْ عَلَا وَتَجَبَّرَا

03 وَنَحْنُ كِرَامٌ فِي الصَّبَاحِ أَعَزَّةٌ إِذَا الْمَوْتُ بِالْمَوْتِ إِرْتَدَى وَتَأَزَّرَا

يَفْخَرُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ بِفِعْلَتِهِمُ الشَّنْعَاءِ، وَعَدَرِهِمْ بَعَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وَنَحْنُ ضَرَبْنَا)، وَتَوْظِيفُ الضَّمِيرِ "نَحْنُ" مَرْجِعُهُ الشَّاعِرُ وَكُلٌّ مِنْ بَيْتِ الْعَدْرِ، مُتَّحِدًا بِاسْمِ الْجَمَاعَةِ، وَمُثَلًّا لَهُمْ فِي مَوْقِفِهِمُ الْمُشْتَرَكِ، وَقَدْ حَمَلَ الضَّمِيرُ أَيْضًا دِلَالَةَ التَّعْظِيمِ، تَعْظِيمَ صَبِيحِهِمْ، ثُمَّ انْتَقَلَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي لِيَحْكِيَ الْقَضَاءَ عَلَى حُكْمِ عَلِيٍّ، قَالَ: (وَنَحْنُ حَلَّلْنَا مُلْكَهُ)، وَحَلَّلْنَا بِمَعْنَى: جَعَلْنَا خِلَافَتَهُ فِي حِلٍّ مِنْهُ، وَفِي ذَلِكَ إِبْدَانٌ بِحُكْمِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 48.

جديد يسعون لإقامته، لينتقل في البيت الأخير ليرجع ويفتخر صراحةً بأنهم قومٌ كرامٌ أعزُّ، فضميرُ الجمع (نحن) هيمنَ على المقطوعة ليُدلَّ على الافتخار والتباهي.

لقد حَقَّقتْ ضمائرُ المتكلمِ ترابطاً واضحاً بينَ وحداتِ النصِّ الشعريِّ، فسَاعَدَتْ على بَحْثِ التكرارِ، وأبرزتْ خصائصَ النصِّ الخارجيِّ ومُميَّزاته التَّفَاعُلِيَّةِ، وبذلك تُكوِّنُ هذه المُشيرَاتُ الوُجُودِيَّةَ والمِلْكِيَّةَ قد عَمِلَتْ على اتِّساقِ النصِّ وانسِجَامِهِ، وهذه المُشيرَاتُ عَامَّةٌ تُسَهِّمُ في تَحْقِيقِ تَمَاسُكِ النصِّ الشِّكْلِيِّ والدَّلَالِيِّ، وهي الأَصْلُ في الرَّبْطِ.

ب- **ضَمَائِرُ الْمُخَاطَبِ:** يَسْتَوْجِبُ التَّوَاصُلُ دَاخِلَ الإِبْدَاعِ الشُّعْرِيِّ وُجُودَ مُتَكَلِّمٍ وَمُتَلَقٍّ مُرْسَلٍ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ لِحُصُولِ عَمَلِيَّةِ التَّبْلِيغِ، وَتَفْعِيلِ التَّوَاصُلِ وَتَبَادُلِ الإِرْسَالِيَّاتِ، وَحُضُورِ المَرْسَلِ إِلَيْهِ أَوْ المُوخَاطَبِ يَتَمُّ عِبْرَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ القَرَائِنِ وَالمَوَاسِطِ الإِشَارِيَّةِ وَالمُعْوِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ، وَهِيَ فِي هَذَا البَابِ: ضَمَائِرُ المُوخَاطَبِ، وَالَّتِي يَقُولُ عِنهَا سِيَّوِيهِ: "وَأَمَّا المُوخَاطَبُ، فَعَلَامَتُهُ إِنْ كَانَ وَاحِدًا: "أَنْتَ"، وَإِنْ خَاطَبْتَ اثْنَيْنِ فَعَلَامَتُهُمَا "أَنْتُمَا"، وَإِنْ خَاطَبْتَ جَمْعًا مُدَكَّرًا "أَنْتُمْ"، وَمُؤنَّثًا "أَنْتُنَّ"، وَقَدْ يَكُونُ ضَمِيرُ المُوخَاطَبِ إِمَّا مُفَصَّلًا أَوْ مُتَّصِلًا أَوْ مُسْتَرًّا.

كثيراً هي ضمائرُ المُخَاطَبِ فِي مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الخَوَارجِ، وَقَدْ جَاءَتْ فِي مَضْمُونِهَا حَامِلَةً لِلتَّرغِيبِ وَالتَّرهِيبِ، وَكُلُّ ضَمَائِرِ المُوخَاطَبِ —بَعْدَ الإِحْصَاءِ—؛ جَاءَتْ مُوجَّهَةً لِمُوخَاطَبٍ مُحَدَّدٍ، وَذُوْنِكَ بَعْضُ الأمْثَلَةِ:

✓ **ضَمِيرُ المُوخَاطَبِ "أَنْتَ" المُتَّصِلُ + المُسْتَر:**

- يَقُولُ أَحَدُ الخَوَارجِ يُخَاطَبُ "مَعَاوِيَةَ بِنِ أَبِي سُفْيَانَ":<sup>1</sup> [البسيط]

01 أَتَيْتَ مَا تَى كَلَيْبٍ فِي عَشِيرَتِهِ لَوْ كَانَ فِي القَوْمِ خَرْقٌ مِثْلُ جَسَاسٍ

02 الطَّاعِنُ الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ عَانِدَهَا كَطَرَّةِ البُرْدِ يُعْيِي فَرَعَهَا الأَسِي

يُخَاطَبُ الشَّاعِرُ بِضَمِيرِ المُوخَاطَبِ "أَنْتَ" المُتَّصِلِ بِالفِعْلِ "أَتَيْتَ" الخَلِيفَةَ "مَعَاوِيَةَ بِنِ أَبِي سُفْيَانَ" بِخَطَابِ الإِسْتِعْلَاءِ أَوْ النَّدِّ، قَالَ: (أَتَيْتَ) مُصَغَّرًا مِنْ قِيَمَةِ الخَلِيفَةِ، وَهَذَا الإِسْتِعْلَاءُ يُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الكَلَامِ، ثُمَّ أَتَى الشَّاعِرُ بِشَاهِدٍ (رَمَزٍ) تَارِيخِيٍّ جَاهِلِيٍّ، وَهُوَ "كَلَيْبُ بِنِ وَاثِلِ بِنِ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ" الَّذِي مَلَكَ تَغْلِبًا وَبَكْرًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، مُشَبَّهًا حُكْمَ مُعَاوِيَةَ بِحُكْمِ كَلَيْبِ الَّذِي سَادَ قَوْمَهُ تَسْلُطًا، وَمَلَكَهُمْ عَلَى أُسَاسِ إِقَامَةِ العَدْلِ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ يَنْتَقِصُ فِيهِ الشَّاعِرُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَيَتَمَنَّى لَوْ كَانَ فِي الخَوَارجِ رَجُلٌ مِثْلُ جَسَاسٍ - جَسَاسٌ عَمَرُو بِنِ مُرَّةِ البَكْرِيِّ- مُخْلِصٍ بَكْرٍ مِنْ حُكْمِ "كَلَيْبِ" الَّذِي جَارَ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِهِ إِيَّاهُمْ وَجَعَلَهُمْ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 78.

يأتَمرونَ بأمره، قال: (لو كانَ في القومِ حرقٌ) والحرقُ<sup>1</sup>: الشَّابُّ البطلُ اليافعُ الضَّارِبُ ضَرْبَ الرَّجَالِ، وهو بذلكَ يَتَمَنَّى الخلاصَ مِنْ مُعاويةَ، ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفَ تَمَّ قَتْلُ جَسَّاسِ كُليِّيا، قال: (الطَّاعِنُ الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ)، أي: إنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كُليِّيا طَعْنًا، وهو بهذا القولِ يَبْغِي نِهايَةَ أليمةٍ كَتَلِكِ لِمُعاويةَ، وهذا يُبَيِّنُ عن حِقْدٍ كَبيرٍ يُكِنُّهُ الخوارجُ لِمُعاويةَ، وهذا الخِطابُ دَلٌّ على ذلكَ بَدءًا بِجَعْلِ الشَّاعِرِ نِفسَهُ في مَرْتبَةٍ واحِدةٍ، ثُمَّ تَمَنَّى مِيتَةَ السَّوءِ لِمُعاويةَ.

وفي باب النصيحة والتذكير، يقول "الحسن بن عمرو الإباضي"<sup>2</sup>: [الطويل]

- 01 إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ      خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ  
02 وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفِلُ سَاعَةً      وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيهِ يَغِيبُ  
03 وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ سَبْعِينَ حِجَّةً      إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ  
04 إِذَا مَا انْقَضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُمْ      وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

تعددت ضمائر المخاطب المقطوعة بين متصلة: (خلوت، خلِّفت) ومُنْفَصِلَةٌ (أنت منهم، أنت غريب)، ومُستترة (فلا تقل، قل)، وقد جاءت هذه الأبيات في معرض النصح والإرشاد والتذكير، ففي الخلوات اتق الله واعلم أن عليك رقيبًا في كل صغيرة وكبيرة، ولا تظن أنها الإنسان أن ربك يغفل عنه من مثقال ذرة، فالمتكلم هنا يستحضر مُتَلَقِّيًا غيرَ معلومٍ مرجعُهُ (أنت أيها الإنسان)، مُذَكِّرًا إِيَّاهُ بأنَّه مهمما طال عمره فالموت نهاية حتمية لكل حي، ولكن العبرة بما سيؤول إليه الإنسان.

✓ الضمير المنفصل "أنت":

- قال "خُصينُ بنُ حَفْصَةَ السَّعْدِيَّ" يُعَيِّرُ "قَطْرِيَّ بنَ الفُجاءة" لَمَّا قَتَلَ ابنَ عَمِّهِ<sup>3</sup>: [الطويل]

- 01 أَمَا تَسْتَحِي يَا ابْنَ الْفُجَاءَةِ مِنَ النَّبِيِّ      لَيْسَتْ بِهَا عَارًا وَأَنْتَ مَهْاجِرُ  
02 فَحَتَّى مَتَى هَذَا الْفِرَارُ حَذَارُهُ      وَأَنْتَ وَلِيِّ وَالْمُهَلَّبُ كَافِرُ  
03 أَيْنَ قَالَ يَوْمًا عَامِرٌ فَضَرَبْتَهُ      بِأَبْيَضِ مَضْقُولٍ فَلِلَّهِ عَامِرُ  
04 فَمَتَّ قَطْرِيَّ إِنَّ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً      وَأَنْتَ لَدَيْهِ لَا مَحَالَةَ صَائِرُ

قَصَّةُ الأبيات: وإِنَّهُ لَمَّا اشْتَدَّ الحِصَارُ على قَطْرِيَّ بنِ الفُجاءة في "وادي جِرْفَيْت" ببلادِ فارس، وبلغ أصحابه أَنَّهُ يُرِيدُ الهربَ، قال له "عامر بن عمرو السَّعْدِيَّ": إن قاتلت قاتلت معك، وإن هربت فأنا أبرُّ إلى

<sup>1</sup> عبد الكريم النهشلي القيرواني: الممتع في صنعة الشعر، دار الكتب العمليَّة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 272.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 259، 260.

<sup>3</sup> المرجع السابق: ص 117، 118.

الله منك، فأمر بضرب عنقه، فعضب له ابن عمه "حصين"، وعير قطرياً لجبنه وهربه من المهلب، وهو العاز الذي لبسه قطري طيلة حياته، فيسأله عن عدم استحيائه من التي لبس بها عازاً، وهي: الجبن والفرار، موظفاً تاء المخاطب المتصل، دلالة على التصاق هذا العار به، قال: (لبست)، لينتقل في البيت الثاني ليسأل متعجباً عن فراره من المهلب وهو -بزعمه- كافراً وقطري من الأولياء أصحاب الحق، وبعدها يخبره عن صنيعه مع "عامر السعدي" الذي كان ناصحاً له مؤازراً له في حروبه، ثم يتحوّل بخطابه من العتاب إلى الدعاء عليه وتمني الموت له، قال: (فمّت) فعل أمر بضمير مستتر مرجعه "قطري"، وهو بهذا يقول: إن الموت راحة لك، وأنت يا قطري لا محالة للموت صائر، وتكأف ضمائر المخاطبة: المنفصلة أنت (04 مرّات) مع المتصلة والمستترة، فقد حملت هذه الضمائر لهجة التّعير والتوبيخ، وقد جاء الحديث مطوّلاً لتذكير قطري بفصاحة فعلته ومساوئه، وهي دعوة ضمنية للتدارك والمراجعة.

ج- ضمائر الغائب: هي المبهمات التي يوظفها المتكلّم في خطابه لشخص غير معروف أو غير حاضر، وهنا لا بُدّ لهذا الضمير من شيء يُفسّره ويوضّح المراد منه، ما يعني إن ضمائر الغيبة هي: "إشارات لم يُعرف مرجعها، ولا بُدّ لها من سياقٍ تداوليٍّ يوضّحها ويُحدّد على من تعود" <sup>1</sup>، وضمائر الغائب منها ما يدلُّ على "المفرد، مثل: هو، هي، ومنها ما يدلُّ على المثنى، مثل: هما، للمذكر والمؤنث، ومنها ما يدلُّ على الجمع، مثل: هم، هنّ، بالإضافة إلى هاء الغائب المتصلة للمؤنث والمذكر" <sup>2</sup>.

وضمائر الغائب ثلاثة: مستترة، متصلة ومنفصلة، وقد ظهرت جلياً في خطاب الخوارج، فصوّروا بها عالمهم المضطرب بالأحداث والنزاعات/الصراعات السياسية، وكانوا في حاجة إلى توظيف خطاب الغيبة لأغراض تخدم قضيتهم، ومن استعمالات الخوارج لضمائر الغائب:

### ✓ ضمير الغائب المنفصل:

- قال "العيراز بن الأحنس الطائي" يُخبر عن خوارج صمّين: <sup>3</sup> [الطويل]

01 هُم فارقوا في الله من جار حُكمهُ      وكُلٌّ عن الرّحمن أصبح راضياً

02 يُنادون لا لا حُكم إلا لربّنا      حنائيك فاغفر حوّننا والمساويًا

03 فلا وإله الناس ما هاب معشرُ      على النهْرِ في الله الحُتوف القواضيا

<sup>1</sup> محمود نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18.

<sup>2</sup> صبيح التميمي: هداية السالك إلى ألقىة ابن مالك، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، (د ط)، 1998، (ج 1)، ص 16.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص 45.

ارتبط ضميرُ الغائبِ الجمعيِّ المُدكَّرِ المُنفصلِ في هذه المَقْطوعَةِ بالخوارجِ الَّذِينَ فَارَقُوا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ صِفِّينَ لَمَّا قَبِلَ التَّحَكِيمَ، قَالَ: (مَنْ جَارَ حُكْمَهُ)، وَالشَّاعِرُ بِذَلِكَ يَصِفُ حَالَةَ الصِّدَامِ وَالْفُرْقَةَ الْحَاصِلَةَ فِي حَيْشِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَافِعِينَ شِعَارَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ: (يُنَادُونَ) وَهُوَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٌّ تَقْدِيرُهُ "هُم"، وَالَّتِي عَبَّرَ بِهَا عَنْ مَوْقِفِهِمْ، وَبِذَلِكَ يُبْلَغُ رِسَالَةٌ لِلْمُتَلَقِّي مَفَادُهَا أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ.

### ✓ ضميرُ الغائبِ المُتَّصِلِ:

- يقول "سلامة بن سيار الشيباني" يذكُرُ بِطَوْلَاتِهِ: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 فَصَبَّحْتُهُمْ قَبْلَ الشُّرُوقِ بِفِتْيَةٍ      مَسَاعِيرَ لَا كُشْفِ اللَّقَاءِ وَلَا عُزْلِ  
02 وَآيَسَتْ دِمَاءُ الْيَقْدُمِيِّينَ بِآلِي      تُوَاظِي دِمَاءَ الْحَيِّ شَيْبَانَ فِي الْقَتْلِ  
03 لَعَلَّ جِيَادِي أَنْ تَعُودَ عَلَيْهِمْ      فَتُنزِلُهُمْ دَارَ الصَّغَارِ مَعَ الدُّلِّ

قَصَّةُ الْأَيَاتِ اخْتِصَارًا: قَتَلَتْ قَبِيلَةُ عَنزَةَ الْفَضْلَ بْنَ سَيَّارِ الشَّيْبَانِيِّ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَعَزَمَ أَخُوهُ سَلَامَةُ عَلَى الْأَخِيذِ بِالنَّارِ، وَأَعَارَ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا، فَقَالَ يَسْرُدُ قِصَّةَ النَّارِ: (فَصَبَّحْتُهُمْ) مُوَظَّفًا ضَمِيرَ الْغَائِبِ الْجَمْعِيِّ الْمُتَّصِلِ بِالْفِعْلِ "صَبَّحَ" وَالَّذِي مَرَّجَعُهُ "قَبِيلَةُ عَنزَةَ"، وَدِلَالَةُ الْفِعْلِ هُنَا: إِنَّهُ أَعَارَ عَلَى الْعَدُوِّ بَاكِرًا، تَقُولُ: صَبَّحَ الْعَدُوَّ: هَجَمَ عَلَيْهِ صَبَاحًا، مُشِيرًا إِلَى أَخْذِهِمْ عَلَى غَفْلَةٍ، وَيَدُلُّ الْفِعْلُ أَيْضًا عَلَى اسْتِعْجَالِ أَخْذِ النَّارِ، وَهَذَا النَّارُ كَانَ لِفُرْسَانِهِ مِنْهُ نَصِيبٌ، قَالَ: (بِفِتْيَةٍ مَسَاعِيرِ) أَشْدَاءَ لَهُمْ تُرُوسٌ (الْكُشْفُ) نَحْمِيهِمْ فِي الْحَرْبِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي لِيُقَلِّلَ مِنْ شَأْنِ وِدْمَاءِ قَبِيلَةِ عَنزَةَ، قَالَ: (وَلَيْسَتْ دِمَاءُ الْيَقْدُمِيِّينَ) \* تُوَاظِي دِمَاءَ بَنِي شَيْبَانَ قَوْمِهِ، مُفَاخِرًا بِذَلِكَ بِنَسَبِهِ، مُتَّحِدًا فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ عَنْ كَرِهِهِ عَلَى قَبِيلَةِ عَنزَةَ وَتَمَنِّيهِ أَنْ تَعُودَ جِيَادُهُ عَلَى الْقَوْمِ، وَفِي هَذَا اسْتِضْعَافًا، ثُمَّ قَالَ: (فَتُنزِلُهُمْ)، وَضَمِيرُ الْجَمْعِ الْمُتَّصِلِ عَائِدٌ عَلَى أَبْنَاءِ يَقْدُمٍ وَهُوَ بِذَلِكَ يَحْطُّ مِنْ قَدْرِهِمْ، وَجَاءَ بِلَفْظَةِ "الصَّغَارِ" الدَّلَالَةَ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِالذُّلِّ وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَبِهَذَا التَّحْلِيلِ؛ يَكُونُ مَرَّجِعُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ هُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَةِ عَنزَةَ، وَسِيَاقُ وُرُودِ الْكَلَامِ جَاءَ لِلْإِشَادَةِ بِالْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ وَأَخْذِ النَّارِ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 199.

\* الْيَقْدُمِيُّونَ: هُمْ أَبْنَاءُ يَقْدُمِ بْنِ عَنزَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ، مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُوَالِيَةِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ يُقَرَّبُهُمْ وَيَسْتَعْمِلُهُمْ فِي مَقَاتِلَةِ الْخَوَارِجِ، يَنْتَشِرُونَ الْيَوْمَ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْبُلْدَانِ الْخَلِيجِيَّةِ، وَخَاصَّةً دَوْلَةَ الْكُوَيْتِ. يُنظر: عبد العزيز بن مساعد الياسين، كشاف الألقاب - معجم ألقاب الأسر الكونية -، مكتبة دار العروبة، الكويت، (د ط)، (د ت)، ص 167.

✓ ضميرُ الغائب المُستتر:

- قال "حبيب بن خدره الهالبي" يتعجب من قتل "الحسين" عليه السلام: <sup>1</sup> [الكامل]

01 قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَأَصْبَحُوا يَنْعَوْنَهُ إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارٌ

02 مَا شِيعَةُ الدَّجَالِ تَحْتَ لَوَائِهِ بِأَضَلِّ مِمَّنْ قَادَهُ الْمُخْتَارُ

ابتدأ الشاعرُ مقطوعته بفعلٍ ماضٍ فاعله واو الجماعة، والتقدير: "هُم قتلوا" ليخبر عن فاجعة مقتل الحسين عليه السلام، ومرجع الخطاب (أي القتلة) يشترك فيه عدَّة جماعات، وهُم: "أهل الكوفة الذين كاتبوا الحسين ومَنّوه بالخروج إليهم، ثم ما لبث هؤلاء القوم وانخرطوا في جيش ابن زياد"<sup>2</sup>، أي خانوا الحسين، ويدخل أيضاً ضمن الفعل "قتلوا" "عبد الله بن زيادٍ لما طغى وبيت الأمر على القضاء على الحسين"<sup>3</sup>، ومنهم كذلك: "عمرو بن سعد بن أبي وقاص الذي ولّاه ابن زيادٍ على الجيش وأمره بقتال الحسين، ومع كلّ الترهيب من مُقرّبيه بأن لا يفعل، إلا أن المقادير حرت بما أَرادَه اللهُ"<sup>4</sup>، والمتسبب الرئيس في مقتل الحسين عليه السلام هو "يزيد بن معاوية فقد كان الخليفة، وكان بإمكانه التصرف بحكمة وتعقل"<sup>5</sup>، ثم ينتقل ليخبر عن ندم الذين غدّروا بالحسين، قال: (وأصبحوا ينعونَه) أي: ييكونه، ويبيّن الشاعرُ في الشطر الثاني أن الأيَّام دُولٌ، وأن الظالم لا بدُّ له من حسابٍ قال: (إنَّ الزَّمانَ بأهله أطوار)، وهنا يُخبر عن اقتصاص "المُختار الثَّقفي" بأغلب القادة "الذين شاركوا في قتل الحسين أو التحريض عليه، وعلى رأسهم عمرو بن سعد"<sup>6</sup>، فدلالة الضمير المُستتر جَاءَ لِيُوضَّحَ الفعلُ وتقيضه في هذه المقطوعة، أي: قتل الحسين والتدم على فعلة الشؤء.

تتصفُ الإشارات الشخصية من مُتكلمٍ ومُخاطبٍ وغائبٍ بالإبهام، وتكتسبُ معناها ضمن السياق الذي تردُّ فيه، وبذلك تُفكُّ شيفراًها ويتضح معناها ومرجعيتها، ولعلَّ مُشيرات المُتكلم هي الأوضح، لكون المرجع معروفاً ظاهراً، على عكس مُشيرات الحاضر والغائب التي يغيبُ فيها المرجع، ولا بدُّ من تدخل السياق لتفسيره توضيح المراد منه، وتنوع هذه الإشارات في شعر الخوارج، حتَّى قُوَّة إنجازية وغاية تأثيرية في

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 231.

<sup>2</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (ج 4)، 146.

<sup>3</sup> محمّد الحسني: لواعج الشَّحن في مقتل الحسين، تح: حسن الأمين، دار الأمير، السعودية، (ط 1)، 1996، ص 75.

<sup>4</sup> المرجع السابق: ص 77.

<sup>5</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (ج 4)، ص 245.

<sup>6</sup> ابن كثير: البداية والنهاية، (ج 09)، ص 245.

## الفصل الثاني ————— الإشارات المَقَامِيَّةُ ومرجعِيَّتُها المَقَامِيَّةُ فِي شِعْرِ الخَوَاجِ

مُسْتَقْبَلِي الخِطَابِ، فَالْتَّفَسُّ تَمَلُّ الحَدِيثِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا يَعْنِي إِنَّ التَّنَوُّعَ ي تَوْظِيفِ الإِشَارَاتِ يَحْصُلُ بِهِ الفَائِدَةُ والمَقْصِدِيَّةُ مِنَ الخِطَابِ، وَلِيَبَانَ نَوْعُ الإِشَارَاتِ وَمَرْجِعُهَا وَسِيَاقُهَا الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، نُورِدُ الجَدُولَ الآتِي:

الإِشَارَاتُ الشَّخْصِيَّةُ	التَّرْكِيبُ	الضَّمِيرُ	نَوْعُهُ	مَرْجِعُهُ	سِيَاقُهُ
ضمائرُ المُتَكَلِّمِ	أنا ابنُ وهبٍ	أنا	مُتَكَلِّمٌ/مُفْرَدٌ/ظَاهِرٌ	ابنُ وهبِ الرَّاسِيِّ	البَطُولَةُ/الشَّجَاعَةُ
	أَنُوي- لَكِنِّي	الياءُ (02)	مُتَكَلِّمٌ/مُفْرَدٌ/ظَاهِرٌ	ابنُ مُلْحَمِ المُرَادِي	العَدْرُ بعلِيَّ <small>عليه السلام</small>
	بَلِيثُ- شَرِيثُ - نازِلْتُ	التَّاءُ (03)	مُتَكَلِّمٌ/مُفْرَدٌ/ظَاهِرٌ	حِطَّانُ الأَعْسَرِ	الجِهَادُ والقِتَالُ
	وَأنا- سُقنا- مُنينا	نا (03)	مُتَكَلِّمٌ/جَمْعٌ/ظَاهِرٌ	قَطْرِيُّ بِنِ الفُجَاءَةِ	القُوَّةُ والشَّجَاعَةُ
	وَنحْنُ ضَرِينا- وَنحْنُ حَلَلنا- وَنحْنُ كَرَامٌ	نحْنُ (03)	مُتَكَلِّمٌ/جَمْعٌ/ظَاهِرٌ	مِيَّاسُ المُرَادِي	الفَخْرُ والإِعْتِزَالُ
ضمائرُ المُخاطَبِ	أَتَيْتِ	التَّاءُ	مُتَكَلِّمٌ/مُفْرَدٌ/ظَاهِرٌ	مُعَاوِيَةَ <small>عليه السلام</small>	تَعْيِيرٌ وإِسْتِنْقاصُ
	- خَلوتَ- خُلِّفَتَ- فَأنتِ	التَّاءُ (04)	مُخاطَبٌ/مُفْرَدٌ/ظَاهِرٌ	أنتِ أَيُّهَا الإنسانُ	النَّصِيحَةُ والتَّذَكِيرُ
	أنتِ وليٌّ- أنتِ لَدِيهِ- أنتِ مُهاجِرٌ	أنتِ (03)	مُخاطَبٌ/مُفْرَدٌ/ظَاهِرٌ	قَطْرِيُّ بِنِ الفُجَاءَةِ	التَّهْكُمُ + النَّصِيحَةُ
	فلا تَقَل- وَلكن قُل- لا تَحْسَبَنَّ	الضَّمِيرُ المُسْتَتَرُ (03)	مُخاطَبٌ/مُفْرَدٌ/مُسْتَتَرٌ	أنتِ أَيُّهَا الإنسانُ	النَّصِيحَةُ والتَّذَكِيرُ
ضمائرُ الغائِبِ	هُمُ فارِقُوا- هُمُ ضَرَبُوا- هُمُ نَزَلُوا	هُمُ (03)	غِيَابٌ/جَمْعٌ/ظَاهِرٌ	خَوارجُ مَعْرَكَةِ صِغْيَنِ	مَدْحُ الخَوَاجِ
	فصَبَّحْتَهُم- عَلِيَهُم- فَتَنَرَلَهُم	"هُمُ" المُتَّصِلُ	غِيَابٌ/جَمْعٌ/ظَاهِرٌ	قَبِيلَةُ عَنزَةَ	الشَّجَاعَةُ وأَخْذُ النَّارِ
	فَتَلُّوا الحُسَيْنِ	واوِ الجَماعَةِ	غِيَابٌ/جَمْعٌ/مُسْتَتَرٌ	أهلُ الكُوفَةِ + يَزِيدُ وَقُوْداهُ	بَيانُ شِجَاعَةِ قَتْلِ الحُسَيْنِ

شكل 02: الإِشَارَاتُ الشَّخْصِيَّةُ؛ نَوْعُها، مَرْجِعُها وَسِيَاقُها.

02- الأسماء الموصولة:

✓ الإسم الموصول الخاص:

- يقول "يزيد بن حبناء" من الخوارج الأزارقة لما طلبت منه زوجته الهدايا يُخبرها أنّ الحال ليست للهدايا واللطائف، فالحال حال حرب: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 فَلَيْسَ بِمُهْدٍ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ جَلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ  
 02 لَقَدْ كَانَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ لَقِيَتْهُمْ بِسَابُورَ شُغْلٍ عَن بُرُوزِ اللَّطَائِمِ  
 03 تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِيَّةٌ وَمُرْهَفَةٌ نَفْرِي شُؤُونَ الْجَمَاجِمِ  
 04 تَرَى الْخَيْلَ تَزْدِي بِالتَّجَافِيهِ بَيْنَهُمْ بِفُرْسَانِهَا مَرَّ التُّسُورِ الْقَشَاعِمِ

يُوضِّحُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ سَبَبَ انْشِغَالِهِ عَنِ مَطْلَبِ زَوْجَتِهِ، قَالَ: (فَلَيْسَ بِمُهْدٍ) أَي: الشَّخْصُ الَّذِي يَقْضِي نَهَارَهُ وَلَيْلَهُ فِي الْجِهَادِ، مُوظَّفًا "مَنْ" الْمَوْصُولَةَ بِمَعْنَى الَّذِي الدَّالَّةُ عَلَى الْعَاقِلِ، وَهُوَ "يَزِيدُ"، فَالْقَوْمُ الَّذِينَ يُوجِّهُهُمْ فِي "سَابُورَ"، فَأَخْبَرَ أَنَّ شُغْلَهُمُ الْوَحِيدَ هُوَ الْقِتَالِ، غَيْرَ مُقْبِلِينَ عَلَى الدُّنْيَا وَجَمِيلِ الثِّيَابِ وَالنَّعْمِ، قَالَ: (عَنْ بُرُوزِ اللَّطَائِمِ)، مُوظَّفًا الْإِسْمَ الْمَوْصُولَ الْجَمْعِيَّ لِتَوْضِيحِ مَرْجِعِ الْخَطَابِ، وَهُمْ "فِرْسَانُ الْحَجَّاجِ"، وَإِنْ كَانُوا أَعْدَاءً، فَقَدْ نَقَلَ مَا عَاشَتْهُ مِنْ بَسَالَةِ وَقْوَةِ الْقَوْمِ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ: (تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِيَّةٌ) وَهِيَ الرِّمَاحُ الَّتِي تَقْدُ وَتَقْطَعُ بِحِدَّةٍ، فَالْمُشِيرُ "الَّذِينَ جَاءَ بِهِ الشَّاعِرُ" لِلإِخْبَارِ عَنِ قُوَّةِ الْخِصْمِ، الشَّيْءُ الَّذِي أَنْسَاهُ الْهُدَايَا وَاللُّطَائِفَ لَزَوْجَتِهِ، وَكَأَنَّهُ يُعْلَلُ، وَالشَّاعِرُ فِي مَقْطُوعَتِهِ هَذِهِ، يُعْلِي مِنْ شَأْنِ الْغَايَةِ الَّتِي خَرَجَ إِلَيْهَا وَهِيَ الْجِهَادُ، فَنَزَّ نَفْسَهُ عَنِ الدُّنْيَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ مُتَعَلِّقًا بِالْعَنَائِمِ.

وفي بابِ ذِكْرِ خِصَالِ وَتَدْيِينِ الْخَوَارِجِ، تَقُولُ "مَلِيكَةُ الشَّيْبَانِيَّة" <sup>2</sup>: [الكامل]

- 01 أَيَّنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَتْ فِعَالُهُمْ عُرِفُوا بِحُسْنِ عِفَافَةٍ وَوَقَارٍ؟  
 02 أَيَّنَ الَّذِينَ إِذَا أَتَاهُمْ سَائِلٌ بَدَلُوا لَهُ أَمْوَالَهُمْ بِيَسَارٍ؟  
 03 أَيَّنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرْنَا دِينَهُمْ قَالَتْ عَشَائِرُهُمْ: هُمْ الْأَخْيَارُ؟

سِيَأْتُ الْأَبْيَاتِ جَاءَ تَحْتَ بَابِ الرِّثَاءِ، فَالشَّاعِرَةُ تَبْكِ الْخَوَارِجَ، مُوظِّفَةً الْإِسْمَ الْمَوْصُولَ الْجَمْعِيَّ "الَّذِينَ"، وَالَّذِي مَرْجِعُهُ الشُّرَاهُ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَالسُّؤَالُ هُنَا لِلتَّأَكِيدِ، وَالْإِسْمُ الْمَوْصُولُ جَاءَ لِلتَّعْرِيفِ بِخِصَالِ وَسَجَايَا الْقَوْمِ.

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 99، 100.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 211.

ومن الأسماء الموصولة في مُدَوْنَةِ الخواج؛ "التي"، وهي الإسمُ الثاني من الأسماءِ الخاصة بعد "الذين" في كاملِ المُدَوْنَةِ، ومن أمثلتها:

- يقول "فروة بن نوفل الأشجعي" في أمرِ التَّحْكِيمِ: <sup>1</sup> [الوافر]

01 كَرِهْنَا أَنْ نُرِيقَ دَمًا حَالَاً وَهَيْهَاتِ الْحَرَامِ مِنَ الْحَالِ

02 وَقُلْنَا فِي الَّتِي [...] بِقَوْلٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ

03 نُقَاتِلُ مَنْ يُقَاتِلُنَا وَنَرْضَى بِحُكْمِ اللَّهِ لَا حُكْمَ الرَّجَالِ

يُشِيرُ الشَّاعِرُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ إِلَى قَضِيَّةِ الْخِلَافِ وَالخُرُوجِ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَوْمَهَا كَرِهُوا أَنْ يَسْفِكُوا دَمًا حَالَاً، يَعْنِي دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ يَذَكُرُ رَأْيَهُمْ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ: (وقلنا في التي) والاسم الموصول "التي" في الجملة مرجعه "قضية التحكيم"، ومعنى الجملة: وقُلْنَا فِي قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ مَعَاذَ اللَّهِ مِمَّا خَاضَ فِيهِ الْقَوْمُ يَوْمَهَا، وَهُوَ قَبُولُهُمْ تَحْكِيمَ الرَّجَالِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، مُوضِّحًا أَنَّهُمْ سَيُقَاتِلُونَ مَنْ يَبْتَدِئُ قِتَالَهُمْ، مُوظِّفًا الْإِسْمَ الْمَوْصُولَ "مَنْ" بِمَعْنَى الَّذِي، وَيَعْنِي بِ"يُقَاتِلُنَا" أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ: مُعَاوِيَةَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا حُكْمَ الرَّجَالِ، وَالْمُدَقِّقُ فِي النَّصِّ يَجِدُ أَنَّ بَعْدَ الْإِسْمِ الْمَوْصُولِ "التي" حَذْفٌ، حَتَّى الْمُحَقِّقُونَ لَمْ يَجِدُوا أَوْ يَضَعُوا بَدِيلًا لِلْفِعْلِ الْمَحذُوفِ، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ لِنِقْمَتِهِ عَلَى قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ حَذَفَهَا مِنْ كَلَامِهِ، وَجَعَلَ مِنَ الْإِسْمِ الْمَوْصُولِ تَدْلِيلًا عَلَيْهَا.

وفي بابِ الشَّهَادَةِ وَتَمَيُّي الْمَوْتِ فِي سَاحَاتِ الْقِتَالِ، يَقُولُ "كعب بن عميرة" لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ يَوْمَ "النَّهْرَوَانِ" فَحَبَسَهُ أَحْوَاهُ: <sup>2</sup> [الطويل]

01 لَقَدْ فَازَ إِخْوَانِي فَنَالُوا الَّتِي بِهَا نَجَوْنَا مِنْ عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يُفْتَرُ

02 وَبَارَبَّ هَبِّ لِي ضَرْبَةً بِمَهْنَدٍ حُسَامٍ إِذَا لَاقَى الَّتِي هِيَ تَهْبُرُ

03 فَقَدْ طَالَ عَيْشِي فِي الضَّلَالِ وَأَهْلِهِ أَخَافُ الَّتِي يَخْشَى التَّقِيَّ وَأَحْذَرُ

جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي بَابِ تَمَيُّي الشَّهَادَةِ، فَالشَّاعِرُ هُنَا يُخْبِرُ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا لِلْجِهَادِ، فَ: (نالوا التي)، وجاءَ بِالْإِسْمِ الْمَوْصُولِ "التي" الَّذِي أَحَالَ بِهَا إِلَى مَرْجِعِ الشَّهَادَةِ، وَيَتَمَيُّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي أَنْ يَرِزُّهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ حَادَّةٍ، وَجَاءَ الْإِسْمُ الْمَوْصُولُ "التي" لِيُشِيرَ إِلَى الضَّرْبَةِ الْقَاطِعَةِ قَالَ: (إِذَا لَاقَى الَّتِي هِيَ تَهْبُرُ)، وَتَوْضِيحُ الْفِعْلِ "تَهْبُرُ" جَاءَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَقْطِيعِ السَّيْفِ لَهُ قِطْعًا كَبِيرَةً، مَا يَدُلُّ عَلَى حَرَصِ

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 56.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 74.

شديد لنيل الشهادة، يُعبّر في البيت الأخير عن رغبته في مفارقة أهل الضلال، ويحذر من الفتن والمغريات، وقد عبّر عن ذلك بتوظيف الاسم الموصول "التي"، وقد أشار بها إلى الفتن وضروف الدهر التي يخشى منها على إيمانه، والمتكلم هنا لم يذكر المرجع المقصود صراحةً، بل أشار إليه بالعنصر الإشاري الموصول "التي"، وهذا العنصر في هذه المقطوعة عاد على ثلاثة مراجع: الشهادة، ضربة السيف والفتن وضروف الدهر، فالمرسل قد جمع بين هذه المراجع التي تصب في حقل واحد، وهو حُب الآخرة وتمي الحياة الأبدية.

### ✓ الاسم الموصول المشترك:

وهو الاسم الذي يكون بلفظ واحد للجمع، فيشترك فيه المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، وهذه الأسماء هي: مَنْ، ما، ذَا، ذُو، وأي<sup>1</sup>، ومعنى الإشتراك: أن يدل الاسم الواحد بلفظه ولا يتغير مع الجمع، ما يعني إن صورته تبقى ثابتة، وهذا النوع في المدونة نادر، وهذه بعض التركيبات:

- قال "الرّهين بن سَهْم المرادي":<sup>2</sup> [البيسط]

01 يَا نَفْسُ قَدْ طَالَ فِي الدُّنْيَا مُرَاوَعَتِي لَا تَأْمَنِي لِضُرُوفِ الدَّهْرِ تَنْغِيصًا

02 إِنِّي لَبَائِعُ مَا يَفْنَى لِبَاقِيَةٍ إِنْ لَمْ يَعْقِنِي رَجَاءُ الْعَيْشِ تَرْيِصًا

03 وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَيْعَ النَّفْسِ مُحْتَسِبًا حَتَّى الْأَقْي فِي الْفِرْدَوْسِ حَرْقُوصًا

يُخاطب الشاعر نفسه في هذه الأبيات، مُسندًا لها النصيحة بأن لا تأمن نوائب ومصائب الدهر، مُعلنًا في البيت الثاني بأنه بائع نفسه وكلّ الملذات رجاء الباقية غير الفانية، وقد وظّف "ما" الموصولة بمعنى الذي، قال: (لبائع ما يفنى)، أي: الذي يفنى، و"ما الموصولة" جاءت مُبهمة غير واضحة، ثم إن صلة الموصول "يفنى" كشفت عن إيهام الاسم الموصول "ما"، وفسرت ووضحت المعنى وأزالت الغموض عنه، فالذي يفنى في قصيد الشاعر هو: النفس وكلّ ملذات الدنيا، وبعدها ينتقل الشاعر ليحتسب بيع نفسه لله، علّة يُلاقي في الجنان حرقوصًا الزعيم الخارجي، رمز الخواج وعلمها.

- ويقول "راسي من أهل حروراء":<sup>3</sup> [الطويل]

01 نَدِمْنَا عَلَى مَا كَانَ مِنَّا وَمَنْ يُرِدْ سِوَى الْحَقِّ لَا يُدْرِكْ هَوَاهُ وَيَنْدَمْ

02 خَرَجْنَا عَلَى أَمْرٍ فَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَلِيٍّ غَيْرُ غَابٍ مُقْوَمْ

<sup>1</sup> إميل بديع يعقوب: موسوعة اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، (ج 2)، ص 155.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخواج، ص 76.

<sup>3</sup> المرجع السابق: ص 41.

### 03 فَجَاءَ عَلِيٌّ بِأَلْتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مَقَالَ لِيذِي حِلْمٍ وَلَا مُتَحَلِّمٍ

جاءت هذه الأبيات ندماً على ما جرى يوم صفين سنة 37 هـ، قال: (ندمنا) مؤظفاً الضمير الجمعي المتصل الدال على الفاعلية، وهو تعبيرٌ نفسيٌ يحملُ ألماً وحسرةً، ثم قال: (على ما كان مناً) وجاء بالإسم الموصول بمعنى "الذي" وتقديرُ الكلام: ندمننا على الذي حصل/وقع منّا يوم صفين، وهذا المشيرُ المبهمُ فسره ما بعده: "كان مناً" أي: ما بدرَ منّا يومها ومخالفتنا وخروجنا على أمير المؤمنين، فالحمولة الدلالية للفعل "ندمنا" تدلُّ على أنهم خالفوا الحقَّ، ثمَّ يسردُ ما دارَ بينهم وبينَ عليٍّ من مناوشاتٍ، كان فيها عليٌّ حليماً، مسبباً الدعوة باللين والاستتابة قبل استعمال القوة والسيف.

ومن الأسماء المشتركة توظيفاً، الإسم الموصول "من"، ومن استعمالاتها في مدونة شعر الخواج:

- يقول "معدان بن مالك الإيادي":<sup>1</sup> [الطويل]

### 01 سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ بَايَعَ اللَّهَ شَارِبًا وَلَيْسَ عَلَيَّ الْحِزْبِ الْمُقِيمِ سَلَامٌ

يتبدى الشاعرُ خطاباً بتحيةة السلام، سلامٌ غيرُ مُعرَّفٍ، ما يعني إنه عامٌ غيرُ مُعيَّنٍ، قال: (سلامٌ على من بايع)، وجاء بالإسم الموصول "من" بمعنى "الذي"، أي: سلامٌ على الذي بايع، أي: قام بصفقة بيع، وشارباً بمعنى باع رُوحه في سبيل الجنة، فالإسم الموصول جاء مبهماً، فسرتُه جملة صيلة الموصول، ويستثنى الشاعرُ في عجز البيت القعدة الذين لم يخرجوا للقتال من السلام، قال: (وليس على الحزب المقيم سلام) أي: القاعد، والشاعرُ ها يُخالفُ مبدأ الجماعة الصُفريَّة لأنه بعدم سلامه قد تبرأ من القعدة، إذ الأصل عندهم عدمُ تكفير المقيمين/القعدة المتخلفين عن القتال، وقد برئت الصُفريَّة من "معدان"، وقالوا: خالفت ما عليه رأي الجماعة، وبرئت من القعدة وكفرتهم<sup>2</sup>.

ثمَّثلُ الأسماء الموصولة في شعر الخواج أشكالاً فارغةً، إذ إنَّها لا تملك دلالةً مستقلةً، وإنَّما تعودُ إلى عنصرٍ أو عناصرٍ أخرى مذكورة في أجزاء داخل النصِّ، ما يعني إنَّ دلالتها متغيرةٌ بحسبِ السياقِ النصِّيِّ، فالتعاملُ مع هذه المشيرات يفترضُ وجودَ دلالةٍ في الفضاءِ معروفةٍ لدى المُتلقيِّ مسبباً، بناءً على علاقةٍ سابقةٍ بين طرفي عمليَّة التكلُّم، وهذه الدلالة تتحدَّدُ بعنصرٍ جملة صيلة الموصول في الكلام، ولكن إذا كانت العلاقة بينهما وهميَّة غيرَ مُتحقِّقة في الواقع كما هو الحال في النصوص الشعريَّة مثلاً، فإنَّ جانب الصلَّة يُصبحُ غامضاً أيضاً كعموض الموصول نفسه.

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 43.

<sup>2</sup> أحمد عوض: الخواج - تاريخهم، فرقهم، أدبهم -، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، (ط 2)، 2012، ص 106.

ثانياً- الإشارات الاجتماعية (Le Deixis Mémorielle) :

إنَّ الإشارات الاجتماعية هي عناصر تعملُ على توطيدِ العلاقاتِ بين المتخاطبين من عناصر دالة على الأخوة والصُّحبة، وإشارات تُعبِّرُ عن أحاسيس ومشاعر الإنسان، وتلك التعبيرات الدالة على الرِّفْضِ والحُكْمِ على أفعال ذميمة يرفضها العُرفُ والمُجتمع، والمُتَّبِعُ لمدونة شعر الخوارج يجدُ هذا النوع من الإشارات حاضراً بكثرة، ما يعكسُ مدى التَّحامِ الخوارجِ وتواصلهم وحرصهم على نقلِ صورة حية تُمثِّلُ حياتهم وآرائهم وعقيدتهم، ومن ذلكم:

- يقول "داوود بن عُقبة العبدي" من قادة الخوارج يذكُرُ جُنْدَهُ (إخوانه):<sup>1</sup> [الطويل]

01 أولئك إخواني مُنيتُ بهلكهم فَلَهْفِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَوْا آخِرَ الدَّهْرِ

02 مَضَوْا سَلْفًا قَبْلِي وَأَخْرْتُ بَعْدَهُمْ وَحِيداً لِأَقْوَامٍ تَنَابُلَةً خُزِرُ

يتحسّرُ الشَّاعِرُ على جُنْدِهِ الَّذِينَ لَاقُوا حَتْفَهُمْ، مُوظِّفاً العنصر الإشاري الاجتماعي "إخواني" ليحيل إلى طبيعة العلاقة بينه وبين صحبه، وهذا العنصر يخضع إلى عوامل سياقية تُعزِّزُ أساساً علاقة المتكلم بالمُخاطب من حيث القرب العاطفي، ودرجة كُلفٍ منهم في قلب الشَّاعر، فالشَّاعرُ هنا يسعى إلى التَّقريب وإزاحة الفوارق بينه وبين إخوته (جُنْدِهِ)، فهو لم يتكلم بصفته قائداً، وإنما خاطب بصفته واحداً منهم، وهو بذلك قد أُلغى كلُّ الفروقات بين القائد والجُندي، وبذلك جعل صحبه وبيّن مكانتهم لديه، وبهذا الأسلوب فهو يدفع المُتلقي إلى أن يتواصل أكثر مع الخطاب ويتأثر به، فيتحقّق بذلك غرضُ الشَّاعر التداولي.

وفي ذكر الوصال والحبيب، يقول "عميرة بن بكر بن وائل" حين فارقت حبيبته جماعة المسلمين

ودعته إلى الالتحاق بركب الخوارج:<sup>2</sup> [الكامل]

01 وَجَدَا يُصَاحِبُنِي لَعْلَ صَبَابَةً مِنْهَا تَرُدُّ حَلِيلَةً لِحَلِيلِ

02 فَلَمَّ نِ قَتَلْتِ لَيْفَتَلَنْ قَتِيلِكُمْ فَتَيْقِنِي أَنِّي قَتِيلُ قَتِيلِ

يُشيرُ الشَّاعرُ بهذه الألفاظ (الوجد، الصَّبابَةُ، الحَلِيلَةُ، الحَلِيلِ) والتي تدخلُ تحت بابِ الحبِّ والوُدِّ، وكلُّها إشارات اجتماعية دلَّ بها على تبجيل الشَّاعر لزوجته وبيان مكانتها في قلبه، وهو يأملُ أن ترجع عن قرارها وتعود الحليلة إلى حليلها الذي فارقتَه، وتوظيف هذه الإشارات؛ فهو يعيشُ حالةً من عدم الاستقرار النفسي كَوْنُ زوجته أعلنت تمسُّكها برأيها وهو الخروج والقتال، فهلاكُ عميرة فيه هلاكُ للشَّاعر، وهذا الهلاكُ

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 212.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 236.

ليس الموت، وإنما هو هلاكٌ معنويٌّ نفسيٌّ، ومع كلِّ محاولاتِهِ لإرجاعِهَا، إلاَّ أَنهَا وَصَعَتْ شرطًا لذلك، وهو الاستمرارُ فِي القتالِ مَعَ الخَوَارِجِ، وهو الأمرُ الَّذِي يرفضه الشَّاعِرُ مبدأً وأصلاً، قالت: <sup>1</sup> [الكامل]

01 أَبْلِغْ مُجَاحِشِ عَ إِذْ رَجَعْتُ فَإِنِّي بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ مَقِيلِي

وَفِي بَابِ ذِكْرِ فُرْقَةِ الْأَصْحَابِ، يَقُولُ "أَحُدُ الخَوَارِجِ": <sup>2</sup> [الكامل]

01 وَقَدْ مَضَوْا وَأَنَا الْحَيْبُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَدَيَّ أَجْبَةٌ أَبْرَارُ

02 قَدَرٌ يُخَلِّفُنِي وَيَمْضِيهِمْ بِهِ يَا لَهْفَ كَيْفَ يَفُوتُنِي الْمِقْدَارُ

يَحْوِي الخِطَابُ بَيَانًا للعِلاَقَةِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ بَيْنَ الخَوَارِجِ، عِلاَقَةِ نُوضُحٍ وَتُحْسُدُ مَا عَلَيْهِ القَوْمُ مِنْ أُخُوَّةٍ، والشَّاعِرُ بِتَوْظِيفِ هَذِهِ العِناصِرِ: (الحَيْبُ، أَجْبَةٌ، أَبْرَارُ) قَدْ أَحَالَ إِلَى مَرَجِعٍ مُعَيَّنٍ وَهُوَ ذَاتُ الشَّاعِرِ وَصَحْبِهِ مِنَ الخَوَارِجِ، وَبِتَضَاوُفِ تِلْكَ العِناصِرِ الإِشَارِيَّةِ؛ رَسَمَ صُورَةً وَضَّحَ بِهَا عِلاَقَةَ الخَارِجِيِّ بِأَحِيهِ، يَفْرُحُ لِفِرْحِهِ، وَيَحْزَنُ لِحُزْنِهِ وَيَبْكِي لِفِرَاقِهِ، ذَاكِرًا فِي البَيْتِ الثَّانِي الحَقِيقَةَ المُسَلَّمِ بِهَا، وَهِيَ أَنَّ قِضَاءَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ العِبَادِ، وَأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِأَجَلٍ وَمِقْدَارٍ.

وَمِنَ الإِشَارِيَّاتِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الخَوَارِجِ، حِفْظُ القَرَابَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَفِي هَذَا البَابِ تَقُولُ

"مُلَيْكَةُ الشَّيْبَانِيَّةِ" تَرْتِي "الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ": <sup>3</sup> [الكامل]

01 جَلَّتْ مُصِيبَتُنَا وَقَدْ عَظُمَتْ لَمَّا فُجِعْتُ بِسَيِّدِ ضَخْمِ

02 حُلُوُ الشَّمَائِلِ حِينَ تَخْبُرُهُ حَسَنُ السَّرِيرَةِ مَا جَدُّ شَهْمِ

03 يَصِلُ القَرَابَةَ وَالجِوَارَ إِذَا قَطَعَ القَرَابَةَ صَاحِبُ الظُّلْمِ

تَرْتِي الشَّاعِرَةُ رَمَزًا مِنَ الخَوَارِجِ وَسَيِّدًا رَفِيعَ المَقَامِ فِي قَوْمِهِ، المُتَّصِفِ بِجَمِيلِ الأخلاقِ وَالشَّمَائِلِ، مُتَحَدِّثَةً عَنِ عِظَمِ المُصِيبَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِقَوْمِهَا وَفَجِيعَتِهِمْ بِسَيِّدِ عَظِيمِ الأَثَرِ وَالسَّمْتِ، قَالَتْ: (حُلُوُ الشَّمَائِلِ)، (حَسَنُ السَّرِيرَةِ)، (مَا جَدُّ شَهْمِ)، وَكُلُّهَا عِناصِرٌ تَدُلُّ عَلَى مُجْتَمَعٍ يَجُوي قِيَمًا وَأَخلاقًا يُعَلِي مِنْهَا وَيَحْتُ عَلَيْهَا، وَتُعَدُّ الشَّاعِرَةُ فِي البَيْتِ الثَّانِي مَزَايَا المَرْتِيِّ مِنْ وَصَلِ القَرَابَةِ الجِوَارِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَهَذِهِ العِناصِرُ الإِشَارِيَّةُ أَحَالَتْ بِهَا إِلَى مُجْتَمَعٍ سَوِيٍّ، يَهْتَمُّ بالعِلاَقَاتِ الإِنسَانِيَّةِ وَحُسْنِهَا، وَيَحْفَظُهَا وَيَدْعُو إِلَيْهَا.

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 257.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 240، 241.

ومع كل ما حلَّ بالخوارج من ضيم في حياتهم، وفقير قد حيلهم، إلا إنك تراهم مجتمعين لحمة واحدة، يُساعد بعضهم بعضاً، وفي هذا الباب، يقول "عمرو بن الحسن الكوفي" يرثي فتيه سَمَوًا بحسن فعالمهم وخصالمهم: <sup>1</sup> [الكامل]

01 فِي فِتْيَةٍ شَرَطُوا نَفُوسَهُمْ لِلْمَشْرِفِيَّةِ وَالْفَنَا السُّمْرِ

02 مُتَرَا حِمِينَ ذُوو يَسَارِهِمْ يَتَعَطَّفُونَ عَلَى ذَوِي الْفَقْرِ

توضِّح المقطوعة صورة حياة الخوارج، وأنهم وهبوا نفوسهم للقتال والجهاد، ومع كل ما يلاقيه الخوارج من معاناة وتثقل دائم وفقير؛ إلا أن ذلك لم يمنعهم من مساعدة بعضهم، قال الشاعر: (متراحمين)، وهو عنصر إشاري أحال به إلى صفة نبيلة داخل المجتمع الخارجي، يتعطفون على الفقراء أصحاب الخصاصة، فالرحمة والصدقة خصلتان حميدتان في مجتمعهم، والشاعر بتوظيف هذه العناصر الإشارية؛ قد أحال إلى مرجع المجتمع الخارجي المتوحد، الذي يُساعد فيه المُيسر المحتاج، وفيه إشارة أخرى إلى أنه ومهما مسَّت الخوارج من فاقة، فهم شخص واحد عند الحاجة، ما يدل على أن مجتمعهم متراص متماسك. والعفة أيضاً خصلة تميز الخوارج، فزهدهم نتج عنه العفة، حتى ترى المحتاج منهم لا يمد يديه،

فتحسبه ذا مالٍ ووفرة، وفي هذا الباب، يقول "عمرو بن الحسن": <sup>2</sup> [الكامل]

01 وَذُوو خِصَاصَتِهِمْ كَأَنَّهُمْ مِنْ صِدْقِ عِفَّتِهِمْ ذُوو وَفْرِ

وفي الثورة ضد صفات الخوف وعدم إغاثة المستجير؛ وهي صفات ذميمة في المجتمع الخارجي الذي "اشتهر بالشجاعة والإقدام، ولعل سبب بروز بعض ظواهر الضعف في فئات منهم راجع إلى الوهن الذي حلَّ بهم لكثرة صراعاتهم" <sup>3</sup>، يقول "صخر الراسبي": <sup>4</sup> [الطويل]

01 وَجَدْتُ بَنِي قَيْسٍ لِنَامًا أَدْلَةً كَثِيرًا خَنَاهُمْ ضُحْكَةً فِي الْمَخَافِلِ

02 وَجَدْتُهُمْ لَمَّا أَتَيْتُ بِلَادَهُمْ ضِعَافًا قِوَاهُمْ نُهْزَةً لِلْقَبَائِلِ

يهجو الشاعر في هذه المقطوعة أحواله الذين امتنعوا عن إجارته وصحبه من جند "يزيد بن معاوية"، مؤظفاً صفات ذميمة يترفع عنها كل حر، قال: (لناماً، أدلة، خناهم، ضعفهم) وهذه العناصر الإشارية المستعملة مرجعها أحواله من بني قيس، وهذه الألفاظ تدل على الهوان والذل الذي لم يعرفه الخوارج حتى في

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 246.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> علي جفال، الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، ص 64.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 78.

أصعب المواقف، وفي البيت الثاني يُخبر أن القوم ضِعافٌ عُرضةٌ لعدوان القبائل الأخرى، وهو بهذا يُصوّر تحوُّلاً في المجتمع الخارجي لم يشهد من قبل.

ومن الإشارات الاجتماعية البارزة الحضور في شعر الخوارج، كلمة "شيخ"، فهذا العنصر الإشاري في العادة يُعبّر عن العلم والوقار، ويوظف أيضاً ليدلّ على كبر السن، وتوظيفه له دلالة على المكانة التي يحتلها المخاطب، وبعد تتبع اللفظة داخل المدونة، فلا أثر لدلالة اللفظة على صاحب العلم، وإنما وردت جميع التراكيب لتدلّ على الشخص الكبير القوي، ومن الأمثلة على ذلك، قول "قطري بن الفجاءة" مُرتجراً لما قتل "الحُر بن سواد بن جعد":<sup>1</sup> [الرجز]

01 أنا أبو نعامة الشيخ الهبل

02 أنا الذي ولدت في أخرى الإبل

سياق المرجوز؛ الفخر، فقطري بن الفجاءة يفخر لقتله أحد أبرز الوجوه التي حاربت الخوارج، قال: (أنا أبو نعامة) موظفاً الضمير المنفصل "أنا" والذي مرجعه ذات الشاعر، للإشادة بقوته، ثم وظف العنصر الإشاري "الشيخ" والذي مرجعه ذات الشاعر كذلك، ليدلّ به على كبره وطعنه في السن ومع ذلك فما يزال قوياً، وما يُعزّز هذا الطرح، بحينه بصفة "هبل"، وهو الرجل العظيم الخلق، وبذلك دلّ على قوته وشجاعته، وأنّ بلوغه الكبر ليس حائلاً من حوضه الحروب والقضاء على الأعداء.

ووردت كذلك لفظه "الشيخ" في سياق القوة وعظمة الجسد، ومن ذلكم، قول "قطري" يذكر هزيمة أمّام "المغيرة بن المهلب":<sup>2</sup> [الطويل]

01 رُمينا بشيخ يفلق الصخر رأيه يراه رجال حول رأيه أبا

02 نفاكم عن الجسر المهلب عنوة وعن صحصح الأهواز نفاً مُشدّبا

03 لقد عظمت تلك المصيبة فيكم وأعظم من هاتين خوفي المهلبا

وظف الشاعر العنصر الإشاري الاجتماعي "شيخ"، الذي مرجعه "المهلب"، ولم يُصرّح به مباشرة في بداية حديثه، وإنما كمّح إلى شخص قوي سديد الرأي، وقد دلّت لفظه (رُمينا) على أنّ من رُمي به القوم رجلٌ ذو بأس وبطش، لينتقل إلى البيت الثاني ليُفصّح عن الذات غير المُصرّح بها، قال: (نفاكم عن الجسر المهلب)، فالاسم المُصرّح به يُمثّل للذات الخارجية اللعنة أو العقدة، فالآخر: "يُمثّل الجحيم بتعبير

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 145.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 130.

سائر<sup>1</sup>، فهو المرعب والنابي والطارد والممزق لجموع الخواج، وهو ما دلّت عليه عبارات: (مُنِينا، يَفْلُق الصَّخْر، عُنوة، نَفَاكُم)، فذات المهلب في النصّ الخارجي شكّلت علاقةً رأسيّةً تراثيّةً، المهلب في المرتبة الأعلى وقطريّ في الأدنى، وتوظيف العنصر الإشاريّ كلمة "شيخ" دلّ بها على كبر المهلب في السنّ، لكنّه شيخٌ ذو قلبٍ قويٍّ ورأيٍ سديدٍ (يفلُق الصَّخْر رأيّه)، وهذا الشيخُ مع كبره إلاّ أنّ جسمه ما يزال مُفعمًا بالقوّة، وهو الشّيء الذي بثّ الرعب في أعدائه.

ساعدت المُشيراث الاجتماعيّة في شعر الخواج على تحديد مقاصد كلامهم وخطابهم، وأخالت إلى العلاقة بينهم، فوصفت علاقة الخارجيّ وأهله وصحبه، موضحةً بذلك روابط الصُّحبة والألفة وصلة الرّحم وحسن الجوار، فالأنس والقرب والمحبة كلّها من المقاصد الصّوريّة للتواصل الإنسانيّ، وبذلك فقد بيّنت القرب العاطفيّ وصدقته.

وبالإضافة إلى وصف الإشارات الاجتماعيّة تألّف الخواج؛ فقد أخبرت عن أحوالهم السيّئة التي عاشوها من ظلم واضطهاد، وفقرٍ وخصاصة، وبذلك عكست الحقائق بتفاصيلها ودقائقها في جوانب حياة الخواج الاجتماعيّة.

### ثالثاً- الإشارات المكانية (Spatial Deictics):

انقسمت الإشارات المكانية في مدونة شعر الخواج إلى قسمين، هما:

**01. أسماء الإشارة:** تُعدّ أسماء الإشارة وسيلةً فاعلةً في التّرايط النصّيّ، وهي أسماء مُبهمة مثل الضّمائر، وتحتاج إلى مَنْ يُفسّرها ويُزيل عنها العُموض، ما يعني إنّها "فارغة الدلالة، فلا بدّ لها من مُعيّن حتّى تُعدّ من المعارف، أي: إنّ استعمالها يقتضي أنّ يتوفّر معها ما يرفع عنها الإبهام ويجعلها قادرة على أداء وظيفة الإحالة"<sup>2</sup>، فهي إذن: عناصرٌ لغويّة غير قائمة بداتها، لأنّها لا تُفهم إلاّ إذا ارتبطت بما تُشير إليه لتفسيرها وتوضيحها.

وقد وردت أسماء الإشارة في شعر "الخواج" قليلةً داخل المدونة، وسترصد هذه الجزئية أمثلةً -نماذج- لأسماء الإشارة لمعرفة مدى إسهامها في تحقيق تراطبات النصّ الخارجيّ وتماسكه.

<sup>1</sup> جان فان: الفلسفة الفرنسيّة، تر: فؤاد كامل، دار الكاتب العربيّ للنشر، القاهرة، مصر، (د ط)، 1998، ص 162.

<sup>2</sup> مصطفى زماش: الإحالة في ديوان الجزائر لمصطفى العيسى -دراسة نصيّة-، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، (د ط)، 2016، ص 114.

وُظِّفَتْ أَسْمَاءُ الإِشَارَةِ الدَّالَّةِ عَلَى القُرْبِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، وَمِنْ الأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ، تَوْظِيْفُ اسْمِ

الإِشَارَةِ الدَّالِّ عَلَى المُفْرَدِ المُذَكَّرِ (هَذَا)، قَوْلَ "أَبِي بِلَالٍ مِرْدَاسٍ":<sup>1</sup> [البسيط]

01 مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ كَانَ لَهُ وَدِّي وَشَارِكُهُ فِي تَالِدِ المَالِ

02 اللهُ يَعْلمُ أَنِّي لَا أَحِبُّهُمْ إِلَّا لِوَجْهِكَ ذُونَ العَمِّ والخَالِ

اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ اسْمَ الإِشَارَةِ (هَذَا) المُشَارِ بِهِ إِلَى (الدِّينِ)، لِيَدُلَّ عَلَى الإِرْتِبَاطِ الوَثِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنَهِجِهِ الخَارِجِيِّ، وَهُوَ إِرْتِبَاطٌ قَرِيبٌ، فِدِينُ الشَّاعِرِ هُوَ إِيمَانُهُ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ، كَمَا يُحِيلُ اسْمُ الإِشَارَةِ إِلَى قِيَمَةٍ تَدَاوُلِيَّةٍ وَهِيَ تَعَلُّقُ الشَّاعِرِ بِدِينِهِ الَّذِي خَرَجَ لِأَجْلِهِ وَعَادَى كُلَّ المُخَالِفِينَ لَهُ، وَلِأَجْلِ هَذَا المَنَهِجِ الخَارِجِيِّ سَيُقَدِّمُ مَحَبَّتَهُ وَيُقَاسِمُ أَعْلَى مَالِهِ مَعَ كُلِّ مَنْ دَانَ دِينَهُ.

وَفِي بَابِ الحَدِيثِ عَنِ الحُرُوبِ وَتَحْضِيرِ العُدَّةِ، يَقُولُ "كَعْبُ بْنُ عُمَيْرَةَ" وَكَانَ قَدْ اشْتَرَى فَرَسًا وَسِلَاحًا

لِيَخْرُجَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ:<sup>2</sup> [الطويل]

01 هَذَا عِتَادِي فِي الحُرُوبِ وَإِنِّي لِأَمَلُ أَنْ أَلْقَى المَيِّتَةَ صَابِرًا

02 وَبِاللهِ حَوْلِي وَاحْتِيَالِي وَقُوَّتِي إِذَا لَقِيتُ حَرْبَ تُشَيْبِ الحَوَادِرَا

03 وَمَا زِلْتُ مُدْكُنْتُ ابْنَ عِشْرِينَ حِجَّةً أَهْمُ بِأَنْ أَلْقَى الكُمَّةَ مُغَاوِرًا

يُشِيرُ الشَّاعِرُ إِلَى سِلَاحِهِ فِي الحَرْبِ، قَالَ: (هَذَا عِتَادِي)، مُوْظَفًا اسْمَ الإِشَارَةِ (هَذَا) وَالَّذِي أَحَالَ بِهِ إِلَى (عتاده) مِنْ فَرَسٍ وَسَيْفٍ وَدِرْعٍ، وَالَّذِي يُعِدُّهُ لِوَأَقِعَةِ النَّهْرِ، وَاسْمُ الإِشَارَةِ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ عِتَادَ الشَّاعِرِ مِنْ أَنْفَسِ العِتَادِ، فَالشَّاعِرُ يُفَاخِرُ بِسِلَاحِهِ الَّذِي سِيخُوضُ بِهِ الحِمَى، غَيْرَ أَنَّ الأَمْرَ لَمْ يَتَمَّ لَهُ، فَقَدْ "حَبَسَهُ أَهْلُهُ وَمَنَعُوهُ مِنَ الخُرُوجِ إِلَى الحَرْبِ"<sup>3</sup>.

وَوُورِدَ اسْمُ الإِشَارَةِ "هذه" الخَاصَّ بِالمُفْرَدِ المُؤنَّثِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي المُدَوَّنَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ

"عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ":<sup>4</sup> [المُنسَرَح]

01 اِقْتَرَبَ الوَعْدُ وَالقُلُوبُ إِلَى اللّهِ وَحُبِّ الحَيَاةِ سَائِقُهَا

02 تَعَاهَدَتْ هَذِهِ القُلُوبُ إِذَا هَمَّتْ بِخَيْرٍ عَاقَتْ عَوَائِقُهَا

03 مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِمًا فَهَذِي كَأْسُ المَوْتِ وَالْمَرَّةُ دَائِقُهَا

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 64.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 75.

<sup>3</sup> مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ المَرْزَبَانِي: مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، بِيروَت، لِبْنَانِ، (ط 1)، 2010، (ج 1)، ص 292.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 188.

#### 04 مَا رَغِبَهُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ عَاشَتْ طَوِيلًا فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ عَنْ حَقِيقَةِ اقْتِرَابِ أَجْلِ الْإِنْسَانِ (وذلك بالموت)، وقلوب النَّاسِ فِي هُوٍ وَحُبٍّ لِلْحَيَاةِ، مُوظِّفًا اسْمَ الْإِشَارَةِ (هذه) مُحْيِلًا إِلَى عُنْصُرٍ لَاحِقٍ دَاخِلِ النَّصِّ وَهُوَ (الْقُلُوبُ)، وَهِيَ إِحَالَةٌ دَاخِلِيَّةٌ، فَالْقُلُوبُ الَّتِي تَعَاهَدَتْ عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ هِيَ قُلُوبٌ صَحْبِهِ، وَهُوَ يَرَى أَصْحَابَهَا وَيَخْبِرُ حَالَهُمْ، فَهَمَّ إِنْ لَمْ يَمُوتُوا شُبَّانًا (عَبْطَةً)، فَسَيَمُوتُونَ شَيْوَحًا، مُشِيرًا بِاسْمِ الْإِشَارَةِ (هذي) إِلَى كَأْسِ الْمَوْتِ الَّتِي سَيَدُوقُهَا جَمِيعُ النَّاسِ، وَبِتَوْضِيهِ اسْمِ الْإِشَارَةِ مُكْرَّرًا جَنَبًا مَعَ أَرْكَانِ الْإِشَارَةِ، فَقَدْ أَسْهَمَ فِي تَرَابُطِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ، فَهَذِهِ الْقُلُوبُ إِنْ لَمْ تَشْبْ؛ فَسَتَدُوقُ مِنْ هَذِي الْكَأْسِ لَا مَحَالَةَ. وَيُمْكِنُ تَحْدِيدَ أَرْكَانِ الْإِشَارَةِ فِي هَذَا النَّصِّ كَالآتِي:

- المُشِيرُ: الشَّاعِرُ (عمرانُ بنُ حطَّان).

- المُشِيرُ إِلَيْهِ: الْقُلُوبُ، الْمَوْتُ.

- المُشَارُ لَهُ: الْقَارِئُ/الْمُتَلَقِّي.

- المُشَارُ بِهِ: اسْمُ الْإِشَارَةِ الْمَفْرَدِ الْمُؤَنَّثِ (هذه/هذي).

- عَمَلُ الْإِشَارَةِ: حَقِّقَ الرِّبْطَ بَيْنَ الْعُنْصُرِ اللَّغَوِيَّةِ، وَأَكَّدَ الْمَعْنَى.

وَمِنْ أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْقُرْبِ، نَجَدُ أَيْضًا (ذَاتُ) وَهِيَ الْإِسْمُ الْوَحِيدُ كَذَلِكَ فِي الْمُدَوَّنَةِ، قَالَ

"عُتْبَانُ بْنُ وَصِيلَةَ الشَّيْبَانِي" يُخَاطَبُ "عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ":<sup>1</sup> [الطَّوِيل]

01 غَزَالَةُ ذَاتِ النَّذْرِ مِنْهَا حَمِيدَةٌ لَهَا فِي سَهَامِ الْمُسْلِمِينَ نَصِيبٌ

02 وَمِنَّا سِنَانُ الْمَوْتِ وَابْنُ عُوَيْمِرٍ وَمُرَّةٌ فَانظُرْ أَيَّ ذَاكَ تَعِيبُ

03 فَوَارِسْنَا مَنْ يَلْفَهُمْ يَلْقَ حَتْفَهُ وَمَنْ يَنْجُ مِنْهُمْ يَنْجُ وَهُوَ سَلِيبٌ

يَفْخَرُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ بِانْتِمَاءِ "غَزَالَةِ الشَّيْبَانِيَّةِ" لِلخَوَارِجِ -سَبَقَ ذَكَرُ قِصَّةَ الْآيَاتِ وَحَرْبَهَا مَعَ الْحَجَّاجِ-، قَالَ: (غَزَالَةُ ذَاتِ النَّذْرِ)، مُوظِّفًا اسْمَ الْإِشَارَةِ الدَّالَّ عَلَى الْمَفْرَدِ (ذَاتُ) وَالَّتِي تَدُلُّ فِي سِيَاقِ النَّصِّ عَلَى الْقُرْبِ، قُرْبِ "غَزَالَةِ" الْمَكَائِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ مِنَ الشُّرَاةِ، وَمَا دَلَّ عَلَى الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ قَوْلُهُ: (مِنَّا حَمِيدَةٌ)، فَاسْمُ الْإِشَارَةِ قَدَّمَ قِيَمَةً تَدَاوُلِيَّةً وَهِيَ الْفَخْرُ وَالتَّهَكُّمُ عَلَى "عَبْدِ الْمَلِكِ" وَ"الْحَجَّاجِ"، وَبَيَّنَّ الْمَكَانَةَ الَّتِي نَحْتُلُّهَا هَذِهِ الْمَرَّةُ الْخَارِجِيَّةُ بَيْنَ صُفُوفِ الخَوَارِجِ.

وَمِنْ أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ الدَّالَّةِ عَلَى "الْبَعِيدِ" فِي مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الخَوَارِجِ، اسْمُ الْإِشَارَةِ "هِنَاكَ" / "هِنَاكَ"،

وَقَدْ وَرَدَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ:

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 200.

— قَالَ "قَطْرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ" لَمَّا تَوَلَّى "بِشْرُ بْنُ مِرْوَانَ" العِرَاقَ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الأَهْوَازِ مُهَدِّدًا: <sup>1</sup> [الطَّوِيل]

- 01 أَلَا قُلِّ لِبِشْرٍ إِنْ بِشْرًا مُصَبِّحٌ      بِخَيْلٍ هُنَاكَ كَأَمْثَالِ السَّرَاحِينِ شُرْبٍ  
02 يُفَحِّمُهَا عَمَرُوا القَنَا وَعُبيدَةٌ      مُفَدَى خِلَالِ النَّقْعِ بِالأُمِّ والأَبِ  
03 هُنَالِكَ لَا تَبْكِي عَجُوزٌ عَلَى ابْنِهَا      فَأَبْشِرْ بِجَدِّعٍ لِلأنُوفِ مُوعِبِ  
04 رَجَعْنَا إِلَى الأَهْوَازِ وَالخَيْلِ عَكْفٌ      عَلَى الخَيْرِ مَا لَمْ تَرْمَنَا بِالمُهَلَّبِ

يُرْسِلُ الشَّاعِرُ رِسَالَةَ تَهْدِيدٍ ل: "بِشْرُ بْنُ مِرْوَانَ" مُتَوَعِّدًا إِيَّاهُ، مُوظِّفًا عُنَاوِينَ إشارِيَّةً ذاتِ حَمُولَةٍ مَكَائِيَّةٍ، تَحْمِلُ طَاقَةَ الحَيِّزِ المَوْقِعِيِّ المُشَارِ إِيَّاهُ، وَهِيَ مُشِيرَاتٌ تَدَاوِلِيَّةٌ فَصَدَّ بِهَا الإِشَارَةُ إِلَى مَكَانِي الإِمَارَةِ وَالحَرْبِ، فَاسْمُ الإِشَارَةِ "هُنَالِكَ" أَحَالَ بِهِ إِلَى مَكَانِ الحُكْمِ "العِرَاقَ"، وَتَوَظَّفَ دَاخِلَ جُمْلَةِ الأَمْرِ دَلٌّ عَلَى التَّهْدِيدِ وَالسُّخْرِيَّةِ، أَوْ رُبَّمَا تَحْقِيرِ الخِصْمِ، وَدَلٌّ أَيْضًا عَلَى حُزْنِ الشَّاعِرِ لِحالِ البِلَادِ وَالإِنْقِسَامَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ بَعْدَ تَنْجِيَةِ المُهَلَّبِ وَعِزِّهِ، فَالشَّاعِرُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ أَرَادَ تَضْيِيقَ المَكَانِ نَفْسِيًّا عَلَى بِشْرٍ وَجُنْدِهِ. وَوُظِّفَ "قَطْرِيُّ" أَيْضًا اسْمُ الإِشَارَةِ "هُنَالِكَ" الَّذِي أَحَالَ بِهِ عَلَى مَكَانِ المَعْرَكَةِ الَّتِي سَتُجَدَّعُ فِيهَا الأَنْوُفُ، وَبِذَلِكَ قَدْ أَعْلَنَ التَّنَصُّرَ عَلَى خِصْمِهِ قَبْلَ المَعْرَكَةِ، وَبِهَذَا يُحْمَسُ الجُنْدُ مِنَ الخَوَارِجِ وَيَبْتَ زُوحَ العَزِيمَةِ فِيهِمْ.

وَمِمَّا تَقَدَّمَ، فَالْقِيَمَةُ التَّدَاوِلِيَّةُ لِهَذَا النَّصِّ مَعَ عُنَاوِينِ الإِشَارِيَّةِ أَبْرَزَتْ تَفَاعُلَ الشَّاعِرِ مَعَ المَكَانِ المُشَارِ إِيَّاهُ، العِرَاقَ دِيَارَ الخَوَارِجِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا المُهَلَّبُ، وَمَكَانِ الحَرْبِ المُتَحَمِّسِينَ لَهَا وَالَّتِي سَيَنْتَقِمُونَ فِيهَا مِنْ أَعْدَائِهِمْ.

## 02- ظُرُوفُ المَكَانِ:

هِيَ كُلُّ "اسْمٍ دَلَّ عَلَى مَكَانٍ وَقَعَ فِيهِ حَدُثٌ مَا"<sup>2</sup>، وَأَسْمَاءُ/ظُرُوفُ المَكَانِ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: مُخْتَصَّةٌ وَمُبْهَمَةٌ.

1- ظُرُوفُ المَكَانِ المُخْتَصَّةُ: وَهِيَ "كُلُّ مَا يَشْتَمَلُ عَلَى حَدٍّ يُحِيطُ بِهِ"<sup>3</sup>، فَنَقُولُ مِثْلًا: مَكَّةَ، العِرَاقَ، الجَزَائِرَ، المَدِينَةَ، المَسْجِدَ، الدَّارَ.

كَثِيرَةٌ هِيَ أَسْمَاءُ المَكَانِ المُخْتَصَّةِ/ المُحَدَّدَةِ فِي مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الخَوَارِجِ، وَدُونِكَ بَعْضُ النَّمَاذِجِ:

✓ سُولَافٍ: مَدِينَةٌ تَقَعُ شَمَالَ العِرَاقِ، كَانَتْ بِهَا حُرُوبٌ عَدِيدَةٌ بَيْنَ الخَوَارِجِ وَالمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ.

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 128.

<sup>2</sup> مصطفى الغلابي: جامع الدروس العربيَّة، مكتبة العصري، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2003، ص 421.

<sup>3</sup> علي بن محمد الحريري البصري: شرح ملححة الإعراب، تع: كامل الهنداوي، دار الكتب العلميَّة، (د ط)، (د ت)، ص 71.

- قال "رجلٌ مِنَ الخَوَارِجِ" يَذْكُرُ فَجِيعةَ الخَصْمِ يَوْمَ "سُولَافٍ":<sup>1</sup> [الطَّوِيل]

01 كَمِ مِنْ قَتِيلٍ تَنْقُرُ الطَّيْرُ عَيْنَهُ بِسُولَافٍ غَزَّتْهُ المُنَى وَالجَعَائِلُ

- وقال آخَرُ يَفخَرُ بِالقتلى الَّذِينَ خَلَّفُوهم فِي جُنْدِ "المُهَلَّبِ":<sup>2</sup> [الطَّوِيل]

01 وَكَائِنٍ تَرَكَنا يَوْمَ سُولَافٍ مِنْهُمُ أَسَارَى وَقَتَلَى فِي الجَحِيمِ مَصِيرُهَا

جاءَ المُشيرُ المَكابِيُّ "سُولَافٍ" فِي التَّركييبِ "01" وَ "02" فِي بابِ الفَخْرِ وَالإشادَةِ بِالْبُطولَةِ، فَاسمُ المَكَانِ أَوْ التَّأشيرِ إِلَى الفِضاءِ المَكابِيِّ بِاسمِ العَلَمِ اعتمَدَ عَلَيْهِ المُتَكَلِّمُ لِتَحقيقِ تَصويرِ خِطابِ النِّصْرِ، فَسُولَافٍ لِكِلاَ الفَرِيقِينِ تَدُلُّ عَلَى الحَرْبِ، الفِناءِ، القَتْلِ وَالتَّنكِيلِ، ما يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اسمَ المَدِينَةِ قَدْ كَوَّنَ حالَةً نَفسيَّةً خاصَّةً، أَثَرَتْ فِي نَفسيَّةِ الخَوَارِجِ، وَالدَّلِيلُ: جَعَلُها مَسرحًا وَساحَةً لِلأحداثِ فِي العَدِيدِ مِنْ أشعارِهِم، ففِي (ت 01 + 02) دَلَّتْ "كَمِ الخَبِريَّةِ" عَلَى كَثرةِ القَتلى وَالأسْرِ، وَحَرَكَتْ ذَهَنَ المُتَلَقِّي وَأَعَمَلَتْ فِكرَهُ، وَتَمَكَّنَ مِنْ بِناءِ الإِدراكِ فِي مُخَيَّلَتِهِ، فَرسَمَ ذَلِكَ المَشهَدَ وَتَخَيَّلَ شِدَّةَ التَّنكِيلِ يَوْمَها، وَبذلكَ حَقَّقَ النِّصْرُ قِيَمَتَهُ التَّداولِيَّةَ، وَسُولَافٍ وَإِنْ انْتَصَرَ فِيها الخَوَارِجُ؛ إِلاَّ أَنَّها مَكَانٌ يَعبى عَدَمَ السَّكِينَةِ وَالحِمَايةِ وَالأمانِ فِي ذَهنيَّةِ الخَارِجِيِّ.

✓ "سَلَى وَسَلْبَرَى":

- قال "حَبِيُّ بِنِ وائِلٍ" يَذْكُرُ مِصارِعَ صَحبِهِ فِي خُرَاسانَ عَلَى يَدِ "المُهَلَّبِ":<sup>3</sup> [الطَّوِيل]

01 بِسَلَى وَسَلْبَرَى مِصارِعِ فِتِيَّةٍ كِرَامٍ وَعَقْرَى مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ

- وقال آخَرُ فِي اليَوْمِ نَفسِهِ:<sup>4</sup> [الطَّوِيل]

01 بِسَلَى وَسَلْبَرَى جَماعِمِ فِتِيَّةٍ كِرَامٍ وَصَرَعى لَمْ تُوسِدْ خُدودُها

يَرْتَكِزُ (ت 01 + 02) عَلَى الوَصْفِ السَّرديِّ لِفاجعةٍ أَصابَتْ الخَوَارِجَ سَنَةَ (66 هـ)، مُوظِّفِينَ اسمَ المَكَانِ "سَلَى وَسَلْبَرَى"، وَهما يُشيرانِ إِلَى المَعرَكَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَينَ "الأزارِقَةِ وَالْمُهَلَّبِ بِنِ أَبِي صُفْرَةَ وَالِى خُرَاسانَ، وَقَد وَقَعَتْ نواحِي خُورَسْتانَ فِي الأهوازِ"<sup>5</sup>، فَالمَكَانَ هَنا يُحِيلُ إِلَى القَتْلِ وَالتَّنكِيلِ بِالأزارِقَةِ، فَذ: "سَلَى وَسَلْبَرَى" يُعبِّرُ عَنِ مَوطِنِ العُربَةِ عِندَ الخَوَارِجِ، وَحَسَبَ تَعبيرِ "مِخائِيلِ باخْتينِ" ( *Mikhail* )

<sup>1</sup> إحصان عباس: شعر الخوارج، ص 91.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصَّفحة نَفسِها.

<sup>3</sup> المرجع السَّابِق: ص 93.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: الصَّفحة نَفسِها.

<sup>5</sup> ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، (ج 5)، ص 411.

*(Bakhtine)* فهما "ذلك المكان الضيق الموحش الذي يُنكس على حالة الفرد النَّفْسِيَّةِ، إنَّه المكان الذي يُضيقُ فيه على الإنسان وإن كان واسعاً"<sup>1</sup>، عُربةٌ عن الديارِ مع مُطاردة "المُهَلَّبِ" لهم في كلِّ مكانٍ يَحْلُونَ فيه، وتوظيف اسم المكانِ فقد تمَّ تحديدُ موضوعِ الخطابِ، وقد وَفَّرَ السِّياقُ أيضاً مُعطياتِ أضاءت جوانبَ الخطابِ.

✓ "مكة" و"قديد":

- قال "عمرو بن الحُصين العنبري" يذكر أيام انتصاراتهم:<sup>2</sup> [الكامل]

- 01 عَرَوْا صَوَارِمَ لِلجِالِدِ وَبَاشَرُوا حَدَّ الطُّبَاةِ بِأَنْفٍ وَحَوَاجِبِ  
02 حَتَّى وَرَدْنَ حِيَاضَ مَكَّةَ قُطْباً يَحْكِينِ وَارِدَةَ اليَمَامِ القَارِبِ  
03 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ لَهَا مِنْ هَامِهِمْ فَلَقَ وَأَيْدٍ عُلِّقَتْ بِمَنَاكِبِ  
04 سَائِلِ يَوْمِ قُدَيْدَ عَن وَقَعَاتِهَا تُخْبِرُكَ عَن وَقَعَاتِهَا بِعَجَائِبِ

وَقَعَتْ معركة "قديد" سنة (130 هـ) -سبق التعريف- وانتصر فيها الخوارج، والشاعرُ هنا يُخبرُ عن بسالتهم يومها، مُشيرًا إلى المكان الذي وَقَعَتْ فيه الحربُ، مُوظِّفًا اسمَ مكانٍ معلومين/مُختصين، فذ: "مكة" و"قديد" يُحيلان إلى قضيَّةٍ لطالما تَغْنَى بها الخوارجُ في شعرهم/خطابهم، وتتمثلُ في إلحاق الهزيمة بأهل المدينة، وبالرجوع إلى "مكة"، فهي في نظر الخوارج ليست مكانًا عاديًا، إنَّها أسمى من حيزٍ جغرافيٍّ، إنَّها المكانُ المُقدَّسُ المُتحدِّدُ في لاوعي الإنسان المسلمِ عامَّةً، ناهيك عن القوم الذين ارتبطوا بها مسكنًا وسألت فيها دماؤهم، وتوظيف "قديد" أيضًا له رمزيتُه في ذهنيَّة الخوارج، فالمكانُ هنا تاريخٌ مرتبطٌ بعقيدتهم وانتصاراتهم، وليس موقعًا مكانيًا جامدًا.

وتوظيف ظريفي المكانِ داخل هذا النصِّ قد ساعد على تحديد موضوع الخطابِ، فمعركة "قديد" في التاريخ واحدة، وقد كَشَفَ توظيفها على مُعطياتِ أسهمت في إضاءة جوانب الخطابِ، والقصدية منه.

✓ "كفرتوثا"<sup>3</sup>:

- قال "العنبريُّ بنُ ضباعة" يرثي "مسكينَ اليشكري" و"الخيربي" و"يعقوبَ التغلبي":<sup>1</sup> [الوافر]

- 01 هُمْ ضَرَبُوا الجُنُودَ بِكُفْرَتُوثَا وَهُمْ نَزَلُوا وَقَدْ كُرِهَ الرِّحَامُ

<sup>1</sup> كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلَّة الأثر، ورقلة، الجزائر، ع 4، ماي 2005، ص 141.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 253.

\* كُفْرَتُوثَا: "قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ تَقَعُ بَيْنَ دَارَا وَرَأْسِ العَيْنِ بِالقُرْبِ مِنَ المُوَصِّلِ". ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ج 2)، ص 418.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 236.

02 سَقَى بَلَدًا تَضَمَّنَ خَيْبَرِيًّا وَمَسْكِينًا وَيَعْقُوبَ الغَمَامَ

03 هُمْ ضَرَبُوا عَلَى قَرَعِ المَنَايَا وَلَمْ يَفْرَعُهُمُ الجَيْشُ اللُّهَامَ

مرجعُ ضميرِ الغائبِ الجَمْعِيِّ الَّذِي تَكَرَّرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ظَاهِرًا مُفَصَّلًا "هُم"، وأربعَ مَرَّاتٍ مُسْتَتِرًا (واو الجماعة)، قد ارتبطَ بجماعةٍ مِنْ قَادَةِ وَفُرْسَانِ الخَوَارِجِ، وهم: "الخَيْبَرِيُّ، مَسْكِينُ اليَشْكُرِيِّ وَيَعْقُوبُ التَّغْلِبِيُّ"<sup>1</sup>، وهم ثَلَاثَةُ قَادَةِ مِنْ جَيْشِ "الصَّحَّاحِ بنِ قَيْسٍ"، ذَكَرَهُمُ الشَّاعِرُ فِي بَابِ الرِّثَاءِ، وَفِي سِيَاقِ الإِشَادَةِ بِقُوَّتِهِمْ وَيَسْأَلْتُهُمْ قَالَ: (هُمُ ضَرَبُوا الجُنُودَ بِكُفْرَتُوثَا)، واسمُ المَكَانِ "كُفْرَتُوثَا" أَحَالَ بِهِ إِلَى المَدِينَةِ/القَرْيَةِ الَّتِي بِالجَزِيرَةِ الَّتِي قُتِلَ بِهَا خَيْرَةُ الصَّحْبِ مِنَ الخَوَارِجِ، مَادِحًا البَلَدَ الَّذِي جَمَعَ وَحَوَى مِثْلَ هُوَلاءِ الشَّجْعَانِ، والمُشِيرَ المُخْتَصُّ هُنَا هُوَ التَّيْمَةُ البَارِزَةُ عَلَى صَعِيدِ التَّجْرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ عِنْدَ الخَوَارِجِ، وَهِيَ المَكَانُ الَّذِي كَشَفَ مَعَ السِّيَاقِ عَنِ بَطُولَةِ وَتَضَحِيحَاتِ القَادَةِ يَوْمَهَا، وَمَا تَسْلِيطُ الشَّاعِرِ الصَّوِّ عَلَى هُوَلاءِ الفُرْسَانِ إِلَّا لِبَيَانِ مَا أَلْحَقُوهُ بِهِ: "مِرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ" قَاتِلِ "الصَّحَّاحِ" زَعِيمِهِمْ، لِيُشِيدَ فِي البَيْتِ الثَّلَاثِ بِأَنَّهُمْ قَاتَلُوا ابْتِغَاءَ الشَّهَادَةِ، وَلِقُوَّتِهِمْ لَمْ يَهْزِمَهُمُ الجَيْشُ اللُّهَامَ، أَي: العَظِيمِ.

✓ "حَرَان":

- قال "أَيُّوبُ بنُ خُوَلَى البَجَلِيُّ" يَرِثِي "هَدَبَةَ اليَشْكُرِيِّ":<sup>2</sup> [الطَّوِيل]

01 وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَانَ يَحْمِلُ رَايَةً يُغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ

02 وَكَانَ أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ يُرَجِّحِي وَيَخْشَى بِأَسَهُ مَنْ يُحَارِبُهُ

يَرِثِي الشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ رَجُلًا عَظِيمَ الشَّانِ عِنْدَ الخَوَارِجِ، مُحَبَّرًا عَنِ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ، مُوظَّفًا الفِعْلَ (أَقْبَلَ) الَّذِي فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ "هُوَ"، وَالَّذِي مَرَجَعَهُ "هَدَبَةُ اليَشْكُرِيِّ"، وَدِلَالَةُ الفِعْلِ هُنَا دَلَّتْ عَلَى الحِمَاسِ، أَقْبَلَ يَحْمِلُ رَايَةً، أَي: جَاءَ لِلحَرْبِ، ثُمَّ وَظَّفَ الشَّاعِرُ اسْمَ المَكَانِ "حَرَانَ" \* وَقَدْ أَحَالَ بِهَا إِلَى المَوْضِعِ الَّذِي انطَلَقَ مِنْهُ "هَدَبَةُ" لِلقِتَالِ، فَالمَكَانُ هُنَا أَشَارَ بِهِ إِلَى البَدْرَةِ الأُولَى الَّتِي انطَلَقَتْ مِنْهَا "خَوَارِجُ

<sup>1</sup> مُحَمَّدٌ عَادِلُ جَابِرِ صَالِحٍ: شِعْرُ الجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ، دَارُ القُدْسِ لِلنَّشْرِ، مِصر، (د ط)، 2004، ص 287.

<sup>2</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيوَانُ شِعْرِ الخَوَارِجِ، ص 215.

\* حَرَانَ: "بِقَنْحِ الحَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، مَدِينَةٌ فِي طَرِيقِ المَوْصِلِ وَالشَّامِ، وَقِيلَ هِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ بُيِّتَتْ بَعْدَ طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ المُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأَنْبِيَاءُ 71، هِيَ حَرَانُ، فُحِّحَتْ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ". / يُنظر: مُحَمَّدٌ شَرِيفٌ سَلِيمٌ، مُلَخَّصُ تَارِيخِ الخَوَارِجِ، ص 105.

حَزَّانَ بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ المَلِكِ ضِدَّ ابْنِهِ الوَلِيدِ سَنَةَ 66 هـ<sup>1</sup>، وإِلْحَالُهُ إِلَى هَذَا المَكَانِ مَعَ السِّيَاقِ كَشَفًا عَنِ مَوْضُوعِ الخَطَابِ: رِثَاءٌ + تَذَكِيرٌ بِالعَدَاءِ ضِدَّ بَنِي أُمَيَّةَ.

✓ "صِفِّينَ":

- قال "أحدُ الخَوَارِجِ" وهو مِنْ رِجَالِ "شَيْبِ بْنِ يَزِيدَ" حِينَ قَدَّمَهُ "الحَجَّاجُ" لِيُقْتَلَ: <sup>2</sup> [البسيط]

01 أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَمْرٍو وَشِيعَتِهِ وَمَنْ عَلَيَّ وَمَنْ أَصْحَابِ صِفِّينَ

02 وَمَنْ مُعَاوِيَةَ العَاوِي وَشِيعَتِهِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي القَوْمِ المَلَاعِينِ

يَدُلُّ هَذَا الخَطَابُ عَلَى مَوْقِفِ الخَوَارِجِ المُتَشَدِّدِ مِنْ قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ وإِعْلَانِ البِرَاءَةِ مِنَ الفَرِيقَيْنِ يَوْمَهَا، وَبِتَوْظِيفِ اسْمِ المَكَانِ "صِفِّينَ" \* أَحَالَ إِلَى قَضِيَّةِ جَوْهَرِيَّةِ عَقْدِيَّةِ يَدُورُ حَوْلَهَا مَوْضُوعُ الخَطَابِ، أَلَا وَهِيَ الخِلَافُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ الَّذِي انْتَهَى بِالصُّلْحِ، وَمَعَ هَذَا الأَخِيرِ كَانَتْ بَدَايَةُ مُعَانَاةِ الخَوَارِجِ، فَصِفِّينُ هِيَ نُقْطَةُ الفِرَاقِ وَبَدَايَةُ الإِضْطِهَادِ وَالتَّهْجِيرِ -حَسْبَهُمْ-، وَهَذَا المُشِيرُ المَكَانِيُّ دَاخِلَ السِّيَاقِ التَّدَاوُلِيِّ دَلَّ عَلَى عِلَاقَةِ المُتَكَلِّمِ بِالمَكَانِ الَّذِي هُوَ العُقْدَةُ التَّارِيخِيَّةُ لِلخَوَارِجِ، فَالصُّلْحُ يَوْمَهَا جَعَلَ مِنْ صِفِّينَ مَكَانًا مُوحِشًا فِي نَفْسِيَّةِ الإِنْسَانِ الخَارِجِيِّ، الأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُ يَتَبَرَّأُ وَيَلْعَنُ أَطْرَافَ الصُّلْحِ يَوْمَهَا.

✓ "المَنْبَرُ":

- قال "عُتْبَانُ بْنُ وَصِيلَةَ الشَّيْبَانِي" يُخَاطَبُ "عَبْدَ المَلِكِ" لَمَّا دَعَا الخَوَارِجَ إِلَى الطَّاعَةِ: <sup>3</sup> [الطَّوِيل]

01 فَلَا صُلْحَ مَا دَامَتْ مَنَابِرُ أَرْضِنَا يَقُومُ عَلَيْهَا مِنْ ثَقِيفَ خَطِيبِ

يَنفِي الشَّاعِرُ فِي هَذَا البَيْتِ قِيَامَ أَيِّ صُلْحٍ بَيْنَ بَنِي أُمَيَّةَ وَالخَوَارِجِ، مُوَظَّفًا العُنْصَرَ المَكَانِيَّ "مَنَابِرُ" المُتَّصِلِ بِضَمِيرٍ جَمْعِيٍّ مَرَجَعَهُ الشَّاعِرُ وَصَحْبَهُ، مُبَيِّنًا العِلَّةَ مِنْ رَفْضِ الصُّلْحِ، وَهِيَ وُجُودُ "الحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ" عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِهِمُ العِرَاقِ، وَمَا دَلَّ عَلَى الحَجَّاجِ فِي هَذَا النِّصِّ هُوَ تَوْظِيفُ اسْمِ المَكَانِ "ثَقِيفَ" بِالطَّائِفِ، وَالَّذِي أَشَارَ إِلَى القَبِيلَةِ الَّتِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا الحَجَّاجُ.

فالمَنْبَرُ هُنَا أَحَالَ إِلَى مَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ، مِنْصَتُهُ خَطَابِ الدِّينِ وَالسِّيَاسَةِ، وَوَسِيلَةُ الإِعْلَانِ وَالتَّصْرِيحِ بِكُلِّ مَا يَخْصُ الأُمَّةَ، وَالشَّاعِرُ هُنَا يَسْتَنْكِرُ وَقُوفَ أمثالِ "الحَجَّاجِ" عَلَى مَنبَرِ النَّصِيحَةِ،

<sup>1</sup> مُحَمَّدٌ سَهِيلٌ طَعُوشٌ: التَّارِيخُ الإِسْلَامِيُّ الوَجِيْزُ، دَائِرَةُ التَّفَاسِيْرِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، عَمَّانَ، الأُرْدُنْ، (د ط)، 2003، ص 127.

<sup>2</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيْوَانُ شِعْرِ الخَوَارِجِ، ص 157.

\* صِفِّينَ: "مِنْطَقَةٌ تَقَعُ عَلَى نَهْرِ الفُرَاتِ شَرْقَ العِرَاقِ، وَقَعَتْ بِهَا مَعْرَكَةٌ بَيْنَ جَيْشِ عَلِيٍّ وَجَيْشِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ 37 هـ، وَانْتَهَتْ بِالتَّحْكِيمِ". مُحَمَّدٌ شَرِيفٌ سَلِيمٌ، مُلَخَّصُ تَارِيخِ الخَوَارِجِ، ص 145.

<sup>3</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيْوَانُ شِعْرِ الخَوَارِجِ، ص 200.

منبرنا الرَّسول صلى الله عليه وسلّم، فاسمُ المنبر الَّذي هو مكانٌ داخلَ المسجدِ في هذا السِّياقِ، سَاعَدَ على بيانِ وتوضيحِ رَفُضِ الصُّلحِ مع بني أُمَيَّة، والمَقْصَدُ التَّدَاوُلِيُّ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْمَكَانِ، هُوَ السَّعْيُ إِلَى تَطْهِيرِ الْعِرَاقِ (أَرْضِنَا) مِنْ "الْحَجَّاجِ" وَالظُّلْمِ الَّذِي أَلْحَقَهُ بِالنَّاسِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمُ الْخَوَارِجُ.

ب- ظُرُوفُ الْمَكَانِ الْمُبْهَمَةِ: وهي "الأسماءُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا يَحْصِرُهَا، كَأَسْمَاءِ الْجِهَاتِ السَّتِّةِ، وَالَّتِي هِيَ: "فَوْقَ وَتَحْتَ وَقُدَّامَ وَخَلْفَ وَيَمِينٌ وَشِمَالٌ"<sup>1</sup>، وَمَا جَرَى بِجَزَائِهَا، نَحْوُ: يَمَنَةً، يَسْرَةً، قُبَالَةَ، بُجَاهَ، نَحْوَ، شَطْرَ، وَفَرَسَخَ، وَمِيلٌ...، وَمِنْ الْأَسْمَاءِ الْمُحِيلَةِ إِلَى الْمَكَانِ فِي الْمُدُونَةِ، نَسْتَشْهَدُ بِمَا يَأْتِي:

✓ ظَرْفُ الْمَكَانِ "فَوْقَ": مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْمُدُونَةِ، أَنَّمَا جَاءَتْ فِي بَابِ الْحَرْبِ وَالْحَذَرِ، وَفِي بَابِ تَعْظِيمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- يقول "يزيدُ بنُ حَبْنَاءَ" مُخْبِرًا عَنْ حَالِهِ فِي الْحَرْبِ:<sup>2</sup> [الطَّوِيل]

01 أَيْبْتُ وَسِرْبَالِي دِلَاصٌ حَصِينَةً وَمِعْفَرَهَا وَالسَّيْفُ فَوْقَ الْحِيَازِمِ

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ عَنْ حَالِهِ فِي الْحَرْبِ، وَكَيْفَ بَيْبْتُ مُنْقِطًا لِلْأَعْدَاءِ، فَوُظِّفَ الْفِعْلُ (أَيْبْتُ) الَّذِي فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ مَرْجِعُهُ ذَاتُ الشَّاعِرِ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ النُّومِ احْتِيَاظًا، يَلْبَسُ دِرْعًا قَوِيَّةً (دِلَاصًا) مَعَ جِلْدٍ يُوضَعُ تَحْتَ الْقُلَنْسُوَّةِ لِلْحِمَايَةِ، ثُمَّ يُشِيرُ بِظَرْفِ الْمَكَانِ (فَوْقَ) إِحَالَةً إِلَى مَكَانِ وَضْعِ السَّيْفِ عَلَى مِحْرَمِهِ، وَقَصْدُهُ مِنْ ذَلِكَ؛ الْيَقِظَةُ وَالِاسْتِعْدَادُ.

- وقال "سميرةُ بنُ الجَعْدِ":<sup>3</sup> [الطَّوِيل]

01 عَجِبْتُ لِحَالَاتِ الْأَنَامِ وَلِلدَّهْرِ وَلِلْحِينِ يَأْتِي الْمَرْءُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

02 وَلِلنَّاسِ يَأْتُونَ الضَّلَالَةَ بَعْدَمَا أَتَاهُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ مَعَ الْبَدْرِ

03 وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ صَنِيعُنَا حَفِيظًا عَلَيْنَا فِي الْمَقَامِ وَفِي السَّفَرِ

04 عَلَا فَوْقَ عَرْشِ فَوْقَ سَبْعِ وَدُونَهُ سَمَاءٌ يَرَى الْأَرْوَاحَ مِنْ دُونِهَا تَجْرِي

يَتَعَجَّبُ الشَّاعِرُ مِنْ ضَلَالِ النَّاسِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، فَالْمَوْتُ قَدْ يَأْتِي فَجَاءَةً وَالْإِنْسَانُ لَا يَلْعَبُ، قَالَ: (عَجِبْتُ) فعلٌ + فاعلٌ (ضميرٌ مُتَّصِلٌ) تقديره "أنا" ومرجعهُ ذَاتُ الشَّاعِرِ، مُخْبِرًا عَنِ اِطِّلَاعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، سَرِيرِهَا وَمُعْلَنِهَا، وَوُظِّفَ فِي هَذَا النَّصِّ الْعُنْصَرَ الدَّالُّ عَلَى الْمَكَانِ "فَوْقَ" مُكْرَّرًا تَوْظِيْفًا

<sup>1</sup> علي بنُ مُحَمَّدٍ الْحَرَبِيُّ الْبَصْرِيُّ: شرحُ مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ، ص 71.

<sup>2</sup> إحسان عبَّاس: شعر الخَوارج، ص 99.

<sup>3</sup> المرجعُ نفسه: ص 138.

تداولياً، لأنه قصد به الإشارة إلى العلوّ الذي يستلزم معناه التعظيم للذات الإلهية لا المعنى العادي، فظرف المكان أشار به إلى مسألة استواء الرّحمان على العرش، ودلالة العلوّ في هذا السياق التداولي، التعظيم.

✓ ظرف المكان "تحت": ورد في العديد من المواضع، منها:

- قال "عمران بن حطان" وهو يحرض على الشهادة: <sup>1</sup> [الوافر]

01 أَحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَي فِرَاشِي وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَى الْعَوَالِي

يُعبّر "عمران" في هذا البيت عن رغبته في الموت في الحرب، مُوظِّفًا الفِعْلَ (أحاذر) فاعل + فاعل (ضمير مُستتر) تقديره "أنا"، ومرجعه الشاعر/المُتكلّم، مُشيرًا إلى أنه ينبغي نيل الشهادة في القتال، مُوظِّفًا ظرف المكان "تحت" والذي أحال به إلى مكان الحرب، أي: ينبغي الموت تحت رؤوس السهام والسيوف، فالمعنى الذي أفاده العنصر الإشاري في السياق؛ طلب الشهادة، تلك العقيدة التي لأجلها قام الخوارج، ولا يرضون دون الشهادة في الوعى بديلاً.

✓ ظرف المكان "أمام": ورد في موضع واحد، هو:

- قال "قطري بن الفجاءة" في باب الحماسة والحث على القتال: <sup>2</sup> [الكامل]

01 لَا يَزْكُنَنَّ أَحَدٌ إِلَي الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ

02 فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

03 أَدْعُو الْكُمَاةَ إِلَي النَّزَالِ وَلَا أَرَى نَحَرَ الْكَرِيمِ عَلَي الْقَنَا بِحَرَامِ

يُحدّر "قطري" جنده عن التأخر والتواني عند لقاء العدو والقتال خشية الموت، بأنّ فيهم الحماس بقوله: (فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاحِ دَرِيئَةً) يقصد أنه جرى على اقتحام الأهوال ومنازلة الأعداء الذين يرمونه بالرماح، مُوظِّفًا ظرفي المكان "اليمن، الأمام"، اللذين أحالا إلى الأمكنة (الجهات) التي تُرمى منها الرماح، ونأى عن ذكر اليسار لأن اليسار كاليمين للمقاتل، فالضرب عن اليمين يستلزم الضرب عن اليسار، وكلاهما في الأمام، ولم يذكر الخلف لعلّمه أنه لن يُمكن من ظهره أحدًا.

✓ ظرف المكان "بين": جاء في موضع واحد في باب الرثاء.

- تقول "مليكة الشيبانية" ترثي عمّها: <sup>3</sup> [الكامل]

01 أَبْكِي الْمَغَيَّبَ فِي الثَّرَى بَيْنَ النَّضَائِدِ وَالصَّفَائِحِ

<sup>1</sup> إحصان عباس: شعر الخوارج، ص 159.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 126.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 240.

## 02 أَبِكِي وَحُقَّ لِي الْبُكَاءُ مَعَ الْغَوَادِي وَالرَّوَانِحِ

ترثي الشاعرة عمها بحرقه، موظفة داخل النص عنصراً لغوياً ذا حمولة مكانية "بين"، وهو مشير لا يمكن فهمه إلا بالعودة إلى السياق الذي ورد فيه، فظرف المكان أحوالته به إلى قبر عمها المغيب داخل التراب، قالت: (بين التضائد والصفائح)، فدللت لفظه التضائد على ما يُفترش، وددت الصفائح على اللحد التي توضع على القبر، وبين ما يُفترش وما يُغطى يوجد عمها، فدل المشير المكاني "بين" على القبر النهائية الحتمية، ودل على نهاية مرحلة الدنيا، وبداية مرحلة أخرى غيبية.

✓ ظرف المكان "نحو": ورد في أربعة مواضع في المدونة، منها:

- قال "قطري بن الفجاءة" بعد معركة دؤلاب: <sup>1</sup> [الطويل]

## 01 وَمَالَ الْحِجَارِثُونَ نَحْوَ بِلَادِهِمْ وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ

انتهت معركة دؤلاب سنة 65 هـ بانتصار أهل البصرة الذين كانوا تحت إمارة "عبد الله بن الزبير" على الخوارج، فأخبر "قطري" عن أحوال القوم بعدما أهلكتهم الحرب، موظفا عنصراً لغوياً مكرراً "نحو"، وقد أشار بهما إلى مكانين بعيدين عن بعضهما من حيث المسافة، قال: (ومال الحجازيون نحو بلادهم) ويقصد ببلادهم: الحجاز التي هي في غرب السعودية اليوم، ورجع الخوارج نحو قبيلة تميم، أي: اتجهوا إلى قبيلة تميم التي تقع شمال إقليم نجد واليمامة في ذلك الوقت، قبل التقسيمات والمسميات الحديثة، ومكان تلقى الشاعر الخطاب كان بالأهواز (إيران) اليوم، فدلالة ظرف المكان هنا مبهمة غير معينة، فالسياق وأسماء المكان هي التي حدت معناها.

للمكان دلالة عميقة في نفسية الشاعر الخارجي، وهذه الأماكن قد انقسمت إلى قسمين، قسم أليف لدى الخارجي دل على بطولاتهم وانتصاراتهم، وثان دل على الرفض والمعاداة، وهو المكان الذي شهد معاناتهم وهزائمهم، وقسم وسط دل على المخالفة والرفض لحكم بني أمية.

### رابعاً- الإشارات الزمانية (Temporal Deictics):

لقد عمزت الإشارات الزمانية شعر الخوارج بكثرة، وليس ذلك غريباً، فهم يتحدثون عن أزمنة وحروب ووقائع لها مداها الزمني، وما الأحداث والوقائع التي عاشها الخوارج إلا مواقف مؤرحة ومحفوظة بزمان معين، وينقسم الزمان داخل مدونة الخوارج إلى قسمين طغيا على المدونة، هما: ظروف الزمان والزمن النحوي (زمن الأفعال)، وسأورد هنا تباعا مع أمثلة تطبيقية لكل نوع.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 120.

01. ظروف الزمان: وهي الألفاظ التي تدلُّ على وقتٍ وَقَعَ فيه الخطابُ، وتَنقَسِمُ في مُدَوِّنةِ شعرِ الخوارجِ -بعد الإحصاء- إلى:

أ- الظروفُ المُبهمةُ: وهي الألفاظُ التي "تدلُّ على زمانٍ غيرِ مُحدودٍ، مثل: وقت، زمان، حين، زمن، بعد، الآن..."<sup>1</sup>، ودونك بعض الأمثلة:

- تقول "امرأةٌ خارجيَّةٌ من بني شيبان" لَمَّا قُتِلَ جميعُ أهلها مع "الضحَّاك بن قيس":<sup>2</sup> [البيسط]

01 مَن لِقَلْبٍ شَفَّهُ الْحَزْنَ أَوْ لِنَفْسٍ مَا لَهَا سَكُنْ

02 فِتْيَانَةٌ بَاعُوا نُفُوسَهُمْ لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ مَا عُيِّنُوا

03 ابْتَعُوا مَرَضَاءَ رَبِّهِمْ حِينَ مَاتَ الدِّينُ وَالسُّنَنُ

دلالةُ الزَّمنِ في جُملةِ "حينَ ماتَ الدِّينُ والسُّنَنُ" لا تتحدَّدُ بزمنِ الفِعلِ أو الظَّرْفِ في حدِّ ذاته، وإنَّما بزمنِ التَّلَفُّظِ، وهو زمنٌ مُرتبطٌ ب: "موتِ الدِّينِ والسُّنَنِ"، فما الَّذي نَتَجَّجُ في نظرِ الخوارجِ حينَ ماتَ الدِّينُ في أقوامٍ أَقْبَلُوا على الدُّنيا وزينتها؟، ابتغوا مرضاةَ ربِّهم، فالمُشيرُ الرَّمانيُّ "حين" دلَّ على وقتٍ غيرِ معلومٍ، فلا يُعلمُ مِنْ هذا المُشيرِ الوقتُ تحديداً، وهو أنَّه بموتِ الدِّينِ في قلوبِ أهلِ الأهواءِ والدُّنيا؛ ابتغى الخوارجُ مرضاةَ الله تعالى، وهو زمنٌ غيرُ مُحدَّدٍ بالوقتِ الدَّقِيقِ، فكأنَّ صَدَرَ البَيْتِ جوابٌ شَرَطٍ لِلعَجْزِ، وتقديرُ الكلامِ: حينَ ماتَ الدِّينُ والسُّنَنُ عندَ أعداءِ الخوارجِ؛ أَقْبَلُوا على مرضاةِ ربِّهم وطاعته، فالمُشيرُ "حين" كأنَّه فارِقٌ، فارِقٌ بينَ الطَّاعةِ والمَعْصِيَةِ.

- ويقول "زيادُ الأَعْسَمِ" يَذْكُرُ إِخوانه الشُّرَاةَ، مُخْبِراً عن فَجِيعتهِ فيهم:<sup>3</sup> [الطَّويل]

01 تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَفَاضَتْ لِذِكْرِهِمْ دُمُوعِي وَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَجَدَا

02 وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ رَزِنْتُ إِخَاءَهُ كُهُولاً وَشَبَّاناً غَطَّارِفَةً مُرَدَا

03 فَاقْدَتْهُمْ مِنْ بَعْدِ الْفِ وَصُحْبَةِ فَأَحْدَثْتُ لِمَا فَارَقُونِي لَهُمْ فَقَدَا

تَفِيضُ مِنْ عَيْنِي الشَّاعِرِ دُمُوعُ الحُزَنِ، وَيَطِيرُ قَلْبُهُ وَجَدًا حِينَ يَتَذَكَّرُ إِخوانَهُ مِنَ الشُّرَاةِ الَّذِيْنَ قَضَوْا قَبْلَهُ، مُوظِّفاً في مُستهلِّ حَدِيثِهِ الفِعلَ "تَذَكَّرْتُ" الَّذِي دلَّ على حَدَثٍ نُحويِّ (فِعلٌ ماضٍ مُتَّصِلٍ بِنَاءِ المُتَكَلِّمِ)، وَالَّذِي مرجعُه ذاتُ الشَّاعِرِ، مُخْبِراً في البَيْتِ الثَّانِي عن عَدَدٍ مَنْ أُصِيبَ فِيهِمْ وَمُنِي بِقُفْدِهِمْ مِنْ بَيْنِ كَهْلٍ وَشَابٍ وَسَيِّدٍ شَرِيفٍ سَخِيٍّ، لِيُبَيِّنَ في البَيْتِ الأَخِيرِ عن طُولِ مُعاشِرتهِ لَهُمْ، قال: (مِنْ بَعْدِ)، وهذا

<sup>1</sup> مصطفى الغلاييني: جامعُ الدُّروسِ العربيَّةِ، ص 421، 422.

<sup>2</sup> إحسان عبَّاس: شعرُ الخوارجِ، ص 232.

<sup>3</sup> المرجعُ السَّابِقُ: ص 207.

المُشيرُ الزمّنيُّ دلٌّ به على وقتٍ طويلٍ قضاؤه معهم، وما يُعزّزُ ذلك، قوله: (إلْفٍ وصُحبةٍ)، فالألْفَةُ والصُّحبة لا تكونُ في يومٍ وليلةٍ، فمرجعُ المُشيرِ الزمّنيِّ المُبهمِ "بعد" غير المَحْدودِ والمُعَيّنِ، دلٌّ به على الفِترَةِ والوقتِ الطَّويلِ، ما أحدثَ عَظِيمَ الفَقْدِ في نَفْسِهِ، وتداوليًّا فقدَ عَمَلَ هذا المُشيرُ الزمّنيُّ على رِنطِ حالةِ الشَّاعرِ النَّفْسِيَّةِ نَحْوَ إِخْوَانِهِ وَصَحْبِهِ.

- ويقولُ "مَعْمَرُ بْنُ زِيَادِ الكُوفِيِّ" لَمَّا بَلَغَهُم مَوْتُ "بِشْرِ بْنِ مَرَوَانَ"<sup>1</sup>: [الخفيف]

- 01 قُلْ لِقَوْمٍ مَعَ الْمُهَلَّبِ قَدْ مَا تَ ابْنُ مَرْوَانَ فَارْجِعُوا بِسَلَامٍ  
 02 وَدَعُوا رَامَهُرْمُزٍ وَقِرَاهَا لَا تَمَنَّوْا أَمَانِي الْأَحْلَامِ  
 03 قَبْلَ أَنْ نَعْطِفَ الْجِيَادَ عَلَيكُمْ عَطْفَةَ اللَّيْلِ بِالرِّمَاحِ الدَّوَامِي  
 04 وَسُيُوفٍ مُهَيَّاتٍ خِفَافٍ تَتْرُكُ اللَّيْلُ مُقْعَصًا فِي الْقَتَامِ

فَرِحَ الخَوَارِجُ لَمَوْتِ "بِشْرِ بْنِ مَرَوَانَ" وَأَرَادُوا أَخَذَ العِرَاقَ مِنَ المُهَلَّبِ وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ يَوْمَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِهِ، وَأَرَادُوا تَنْبِيْطَ جُنْدِ بَنِي أُمِيَّةٍ، مَعَ إِعْطَاءِ الأَمَانِ لَهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنَ العِرَاقِ، قَالَ: (فَارْجِعُوا بِسَلَامٍ)، طَالِبِينَ مِنْهُمْ الخُرُوجَ مِنْ إِقْلِيمِ رَامَهُرْمُزِ المَدِينَةِ الفَارْسِيَّةِ وَأَنْ يَتْرُكُوا خَيْرَاتِهَا، مُوظِّفًا مُشِيرًا زَمَنِيًّا دَالًّا عَلَى أَنَّ أَمَانِيَهُمْ مَا هِيَ إِلَّا أَحْلَامٌ زَائِلَةٌ، فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِزَمَنِ مُحَدَّدٍ وَهُوَ الإِسْتِيقَاطُ، مُتَوَعِّدًا إِيَّاهُمْ، مُوظِّفًا المُشِيرَ الزَمّنيِّ المُبهمِ "قَبْلَ"، وَالَّذِي لَمْ يُحَدِّدِ الوَقْتَ أَوْ الفِترَةَ الزَمّنيَّةَ لِلهُجُومِ، وَلِيَبَيِّنَ المُرسَلُ إِليه تَوَقُّعَهُ؛ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ لِحْظَةِ التَّلَقُّظِ بِالخِطَابِ، فزَمَانُ التَّلَقُّظِ هُوَ مَرَكْزُ الإِشَارَةِ الزَمّنيَّةِ، وَالمُشِيرُ الزَمّنيُّ هُنَا يُمَهِّلُ جُنْدَ المُهَلَّبِ وَقَتًا لِمُغَادِرَةِ المَكَانِ، وَهَذَا الوَقْتُ مَرَجَعُهُ مَدَى اسْتِجَابَةِ جُنْدِ المُهَلَّبِ وَانْسِحَابِهِمْ.

ب- الظُّرُوفُ غَيْرُ المُبهمَةِ: وَهِيَ الأَلْفَاظُ الَّتِي "تَدُلُّ عَلَى وَقْتٍ مُحَدَّدٍ مَعْلُومٍ، مِثْلَ: يَوْمٍ، لَيْلَةٍ، أُسْبُوعٍ، صَبِيحَةٍ، شَهْرٍ، سَنَةٍ، أَسْمَاءِ الفُصُولِ"<sup>2</sup>، وَمِنْ أَمَثَلِهَا فِي شِعْرِ الخَوَارِجِ:

- قَالَ "حَبِيبُ بْنُ خِدْرَةَ الهَلَالِيِّ" يَرِثِي "زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ" عَلَيْهِ السَّلَامُ:<sup>3</sup> [الكامل]

- 01 أَوْلَادُ دَرَزَةَ أَسْلَمُوا مَكْـبَلًا يَوْمَ الخَمِيسِ لِغَيْرِ وَرْدِ الصَّادِرِ  
 02 تَرَكُوا ابْنَ فَاطِمَةَ الكِرَامِ تَقْوَدُهُ بِمَكَانٍ مُسْخِنَةٍ لِغَيْنِ النَّاطِرِ

يَنْتَقِصُ الشَّاعِرُ وَيُعَرِّضُ بِأَصْحَابِ "زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ" الَّذِينَ خَذَلُوهُ، قَالَ: (أَوْلَادُ دَرَزَةَ) وَهُوَ تَعْبِيرٌ يُطْلَقُ عَلَى السَّفَلَةِ وَالسَّقَاطِ، ثُمَّ وَظَّفَ الفِعْلَ (أَسْلَمُوا) المُقْتَرَنَ بِكَافِ الخِطَابِ وَالَّذِي مَرَجَعُهَا "زَيْدٌ" دِلَالَةً عَلَى

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 147.

<sup>2</sup> مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ص 107.

<sup>3</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 232.

الخِيَانَةِ وَالغَدْرِ، وَمَا زَادَ مِنْ بَشَاعَةٍ فَعَلْتَهُمْ؛ تَسْلِيمُهُ لِأَعْدَائِهِ (مُكْتَبَلًا) أَي: غَدَرَ بِهِ مَنْ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ، ثُمَّ وَظَّفَ ظَرْفَ الزَّمَانِ "يَوْمَ الْخَمِيسِ" الَّذِي دَلَّ عَلَى زَمَنِ مُحَدَّدٍ وَمُعَيَّنٍ وَهُوَ تَسْلِيمُ "زَيْدٍ" لِبَنِي أُمَيَّةٍ، وَلَكِنَّهُ زَمْنٌ مَجْهُولُ السَّاعَةِ تَحْدِيدًا، أَسَلَّمُوهُ فِي أَوَّلِ الْيَوْمِ؟ أَوْ فِي مُنْتَصَفِهِ أَوْ فِي آخِرِهِ؟ فَكَلِمَةُ "يَوْمٍ" جَاءَتْ لِتَدُلَّ عَلَى "الْقَبْلِيَّةِ"، لِأَنَّ زَمْنَ الْخِطَابِ جَاءَ بَعْدَ مَقْتَلِ زَيْدٍ وَصَلْبِهِ، وَالشَّاعِرُ هُنَا يُخْبِرُ عَنِ جَرِيمَةِ قَتْلِ "زَيْدٍ"، وَيُثَبِّتُ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ أَفْضَلِيَّةً "بَنِي هَاشِمٍ" وَمَكَانَتَهُمْ وَإِنْ كَانَ الْخَوَارِجُ أَعْدَاءً لَهُمْ وَمِنْ مُخَالِفِيهِمْ.

- وَيَقُولُ "عَمْرُو الْقَنَا الْعَنْبَرِي" فِي مُوَاجَهَةِ "الْمُهَلَّبِ" وَحَيْشِهِ:<sup>1</sup> [الرَّجَز]

- 01 نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ
- 02 بِالْخَيْلِ أَمْثَالِ الْوَشِيحِ تَسْرِي
- 03 يُقَدِّمُهَا عَمْرُو الْقَنَا فِي الْفَجْرِ
- 04 إِلَى أَنْسٍ لَهْجُوا بِالْكَفْرِ
- 05 الْيَوْمَ أَقْضِي فِي الْعَدُوِّ نَذْرِي
- 06 وَمَذْرُوكٌ مَا أَرْتَجِي بِوَتْرِي

يَبْتَدِئُ الشَّاعِرُ خِطَابَهُ بِضَمِيرٍ إِشَارِيٍّ جَمْعِيٍّ مُنْفَصِلٍ "نَحْنُ" الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْإِشْتِرَاكِ، مُوَظَّفًا الْمُشْبِرَ الزَّمَانِيَّ (صَبَحْنَاكُمْ) لِيَدُلَّ عَلَى وَقْتِ مُبَكَّرٍ، وَقَدْ كَانَ هُجُومُ الْخَوَارِجِ غَدَاةَ النَّحْرِ، أَي: بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ وَقْتِ الدَّبْحِ، وَقَدْ كَانَ هُجُومُ الْخَوَارِجِ يَوْمَ عِيدٍ عَلَى خَيْلٍ تَسْرِي كَالرَّمَاكِ فِي سُرْعَتِهَا، وَقَائِدُ هَذِهِ الْخَيْلِ بِفُرْسَانِهَا هُوَ "عَمْرُو الْقَنَا" يَسْتَوْفِقُهَا وَقَتَ الْفَجْرِ، وَيُعَلِّقُ الشَّاعِرُ فِي الشُّطْرِ الْخَامِسِ أَنَّهُ سَيَقْضِي نَذْرَهُ بِأَخْذِ الثَّأْرِ مِنَ الْمُهَلَّبِ الَّذِي "قَتَلَ أَهْلَهُ وَصَحْبَهُ وَطَارَدَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ"<sup>2</sup>، مُوَظَّفًا الْعُنْصَرَ الزَّمَانِيَّ (صَبَحْنَاكُمْ، غَدَاةَ النَّحْرِ، تَسْرِي، الْفَجْرِ، الْيَوْمَ)، فَالشَّاعِرُ يُشِيرُ إِلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَمْلُهُ الْمَنْشُودُ فِي أَخْذِ الثَّأْرِ، وَهِيَ مُشِيرَاتٌ دَلَّتْ عَلَى التَّحَدِّيِّ وَالِاسْتِمَاتَةِ لِتَحْقِيقِ الْوَتْرِ (الثَّأْرِ) الْمُرَجَّى نَيْلَهُ.

- وَيَقُولُ "عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ" حِينَ فَارَقَ "رَوْحَ بْنَ زَيْبَاعٍ" قَائِدَ شُرْطَةِ "عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ"<sup>3</sup>: [الْبَسِيطُ]

- 01 قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا لَا يُرْوَعُنِي فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ أَنْسٍ وَمِنْ جَانِ

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 104.

<sup>2</sup> محمّد عادل جابر صالح: شعْرُ الْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، ص 89.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: شعْرُ الْخَوَارِجِ، ص 179، 180.

- 02 حَتَّى أَرَدْتَ بِي العُظْمَى فَأَدْرَكَنِي مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ  
 03 فَأَعْدُرُ أَحَاكَ ابْنَ زُبَاعٍ فَإِنَّ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتِ أَلْوَانَ  
 04 يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتُ مَعْدِيًّا فَعَدُنَانِي  
 05 لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةٍ كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي

بَعَدَ طَلَبِ "عَبْدِ المَلِكِ" رَأْسَ الخَارِجِيِّ "عِمْرَانَ"؛ ظَلَّ يَتَنَقَّلُ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا أَمَّنَ لَهُ مِنْ جَوَارِ الخَلِيفَةِ نَفْسِهِ، فَمَكَثَ "عِنْدَ رُوحِ بِنِ زُبَاعٍ" وَقَدْ كَانَ يَوْمَهَا قَائِدَ جُنْدِ الخَلِيفَةِ وَوَزِيرَهُ المُقَرَّبِ، فَلَمَّا عَلِمَ "ابن زُبَاعٍ" يَقِينًا بِأَنَّ نَزِيلَهُ هُوَ "عِمْرَانَ" بَادَرَ الأَخِيرُ بِالْفِرَارِ وَغَادَرَ جَوَارِهِ، قَالَ: (قَدْ كُنْتُ جَارَكَ) أَي: بِجَوَارِكَ ضَيْفًا عِنْدَكَ، مُوظَّفًا المُشِيرَ الرِّمِّيَّ الَّذِي دَلَّ عَلَى مُدَّةِ الجَوَارِ وَالمُكُوثِ، قَالَ: (حَوْلًا) أَي: سَنَةً كَامِلَةً وَأَنَا أَمَّنٌ لَا يُخِيفُنِي شَيْءٌ وَأَنَا فِي حِمَايَتِكَ، وَهِيَ مُدَّةٌ وَفْتَرَةٌ زَمَنِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ وَمَعْلُومَةٌ، حَتَّى كُشِفَ أَمْرُهُ، قَالَ: (حَتَّى أَرَدْتَ بِي العُظْمَى) أَي: عَلِمْتَ هَوِيَّتِي وَأَرَدْتَ تَسْلِيمِي ل: "عَبْدِ المَلِكِ" لِيَقْتَصِرَ مِنِّي، فَفَرَزْتُ مِنْكَ، ثُمَّ يَعْتَدِرُ لَهُ عَنِ إِخْفَاءِ شَخْصِيَّتِهِ عَنْهُ، قَالَ: (فَاعْدُرُ أَحَاكَ) لِمُغَادَرَتِهِ جَوَارَكَ، لَا لِسَبَبِ تَقْصِيرِكَ، وَإِنَّمَا خَوْفِي مِنْ "عَبْدِ المَلِكِ"، وَخَوْفُ هَذَا الأَخِيرِ؛ جَعَلَهُ يُخْفِي هَوِيَّتَهُ أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ، مُوظَّفًا المُشِيرَ الرِّمِّيَّ "يَوْمًا" لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى حَالِ التَّعْيِيرِ وَالحَرَكِيَّةِ، فَإِذَا حَلَّ عَلَى قَبِيلَةِ يَمَانِيَّةٍ انْتَسَبَ إِلَى اليَمَنِ وَقَبَائِلِهَا، وَإِنْ نَزَلَ عَلَى قَبِيلَةِ عَدُنَانِيَّةٍ ادَّعَى أَنَّهُ عَدُنَانِيٌّ، مُصَرِّحًا فِي البَيْتِ الأَخِيرِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْتَغْفِرًا لَطَاغِيَةٍ لَكُنْتُ يَا "رُوحُ" المُقَدَّمُ، لِمَا وَجَدْتُهُ مِنْ طَيْبِ المَعَشَرِ، مُوظَّفًا العُنْصَرَ الرِّمِّيَّ (يَوْمًا) وَالَّذِي دَلَّ بِهِ عَلَى اسْتِحَالَةِ وَقُوعِ هَذَا الفِعْلِ مِنْهُ، وَهُوَ الإِسْتِغْفَارُ لِلطَّغَاةِ.

وقال "عِمْرَانُ بِنُ حَطَّانٍ" لَمَّا فَارَقَ "ابن زُبَاعٍ" وَحَلَّ بِقَوْمِ "زُفَرَ بِنِ الحَارِثِ الكِلَابِيِّ" وَعَلِمَ "زُفَرَ"

بشخصيَّته وأرادَ تَسْلِيمَهُ لِلخَلِيفَةِ، فَفَارَقَهُ أَيضًا وَقَالَ: <sup>1</sup> [البسيط]

- 01 مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبِرَهُ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَّاعٍ  
 02 أَكْرِمُ بِرُوحِ بِنِ زُبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ لِلْعَالَا دَاعٍ  
 03 جَاوَرْتُهُمْ حِجَّةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ عَرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعٍ

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ فِي البَيْتِ الأوَّلِ عَنِ إِصْرَارِ "زُفَرَ" مَعْرِفَةَ هَوِيَّةِ ضَيْفِهِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى المُدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ بِالمُشِيرِ "حَوْلًا" فِي قَوْلِهِ: (مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا) وَكَأَنَّ "زُفَرَ بِنِ الحَارِثِ" يُدَاوِمُ عَلَى السُّؤَالِ كُلِّ يَوْمٍ، وَلَكِنَّ عِمْرَانَ أَخْفَى ذَلِكَ عَنْهُ، قَالَ: (وَالنَّاسُ بَيْنَ مَخْدُوعٍ وَخَدَّاعٍ)، وَبِذَلِكَ يُخْفِي نَفْسَهُ، ثُمَّ يَمْدُخُ فِي البَيْتِ الثَّانِي "رُوحَ"

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 180.

بن زباع" الذي مكث معه وقومه دون أن يسألوا من يكون، مُشيداً بكرمهم وحسن جوارهم، ليخبر في البيت الأخير أنه جاورهم "حجة" لم يُسيء له فيها أحد، عرضه مصون، وراحته باله لا يعكرها كدر، وتوظيف المُشير الزمّي "حجة" دل على الدقة في تحديد الفترة الزمنية التي قضاها بجوارهم، وكأنه عقد بين طرفين، عقد حفظ الجوار والإحسان إلى النزول، فكأننا بعمران قد وظف هذا العنصر الزمّي ليُدل على مُدة مُحددة وهي سنة كاملة، ولما علم بشخصه "روح" فسح العقد بينهما، ما نتج عنه فراغ عمران.

- ويقول "مالك المزموم" من "بني عامر بن ذهل" لما توارى من "الحجاج" وجنده باليمامة: <sup>1</sup> [الطويل]

01 أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتْرِكَ الصَّبَا      وَأَنْ أَرْجُرَ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنِ الْهَوَى

02 وَمَا عُدْرُ مَنْ يَعْمَى وَقَدْ شَابَ رَأْسُهُ      وَيُبْصِرُ أَبْوَابَ الضَّالَّةِ وَالْهُدَى

03 وَلَوْ فَسِمَ الذَّنْبُ الَّذِي قَدْ أَصَبْتُهُ      عَلَى النَّاسِ خَافَ كُلُّهُمْ الرَّدَى

04 وَإِنْ جَنَّ لَيْلٌ كَانَ بِاللَّيْلِ نَائِمًا      وَأَصْبَحَ بَطَّالَ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى

يُعاتب الشاعر نفسه التي أصابها الوهن، ويتساءل عن وقت استيقاظها من غفلتها، قال: (ألم يأن) أي: ألم يحن وقت زجر النفس عن الهوى والضلال التي هي فيه، ليخبر في البيت الثالث عن عظم الذنب الذي قد أصابه، وهذا الذنب لعظمه فقد تسلل لنفسه وأصابها بالعِي، وليس أعظم من ذنب كالتقصير في ذات الله سبحانه، قال: (فإن جنَّ ليلٌ كان بالليل نائماً) فالمشير الزمّي "الليل" في عُرف الخوارج للعبادة وطاعة الله وليس للنوم، وإذا أصبح، بمعنى: استقبل اليوم الجديد، لم يكن من الذين يدعون الله بالعبادة والعشي، وهي كناية عن طلب الدنيا والإقبال عليها، فالمشير الزمّي (يأن، جنَّ ليل، الليل، العشي والضحي) في هذا الخطاب الخارجي مرجعها ذات الشاعر، وقد جاءت لبيان التقصير وزجر النفس وتأديبها.

- وفي باب الشجاعة والتحذير من النفس والخوف من غدرها يقول "أبو بلال مرداس": <sup>2</sup> [البيسط]

01 مَا إِنْ نُبَالِي إِذَا أَرْوَأْنَا خَرَجَتْ      مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأَجْسَادٍ وَأَوْصَالِ

02 إِنِّي إِمْرُؤٌ بَاعَيْتُ رَبِّي لِمَوْعِدِهِ      إِذَا الْقُلُوبُ هَوَتْ مِنْ خَوْفِ أَهْوَالِ

03 نَفْسِي ظَنُونٌ وَلَسْتُ الدَّهْرَ آمِنُهَا      مِنْ بَعْدِ كَعْبٍ وَطَوَافٍ وَغَسَالِ

يرسم الشاعر صورة حريئة واضحة، تُجسّد الإقدام والتضحية في سبيل القضية التي خرجوا لأجلها، مُعلنًا بأنه غير مُكترتٍ لما يفعلُه الأعداء بجسده وأوصاله بعد مقتله، مُعلنًا في البيت الثاني عن حقيقة الموت،

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 192.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 64.

قال: (باعثي ربي لموعده)، مؤظفًا المشير الزماني (موعده) والذي مرجعه ذات الله العليّة، وقد دلّ به على وقت الحساب العيبي على علم الإنسان، المعلوم والمعين عند الله سبحانه، ويخبر في البيت الأخير، أنه لا يأمن النفس المتقلّبة، قال: (ولست الدهر آمنها)، والعنصر الزمني "الدهر" دلّ به على الإطلاق، بمعنى: لا آمنها دائمًا، لا على التّحديد في وقت بعينه، فهو لا يأمنها لا في يومه ولا غده ولا في الآتي من الأيام ولا ليهره، السبب الذي جعل الشاعر يُطلق هذا الحكم؛ ما رآه وعاشه من انقلاب حال أصحابه من فُرسان الخوارج الذين ارتدوا وفروا من المعركة، فدلالة العنصرين الزمانيين في هذه المقطوعة: أحدهما دلّ على الإيمان واليقين، والثاني دلّ على الإضطراب والقلق من أن تنكص النفس على عقبيها.

### 03. الزمن النحوي (الأفعال):

الفعل في العربية يدلّ على ثلاثة أزمنة: ماضٍ، حاضرٌ ومُستقبلٌ، وزمن التلقظ هو أساسٌ ومركزُ الإشارة الزمانيّة، وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المُدَّة الزمانيّة، كأن يُقال: اليوم الإثنين، وقد تستغرق مُدَّة مُحدّدة من الزمان، فلا تستوعبه كُله، كأن يُقال: ضرب زيدٌ عمرًا يوم الخميس، فالضرب يستغرق جزءًا من اليوم، وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشاريّة إلى الزمان، فيتجاوز الزمن المُحدّد له عرفًا إلى زمانٍ أوسع<sup>1</sup>، فالزمن في النحو هو: "وظيفة السياق، وليس وظيفة صيغة الفعل، فالفعل الذي صيغته (فعل) مثلًا، قد يدلّ في السياق على المُستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدلّ على الماضي<sup>2</sup>، ومن نماذج ورود زمن الأفعال في المدوّنة:

1- الفعل الماضي: ما دلّ على حدثٍ وقع في زمنٍ مضى قبل التّكلم، وقد وردَ بدلالاتٍ عديدةٍ، وهي:

- الفعل الثلاثي المُجرّد: ومن الأوزان التي تدخل تحت هذا الباب:

✓ على وزن (فعل): جاء في قول "عمران بن حطان" وهو يرثي زمن الخوارج "أبا بلال"<sup>3</sup>: [البيسط]

01 تَرَكْتَنَا كَيْتَامَى بَادَ وَالذُّهْمُ فَلَمْ يَرَوْا بَعْدَهُ خَفْضًا وَلَا لِينًا

02 فَاللَّهُ يَجْزِيكَ يَا مِرْدَاسُ جَنَّتَهُ عَنَّا كَمَا كُنْتَ فِي الْإِرْشَادِ تُؤَلِّينَا

يرثي الشاعر "مرداس بن أدية"، مُشبَّها إياه بالوالد الذي فقده أبناءه، مؤظفًا العديد من الأفعال النحويّة المُتنوّعة أوزانها وأقسامها (تركنا، باد، يروا، يجزيك، كنت، تؤلينا)، والفعل الزمني (تركنا) مرجعه ذات

<sup>1</sup> عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 28.

<sup>2</sup> تمام حسّان: اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 104.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: شعر الخوارج، ص 161.

الشاعر وقومه، وهو فعلٌ مُتَّصِلٌ بِضَمِيرٍ جَمْعِيٍّ زَمَانُهُ غَيْرُ مُحَدَّدٍ، غَرَضُهُ إِبْدَاءُ الحُزْنِ والألمِ لِفَقْدِ زَمَنِ وزَعِيمٍ خَارِجِيٍّ، والفِعْلُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى الوَقْتِ صَرَاحَةً، بَلْ جَاءَ لِيَدُلَّ عَلَى المَاضِي المُطْلَقِ.

✓ على وَزْنِ (فَعِل): قال "داؤودُ بنُ عَقْبَةَ العَبْدِي" يُشِيدُ بِشِجَاعَةِ الخَوَارِجِ: <sup>1</sup> [الطويل]

01 إلی الله أشکو فَقَدَ فِتْيَانِ غَارَةٍ شَهِدْتُهُمْ يَوْمَ النُّخَيْلَةِ وَالنَّهْرِ

02 شَهِدْتُهُمْ أَسَدًا إِذَا الحَرْبُ شَمَرَتْ مَسَامِيحُ بِهِمْ بِالمَهَنَّةِ البُتْرِ

يَشْكُو الشَّاعِرُ فَقَدَ إِخْوَانَهُ مِنَ الخَوَارِجِ، مُوَظَّفًا الفِعْلَ (شَهِدْتُهُمْ) الَّذِي يَدُلُّ عَلَى المَاضِي والمُعَايَنَةِ (حُضُورِ الوَقِيعَةِ)، وَالَّذِي مَرَّجَعُهُ ذَاتُ الشَّاعِرِ، وَدِلَالَةُ الفِعْلِ لَوَحْدِهِ مُبْهَمَةٌ وَغَيْرُ مُحَدَّدَةٍ الزَّمَنِ والوَقْتِ، وَمَا دَلَّ عَلَى زَمَانِ وَقُوعِ الحَرْبِ هُوَ قَوْلُهُ: (يَوْمَ الوَقِيعَةِ وَالنَّهْرِ) وَهِيَ "مَوْقِعَانِ بِالقُرْبِ مِنَ الكُوفَةِ، وَكَانَتْ فِيهِمَا وَقَائِعُ بَيْنَ جَيْشِ عَلِيٍّ وَالخَوَارِجِ أَوَاخِرَ سَنَةِ (37 هـ) وَبِدَايَةِ سَنَةِ (38 هـ) بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ"<sup>2</sup>.

يَقُولُ الشَّاعِرُ أَنَّهُ شَهِدَهُمْ يَوْمَ "النُّخَيْلَةِ وَالنَّهْرِ"، وَالأمرُ مُسْتَعْرَبٌ قَلِيلًا، إِذْ إِنَّ الزَّمَانَ يَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ الأَوَائِلِ مِنَ خَوَارِجِ تِلْكَ الحَرْبِ، وَمَا يَعْضُدُ القَوْلَ: إِنَّ الشَّاعِرَ كَانَ "يَسْكُنُ البَصْرَةَ، وَقَدْ وُلِدَ سَنَةَ (41 هـ) وَتَوُفِّيَ سَنَةَ (90 هـ)"<sup>3</sup>، وَلَعَلَّ قَصْدَهُ بِ: "شَهِدْتُهُمْ" يَعْنِي شَيْئًا مِنَ المَعْرِفَةِ السَّمَاعِيَّةِ لَا حُضُورَ الوَقِيعَةِ، وَبِالرُّجُوعِ إِلَى هَذَا التَّحْلِيلِ؛ فَالفِعْلُ "شَهِدَ" دَلَّ عَلَى زَمَانٍ مَاضٍ مُطْلَقٍ.

✓ على وَزْنِ (فَعِل): تقولُ "امرأةٌ خَارِجِيَّةٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ" تَرْتِي أَهْلَهَا: <sup>4</sup> [البسيط]

01 فِتْيَةٌ صَبَرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ فَلَمْ يَنْكُلُوا عَنْهَا وَلَا جَبُّوا

تَرْتِي الشَّاعِرَةُ أَهْلَهَا الَّذِينَ قَتَلَهُمُ "الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ"، وَتُخْبِرُ عَنِ اسْتِمَاتَتِهِمْ وَبَسَالَتِهِمْ فِي القِتَالِ، مُوَظَّفَةً الفِعْلَيْنِ المَاضِيَيْنِ: (صَبَرُوا، نَكَلُوا) المُتَّصِلَيْنِ بِضَمِيرٍ وَاوِ الجَمَاعَةِ، وَالَّذِينَ مَرَّجَعُهُمَا الفِتْيَةُ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ دَلَّ الفِعْلَانِ عَلَى الإِسْتِمَاتَةِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ المُؤَاجَهَةِ، وَدَلَّ الفِعْلُ (جَبُّوا عَلَى وَزْنِ فَعِل) وَالَّذِي مَرَّجَعُهُ القَوْمُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ عَلَى أَنَّهُمْ جَلَدُوا فِي المَعْرَكَةِ وَأَبَدُوا شِجَاعَةً كَبِيرَةً، وَهُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ لَا التَّأْفِيفِ، وَالتِّي نَفَتْ عَنْهُمْ النُّكُوصَ وَالفِرَارَ مِنَ المَعْرَكَةِ، فَالزَّمْنُ هُنَا مَاضٍ مُنْتَهٍ وَمُطْلَقٍ، وَغَيْرُ مُحَدَّدٍ.

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 210.

<sup>2</sup> المُبَرِّد: الكاملُ فِي اللُّغَةِ والأدبِ، (ج 2)، ص 148.

<sup>3</sup> البلاذري، كتابُ جُمَلٍ مِنْ أنسابِ الأشرافِ، (ج 8)، ص 55.

<sup>4</sup> إحسان عبَّاس: شعرُ الخوارجِ، ص 232.

✓ الرُّبَاعِي المَجْرَد (فَعْلَل): وَمِنْ أَمْثَلْتِه فِي المُدَوَّنَة: قَوْل "الأَشْرَ البَكْرِي الأَزْرَقِي" لَمَّا رَأَى "زَيْدَ بِنِ جُنْدَبٍ"

جُنْدَبٍ "مُحْتَفِلًا يَخْطُبُ بِفَصَاحَة، وَلَمَّا رَأَى جُنْدَبَ بِنِي أُمَيَّة ارْتَعَبَ وَنَحَنَحَ: <sup>1</sup> [الرَّجَز]

01 نَحْنَحَ زَيْدًا وَسَعَلَ

02 لَمَّا رَأَى وَقَعِ الأَسَلِ

03 وَيُلْمُهُ إِذَا ارْتَجَلَ

04 ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلَ

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الأَرْجُوْرَة عَنْ جُنْبِنِ خَطِيْبِ قَوْمِهِ "زَيْدِ بِنِ جُنْدَبٍ" لَمَّا بَدَأَتْ الحَرْبُ، مُوظَّفًا عِدَدًا مِنَ الأَفْعَالِ التَّرَاكُمِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الزَّمَنِ المَاضِي (نَحْنَحَ، سَعَلَ، رَأَى، ارْتَجَلَ، أَطَالَ، احْتَفَلَ)، وَقَدْ دَلَّ الفِعْلُ الرُّبَاعِيُّ المَجْرَدُ (نَحْنَحَ) وَالأَذِي مَرَجَعُهُ زَيْدُ الخَطِيْبِ عَلَى الخَوْفِ، وَمَعْنَى نَحْنَحَ: رَدَّدَ صَوْتًا فِي حَوْفِهِ شَبِيهًا بِالكَحَّةِ، وَذَلِكَ لِهُوْلِ الوَقْعِ الأَذِي عَايَنَهُ، قَالَ: (لَمَّا رَأَى وَقَعِ الأَسَلِ) أَي: صَرَبَ الرِّمَاحَ، وَهِنَا يَصِفُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ يُورِدُ عِبَارَةً لِلتَّعَجُّبِ، قَالَ: (وَيُلْمُهُ إِذَا ارْتَجَلَ) بِمَعْنَى: إِنَّهُ إِذَا قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيْبًا وَارْتَجَلَ الكَلَامَ كَانَ فَصِيحًا وَأَطَالَ وَاحْتَفَلَ، وَلَكِنَّهُ سَعَلَ وَنَحْنَحَ لَمَّا رَأَى وَقَعِ السَّلَاحِ وَالصَّرَبِ، فزَمِنُ الفِعْلِ (نَحْنَحَ) عَلَى وَزْنِ (فَعْلَل) دَلَّ عَلَى زَمَنِ مَاضٍ مُطْلَقٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ.

- الفِعْلُ المَاضِي المَزِيدُ: وَمِنْ أَوْزَانِهِ المُوظَّفَةِ فِي شِعْرِ الخَوَاجِ:

✓ المَزِيدُ بِحَرْفٍ عَلَى وَزْنِ (فَاعِل):

- قَالَ "عَبِيدَةُ اليَشْكُرِي" مُصْرِحًا بِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى دِينِهِ غَيْرُ مُفَارِقٍ لِجَمَاعَتِهِ لَمَّا دَعَاهُ "سُفْيَانُ بِنُ الأَبْرَدِ" لِمُبَايَعَةِ "عَبْدِ المَلِكِ": <sup>2</sup> [الطَّوِيل]

01 لَعْمَرِي لَكِنِّ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِي وَفَارَقْتُ دِينِي إِنِّي لَجَهُوْلُ

يَعْتَرِزُ الشَّاعِرُ فِي البَيْتِ بِأَنَّهُ عَلَى دِينِ الخَوَاجِ، بَاقٍ عَلَى مَا عَلَيْهِ القَوْمُ، مُوظَّفًا الفِعْلَ المَاضِي (فَارَقْتُ) المَتَّصِلَ بِنَاءِ المُتَكَلِّمِ وَالأَيِّ مَرَجَعُهَا ذَاتُ الشَّاعِرِ، فَالفِعْلُ هِنَا جَاءَ لِتَقْرِيرِ ثَبَاتِ الشَّاعِرِ عَلَى مَذْهَبِهِ الخَارِجِيِّ، وَزَمِنُ الفِعْلِ هِنَا غَيْرُ مُحَدَّدٍ، وَإِنَّمَا عَيَّنَ بِلِحْظَةِ تَلْفُظِ الشَّاعِرِ بِهِ، وَهُوَ زَمِنُ مَاضٍ دَلَّ عَلَى المُطْلَقِ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 144.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 114.

- ويقول "أحد الخواج" يرثي صاحبه "ملحان بن معروف الشيباني" وقد كان قائماً على الكوفة يوم قتله "النضر بن سعيد الحرشي":<sup>1</sup> [الطويل]

01 سقى الله ملحاناً وبيض وجهه كما جاهد الأحزاب يوم القوادس

يرثي الشاعر صاحبه، ويسأل الله أن يسقيه وأن يبيض وجهه، و"سقى" فعل ماضٍ دالٌّ على المستقبل، وعلّة الترحم وطلب المغفرة له؛ قتاله لجند "عبد الملك"، واسم الفاعل "جاهد" دلٌّ على مَنْ قام بالفعل، ومرجع الخطاب هنا هو الضمير المستتر الذي دلٌّ على الفاعل (ملحان)، وقد كان الجهاد يومها عظيماً، فالفعل دلٌّ على التكثير، كثرة القتال يومها، والزمن النحوي لاسم الفاعل لا يطابق الزمن الكوني، فالفعل لا يعدو أن يكون حدثاً جرى في وقت ماضٍ، واسم الفاعل لم يبين وقت الجهاد عموماً، ولا بدايته ولا نهايته خصوصاً، ما يعني إن صيغة الفعل دلّت على المطلق، وما دلٌّ على زمن فعل الجهاد؛ السابق، فقد بين مداه وضبطه، وذلك في قول الشاعر: (يوم القوادس)، فهذه العبارة دلّت على زمن الواقعة وذلك في السنة (83 هـ) بالقادسية قرب الكوفة.

ب- الأفعال الدالة على المستقبل: بعد تتبّع الأفعال الزمنية -إحصاءً لبعض النماذج- في مدونة شعر الخواج الدالة على المستقبل، فقد تمّ تقسيمها كالآتي:

#### ✓ المستقبل المطلق:

والمطلق هنا يعني: حصول الحدث في وقت غير محدد وغير معلوم، ويُعبّر عن هذا الزمن بطرائق عديدة، منها:

- الفعل المضارع: من الأفعال المضارعة -كنموذج- الدالة على مطلق المستقبل: "يكون"، وفي هذا

الباب: قال "قطري" لما قتل "عمرو بن عامر السعدي" حين اتهمه بالهرب من "المهلب"، ففارقه على

أثر ذلك جماعة من أصحابه، وبقي مغموماً وضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع، فأنشأ يقول:<sup>2</sup> [الطويل]

01 أقول لنفسي حين طال ضالّها وفارقها للحادّيات نصيرها

02 لك الخير موتي إن في الخير راحةً فيأتي عليها حينها ما يصيرها

03 وأعظم من هذا عليّ مصيبةً إذا ذكرتها النفس طال زفيرها

04 فراق رجال لم يكونوا أدلّةً وقتل رجال جاش منها ضميرها

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 222.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 132.

يتقدّم قطريّ بالنصح لنفسه التي طال عيها، مُوظِّفاً الفعل (أقول) الذي مرجعه ذات الشاعر، وهو بذلك يُسدي لها النصح، ويحثها على الموت، أي القتال لأجل الشهادة، الذي هو الراحة الأبدية في فلسفة الخوارج، ثم يُصرِّح في البيت الثالث عن شيءٍ أعظم مُصيبةً من ضلال نفسه، وهو فراق صحبه له، الذين كان يشدُّ بهم عضده، مُخبراً أنهم: (لَنْ يَكُونُوا أَذَلَّةً)، والفعل (يكونوا) مرجعه الصَّحْبُ، وزمن الفعل هو المستقبل، أي نفى عنهم الدُّلَّ في قابل ما سيأتي من الأيام، وهو زمن مُطلق غير مُحدَّد، قال العكبري (ت 616 هـ): "... وَيَكُونُ: دَالَّةٌ عَلَى مُطْلَقِ الزَّمَنِ"<sup>1</sup>، وبذلك ينفي الهوان مُطلقاً عنهم.

— اسمُ الفاعلِ: قال أحدُ الخوارجِ يرثي "نافع بن الأزرق"<sup>2</sup> [الكامل]

01 شَمِتَ الْمُهَلَّبُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً وَالشَّامِتُونَ بِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ

02 أَنْ مَاتَ غَيْرَ مُدَاهِنٍ فِي دِينِهِ وَمَتَى يَمُرُّ بِذِكْرِ نَارٍ يُصْعَقُ

03 وَالْمَوْتُ أَمْرٌ لَا مَحَالََةَ وَقِعَ مَنْ لَا يُصَبِّحُهُ نَهَاراً يَطْرُقُ

يرثي الشاعرُ زعيماً وبطلاً خارجياً هو "نافع بن الأزرق"، مُخبراً عن القوم الذين أبدوا الشَّماتة لموته، مُصرِّحاً بأنَّه مات غير مُخادع/غشاش/مُتصنِّع، باقٍ على ما دان وعاهد به الله، مُخبراً عن إيمانه، فإذا مرَّ على ذِكْرِ النَّارِ هوى صريعاً، وقد وظَّفَ الشاعرُ الفعلَ (يُصْعَقُ) على وزنِ يُفَعِّلُ والذي مرجعه "نافع" للدلالة على شِدَّةِ الخوفِ مِنْ عذابِ الله، والفعلُ كذلك دَلَّ على التَّكرارِ، فكلِّما مرَّ على ذِكْرِ النَّارِ يُغشَى عليه، ثمَّ وَجَّهَ الشَّاعرُ رسالةً للشَّامِتِينَ وهي أَنَّ المَوْتَ لا بُدَّ واقع، وتوظيفُ اسمِ الفاعلِ هنا والذي مرجعه الموت، دَلَّ على زمنٍ غير معلوم، فالأمرُ غيبيٌّ، فمجيءُ الموتِ حسبَ الشَّاعرِ قد يكونُ لحظةً تكلمه أو في غده أو في ما يأتي من الأيام، قال: (مَنْ لَا يُصَبِّحُهُ نَهَاراً يَطْرُقُ)، وَيُصَبِّحُ وَيَطْرُقُ دَلَّا على زمنِ الصَّبَاحِ واللَّيْلِ، ولكنَّ اليومَ يبقى مجهولاً، وبذلك فقد دَلَّ اسمُ الفاعلِ على الزَّمَنِ المُطلقِ الغيبيِّ.

✓ الزَّمَنُ البَعِيدُ: مِنْ أمثلةِ الزَّمَنِ البَعِيدِ فِي شِعْرِ الخَوَارِجِ:

— اقترانُ الفَعْلِ بِ: (سَوْفَ): قال "يزيد بن حُبَّاء" يستعيدُ مِنَ الأفعالِ المُنكَرَةِ والتي تجلِبُ العارَ له ولعشيرته، وتُغضبُ الرَّحمانَ سُبْحانَهُ:<sup>3</sup> [البسيط]

01 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرٍ يُزَيِّنُ لِي لَوَمَ العَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ العَارِ

<sup>1</sup> أبو البقاء عبد الله العكبري: اللُّبابُ فِي عِلَلِ بِنَاءِ الإِعْرَابِ، تح: عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، (ط 2)، (د ت)، (ج 1)، ص 166.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوانُ شِعْرِ الخَوَارِجِ، ص 74.

<sup>3</sup> المرجع السابق: ص 101.

02 لَا أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْسَرَ فِي إِنْ الْعَمَّ أَظْفَارِي

03 إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

04 وَخَيْرِ دُنْيَا يُنْسِي شَرَّ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُنْبِئُنِي الْجَبَّارُ أَخْبَارِي

يَسْتَعِيدُ الشَّاعِرُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَوْءٍ يَجْلِبُ اللَّوْمَ لَعَشِيرَتِهِ وَيُقَرِّبُهُ مِنَ الْعَارِ، فَهُوَ لَا يَقْرُبُ الْبُيُوتَ مِنْ خَلْفِهَا، وَالْفِعْلُ "أَقْرَبُ" مَرْجَعُهُ الشَّاعِرُ، وَقَدْ اقْتَرَنَ بِهَا النَّافِيَةُ الَّتِي تَنْفِي وَقُوعَ الْفِعْلِ الْمُشِينِ مُطْلَقًا (حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا)، فَهُوَ لَنْ يَقُومَ بِالذَّنْبِ مِنَ الْفِعْلِ لَا لِحِظَةِ تَلْفُظِهِ وَلَا فِي الْآتِي مِنَ الْأَزْمَانِ، وَقَدْ دَلَّتْ عِبَارَةٌ (أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ) عَلَى التَّحْسُّسِ وَالْإِطْلَاحِ عَلَى الْعَوْرَاتِ، وَهُوَ أَيْضًا لَا يَنْهَشُ عِرْضَ أَقْرَبَائِهِ، سِوَاءَ أَكَانَتْ أَدْيَةً مَعْنَوِيَّةً أَوْ أَدْيَةً جَسَدِيَّةً، ثُمَّ يُطْلَقُ الْحُكْمُ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ عَلَى أَنَّ الْفَائِزَ فِي الْآخِرَةِ مَنْ نُجِّيَ مِنَ النَّارِ، وَالشَّقِيَّ مَنْ أُدْخِلَهَا، حَاتًّا فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تُنَجِّي الْإِنْسَانَ فِي الْآخِرَةِ، مُوقِنًا بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ سَيُجَازِيهِ لِفِعْلِهِ الْخَيْرِ وَتَرْكِهِ الْمُحْرَمَ، مُوظَّفًا الْفِعْلَ "يُنْبِئُ" الْمُقْتَرِنَ بِسَوْفَ الدَّلَالَةَ عَلَى الزَّمَنِ الْبَعِيدِ الْعَيْبِيِّ، لِأَنَّ الْجَزَاءَ سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

✓ الزَّمَنُ الْقَرِيبُ:

- اقْتِرَانُ السَّيْنِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ: قَالَ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ" وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِحَرْبِ "عَلِيٍّ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: <sup>1</sup> [الرَّجَزُ]

01 سَيَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذَا التَّقَيْنَا

02 دَوَّرَ الرَّحَى عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْنَا

يَتَوَعَّدُ "عَبْدُ اللَّهِ الرَّاسِيُّ" عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَيْشَهُ، قَالَ: (سَيَعْلَمُ الْقَوْمُ) مُوظَّفًا الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ الْمُقْتَرِنَ بِالسَّيْنِ، وَالَّتِي دَلَّتْ فِي هَذَا السِّيَاقِ عَلَى الزَّمَنِ الْقَرِيبِ، أَي: سَيَرَوْنَ مَاذَا نَحْنُ صَانِعُونَ بِهِمْ، فَعَبْدُ اللَّهِ كَانَ يَرْتَجِزُ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِمُوَاجَهَةِ عَلِيٍّ وَصَحْبِهِ، مُبَاهِيًا بِأَنَّ الْعَلْبَةَ سَتَكُونُ لَهُمْ، وَانْهَزَمَ يَوْمَهَا الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ غَيْرُ عَدَدٍ قَلِيلٍ، وَقَدْ عُرِفَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ بِمَعْرَكَةِ "النَّهْرَوَانِ".

- وَقَالَ "ثَابِتُ بْنُ وَعَلَةَ الرَّاسِيُّ" وَقَدْ شَارَفَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَكَانِ الْمَعْرَكَةِ الَّتِي قَادَهَا "نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ"

ضَدَّ جُنْدِ "عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ": <sup>2</sup> [الطَّوِيلُ]

01 سَأَلِحْ إِخْوَانِي وَأَضْرِبْ ضَرْبَهُمْ وَفِي الْكَفِّ عَضْبُ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنْدٍ

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 44.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 82.

تقول الرواية: "إنَّ ثابِتًا لَمَّا بَلَغَهُ خُرُوجُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ لِلْقِتَالِ، وَكَانَ يَوْمَهَا قَرِيبًا مِنَ الْكُوفَةِ، رَكِبَ فَرَسَهُ، وَلَحِقَ بِنَافِعٍ"<sup>1</sup>، وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَ قَوْلِهِ هَذَا الْبَيْتَ: "إِنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ مَنَعَتْهُ مِنَ اللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، فَأَنْشَدَ الْبَيْتَ مَزْهُوًّا بِنَفْسِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِلْمَعْرَكَةِ"<sup>2</sup>.

صَرَخَ الشَّاعِرُ وَأَعْلَنَ بِأَنَّهُ سَيَلْحِقُ بِإِخْوَانِهِ وَيُقَاتِلُ مَعَهُمْ، وَقَدْ وَظَّفَ الْفِعْلَ (أَلْحَقُ) الْمُقْتَرَنَ بِالسَّيْنِ، وَالَّذِي مَرَّجَعُهُ الْخَطَابِيُّ ذَاتُ الشَّاعِرِ، فَالسَّيْنُ هُنَا دَلَّتْ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ، وَيَتَحَدَّدُ بِوُضُوحِ الشَّاعِرِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ، وَبِذَلِكَ يُدْرِكُ الْقَوْمَ وَيَلْجِ مَعَهُمْ الْحَرْبَ، رَافِعًا سَيْفَهُ الْقَاطِعَ مُلْتَحِمًا مَعَ الْأَعْدَاءِ.

✓ الزَّمَنُ الْمُسْتَمَرُّ: وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ فِي الزَّمَنِ مَا يَأْتِي:

- قال "عمارة بن حارثة الأسدي" يُشِيدُ بِقُوَّتِهِ وَصَحْبِهِ فِي قِتَالِ بَنِي أُمَيَّةَ:<sup>3</sup> [الطَّوِيل]

01 سَنَضْرِبُ كُلَّمَا لَأَقَيْنَا غِرًّا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِينَا وَجَارُوا

يُعلنُ الشَّاعِرُ وَيَصْدُحُ بِشِجَاعَةٍ أَنَّهُ سَيَضْرِبُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ وَجُنْدِهِمْ حَتَّى يَفْضِي عَلَيْهِمْ، وَقَدْ وَظَّفَ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ الْمُقْتَرَنَ بِالسَّيْنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَرَّجَعُ الْخَطَابِ هُوَ الضَّمِيرُ الْجَمْعِيُّ الْمُسْتَمَرُّ "نَحْنُ" وَالَّذِي أَحَالَ إِلَى الشَّاعِرِ وَجُنْدِهِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى عَزْمِهِمْ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الْأُمَوِيِّينَ، وَهُوَ بِتَوْظِيْفِ "كُلَّمَا" فَقَدْ دَلَّ عَلَى تَكَرُّرِ الضَّرْبِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ، غَيْرَ مُسْتَقَرٍّ عَلَى حَالٍ وَمُسْتَمَرٍّ فِي صَنْعِهِ، وَهَذَا الْإِسْتِمْرَارُ فِي حَرْبِ بَنِي أُمَيَّةَ هُوَ "العَهْدُ الَّذِي حَمَلَ لَوَاءَهُ الْخَوَارِجُ حَتَّى الْقَضَاءِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بَنِي أُمَيَّةَ"<sup>4</sup>، وَبِذَلِكَ فَقَدْ دَلَّ الْفِعْلُ الْمُقْتَرَنُ بِالسَّيْنِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى الْفِعْلِ (الضَّرْبِ) فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

- ويقول "الخيري" مِنْ أَصْحَابِ "الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ":<sup>5</sup> [الرَّجَز]

01 إِنَّ تَكُ مَرْوَانَ فَإِنِّي الْخَيْرِي

02 سَأَضْرِبُ بِالسَّيْفِ لِأَحْمِي عَسْكَرِي

03 سَابِغَةً دِرْعِي حُصَيْنٍ مِغْفَرِي

الشَّاعِرُ فِي مَرَجُوزِهِ يَعْتَرُّ بِنَفْسِهِ، قَالَ: (إِنَّ تَكُ مَرْوَانَ) - وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ "بُيُوعِ" سَنَةِ (127 هـ) أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ بِالْإِسْتِمْرَارِ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَإِجْبَارِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ - فَأَنَا

<sup>1</sup> البلاذري، أنساب الأشراف، (ج 7)، ص 55.

<sup>2</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (ج 6)، ص 114.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 124.

<sup>4</sup> تقي الدين عبد القادر المقرئ، كتاب المفقى الكبير، دار الغرب الإسلامي، (د ط)، (د ت)، ج 3، ص 124.

<sup>5</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 223.

الخيبريُّ زعيمُ الخَوَارِجِ وبَطَلُهَا، وسَادَفُعُ عن جُنْدِي وَعَسَاكِرِي، مُوظَّفًا الفِعْلَ (أضْرَبُ) مُقْتَرِنًا بالسِّينِ للدَّلَالَةِ على الزَّمَنِ المُسْتَمَرِّ، ومَرَجِعِ الخَطَابِ هُوَ الضَّمِيرُ المُسْتَمَرُّ "أَنَا"، وَقَدْ دَلَّ الزَّمَانُ فِي هَذَا المَرَجُوزِ على الإِسْتِمْرَارِ والإِسْتِمَاتَةِ.

✓ الزَّمَنُ المُتَكَرِّرُ: ويُقصدُ به تَكَرُّرُ الفِعْلِ / الحَدِثِ فِي المُسْتَقْبَلِ، وَمِنَ الأمثلةِ على ذلك:

- يقول "عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ" زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا مُخْبِرًا أَنَّ مَرَجِعُهُ لِصَاحِبِ الأَمْرِ سُبْحَانَهُ<sup>1</sup>: [الوَافِر]

01 وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوَارٍ سَيَأْخُذُهَا الْمُعِيرُ مِنَ الْمُعَارِ

يَرَهُدُ "عِمْرَانُ" فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا بَعْدَمَا أُيقِنَ أَنَّ كُلَّ مَا يَجْمَعُهُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِ الأَرْزَاقِ الَّتِي مَنْ بَهَا على عِبَادَةِ سُبْحَانِهِ، مُوظَّفًا الفِعْلَ المُضَارِعَ "يَأْخُذُ" المُقْتَرِنَ بالسِّينِ، وَالَّذِي دَلَّ على أَنَّ فِعْلَ الأَخْذِ يَتَكَرَّرُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنَّ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

- وتقول "مُلَيْكَةُ الشَّيْبَانِيَّةُ" تَرِثِي أَحَاها:<sup>2</sup> [الخَفِيف]

01 سَوْفَ أَبْكِي عَلَيْكَ مَا سَمِعْتُ أَذْنَائِي يَوْمًا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ

بَعْدَ فَقْدِ "مُلَيْكَةَ" لِأَخِيهَا الفَارِسِ الخَارِجِيَّ، أَعْلَنْتْ أَنَّهَا سَتَبْكِيهِ حُزْنًا وَكَمَدًا، مُوظَّفَةً الفِعْلَ "أَبْكِي" وهو فِعْلٌ مِنَ التَّعْبِيرِيَّاتِ (الحزن) فِي أفعالِ الكَلَامِ، وَهَذَا الفِعْلُ المُقْتَرِنُ بِسَوْفَ وَالَّتِي هِيَ فِي الأَصْلِ لِلزَّمَنِ البَعِيدِ، غَيْرَ أَنَّ السِّيَاقَ دَلَّ على الزَّمَنِ المُتَكَرِّرِ، وَذَلِكَ مَا أَوْضَحَهُ تَوْظِيفُ "مَا" الشَّرْطِيَّةِ بِمَعْنَى كُلَّمَا، أَي: كُلَّمَا سَمِعْتُ الْقُرْآنَ سَأَبْكِيكَ، وَالخَوَارِجُ كَثِيرُو القِرَاءَةِ لِلقُرْآنِ، مَا يَعْنِي إِنَّهَا سَتَبْكِي عَلَيْهِ زَمَنًا غَيْرَ مُعَيَّنٍ بَعْدِي. إِنَّ تَتَبُّعَ مُدَوَّنَةِ شِعْرِ الخَوَارِجِ اسْتِقْرَاءً، أَثَبَّتَ الحُضُورَ المَكْتَفٍ للأفعالِ الزَّمَنِيَّةِ مِنْ ماضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ، فَالزَّمَنُ المَاضِي المُنْقَضِي جَاءَ لِلإِخْبَارِ عَن وَقَائِعِ الخَوَارِجِ وَثَوْرَاتِهِمْ، وَالتَّحَسُّرِ على أَجْزَائِهِمْ، وَالفَخْرِ بِطَوْلَاتِهِمْ، وَأَشَارَ العُنْصُرُ الزَّمَانِيُّ الدَّالُّ على المُسْتَقْبَلِ على أَحْدَاثِ مِنْهَا مَا انْقَضَى وَمِنْهَا مَا لَمْ يَحْدُثْ بَعْدُ، وَبِذَلِكَ فَقَدْ أَسْهَمَ الزَّمَنُ فِي شِعْرِ الخَوَارِجِ على تَحْدِيدِ القَصْدِيَّةِ الَّتِي رَمَى إِلَيْهَا الخَوَارِجُ فِي السِّيَاقِ التَّخَاطِييِّ.

<sup>1</sup> المرجع نفسه: ص 172.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 238.

## خلاصة الفصل:

بعد هذه المعالجة التداولية للعناصر الإشارية في شعر الخوارج؛ خلص الفصل إلى النتائج الآتية:

- 01- الإشارات أولى درجات التحليل التداولي.
  - 02- ساعدت توظيف الإشارات التداولية بجميع أنواعها على توضيح مقاصد خطاب الخوارج المختلفة.
  - 03- التركيز على توظيف الإشارات الزمكانية والاجتماعية، جاء وصفاً لحياة الخوارج ومعاناتهم وتنقلاتهم ومعارضتهم للسلطة.
  - 04- رصد البحث حضوراً لافتاً للإشارات التداولية في تجربة الخوارج الشعرية، الأمر الذي أسهم في تشكيل الرؤى التواصلية بينهم وبين المخاطب، بوصفها جسراً من جسور التواصل.
  - 05- كشفت الإشارات الاجتماعية داخل الخطاب الخارجي علاقة الألفة بين الخوارج ومجتمعهم، وعلاقة العداء مع مخالفيهم.
  - 06- عبّر شعراء الخوارج على مواقفهم وتوجهاتهم بتوظيف الإشارات الشخصية التي مثلت البؤرة المركزية في خطاباتهم/ نصوصهم.
  - 07- تنوعت الإشارات المكانية في المدونة بين أسماء الإشارة، الأماكن المختصة والأماكن المبهمة.
  - 08- حددت الإشارات الزمانية وقت الأحداث التي خاضها الخوارج، والتي خلّدت وقائعهم في التاريخ.
  - 09- الإشارات/المشيرات قاعدة من قواعد التخاطب.
- أدى حسن توظيف الإشارات دوراً مهماً في تماسك الخطاب الخوارجي وترابطه، فعملت على تحقيق فعل التواصل في إيصال مقاصدهم وطروحاتهم التي عبّروا بها عن آرائهم ومعتقداتهم وصراعاتهم، هذا وإن كانت الإشارات قد ساعدت على استجلاء الدلالات العميقة في شعر الخوارج، فإن استكمال المسار الدلالي لهذه النصوص يستدعي ربط المضامين بسياقاتها إما للسياق من دور بارز في على تماسك النصوص وترابطها، وهذا ما سحاول الكشف عنه في الفصل الموالي المتعلق بإنجازة الأفعال الكلامية.

## الفصل الثالث: إنجازه الأفعال الكلامية في شعر الخواج

### توطئة

المبحث الأول: مُنطلقاتُ نظرية الأفعال الكلامية:

أولاً- أُسسُ نظرية الأفعال الكلامية:

01. أُسسُ نظرية الأفعال الكلامية

02. الفعلُ الكلاميُّ (*ACTE de Parole*)

ثانياً- تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية

01. بنية الفعل الكلامي عند أوستين

02. صُنفاتُ "أوستين" للأفعال الكلامية

ثالثاً. تصنيفُ "سيرل" للأفعال الكلامية

01. مفهومُ الفعل الكلامي عند "سيرل"

02. طبقاتُ الفعل الكلامي عند "سيرل"

03. صُنفاتُ "سيرل" كبديلٍ لتصنيف "أوستين"

المبحث الثاني: إنجازه الأفعال الكلامية في شعر الخواج

أولاً. الإخباريات في شعر الخواج

ثانياً. التوجيهيات في شعر الخواج

ثالثاً. الإلتزاميات في شعر الخواج

رابعاً. التعبيرات في شعر الخواج

خامساً. الإعلانيات في شعر الخواج

## توطئة:

تعدُّ نظريَّة الأفعال الكلامية ركيزةً أساسيةً في الفكر اللغويِّ التداوليِّ العربيِّ، لأنَّها الإنطلاقُ الأولى له، وهي من أبرز آلياته الإجرائية، فلا تُذكر التداولية إلا ويحضر ذكرُ أفعال الكلام، لارتباطها الوثيق بميدان الاستعمال والتفاعل الفكري والتواصل الاجتماعي.

ومن هنا، عدُّ البحث في الأفعال الكلامية من صميم التداولية، متجاوزةً بها الدراسات الشكلية للغة، والانتقال بها إلى الاستعمال، بمعنى: دراسة الأحداث الكلامية مُحسَّدةً في الواقع، أي: إنَّ البحث التداوليِّ مُمثلاً في أفعال الكلام قد تجاوز الدراسة الشكلية المستقلة والبعيدة عن الملاحظات والظروف الخارجية التي تُعنى بـ: "دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها"<sup>1</sup> كما عبَّر عن ذلك "ديسوسير"، أي: إنَّ اللغة ليست وسيلةً لتحقيق غاية، وبذلك يكون الإهتمام محصوراً بجوهر اللغة دون مراعاة للظروف الخارجية.

وبهذا اهتمَّت التداولية باليتها الإجرائية (أفعال الكلام) بالسياق الذي حُيِّد في النظرية اللسانية -مثلاً-، واعتنت بعناصر العملية التواصلية وكلِّ ما يُساعد على الوصول إلى المعنى والكشف عنه، إذ إنَّ اللغة أداة للتواصل أولاً، ومؤسسة تكفل بإحداث تغيير في الواقع بما يُنجز من أفعال متلفظ بها ثانياً.

وقد اقتضى واقع البحث تطبيق هذه النظرية على مدونة شعر الخواج لإستكشاف القوة الإنجaziة في الخطاب الشعري الخواجي، مع بيان كيف تحسَّدت هذه الأفعال في خطاباتهم، وإلى أي مدى يُحكِّم على نجاعة صنفه "سيرل" كبديل لتصنيف "أوستين".

<sup>1</sup> فرديانديسوسير: علم اللغة العام، ص 85.

المبحث الأول- مُنطلقات نظرية الأفعال الكلامية:

أولاً. أسس نظرية الأفعال الكلامية:

01. مرحلة التأسيس:

يقول "برونيسلاف مالينوفسكي" (*Bronislaw Malinowski*): "إن اللغة وسيلة من وسائل الفعل وليست أداة للتأمل"<sup>1</sup>، انطلاقاً من هذه القاعدة، راحت نظرية الأفعال الكلامية تهتم بتفسير عملية التواصل والتفاعل اللغوي، جاعلة من الكلام وقدرته الإنجازية مبحثاً لها، والمستقصي لتاريخ هذه النظرية يجد بداياتها مع فلاسفة اللغة الذين كان دافعهم لدراسة اللغة التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الدهن في تصوّره للعالم.

إنه وفي سنة "1955م" ألقى "أوستين" عدّة محاضرات بجامعة "هارفارد" ضمن برنامج (وليام جيمس)، والتي جمعت بعد وفاته ونشرت سنة 1962م في كتاب حمل عنوان: "كيف نُجز الأشياء بالكلمات" (*How to do things with words*)<sup>2</sup>، والذي تُرجم إلى الفرنسية سنة 1972م: (*Quand dire, c'est faire*)<sup>3</sup>، وبذلك يكون "أوستين" أول من تَبَّه إليها من فلاسفة اللغة في الغرب بصورة واضحة، وبخاصة عندما كان يُحاول دحض ما سَمَّاهُ المُغالطة الوصفية، فعرض للفرق بين المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية -والتي تُعدُّ بذرة الأفعال الكلامية وأهم نموذج لها-<sup>4</sup>، وظلَّ يُطوّر فيها ويُحسِّن من أنساقها، حتى استقرَّ على تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاث طبقات -سيأتي الحديث عنها-، وبهذه الجهود التي قام بها "أوستين" فتح المجال أمام الباحثين وتلاميذته للتعمق في جوانب هذه النظرية.

وفي دحض "أوستين" لما أطلق "المُغالطة الوصفية" (*Discriptive Fallacy*)، بيّن أن وظيفة العبارات الإخبارية ليست وصف الوقائع وصفاً يكون صادقاً أو كاذباً فقط، ما يعني إن "أوستين" نظر إلى اللغة نظرة تتعدى كونها "وسيلة لإيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، بل عدها مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفكار ذات صبغة اجتماعية"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ريتشارد أنثوني هديسون: علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، مُرا: عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-الدار البيضاء، (ط 1)، 1987، ص 189.

<sup>2</sup> محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43، 44.

<sup>3</sup> العياشي أدراوي: الإستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 77.

<sup>4</sup> جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، ص 67، محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 59.

<sup>5</sup> عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 145.

وبعد إنكار "أوستين" وطعنه في ما جاء به فلاسفة اللغة، مَيَّزَ بَيْنَ نوعين مِنَ الأفعالِ اللُّغويَّةِ، هي:

#### أ- الأفعالُ الإخباريَّةُ (Constative):

هي أفعالٌ "تَصِفُ وقائعَ العالمِ الخارجيِّ وتكونُ صادقةً وكاذبةً، وتُسمَّى أفعالاً وصفيةً أو تقريريةً، تَصِفُ شيئاً أو تُصوِّره أو تُسردُ معلوماتٍ عنه"<sup>1</sup>، فإذا كانَ تصوُّرُ هذه الأفعالِ مُطابقاً للواقعِ كإخبارك عن زيارة مريضٍ ما مثلاً، فهنا يُوصَفُ الإخبارُ بالصدقِ، وإذا كانَ غيرَ مُطابقٍ للواقعِ وأنتَ لَمْ تَزُرْ أحداً، فالإخبارُ يُوصَفُ بالكذبِ.

#### ب- الأفعالُ الإنشائيَّةُ أو الأدائيَّةُ (Performative):

هي أفعالٌ نقيضُ النوعِ الأوَّلِ، ما يعني: "إنَّها لا تُوصَفُ لا بالصدقِ ولا بالكذبِ، ولا تَصِفُ شيئاً مِنَ الواقعِ الخارجيِّ"<sup>2</sup>، أمَّا أمَّا تُندرجُ تحتَ فعلِ الأداء، فذلكَ يَعني إنَّها إنجازيَّة، ويدخلُ فيها: "الإعتذار، النصح، الوعد، الوعيد، الوصية، الإلتزام.."<sup>3</sup>، تقولُ مثلاً:

- أعلنُ عن بدايةِ المُباراة.

- ألتزمُ بحفظِ أسرارِ بلادي.

- أمركَ أن تأتي غداً.

فهذه الجُمْلُ الثلاثُ التي تحوي أفعالاً أدائيَّة (الإعلان، الإلتزام، الأمر) لا تُخبرُ أو تَصِفُ، ولا يُمكنُ أن يُحكَمَ عليها بالصدقِ أو الكذبِ، بل وَصَفُها يأتي مِنَ تحقُّقِها لفِعْلٍ في الواقعِ، بمعنى: أُوَفِّقُ المُتكلِّمُ في الَّذي التزمَ به أو أعلنَ عنه مثلاً، أو أَخفقَ.

#### 02. الفعلُ الكلاميُّ (ACTE de Parole):

يُعدُّ الفعلُ الكلاميُّ أحدَ مُرتكزاتِ الدرسِ التداوليِّ، ويُطلقُ عليه أيضاً: "فِعْلُ الخطابِ *Acte de discours*، ويعني الوحدةُ الصُّغرى التي تُحقِّقُ اللُّغةَ بها فعلاً بعينه، مثل: الأمر، الطَّلَب، وغاية هذا الفعل؛ تَغْيِيرُ حالِ المُخاطَبين"<sup>4</sup>، فما يُستنتجُ من هذا التعريفِ أنَّ كُلَّ فِعْلٍ لا يُحدثُ تَغْييراً أو حدثاً لا يُطلقُ عليه فعلاً كلامياً.

<sup>1</sup> محمود نخلة: آفاق جديدة في البحث اللُّغويِّ المعاصر، ص 59. عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص 44.

<sup>2</sup> آن ريبول وجاك موشلار: التداوليَّة اليوم، ص 31.

<sup>3</sup> محمود نخلة: آفاق جديدة في البحث اللُّغويِّ المعاصر، ص 59.

<sup>4</sup> دومينيك مانغونو: المُصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 07.

وعرّف على أنه تلك الأقوال "غير الوصفية التي لا يمكن أن نُسند إليها قيمة صدقيّة، والتي لها طبيعة إنجازيّة، أي: الأقوال التي يمتزج فيه القول بالفعل"<sup>1</sup>، ويربطه "فإن ذاك" بالحدث والذي يُقابل التّغيير، يقول: "وما نَعنيه بقولنا إنّنا نَفعلُ شيئاً ما متى صُغنا عبارة مُعيّنة؛ هو أنّنا نقومُ بإنجازِ فعلٍ اجتماعيٍّ، كأنّ نَعِدَ مثلاً وعدّاً ما، أو نَنصَحَ أو نَتوعّد وغير ذلك ممّا يُطلقُ عليه "أفعال الكلام" أو "قوّة الفعل الكلامي"<sup>2</sup>.

ويجعل "مسعود صحراوي" الفعل الكلامي: "كلّ ملفوظٍ ينهضُ على نظامٍ شكليٍّ، دلاليٍّ، تأثيريٍّ وإنجازيٍّ، وهو نشاطٌ ماديٌّ يتوسّلُ أفعالاً قوليّةً، وكلّ ذلك لأجل تحقيقِ أغراضِ إنجازيّة كالطلب والأمر، الوعد والوعيد، وغاياتٍ تأثيريّةٍ تخصُّ زُودَ فعلِ المُتلقي كالرّفِضِ أو القبولِ مثلاً"<sup>3</sup>، وهذا الفعلُ الكلاميُّ إنّما يُؤتي به لفائدة، وهي التّأثيرُ في المُخاطب/المُتلقي، وهذا التّأثيرُ يعقبه إنجازُ فعلٍ ما، وهذا الفعلُ له عدّة أوجه، فقد يكونُ تنفيذاً، وقد يكونُ تصفيحاً ...

وبالرّجوع إلى صاحبِ النّظرية "أوستين"، فالباعثُ لدراسة أفعالِ الكلامِ هو أنّ كلّ اتّصالٍ لغويٍّ يقتضي فعلاً كلامياً، فوحدهُ التّواصلُ اللّغويُّ هي إنتاجُ أو إصدارُ مُفردةٍ أو جُملةٍ لتأدية فعلٍ الكلامِ"<sup>4</sup>، والذي يُجزّ به فعلٌ ما، فإذا، فإذا قال القاضي الشرعي: "حكمتُ عليك بالجلد ثمانين جلدة" أو قال الرّئيس الرّوسيّ "بوتين": "أعلنتُ الحربَ على أوكرانيا"، فهما هنا لم يُنشئا قولاً وإنّما أنجزا فعلاً لغويّاً لا رجعة فيه، الأوّل الجلد لحدّ الرّنا، والثاني إعلانُ الحربِ، ما يعني: "إنّ اللّغة ليست وسيلةً للتّواصل والتّخاطب فحسب، وإنّما هي وسيلةٌ للتّأثيرِ في العالمِ وتغييرِ السّلوِكِ الإنسانيِّ من خلالِ مواقفٍ كليّة"<sup>5</sup>.

ثانياً- تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية:

### 01. بنية الفعل الكلامي عند "أوستين":

ترتكز نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" في الأساس على فكرة الإنجاز، وهذه الأخيرة قد لا تصف في الحقيقة شيئاً في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فقد ميّز "أوستين" بين

<sup>1</sup> أبو بكر العزّوي: اللّغة والحجاج، العمدة للطّبع، مصر، (ط 1)، 2006، ص 121-123.

<sup>2</sup> فان دايك: النصّ والسّياق في الخطاب الدّلاليّ والتّداولي، 263.

<sup>3</sup> مسعودي صحراوي: التّداوليّة عن العلماء العرب، ص 78.

<sup>4</sup> مرتضى جابر كاظم: اللّسانيّات التّداوليّة في الخطاب القانوني - قراءة استكشافيّة للتّفكير التّداولي عند القانونيين-، دار عدنان، بغداد، العراق، (ط 1)، 2015، ص 41.

<sup>5</sup> جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامّة - كيف تُنجزُ الأشياءُ بالكلمات-، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدّار البيضاء، المغرب، (ط 2)، 2008، ص 6، 7.

العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية، فالإنجازية تُستخدم لإنجاز فعل (كالتحية، الوصية، الترحيب، الطلب...)، فهي لا تُوصف بصدق أو كذب، بل تكون موقفة أو غير ذلك، إذا راعى المتكلم شروط أدائها، فقولنا: فُتحت الجلسة، لا تكون له فاعلية إلا إذا صدر عن شخص مؤهل/هيئة قانونية (القاضي)، ويؤدي خرق الشروط إلى فشل الفعل الإنجازي، فالأفعال الإنجازية عند "ديكرو" (*Oswald Ducrot*) مؤسّسة على مواضع من النوع القضائي، حيث تترتب على المتكلم والمستمع حقوق وواجبات، فهما مطالبان بالالتزام بها<sup>1</sup>، وبعد جدال واسع مع فلاسفة اللغة الذين اشتغلوا على قضية شروط صدق الفعل اللغوي، توصل في آخر مراحل بحثه إلى تقديم ثلاثة تراكيب تمثل جوانب الفعل الكلامي، وهي:

#### أ- فعل القول/الفعل اللغوي/فعل التلّفظ (*Acte Locutoire*):

ويعني الألفاظ والكلمات التي يُصدرها المتكلم مُتتابة ومُتصلة، وهذه "الألفاظ والكلمات يُشترط لها أن تكون مفيدة ذات بناء سليم وذات دلالة"<sup>2</sup>، تقول مثلاً: ناقشت أطروحة الدكتوراة. فهذه الجملة ذات ألفاظ مُتصلة، سليمة نحويًا ولها دلالة.

#### ب- قوّة فعل القول/القول الإنجازي (*Acte Illocutoire*):

القوّة الإنجازية (*Force de l'acte*) وهو ما يُؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي، وقد يكون أمرًا، وعدًا، إنذارًا، إخبارًا، وهذا اللفظ لا تتحدد قيمته إلا بعزوه إلى المتكلم أثناء عملية التلّفظ<sup>3</sup>، فالفعل المتضمن في قولنا: ناقشت أطروحة الدكتوراة؛ الإخبار. ويمكن التفريق بين "فعل القول" و"الفعل المتضمن" في أن الأول تُلْفِظُ محض، أما الثاني فهو قيام بفعل ما ضمن قول، وبه ندرك دلالة/مقصود المعنى الأول.

ج- ناتج فعل القول (*Acte Perlocutoire*): وهو ما يصحب الفعل المتضمن في القول، فإجابتك عن سؤال: متى تُناقش أطروحتك؟ بقولك: شهر أكتوبر سنة 2022، هو "ناتج فعل القول المتضمن (السؤال)"، والأثر الذي يتركه فعل القول في النفس، كالفرح، والحزن، أو تقبل دعوة أو تجيب عن سؤال<sup>4</sup>.

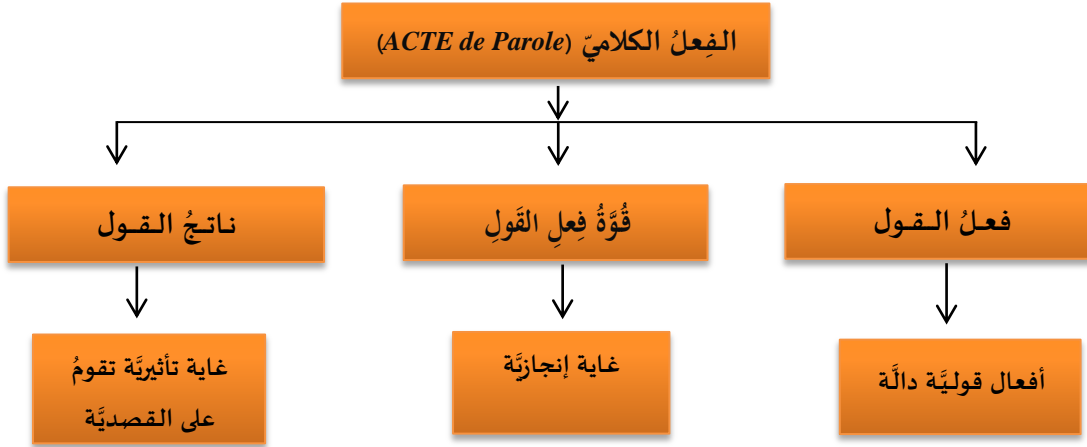
<sup>1</sup> نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 02، مج 11، ع1، 2006، ص 81.

<sup>2</sup> الطبطبائي: نظرية أفعال الكلام، ص 08.

<sup>3</sup> نعيمة الزهري: الأمر والنهي في العربية، منشورات كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، (د ط)، 1997، 146، 147.

<sup>4</sup> يُنظر: محمود نخلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص 46، محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2003، ص 100.

ويمكن تلخيص طبقات الفعل الكلامي التي قدمها "أوستين" في الشكل الآتي:



شكل 01: مُخطّط طبقات الفعل الكلامي حسب "أوستين".

## 02- صُنافَةُ أوستين للأفعال الكلامية:

صنّف "أوستين" الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام استناداً إلى قوّتها الإنجازية، وهي:

- 1- **أفعال الحكم/الحكميات (Verdictives):** هي أفعال تصدر عن سلطةٍ مُعترفٍ بها، غرضها الإنجازي، وصفٌ أو تقديم حكم بالإدانة أو إصدار مرسوم.<sup>1</sup>
- ب- **أفعال الممارسة/التنفيذيات (Exercitives):** وهذا الصنف يتعلّق بممارسة السلطة، سلطة قانونٍ في إصدار حكمٍ مثلاً، وقد تكونُ نفوذاً، كالتعيين في المناصب، ومن الأفعال التي تندرج تحت هذا الصنف: أمرٌ، قضي بالأمر، اختار، أورت، أنقص.<sup>2</sup>
- ج- **الوعديات/الالتزاميات (Commissures):** وهي "أفعالٌ يلتزم فيها المتكلّم بعملٍ ما، مثل: الوعيد، الوعيد، الموافقة والقبول، القسم"<sup>3</sup>، تقول مثلاً: أناصر القضية الفلسطينية، أتعهّد بإرجاع حقوق الغير.
- د- **السُّلوكيات/الأوضاع السلوكية (Behabitives):** وتكون ردّ فعلٍ لحدثٍ ما، كالشكر، الاعتذار، الترحيب، الكره...<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 174، محمود نخلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص 47،

<sup>2</sup> محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص 101.

<sup>3</sup> جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، ص 174، مرتضى كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، ص 44.

<sup>4</sup> محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص 101، محمود نخلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص 47.

هـ - العرضيات/الإيضاحيات (*Expositives*): وهي أفعال تأتي لإيضاح وجهة نظر، أو تقديم إثبات أو اعتراض، مثل: أعترض، أنكر، أوكد<sup>1</sup>.

في نهاية الحديث عن تصنيفات "أوستين" للأفعال الكلامية وآرائه حولها، نجد أنه يعترف بصعوبة التصنيف، بسبب تعدد الأفعال وتداخلها مع بعضها البعض، ويُقر بأن تصنيفه غير نهائي، ما يدل على أن تصنيفاته غير مكتملة، ويذهب إلى أن الطريقة الأنجع للحكم على الفعل بأنه إنجازي تكون من خلال السياق المحيط بالفعل<sup>2</sup>.

ويعتبر "آلان بيرادونير" (*Alain Beradonier*) أن التلغظ بالعبارات "ليس بالضرورة مدعاة لإنجازها، ما يعني إن التكلم يُضاد إنجاز الفعل"<sup>3</sup>، ويعترض "بنفينست" على "أوستين" لتقسيمه العبارة الإنشائية إلى أصلية وأخرى تصرّحية، وذلك لتعلقهما -حسبه- بصورة الألفاظ التقديرية (*Enoncés*)<sup>4</sup>.

وتجاوز "غرايس" محدودية القاعدة التحوّية والمعجمية "التي أخضع لها أوستين الأفعال الكلامية، واضعاً مبدأ التخاطب القائم على مجموعة من القواعد تحفظ الكلام ولا تحرقه -كما سيأتي-. إنه ومع ما شاب نظرية الأفعال الكلامية من نقص، إلا أن ما قدمه "أوستين" فتح باب ومجال البحث وحرك بها الدرس اللغوي الغربي وبعده الدرس العربي، وكُلُّ البحوث والدراسات المعاصرة إنما الفضل فيها لما طرحه "أوستين" في نظريته، فإسهام "أوستين" قد نبّه "إلى تحوّل في التفكير الفلسفي نحو اللغة واستعمالها، وأدخل في صميم البحث اللغوي الإهتمام بوظيفة من وظائف اللغة لم يكن يلتفت إليها كثيراً، وأدخل "أوستين" في البحث الدلالي كذلك ضرورة الاعتماد على السياق والموقف الاتصالي في تشكيل الأفعال اللغوية، وربط "أوستين" التحليل اللغوي بالاستعمال، ما يبيّن على إعطاء قيمة حقيقية للكلام في مقابل اللغة أو اللسان عند "سوسير"<sup>5</sup>، ما يعني إنه لم يجعله حبيس بنية اللغة، ويدل في الوقت ذاته على أن "أوستين" من المهتمين باللغة المنطوقة.

<sup>1</sup> جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 174، محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، ص 101.

<sup>2</sup> علي محمود الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية في معجم سياقي-، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2010، ص 50، و عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 151.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 153.

<sup>4</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 261.

<sup>5</sup> علي محمود الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 50.

ولأوستين أيضاً الفضل في تمييزه بين "محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء الفعل، وميَّز بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها"<sup>1</sup>، وحدد أحياناً الفعل الإنجازي وركز عليه باعتباره مفهوماً محورياً في نظريته.

ومما تقدم، يكون "أوستين" قد أعاد الاعتبار إلى اللغة الطبيعية ولدورها في إفادة المعنى وتشكيل الدلالة.

وبإشارة من "أوستين" بعدم اكتمال نظريته التي أسس لها، ودعوته للبحث في سبل تطويرها، ظهر "سيرل" تلميذه الذي لم يفتنع بتصنيف أفعال الكلام على هذا الاعتبار، فقدّم تصنيفاً جديداً، متجاوزاً فيه -حسبه- الثغرات التي وقع فيها "أوستين". فما مفهوم الفعل الكلامي عند "سيرل"؟ وما الصنافة التي وضعها كبديل لتصنيف أستاذه؟.

ثالثاً- تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية:

### 01. مفهوم الفعل الكلامي عند "سيرل":

يُحدّد "سيرل" تعريفه للفعل الكلامي من مُنطلق أنّ "كلّ قولٍ مُتلفّظ به، هو عملٌ لغوي"<sup>2</sup>، وبذلك فيسيرل يعدّ القول شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعي المضبوط بقواعد، والذي يمكن أن يُنجز أربعة أفعال في الوقت نفسه، وهذه الأفعال يمكن أن يُطلق عليها طبقات الفعل الكلامي، فما هي هذه الأفعال؟ وكيف تتدرّج في القوّة من التلّفظ حتّى الإنجاز؟.

### 02. طبقات الفعل الكلامي عند "سيرل":

لم يكتف "سيرل" بتقديم تصنيف جديد وبديل لتصنيفات "أوستين" للأفعال الكلامية، بل ميّز أيضاً حتّى بين طبقات الفعل الكلامي وجعلها أربعة أفعال لغوية، هي:<sup>3</sup>

أ- فعل القول/العمل القولي (*Acte D'énonciation*): قوائمه التلّفظ بالكلمات والجمل.

ب- الفعل الإسنادي (*Acte Propositionnel*): يعمل على ربط الصلة بين المتكلم والسامع، ويُطلق عليه المتحدث عنه أو المرجع.

ج- فعل الإنشاء/العمل الإنجازي (*Acte Performatif*): تكون هذه الأفعال المتضمنة داخل القول، كالنصيحة، التحذير، الوعد ...

<sup>1</sup> محمود نخلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصرة، ص 71.

<sup>2</sup> علي محمود الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 56.

<sup>3</sup> الحيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25.

د- فعل التأثير/عمل التأثير (*Acte Perlocutif*): وهي ردود الفعل كالخوف، الحزن، الفرح، وهو ناتج القول عند أوستين.

### 03. صُنافه "سيرل" كبديل لتصنيف "أوستين":

لجُهود "أوستين" دورٌ كبير في إعادة "سيرل" تصنيف الأفعال الكلامية، وذلك لتأثره بأستاذه أولاً، واختلاف الهدف اللغوي ثانياً، وهو ما جعل "سيرل" يُعيد هذا التصنيف، وهو ما جعله أيضاً يُفرّق بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة، وقد بيّن الضعف في تصنيفات أوستين للأفعال الإنجaziة، وقدم تصنيفاً بديلاً، وجعله خمسة أصناف هي:<sup>1</sup>

أ- الإخباريات/التقريريات (*Assertives*): الغرض الإنجazi منها هو تعهد المرسل بصدق قضية ما، أو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية.

ب- الوعديات/الالتزاميات (*Commissives*): غرضها الإنجazi هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، (أفعال التعهد)، وهذه الأفعال مبنية على شرط الإخلاص.

ج- التوجيهيات/الأمريات (*Directives*): غرضها الإنجazi جعل المرسل يقوم بشيء أو فعل ما، كالإقترح، الإغراء، النصح، الأمر...

د- التعبيريات/البوحيات (*Expressives*): غرضها التعبير عن حالة نفسية، كالتهنئة، الاعتذار، الشكر.

هـ- الإعلانيات أو التصريحيات (*Declaratives*): الغرض منها إحداث تغيير في العالم، فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحاً، فالجرب مُعلنة.

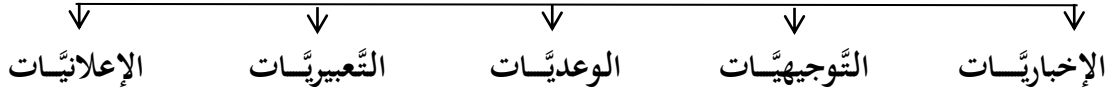
إنّ أساس البحث تطبيقي/عملي/إجرائي، وما هذه المقدمّة النظرية في باب الفعل الكلامي عند "أوستين" و"سيرل" إلاّ مدخل تمهيدي لبيان تَمْظهر الأفعال الكلامية في الخطاب الشعري عند الخوارج، مع بيان قوّتها/فاعليتها الإنجaziّة، وكل ذلك وفق صياغة/تصنيف "سيرل".

<sup>1</sup> يُنظر: طالب الطببائي، نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 30، وفيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 66، وآن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم، ص 29، ومحمود نخلة: آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصرة، ص 49.

المبحث الثاني - إنجارية الأفعال الكلامية في شعر الخوارج (حسب تصنيف سيرل):

يُناقش هذا المبحث القوة الإنجارية للأفعال الكلامية في الخطاب الشعري الخارجي، مُبيناً وظيفتها التداولية من خلال نماذج إجرائية/تطبيقية وفق تقسيمات "سيرل".

### الأفعال الإنجارية



(Declaratives) (Expressives) (Commissives) (Directives) (Assertives)

شكل 02: الأفعال الكلامية حسب تصنيف سيرل.

أولاً. الإخباريات في شعر الخوارج:

الإخباريات هي أولى التصنيفات التي وضعها "سيرل"، وعرضها الإنجاري هو: "نقل المتكلم قضية (*Proposition*) واقعة/حدثاً ما نقلاً أميناً، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحققت شرط الإخلاص، وإذا تحققت شرط الإخلاص؛ أنجزت الأفعال إنجارية تاماً، وإلا أصبحت أخباراً لا معنى لها"<sup>1</sup>، وأفعال هذا الصنف "تحتمل الصدق والكذب، بينما قوتها الإنجارية المباشرة هي: الوصف، الإخبار، التقرير والتوكيد"<sup>2</sup>.

وبالحديث عن شرط الإخلاص أو النقل الأمين للوقائع والتعبير الصادق عنها، فنحزم أن كل نقولات/إخباريات الخوارج كانت صادقة أمينة، وذلك لعدة اعتبارات منها:

- نبذهم للكذب، فمذهب الخوارج تكفير الكاذب - كما تقدم الذكر -.
- أخذ أهل الحديث الذين هم أحرص الناس على التثبت ونقل صحيح الأقوال/الأخبار عن الخوارج.
- أشعارهم جاءت مُحَقَّقة في عدة دراسات، ونقلاً عن العديد من المراجع التاريخية المعتمدة (تاريخ الأمم والملوك للطبري، البداية والنهاية لابن كثير، كتاب الفتوح لابن أعمش، أنساب الأشراف للبلاذري...).

وقد جاءت الإخباريات في شعر الخوارج لتدل على أغراض عديدة، منها: وصف بطولاتهم وحروبهم، الفخر والمدح، وكذلك التعبير عن حالاتهم النفسية من حسرة وتفجع خلال مصارعهم السلطة الحاكمة، وسنتعرض لكل باب بأخذ أمثلة/نماذج تطبيقية وبيان عرضها التداولي.

<sup>1</sup> محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 30.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 78.

01. الإخبار عن البطولات: أكثر شعراء الخوارج في هذا الباب، ومن الأمثلة على ذلك:

- قال "قطري بن العجاءة" في باب ذكر شجاعته البطولة والاعتداد بالنفس: <sup>1</sup> [الطويل]

01 فلو شهدتنا يوم ذاك وخيننا      تُبيح من الكفار كل حريم

02 رأت فتية باعوا الإله نفوسهم      بجنات عدن عنده ونعيم

يُخبر الشاعر في هذا البيت عن قُوّة وشجاعة الخوارج وبساليتهم، فالفعل الكلامي "شهدتنا" ورد في سياق جملة خبرية وصفية، دالاً على تميّ المعايبة وحضور الواقعة، بينما دلّ الفعل "تبيح" على الحركة وكثرة القتل، والنظر في الشروط المُعدّة (*Conditions Préparations*) في هذا الخطاب؛ نجد الشاعر قد شهد الواقعة/حاضرًا/مقاتلاً، ما يجعل المحتوى القضوي (*Content Proposition*) صادقاً، وبما أنّ الشاعر عاش هذه الحرب؛ فنحزم بصدق شرط الإخلاص الذي مبناه النقل الأمين/الصادق للقضية/الواقعة، ما يدلّ على أنّ الفعل الكلامي أنجز إنجازاً ناجحاً وتاماً، وبهذا التقديم يُمكن بيان الغرض الإنجزي للفعل الكلامي في هذا التركيب كالاتي:

الغرض الإنجزي	دلّالته	زمنه	الفعل الكلامي
الإشادة بشجاعة الخوارج وتأكيدها	إخبار ووصف	ماضي	شهدتنا - تبيح

شكل 03: الغرض الإنجزي للفعل الكلامي.

- وقالت "امرأة خارجية" قتل أبوها وأخوها وزوجها وأمها وخالتها، فما رؤيت ضاحكة: <sup>2</sup> [البسيط]

01 صبروا عند السيف فلم ينكلوا عنها ولا جنبوا

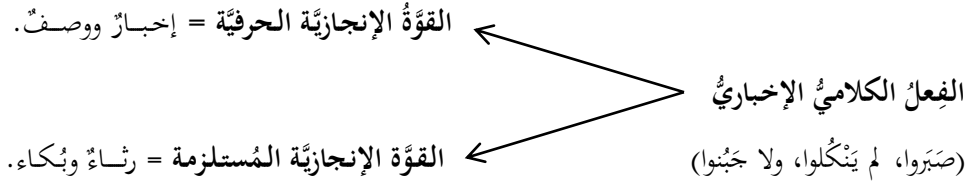
جاء هذا البيت في قصيدة ترثي فيها الشاعرة أهلها، وتُخبر عن قُوّة التحمل عند المواجهة، قالت: (صبروا)، وتصف إقدامهم، قالت: (لم ينكلوا) بمعنى لم يتراجعوا أو ينكصوا، وعند التلاحم (ولا جنبوا)، وتوظيفها للأفعال الدالة على الماضي: (صبروا، لم ينكلوا، ولا جنبوا)، نقت عنهم الضعف والخوف، وأقرت حقيقة الإستماتة والبطولة، والنظر إلى توفر شروط العمل الإخباري في هذا الخطاب، نجد أنّ المتكلم في هذا النصّ هي الشاعرة، وموضوع الخطاب إخبار ووصف لواقعة أليمة (فقد الأهل)، والكلام في باب الرثاء، ما يوجب توفر شرط الإخلاص في النقل الأمين الصادق، والشرط المُعد

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 121.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 232.

في الخطاب، حيازة الشعارة على شاهدٍ تُؤيّد به صدق المحتوى القضويّ، وهو أنّ جميع أهلها "قاتلوا مع الضحّاك بن قيسٍ وُقُتلوا"<sup>1</sup>، وعليه يكون شرط الإخلاص المحقّق؛ رثاء الأهل، وهي فيه صادقة.

وتظهر على هذا الخطاب قوتان إنجزيّتان: قوّة إنجزيّة حرفيّة صريحة هي الإخبار والوصف، وقوّة إنجزيّة مُستلزمة في الرثاء/البكاء، ويُمكن بيانهما كالآتي:



02. الرثاء: من أمثلة الأفعال الكلامية الإخباريّة التي جاءت في باب الرثاء:

- قال "عمران بن حطان" يرثي "أبا بلالٍ مرداساً":<sup>2</sup> [الطويل]

01 تَرَكْتَنَا كَيْتَامَى بَادَ وَالِدُهُمْ فَلَمْ يَرَوْا بَعْدَهُ خَفْضًا وَلَا لِينًا

02 فَاللَّهُ يَجْزِيكَ يَا مِرْدَاسُ جَنَّتَهُ عَنَّا كَمَا كُنْتَ فِي الْإِزْشَادِ تُؤَلِّينَا

يَتَمَحَوَّرُ موضوع هذا الخطاب حول رثاء الشاعر لشيخ الخوارج وبطلها "أبي بلال"، مُحبرًا عن عَظَمِ المصيبة في فقده، مُوظفًا الأفعال الماضية التي تُناسب الإِسْتِذْكَارَ، قال: (تَرَكْتَنَا) الدال على المُفَارَقَةِ والكفّ والإعراض، وكان المرثي غادرهم بإرادته ولم يُقتل، بل يحملُ الفعل معنى رفض الشيء قَصدًا واختيارًا، وتوظيف الشاعر للتشبيه (كيتامي) صوّر قوّة العلاقة التي تربط الخوارج بزعميمهم، مُتجاوزًا تصوير علاقة القائد بحُنده إلى علاقة الأب بأبنائه، الذي يفقده (باد) لا يَرُونَ (لم يَرُوا) عنايةً ولا عَطْفًا.

والشاعر بتصويره وإخباره، يدفع ويستميل المُتلقي الخارجي، ويحثه على استعداد "عباد بن الأخضر التميمي" الذي قتل أبا بلالٍ وصحبه في الصلاة بعد أن توادعوا<sup>3</sup>، وبذلك يضمن التحرك لأخذ الثأر، فما كاد عباد يدخل البصرة، حتى رصده عبدة بن هلالٍ ومعه ثلاثة نفرٍ، فقالوا له: قِفْ نَسْتَفْتِيكَ، فوقف، فقالوا: نحنُ إخوةٌ أربعةٌ قُتلَ أحونا فما ترى؟ قال: اسْعُدُوا الأمير. أي: اسْعِينُوا به، قالوا: اسْعَدِينَا، فلم يعدنا. قال: فاقتلوه قتله الله. فوثبوا على عبادٍ وقتلوه<sup>4</sup>. ومما تقدّم نلاحظ أن الشروط المُعدّة تقتضي

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 232.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 32.

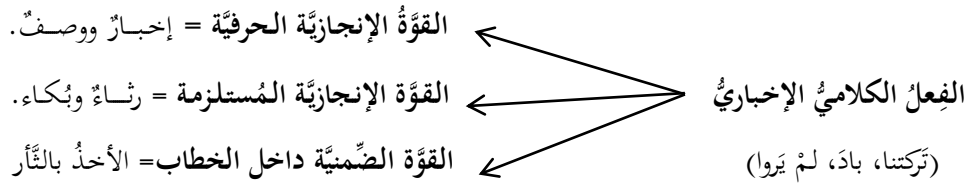
<sup>3</sup> شهاب الدين التويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1423 هـ، (ج 20)، ص 182.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 482.

تحقق المعنى القضيي (الحرفي) الذي يُعبّر عن حالة العاطفة والرثاء، وشرط الإخلاص المحقق هو صدق الشاعر في رثاء زعيمهم والاستعداد لأخذ الثأر، واتجاه المطابقة (*Direction of Fit*) يُرشد به الشاعر أن يجعل العالم مطابقاً للكلمات، بمعنى إنه يُرشد التأثير في غيره، وبذلك حصل التحرك والأخذ بالثأر، والجدول الآتي يوضح الغرض الإنجازي من الأفعال الكلامية:

الفعل الكلامي	زمنه	دلّالته	غرضه الإنجازي
تركنا- باد- لم يروا	ماضي	إخبار ووصف	بُكاء ورثاء

ولبيان القوّة الإنجازيّة الحرفيّة والقوّة الإنجازيّة المُستلزمة لهذا الخطاب، نرصدّها في الشكل الآتي:



- وقال "عمران" يُخبر عن "يزيد بن بعشر" يوم قُتل ببغداد: <sup>1</sup> [الطويل]

01 لَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَزِيدُ بَنُ بَعْشَرٍ حَرِيصًا عَلَى الْخَيْرَاتِ حُلُومًا شَمَائِلُهُ

إنّ زمن الخطاب، الماضي (كان)، والفعل الناقص وُظف لتقرير حقيقة، حقيقة حرص "يزيد" على فعل الخير، واصفاً إيّاه بحصالي حميدة، واقتران الفعل "كان" بحرف التحقيق "قد" جاء لإفادة تحقّق الفعل الكلامي، واقتران الحرف المؤكّد بحرف "اللام"، دلّ على إفادة ثبوت الخبر المضمّن في الفعل، وحصول الفعل في الماضي.

والمُدقّق في حرف التحقيق "لقد"، يجده أفاد الشدّة في الخطاب، وكأنّه جاء جواباً أو ردّاً على سائلٍ أو دفعاً لشبهة، وبعده البحث، تبيّن أنّ هذا البيت جاء ردّاً على فخر: "بشر بن مروان لما قتل يزيد بن بعشر بنهر جوحى ببغداد"<sup>2</sup>، وبهذا يكون شرط الإخلاص قد تحقّق بنقل الشاعر الأمين والصادق في الإخبار والوصف لسجايًا وحصالي يزيد، وبذلك يكون الفعل الكلامي في هذا الخطاب ناجحًا وتامًا، والجدول الآتي سيوضح الغرض الإنجازي للفعل الكلامي ودلالته:

الفعل الكلامي	زمنه	دلّالته	غرضه الإنجازي
كان	ماضي ناقص	إخبار ووصف	التأكيد على صلاح وخيريّة يزيد

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 178.

<sup>2</sup> البلاذري: أنساب الأشراف، (ج 5)، ص 183.

03. التَّفجُّع: يَدْخُلُ التَّفجُّعُ فِي شِعْرِ الخَوارجِ فِي بابِ رِثاءِ القَتلى وَبُكائِهِم، وَيَصحِبُهُ عويلٌ وَصُراخٌ، وَقَدْ لا يَدري الباكِي بحالِهِ ولا بأقوالِهِ، وهذا ما نَجده في:

- قَوْل "مُليكةُ الشَّيبانِيَّة" تُخبرُ عَن فَجِيعَتِها فِي موتِ عَمَّها: <sup>1</sup> [الكامل]

01 أَلقيتُ جِلْبَابِي لِعَظْمِ رَزِيَّتِي وَبَرَزْتُ سَافِرَةً بِغَيْرِ خِمَارِ

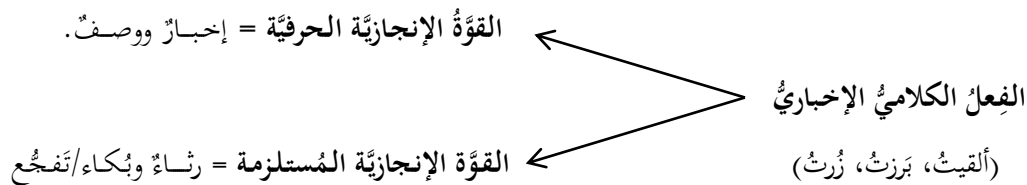
02 رُزْتُ المَقابِرَ كَما أَسَلِّي عَبرَتِي هِيَهاتَ مَمَّنْ رُزْتُ بَعَدَ مَزارِ

03 فَلَيبِكِهِ المَولَى وَطالِبِ حاجَةٍ عِنَدَ العِشاءِ وَكُلِّ ضَيفِ طارِ

يَعلُبُ عَلى هذا النَصِّ البُكاءِ وَالتَّفجُّعِ، وَهنا يُطرحُ السُّؤالُ: ما المَحاسِنُ الَّتِي حازَها عَمُّ "مُليكة" حَتَّى تُفَرِّدَ أَغلبَ شِعْرِها فِي رِثائِهِ وَالبُكاءِ عَلَيهِ؟، الجوابُ: "إِنَّ لِكُلِّ مَرثِيٍّ ضَرِيئِينَ مِنَ المَحاسِنِ: ضَرَبًا يَوافِقُ مِثْلَ العَرَبِ العامَّةِ مِنَ كَرَمِ وَشِجاعةِ وَوفاةِ، وَضَرَبًا يَتَفَرَّدُ بِهِ"<sup>2</sup>، وَلعلَّ دَرَجَةَ القِرابَةِ مَعَ الخِصالِ العَديدةِ الَّتِي اجتمَعَتِ فِي عَمَّها هِيَ الَّتِي جَعَلتَهُ يَحُورُ تِلْكَ المَكانَةَ فِي شِعْرِها، وَبما أَنَّ المَرثِيَّ قَد مَثَّلَ مَحورَ الخِطابِ؛ فَالشَّاعِرَةُ قَد "سَحَلَّتْ أعمَقَ المَشاغِرِ الخارجِيَّةِ مَعَ الدَّعوةِ إلى الإِسْتِنقارِ وَالكُرِّ..."<sup>3</sup>.

والبَيانُ تَأثُرُها بِجولِ المُصابِ؛ وَظَلَمَتِ العَديدَ مِنَ الأفعالِ الكلامِيَّةِ المَاضِيَّةِ الَّتِي أَفادتِ التَّقريِرَ، وَهُوَ ما يَتَلاءَمُ وَمَقامَ التَّخاطبِ، قالَت: (أَلقيتُ) فِعْلٌ وَفاعِلٌ، دَلَّ عَلى الإِخبارِ مَعَ الطَّرحِ بِقُوَّةِ، وَقالَت: (بَرَزْتُ) فِعْلٌ وَفاعِلٌ، وَالبَروُزُ هنا دَلَّ عَلى الظُّهورِ أَمامِ الرِّجالِ، وَالدَّلِيلُ قَولُها: (سَافِرَةً بِغَيْرِ خِمَارِ)، فِعْظُ ما حَلَّ بِها حَجَبَ عَلى عَقلِها، ثُمَّ تَعَدَّلَ الشَّاعِرَةُ مِنَ تَصويرِ مَشهدِ هَولِ الفاجِعَةِ إلى زيارَتِها لِلمَقبَرَةِ عَلَها تُؤنِّسُ حُرقةَ القَلبِ، لَكِنَّها تَتَذَكَّرُ بَعَدَ المَزارِ (المَقبُورِ) فَتَزادُ أَلَمًا.

وَبهذا الخِطابِ يَكُونُ اتِّجاهُ المُطابِقَةِ لِلمُحتوى القَضويِّ مِنَ الكَلِماتِ إلى العالَمِ، فَالشَّاعِرَةُ هِيَ المُتحدِّثَةُ، وَأَنَّ ما قامَتِ بِهِ حَقيقةً، وَبذلك تُريدُ التَّأثيرَ فِي غَيرِها، أَمَّا شَرتُ الإِخلاصِ فَهُوَ صِدقُ الشَّاعِرَةِ فِي التَّعبيرِ عَن حُزَنِها، وَهِيَ عَاطِفَةٌ صادِقَةٌ تُجاهِ العمِّ وَالرَّعِيمِ الخارجِيِّ. وَهذا الطَّرحُ، يُمكنُ تَوضيحَ المَعنى الحَرفِيِّ الصَّريحِ وَالمَعنى المُستلزمِ فِي الخِطابِ كالأَتي:



<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 240.

<sup>2</sup> غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2008، ص 417.

<sup>3</sup> جميل منصور: معجم شاعرات العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار البشائر، لبنان، (د ط)، 2010، ص 25.

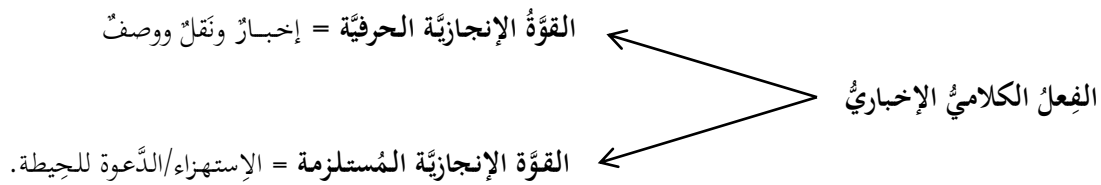
04. الإستهزاء: من الأخبار والتقريرات الواردة في شعر الخوارج والتي خرجت إلى الإستهزاء:

- قول "الحصين بن مالك" في "عبد العزيز بن أسيد" لَمَّا حارب "الأزارقة" بدلاً من المهلب: <sup>1</sup> [الطويل]

01 إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ يَوْمَ حَرُورٍ      كَانَ يَرْجُو رَجَا الْمُهْلَبِ فِينَا

يَنْقُلُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْخِطَابِ وَقَعَةَ يَوْمِ "حُرُورَاء"، وَالَّتِي أَرَادَ فِيهَا "عَبْدُ الْعَزِيزِ" أَنْ "يَقْضِي عَلَى الْخَوَارِجِ الْأَزْرَاقَةَ وَلَمْ يُوقَفْ لَذَلِكَ يَوْمَهَا"<sup>2</sup>، وَبِهَذَا فَالْخِطَابُ جَاءَ لِلْوَصْفِ وَالتَّقْرِيرِ، فَلِنَقْلِ الْخَبَرِ؛ وَظَفَّ الْفِعْلُ الْمَاضِي التَّاقِصَ "كَانَ" الْمُنَاسِبَ لِاسْتِحْضَارِ الْحَدِيثِ وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ، وَوَضَّفَ الشَّاعِرُ "إِنَّ" لِلتَّأْكِيدِ، تَأْكِيدِ خَبَرِ أَنَّ "عَبْدَ الْعَزِيزِ" كَانَ يَبْغِي النَّصْرَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُشْتَتَّهُمْ كَمَا فَعَلَ "الْمُهْلَبُ"، وَلَكِنْ هِيَاتٌ بِالتَّعْبِيرِ الضَّمِّيِّ الَّذِي وَظَفَّهُ الشَّاعِرُ، وَبِتَوْضِيهِ الْفِعْلِ الْمَاضِي وَأَدَاةِ التَّأْكِيدِ؛ يَكُونُ الْغَرَضُ الْإِنْجَازِيَّ الْعَامَ فِي الْخِطَابِ، التَّقْرِيرِ.

وَدَلَّتْ "إِنَّ" فِي الْخِطَابِ عَلَى الْقُوَّةِ الْإِنْجَازِيَّةِ الْمُرَادِ تَوْكِيدَهَا وَتَقْوِيَتَهَا، وَبِتَوْضِيهِ أَدَاةِ الْإِثْبَاتِ؛ يَكُونُ الْمَحْتَوَى الْقَضَوِيِّ طَابِقَ الْوَاقِعِ، وَحَصَلَ شَرْطُ الْإِخْلَاصِ فِي النَّقْلِ الْأَمِينِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْحَدِيثِ، وَدَلَّ أَيْضًا التَّأْكِيدَ عَلَى تَنْبِيهِ الشَّاعِرِ لَصَحْبِهِ الْأَزْرَاقَةَ، بِمَعْنَى: هَلْ تَتْرُكُونَ "عَبْدَ الْعَزِيزِ" يَفْعَلُ بِكُمْ مَا صَنَعَهُ الْمُهْلَبُ مِنْ قَبْلُ؟، وَيَخْرِجُ مَضْمُونُ هَذَا الْخِطَابِ أَيْضًا إِلَى الْإِسْتِهْزَاءِ وَالتَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَخَاصَّةً عِنْدَ ذِكْرِ الْمُهْلَبِ الَّذِي "لَطَالَمَا قَرَّبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ وَأَبْعَدَ عَبْدَ الْعَزِيزِ الَّذِي عَزَلَهُ لِسَوْءَةِ فَعْلِهَا"<sup>3</sup>، وَيُمْكِنُ بَيَانُ الْقُوَّةِ الْإِنْجَازِيَّةِ لِلْفِعْلِ الْكَلَامِيِّ وَأَدَاةِ التَّأْكِيدِ دَاخِلَ الْخِطَابِ كَالآتِي:



05. مقتل عليٍّ عليه السلام:

- قال أحدُ الخوارج يُخْبِرُ عَنْ مَقْلِ "عَلِيٍّ" عليه السلام: <sup>4</sup> [الطويل]

01 دَسَسْنَا لَهُ تَحْتَ الظَّلَامِ ابْنَ مُلْجِمٍ      جَزَاءً إِذَا مَا جَاءَ نَفْسًا كِتَابُهَا

02 أَبَا حَسَنِ خُذْهَا عَلَى الرَّأْسِ ضَرْبَةً      بِكَفِّ كَرِيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ثَوَابُهَا

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 116.

<sup>2</sup> ابن الأعمش: كتاب الفُتُوح، (ج 3)، 412.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 416.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 52.

يدور مضمون هذا الخطاب حول قضية مقتل علي عليه السلام، فالشاعر يُخبر عن كيفية القتل ويصف طريقة العدرِ قائلاً: (دَسَنَّا)، فعلٌ ماضٍ دلَّ على حدثٍ جرى وانتهى أفادَ الإقرار، إقراراً بصنيعهم المشين، وكيف أرسلوا "ابن ملجم" سرّاً ليلاً ليُمكّر بعلي عليه السلام، ثمَّ يعدل في البيت الثاني ليخبر عن كيفية القتل، قال: (...خُذْهَا عَلَى الرَّأْسِ ضَرْبَةً) مُصَوِّراً مَشْهَدَ الضَّرْبِ، ضَرْبِ "عَلِيِّ بِسَيْفٍ مَسْمُومٍ عَلَى قَرْنِ رَأْسِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى لِحْيَتِهِ"<sup>1</sup>، تصويراً مع إخبارٍ يَحْمِلُ حَقْدًا كَبِيرًا عَلَى خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ. وبهذا التّقديم، يُصْبِحُ شَرْطُ النَّقْلِ/الإخبارِ الصّحيحِ عن الواقعة مُتَوَقِّفًا، فالشاعرُ هو المتكلّم، ومن بين الَّذِينَ بَيَّنُّوا وَأَحْمَعُوا الأَمْرَ عَلَى القَتْلِ، ودلالة "نا" الضمير الجمعيّ (فاعل) دلَّ على الإشتراك، وبذلك يكون اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، بمعنى: وقوع الحدث/الفعل واشتراك المتكلّم فيه. وفيما يأتي جدول يُبيّن الغرض الإنجزيّ للفعل الكلامي:

الغرض الإنجزيّ	دلّاه	زمنه	الفعل الكلامي
فخرٌ وتشفُّ/فتحٌ جراح المسلمين	إخبارٌ/تصويرٌ	ماضٍ	دَسَنَّا

#### شكل 04: الغرض الإنجزيّ للفعل الكلامي.

06. تقديس العبادات: من الأمثلة التي صدح فيها الخوارج بتعظيم كتاب الله تعالى:

- قول "الأعرج المعني" يستذكر ويخبر عن دخوله الإسلام لما غير بجاهليته: <sup>2</sup> [الوافر]

01 تَرَكَتُ الشُّعْرَ وَاسْتَبَدَلْتُ مِنْهُ إِذَا دَاعَى صَلَاةِ الصُّبْحِ قَامَا

02 كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَوَدَّعْتُ الْمُدَامَةَ وَالنَّدَامَى

يستذكر الشاعر أيام الجاهلية، ويخبر كيف ترك قول الشعر واستبدل به كتاب الله، قال: (تركت الشعر) أي: قصداً واختياراً، فالفعل "تركت" أفادَ الإخبارَ عن زمنٍ بعيدٍ مَضَى وانقضى، والمستبدل به هو كلام الله سبحانه، وقد دلَّ الفعل "استبدلت" على حركيةٍ وتغيّرٍ في حياة الشاعر، نقلته من الكفر إلى الإيمان، ويذكر الشاعر أيضاً أنه ودَّعَ وهَجَرَ الخمرَ وجلساء الشرب، وهذا الفعل والتُّركُ دليلٌ على صدق في الذي أقبل عليه، فتوظيف الأفعال (تركت، استبدلت، ودَّعت) هي أفعالٌ إخباريّةٌ وصفتُ ونقلتُ صدق إيمان الشاعر وحسن إسلامه، وبذلك يكون اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، فما أخبر به طابق

<sup>1</sup> علي محمد سعد حجازي: أعلى المراتب من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 2011، ص 293.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 272.

فعله، ما يدلُّ على أنَّ النَّقل/الإخبار كانَ أَمِينًا مع توفُّر شرط الإخلاص الَّذي جعلَ الفعلَ الكلاميَّ يُؤدِّي فعلاً إنجaziًّا تأثيريًّا وهو حثُّ النَّفسِ على البقاء ثابتة مؤمنة.

07. البَطْشُ بالعدوِّ (الثَّار): جاءَ شعرُ الخوارجِ واصفًا لبطولاتهم، حاكياً عن وقعاتهم مع أعدائهم، ومُصوِّراً لأخذِ الثَّارِ، وفي هذا الباب:

- يقول "نافع بن الأزرق" يُخبرُ عن قتلِه ل: "مسعود بن عمرو العتكي":<sup>1</sup> [الكامل]

- 01 فَتَكُنَّا بِمَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو لِقِيلِهِ لِبَبَّةَ لَا تُخْرِجُ مِنَ السَّجْنِ نَافِعَا  
02 وَلَا تُخْرِجُنْ مِنْهُ عَطِيَّةَ وَابْنَهُ فَخُضْنَا لَهُ شَوْبًا مِنَ السُّمِّ نَاقِعَا  
03 وَكَانَتْ لَهُ فِي الْأَزْدِ حَالٌ عَظِيمَةٌ وَكَانَ لِمَا يَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ مَانِعَا  
04 فَقَالَتْ تَمِيمٌ نَحْنُ أَصْحَابُ ثَارِهِ وَلَنْ يَنْتَهُوا حَتَّى يَعْضُوا الْأَصَابِعَا

مناسبة الأبيات أنَّ "مسعود بن عمرو العتكي" طلب من "عبد الله بن الحارث" أن لا يُخرج "نافع بن الأزرق" و"عطيّة بن الأسود الحنفي" من السَّجن، فبلغ "نافع" ما قاله فرأى قتلَه، وبعد تويُّ "مسعود العتكي" ولاية البصرة قتلَه "نافع" وأشاع أنَّ تَمِيمًا قتلته<sup>2</sup>، قال: (فتكنا) فاعل دَلَّ على الماضي، وحمل معنى البَطْشِ والتَّنكيلِ، وسببُ الفَتكِ/القتلِ سبقَ دِكْرِهِ، والفتكُ هو محورُ هذا الخطابِ، والشَّاعرُ يُمثِّلُ شاهدًا على القضيةِ ومُشاركًا فيها، ودلالةُ الفعلِ هنا جاءتُ للإخبارِ وتأكيدِ حصولِ الحدثِ، أمَّا الأفعالُ الإنجaziَّةُ الَّتِي تَبَعَتِ الفعلَ المحورَ (كانتُ، قالتُ) فدلتُ على أحداثٍ جرتُ بعدَ القتلِ، فقد أحرَبَ بالفعلِ "كانَ" مُكرِّراً على مكانةِ المَقْتُولِ بين قومه "الأزد" وأنَّ كلَّ ما يَبْغِيهِ مُجاب، ودلَّ الفعلُ "قالتُ" على إخبارِ تَمِيمٍ مُنكِرةً أنَّ لها يدًا في مَقْتلِ "مسعود العتكي" وأنهم أيضًا أصحابُ ثارٍ حتَّى يلقي القاتلُ جزاءه.

يَعْتَدُ الشَّاعرُ بنفسه في هذا الخطابِ، مُظهرًا العداءَ لكلِّ مَنْ يَنْوي السُّوءَ به وبدعوته، مُوصلاً رسالةَ تحذيرٍ "لأهلِ العراقِ من الغدرِ، وقد كانَ له ذلك، فعَلَبَ نافع السَّوادَ الأعظمَ للعراقِ وقويَّتْ شوْكُتُه في الأهوازِ وجهزَ الجيوشَ لِيَسْتُولِي على البصرة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 80.

<sup>2</sup> يُنظر: الزركلي، الأعلام، (ج 7)، ص 213. وإحسان عباس: شعر الخوارج، ص 80.

<sup>3</sup> يُنظر: محمد بن حبيب البغدادي، أسماءُ المُغتالين من الأشرافِ في الجاهليَّة والإسلام، تح: سيد حسن، دار الكتب العمليَّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1998، ص 142، 143. والزركلي: الأعلام، (ج 7)، ص 219.

ومما سبق ذكره، يظهر على هذا الخطاب توفر شرط الأمانة في الإخبار عن القضية، وحقيقة ما أخبر عنه الشاعر، وبهذا فاتجاه المطابقة كان من الكلمات إلى العالم، وبذلك نحرم بصدق ما نقل عن الشاعر.

الإخباريات/التقريريات/الإثباتات، هي مجموعة من الأفعال الكلامية التي تُوظف في إطار العملية التواصلية، غرضها الإنجزي نقل المتكلم لواقعة/حدث نقلاً أميناً صادقاً، والمتبوع لشعر الخوارج؛ يجد أن الخوارج قد عبروا صادقين عن كل ما نقلوه وصوروه، خاصة إذا راعينا شرط عدم الكذب في عقيدتهم، وبذلك فقد أخبروا عن بطولاتهم وأحوالهم مع السلطة وقوادها، وعبروا عن أحوالهم النفسية بمعان ودلالات تجعل القارئ يتعاطف وحالهم، وبانتهاج الخوارج الصدق مبدأ في حياتهم؛ فقد خرجت كل أخبارهم صادقة حقيقية، وبإخلاصهم في نقل الواقع الخارجي؛ كانت قوة الأفعال الإنجزيّة ذات تأثير قوي، وأنجزت إنجازاً تاماً وكان لها معنى.

#### ثانياً- التوجيهيات في شعر الخوارج:

التوجيهيات وتسمى أيضاً الطلبيات، وهي "أفعال كلامية يقوم فيها المخاطب بطلب القيام بشيء ما، ويتحدد فعلها الإنجزي في التوجيه، وغرضها الإنجزي يتمثل في محاولة توجيه المخاطب لفعل أمر ما، ومن الجائز أن تكون محاولات لينة، كأن تُعري أحداً بفعل شيء ما، أو تفتح عليه فعله، أو زبما تكون محاولات عنيفة عند الإصرار على فعل ما"<sup>1</sup>، ويدخل تحت هذا الصنف: "الطلب، الأمر، الإرشاد، النصيح، الدعاء، الاستعطاف، التشجيع، الاقتراح، الرجاء، الإذن (...)"<sup>2</sup>. والتوجيه كذلك وظيفة من وظائف اللغة، وهو عند "رومان جاكوبسون" (*Roman Jakobson*): "وظيفة إيعازية أو نداءية، كما في الأمر والنصيحة والرجاء"<sup>3</sup>.

ولعل التوجيهيات هي أكثر أنواع الأفعال الكلامية تظهر في خطاب شعراء الخوارج، ومن ذلكم:

<sup>1</sup> يُنظر: صلاح عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1993، ص 333، و محمود نخلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصرة، ص 72.

<sup>2</sup> جون سيرل: العقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات دار الاختلاف/المركز الثقافي العربي، الجزائر/بيروت، (د ط)، 2008، ص 217، و محمود نخلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصرة، ص 72.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 100.

01. الأمر (فعلٌ مُباشر): يكونُ الأمرُ مُباشراً إذا جاء في بابِ الإستعلاءِ، بمعنى مكانة الأمر، كطلبِ السيّد من الخادم فعلٌ أمرٌ ما، بمعنى: إنّ الأمرَ ليَجريّ على معناه الأصليّ يُشترطُ فيه الرتبة، وفي هذا الباب يقول "السكّاكي": "ولا شبهة في أنّ طلبَ المُتصوّر على سبيلِ الإستعلاء يُورثُ إيجادَ الإتيان به على المَطْلُوبِ منه، ثمّ إذا كان الإستعلاءُ ممّن هو أعلى رتبةً من المأمورِ استتبعَ إيجابه وُجُوبَ الفعلِ بحسبِ جهاتٍ مختلفةٍ، وإلّا لم يَسْتَتَبِعْهُ، فإذا صادفتُ هذه أصلَ الإستعمالِ بالشرطِ المذكور؛ أفادتِ الوجوبَ، وإلّا لم تُفدْ إلّا الطلّب" <sup>1</sup>، والمُتصوّر هنا يعني به السكّاكي المعنى الحاصل في الذهن، وبهذا وليكونَ الأمرُ للوجوب، لا بدّ من توفّر شروطٍ هي: الإستعلاء والسُّلطة، مع القدرة على إصدارِ الأمر.

وفي شعر الخوارج لم يشعل الأمر بمعناه الأصليّ حيناً كبيراً، وإنّما خرج إلى معاني مُستلزمة/غير مُباشرة — كما سيأتي في فصل الإستلزام الحواريّ—، ومن الأمثلة التي دلّ فيها الأمر على الوجوب:

— قالت "سوّدة بنت عمّار الأشتر الهمدانيّة" وكانت على رأس فرقةٍ من الخوارج: <sup>2</sup> [الكامل]

01 شَمَّرَ كَفِعْلٍ أَيْبِكَ يَا ابْنَ عُمَارَةَ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ

02 وَأَنْصُرُ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ وَأَقْصِدُ لِهَنْدٍ وَأَبْنَهَا بِهَيَوَانِ

03 وَقَدْ الْجِيُوشَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَائِهِ قَدْماً بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسِنَانِ

تُخاطبُ الشاعرةُ الخارجيّة (الزّعيمة) أباها وتدعوهُ إلى نُصرة عليّ، وإنّ القارئ ليَعَجَبُ مِنْ صَنِيعِ الشاعرة، والسبب في طلبها هذا، "عَفُو عليّ عن أبيها يَوْمَ صِفِّين وإطلاقِ سراحه، فَحَفِظَتْ له المَعْرُوفَ وإن كانت من الخارجين عليه" <sup>3</sup>، فوظفت أفعال الأمر من قبيل: (شَمَّر، أَنْصُر، قُد، سِر)، وهي أفعال لها علاقة بالمستقبل، إذ من بين الشروط ليكون الأمر مُباشراً، وجودُ عنصر الزّمان، بمعنى أن لا يكون الأمر وقتَ الطلّب، وبذلك يكون الشرط القضيويّ مُتحققاً، وهو أن يفعلَ المُخاطبُ ما أمر به في المستقبل، أمّا الشروطُ المُعدّة: فهي قدره المُخاطب على أداءِ المَطْلُوبِ منه، قال "ابن الأعمش": "والتحقّ حارثه بجيشِ عليّ في قتاله ضدّ معاوية مُلثّماً، وأبلى بلائاً حسناً، حتّى تعجّب أصحابُ عليّ من قتالِ المُلثّم وكان يومئذٍ يُقاتلُ على مقربةٍ من عليّ" <sup>4</sup>، وقد توفّر شرطُ الإخلاص في هذا الخطاب، إذ الشاعرة ترغّب صادقةً في لحاقِ أخيها بعليّ وبذلك تردّ معرُوفه مع أبيها.

<sup>1</sup> السكّاكي: مفتاح العلوم، (ج 1)، ص 318.

<sup>2</sup> نايف معروف: ديوان شعر الخوارج: ص 212.

<sup>3</sup> ابن كثير: البداية والنهاية، (ج 5)، ص 245.

<sup>4</sup> ابن الأعمش: كتاب الفُتوح، (ج 6)، 223.

الفعل الإنجزي

فعل توجيهي (أمر)

الصيغ القرينية (الأمر: شمر، أنصر، فُد، سين)

الفعل التأثيري: الإلتحاق بعلي/رد الجميل.

شكل 05: قوة الفعل الإنجزيّة.

- وقال "معاذ بن حُصين الطائي" الرّعيم الخارجي يَحْتُ الشُّرّة من قومه: <sup>1</sup> [الطوبل]

01 فَشُدُّوا عَلَى الْقَوْمِ الْعُدَاةَ فَإِنَّمَا إِقَامْتُكُمْ لِلذَّبْحِ رَأْيَا مُضَلَّلًا

جاء خطاب الشاعر في باب الأمر، بل هو أمرٌ على سبيل التّكليف الواجب، فالخوارج في حربٍ مع "المغيرة"، وإن لم يُقاتلوا ضاعوا وتشتتوا في البلاد، وإن لم يُنْفَحُوا قُتِلُوا، قال: (إقَامْتُكُمْ لِلذَّبْحِ رَأْيَا مُضَلَّلًا)، وكأننا بالشاعر يُصوِّرُ ويَصِفُ حالهم، وأنهم رضوا بحُكمِ المغيرة في إخراجهم.

والحمولة الدلالية للفعل "شُدُّوا" الذي تعني المُهاجمة بقوة، دلّت على الأمر وقد جاءت في باب الاستعلاء، وهو توجيهٌ للخوارج بأن لا يقبلوا الضيم، وأن لا ينتظروا قُدومَ العدوِّ لِقَتْلِهِم والتّكْيِيلِ بهم. إن خطاب الشاعر وتوجيهه، جعل الفعل ظاهرًا يأخذ طابِعَيْن، الأوّل فعلٌ مباشر (أمر) جاء للطلب ويُراد به التّنفيد، والثاني حمل معنى مُستلزمًا غير مباشر أخذ معنى النّصح والتّحذير من التّخاذل.

فالملاحظ على قول الشاعر تحقّق شرط المُحتوى القضيوي والمُتمثّل في التّعبير عن فعلٍ مُستقبليٍّ للمُخاطَب (فالمغيرة لم يقدّم الكوفة بعد)، وتوفّر أيضًا في الخطاب الشُّروط المُعدّة وهي: قدرته الخوارج الماديّة والبشريّة على مُقاتلة جُنْدِ عبد الملك، وبذلك أداء ما طلب منهم، وبرز شرط الإخلاص في خطاب الشاعر ممزوجًا برغبة صادقة في عدم فرار الخوارج وأن لا يرتضوا الذلّ والإهانة من العدو، وفيما يأتي جدول يُبيّن الغرض الإنجزيّ للأمر.

الفعل الكلامي	الصيغ القرينية	القوة الإنجزيّة	الفعل التأثيري
شُدُّوا	الأمر	نُصحٌ وتحذير	الإنكار

شكل 06: قوة الفعل الإنجزيّة.

ويمكن بيان المعنى المباشر والمعنى غير المباشر في خطاب الشاعر كالآتي:

<sup>1</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 45.

القوة الإنجازية الحرفية: الأمر (إخبار ووصف).

– الفعل الكلامي التوجيهي/الأمري (شدوا)

القوة الإنجازية المستلزمة: النصح/التحذير.

ومن العناصر التي تُكوّن دلالة الأمر: "العلو، الاستعلاء، المكان والزمان، منفعة المخاطب، التفويض والإرادة، سلطة العلم والمعرفة، فإذا وُجد عنصرٌ منها في الخطاب صرف دلالة الأمر الحقيقية إليه"<sup>1</sup>، ومن الأمثلة في هذا الباب: سلطة المصلحة (المنفعة)، فالنظام اللغوي قد خصص العديد من العناصر لإفادة الأمر، منها "أن يكون لمصلحة المخاطب، مع وجود شرط التساوي في الدرجة بين المتخاطبين عادةً وليس بالضرورة، لتحقيق عمل العرض أو النصح، وهما عملاّن مشتقان من الأمر"<sup>2</sup>، ومن أمثلة هذا الصنف في شعر الخواج قول "عمران" مُحذراً أتباعه من الآمال الخادعة:<sup>3</sup> [البيسط]

01 يَا طَالِبَ الْحَقِّ لَا تُسْتَهْوَ بِالْأَمَلِ فَإِنَّ مِنْ دُونَ مَا تَهْوَى مَدَى الْأَجَلِ

02 وَاعْمَلْ لِرَبِّكَ وَاسْأَلْهُ مَثْوَيْتَهُ فَإِنَّ تَقْوَاهُ فَاعْلَمْ أَفْضَلَ الْعَمَلِ

تعددت الأفعال الكلامية التوجيهية في هذا الخطاب، فالنداء (يا طالب) جاء للتبنيه، والنهي (لا تستهوَ) للنصح، والأمر (واعمل، واسأله، فاعلم) للإرشاد وبيان طريق النجاة، فعمران العالم يُحذّر أتباعه من الإغترار بالآمال الخادعة، مبيناً حقيقة زيفها وفنائها، ويطلب منهم الالتفات إلى الأمور التي تُعينهم على نيل ثواب الله، والتلطف بالأفعال (لا تستهوَ، واعمل، واسأله، فاعلم) تضمّنت معاني حرفية دلّ السياق عليها، والقوة الإنجازية المُلازمة لهذا التلطف هي: الأمر، والفعل التأثيري: توجيه المخاطبين إلى طريق الحق، وباعتبار الأصل، فالأمر قد خرج إلى معنى استلزامي بيّنه السياق، وهو النصح والإرشاد، وبمراعاة مصلحة المخاطب هنا، فقد دلّ الخطاب على الأمر بمعناه الأصلي.

– القوة الإنجازية الأصلية = الأمر.

– القوة الإنجازية المستلزمة = النصح، الإرشاد (وظيفة توجيهية).

– اعتباراً مصلحة المخاطب = أمر.

<sup>1</sup> سعود بن غازي: صُور الأمر في العربية بين التنظير والاستعمال، دار غريب، ص 53، وظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 343، 344.

<sup>2</sup> شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية – مراجعات ومقترحات –، دار الكتب الجديدة، بيروت، لبنان، (د ط)، 2010، ص 193.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخواج، ص 97.

02. **الطلب:** سبق الحديث في باب الأمر أن المتصور إذا ورد على سبيل الاستعلاء كان ذلك أمراً، وإن لم يرد المتكلم بالمعنى الحاصل في الذهن الأمر؛ أفاد ذلك الطلب.

ومن الأمثلة التي خرج فيها الأمر عن معناه الأصلي وأفاد الطلب:

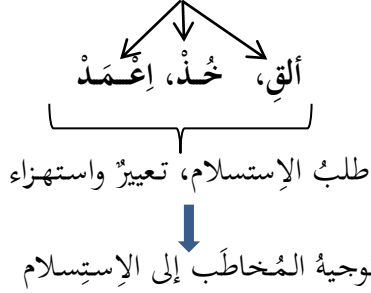
- قول "عمران بن حطان" يطلب من "الحجاج" أن يلقي السلاح استهزاءً وتعييراً: <sup>1</sup> [الكامل]

01 ألقى السلاح وخذ وشاحي معصير وعمد لمنزلة الجبان الكافر

عمد الشاعر في خطابه إلى توظيف ثلاثة أفعال توجيهية، قال: (ألقى، خذ، عمد)، وتحمل هذه الأفعال الكلامية قوةً إنجازيةً تحددها إرادته المتكلم وقصده، قال الشاعر: (ألقى السلاح)، والفعل الكلامي دل على طلب الاستسلام، فعمران وجنده في مصدر قوة يومها والحجاج محاصر في الحصن، وبهذا يكون الطلب على سبيل الإخبار، ثم قال: (وخذ وشاحي معصير)، استهزاءً وتعييراً للحجاج، وأخيراً يطلب منه أن ينزل إلى حضيض السفلة.

إن هدف هذه الأفعال، التأثير في المخاطب وردعه عن غيّه وبيان جبنه، وخاصة وأن "الحجاج" طغى عليهم وراح يقتل الخواج في كل وادٍ، والهدف الأساس من توظيف الأفعال الكلامية الإنجازية؛ طلب الاستسلام، وبذلك يكون استسلام الحجاج فيه حقنٌ لدمه.

#### الأفعال الكلامية الإنجازية



03. **النهي:** يجري النهي على معناه الأصلي إذا كان على وجه الاستعلاء، مع القدرة على إلزام المخاطب به، وإن لم تتوفر هذه الشروط؛ أفاد الترك. ويشترك مع الأمر في القوة الإنجازية، ويختلف عنه في أن النهي طلب الكف والتوقف والإنقطاع عن فعل شيء ما، بينما الأمر هو طلب فعل شيء ما. والأمثلة في هذا الباب قليلة جداً، ومن ذلك:

- قال "أبو الوازع الراسبي" ينهى "نافع بن الأزرق" عن القعود: <sup>2</sup> [الطويل]

01 لسائلك لا تنكي به القوم إنمّا تنال بكفئك النجاة من الكرب

<sup>1</sup> المرجع السابق: 184.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 81.

## 02 فَجَاهِدْ أَنْاسًا حَارَبُوا اللَّهَ وَاصْطَبِرْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُخْزِي غَوِيَّ بَنِي حَرْبٍ

جاءَ النَّهْيُ في هذا الخطابِ بالكفِّ عن تَقْبِيحِ نافعٍ للباطل وهو مُقِيمٌ عليه، وَحَصَّنَهُ على الحقِّ (الجِهَادِ) وهو قَاعِدٌ عنه، قال: (لسانك لا تنكي به القوم)، بمعنى إننا نريدُ فعلاً لا أقوالاً، فالتَّجَاهُ بِقِتالِ العَدُوِّ لا بالْفُعودِ والتَّخادُلِ عن نُصْرَةِ العَقيدةِ الخارِجِيَّةِ، والنَّهْيُ هنا على سبيلِ الإلزام، فنافعٌ مِنَ الفَعْدَةِ، و"أبو الوازع" سيّد القوم وقائدُ الحَيْشِ، أي: جاءَ على وَجْهِ الإِستِعالِ، والمُخاطَبُ قَادِرٌ على التَّنْفِيذِ، أي: السُّكوتِ والكفِّ، بل هو مُجْبَرٌ على ذلك. والجدولُ الآتي يوضِّحُ القوَّةَ الإنجازِيَّةَ للنَّهْيِ:

الفعل الكلاميُّ	الصِّغَةُ القَرِينَةُ	القوَّةُ الإنجازِيَّةُ	الفعل التَّأثيريُّ
لا تَنكِي	نهي + ف مضارع	الكفُّ	الرُّجوعُ عن الخطأ/استنكار

أمَّا البيئُ الثَّاني فقد حوى فِعْلَيْنِ تَوَجِيهِيَيْنِ (جَاهِدْ + اصْطَبِرْ)، وقُوَّتُهُما الإنجازِيَّةُ تَجَّهَ إلى الحثِّ والتَّريغِ وليس للمعنى الأصليِّ للفعلِ، لأنَّ الشَّاعِرَ الرَّعِيْمَ الخارِجِيَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ نافعاً يُجْهِمُ عن الفعلِ وأنَّ يُسَكِّتَهُ، ولكن لا يُمكنه أَنْ يُجْبِرَهُ على الجِهَادِ/القِتالِ، ويُمكنُ توضيحُ ذلك كالتَّالي:

- فعلُ القولِ (غيرُ مُباشِرٍ): فجاهد، اصْطَبِرْ.

- الفعلُ القَضويُّ: الإِخبارُ عنِ اعْتزالِ نافعِ القِتالِ.

- الفعلُ الإنجازِيُّ: حثُّ وترغيب.

- الفعلُ التَّأثيريُّ: التَّحسيسُ بِخِذلانِ نافعٍ لصحبهِ الخَوارِجِ.

فالملاحظُ على الفِعْلَيْنِ المُباشِرَيْنِ خُروجَهُما عنِ الأصلِ، مع تحقُّقِ شرطِ الإِستِعالِ وقُدرةِ المُتكلِّمِ على إصدارِهِ، مع غِيابِ القَصديَّةِ، قَصديَّةِ الشَّاعِرِ في أَنْ يَأْمُرَ نافعاً، فنافعٌ وإنَّ أثارَ الفُعودِ، إلَّا أنَّه زعيمٌ خارِجِيٌّ وبطلٌ.

- وقال "عمرانُ بنُ حِطَّانٍ" يَنْهَى "الفَرزْدَقَ" المُتَكسِّبَ عن المَدْحِ كذِباً: <sup>1</sup> [الخَفيف]

## 01 لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

جاءَ النَّهْيُ في قولِ "عمرانٍ" على أصلِهِ بصِيغَةِ "لا تَفْعَلْ"، وكأَنَّ الشَّاعِرَ يَنْهَى "الفَرزْدَقَ" عن الكذِبِ، فالفِعْلُ الكلاميُّ في صَدْرِ البيئِ (لا تَقُلْ) جاءَ ظاهراً، وجاءت أدأهُ النَّهْيِ في عَجْرِ البيئِ مُضمرةً دَلَّ عليها السِّياقُ، (ولا تُسَمِّ)، وبذلك يَكُونُ الهَدَفُ التَّداوليُّ مِنْ فِعْلِي التَّوجِيهِ، إِصلاحُ نَفْسِ "الفَرزْدَقِ" وَتَخَلِّيهِ عن خِصْلَةِ السُّوءِ، وبذلك يُصلِحُ مِنْ حالِ المُجتمَعِ الَّذِي انتَشَرَ فِيهِ الكذِبُ لأجلِ الأَعْطِياتِ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 176.

ونجد شرط الإخلاص واضحاً في خطاب "عمران"، كيف لا؟ وهو الزاهد العابد الذي تنبؤ شريعته خصال الكذب والنفاق، وبهذا يكون اتجاه المطابقة يفرض على "الفرزدق" العمل بنصيحة "عمران"، وهو الفعل التأثيري المطلوب، أفليس "الفرزدق" القائل في حضرة "عبد الملك" والشعراء عنده: أشعر الناس "عمران بن حطان" لأنه صادق، فكيف لو كذب كما كذبوا؟. ودونك المخطط الآتي لبيان قوة النهي (الفعل الكلامي) الإنجازية:

الفعل القولِي: لا تقل (ظاهر)، لا تسم (مضمّر)

↓  
الفعل القضوي: الكف عن المدح الكاذب

↓  
الفعل الإنجازي: طلب تجنب المدح الكاذب

↓  
الفعل التأثيري: الأخذ بنصيحة عمران.

ومن أمثلة خروج النهي عن معناه الأصلي، والذي يفهم من خلال السياق، الاستعطاف.

- تقول "امرأة" من الخوارج حين قدّم "الحجاج بن يوسف" رجلاً ليقتله: <sup>1</sup> [الطويل]

01 أَحْجَاجٌ لَا تَفْجَعُ بِهِ وَنَسَاؤُهُ ثَمَانًا وَتِسْعًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا

02 فَمَنْ رَجُلٌ دَانَ يَفُومُ مَقَامَهُ عَلَيْنَا فَمَهْلًا لَا تَزْدَنَا تَضَعُضًا

قدّم "الحجاج" رجلاً للقتل - سيأتي التفصيل في فصل الحجاج -، فقالت ابنته أحياناً تستعطف فيها الحجاج طالبة الرحمة والعفو لأبيها، قالت: (أحجاج لا تفجع به) بهمة تنبيه للقريب، حيث إن الغرض الإنجازي للفعل الكلامي هنا، طلب الصفح، ثم راحت تعلل طلبها، بقولها أنه يعيل نساء كثيرات، وبهلاكيه لن يجدن من يعولهن.

وفي البيت الثاني تطلب منه أن لا يكسر قلوبهن، قالت: (فمهلاً)، والأمر غير مباشر، خرج معناه إلى الإلتماس، ثم قالت: (لا تزدنا تضعضاً)، وهو نهى أيضاً خرج إلى الطلب على سبيل الإلتماس، وغرضه الإنجازي أن لا يكسر الحجاج قلوبهن ويزيدها وهناً بجماعة قتله.

إنّ توظيف أفعال الكلام (لا تفجع، فهلاً، لا تزدنا) جاء للتأثير في الحجاج، وتغيير حكمه الصادر في حق والد الفتاة الخارجية، والانتقال من حال العقوبة وتنفيذها إلى حال العفو والصفح، وبهذا التحليل، يمكن بيان قوة الأفعال التأثيرية كالآتي:

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 154، 155.

فعل القول: لا تَفْجَع، لا تَرْدِنَا، مهلاً.

الفعل القضوي: النَّهْيُ عن قَتْلِ الرَّجُلِ الْخَارِجِيِّ.

الصَّيْعُ الْقَرِينَةُ: النَّهْيُ "لا".

الفعل الإنجازي: اسْتِرْحَامٌ وَاسْتِعْطَافٌ الْحَجَّاجِ لِفِعْلِ "العفو"

الفعل التأثيري: مُحاوَلَةُ التَّأثيرِ فِي الْحَجَّاجِ لِيَرْجِعَ عَنِ حُكْمِهِ

حاصل الفعل التأثيري: صَفْحُ الْحَجَّاجِ عَنِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ وَإِطْلَاقِ سَرَاخِهِ.

04. الاستفهام: يُعدُّ استعمالُ الأسئلةِ الإستفهاميةِ مِنَ الآلياتِ اللُّغويةِ التَّوجيهِيةِ، كونه "يُوجِّهُ المُرسِلَ إليه إلى خيارٍ واحدٍ وهو ضرورةُ الإجابة"<sup>1</sup>، والبحث في هذه الجزئية سيُكون عن الإستفهام الذي يقتضي التَّلَفُّظَ بإجابةٍ صريحة، تقول مثلاً لابن جيرانك: هل تُنادي لي والدك؟ فالقصدُ هنا ليس طلبُ الحُصولِ على إجابةٍ بـ: "نعم" أو "لا"، بل القصدُ أن يُبَلِّغَ ابْنُ الْجِرَانِ الإجابةَ في عملٍ فعليٍّ، وأن يُنادي والدَهُ على وَجْهِ الحَقِيقَةِ.

- قال "عمرو القنا" يُخاطِبُ "عُمارةَ السَّالِمِيِّ" لَمَّا لَحِقَ بِهِمْ إِلَى "سَابُورَ" وَهُمْ مُحَاصِرُونَ:<sup>2</sup> [الخفيف]

01 أَلَمْ تَرَ أَنَّا مُذْ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً جَدِيدٌ وَأَعْدَاءُ الْكِتَابِ عَلَى خَفْضِ

حَاصِرَ "المُهَلَّبِ" بن أبي صُفْرَةَ "الأزارقة" فِي "سَابُورَ" بَعْدَ قِتَالِ دَامٍ، وَمَكَّنُوا بِهَا زَمَنًا، فَلَحِقَ "عُمارةَ السَّالِمِيِّ" يَتَحَسَّسُ أَخْبَارَ الأزارقةِ، وَدَخَلَ سَابُورَ وَسَأَلَ "عمرو القنا" عَنِ حَالِ صَاحِبِهِ الخوارجِ، فَأَحْبَرَهُ "عمرو" مُوظِّفًا اسْتِفْهَامًا تَقْرِيرِيًّا يَصِفُ فِيهِ حَالَهُمْ، وَأَتَمَّ "جَدِيدٌ"، وَهِيَ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مِنْ "جَدْبٌ"، أَي: أَهْمٌ فِي مَكَانٍ يَابِسٍ غَيْرِ حَصْبٍ دُونَ مَأْكَلٍ أَوْ مَشْرَبٍ، وَالْمُتَكَلِّمُ فِي هَذَا النَّصِّ يَصِفُ الْحَالَ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الوَصْفِ وَالإخْبَارِ، بَلْ لَهُ غَرَضٌ إِنْجَازِيٌّ مُبَاشِرٌ هُوَ دَفْعُ "عُمارةَ" لِفِعْلِ شَيْءٍ لِيَنْجُو الخوارجِ، فَاقْتَرَحَ "عُمارةَ" عَلَى "المُهَلَّبِ" "المُنَاجَزَةَ"، وَهِيَ المُبارزةُ، وَإِذَا كَانَتِ العَلْبَةُ للخوارجِ ابْتَعَدَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ سَابُورَ بِسَلَامٍ.

وهنا يَظْهَرُ أَنَّ الإسْتِفْهَامَ التَّقْرِيرِيَّ وَجَّهَ "عُمارةَ" لِيَفْعَلَ شَيْئًا، وَهُوَ تَفْطِنُهُ لِفِكْرَةِ المُنَاجَزَةِ وَطَرَحَهَا عَلَى "المُهَلَّبِ"، وَالإسْتِفْهَامُ بِاعتبارِهِ فِعْلاً لُغَوِيًّا، فَيَظْهَرُ فِي الخِطَابِ أَنَّهُ أَدَّى غَرَضَيْنِ تَدَاوُلِيَيْنِ هُمَا:

<sup>1</sup> ظافر الشَّهْرِي: اسْتِراتِيجِيَّاتُ الخِطَابِ، ص 252.

<sup>2</sup> إحسان عَبَّاس: دِيوانُ شِعْرِ الخوارجِ، ص 103، 104.

- الغرض 01: غرض إنجازي مباشر (طلب إيجاد حل/مخرج).

- الغرض 02: غرض غير مباشر (استعطاف/ رثاء الحال التي هم فيها/ استقالة مُدَّة الحصار).

- وقال "عبيدة بن هلال اليشكري" يُخبر عن الخطر الذي حلَّ بالخوارج: <sup>1</sup> [الرجز]

01 حَتَّى مَتَى يَقْتُلْنَا الْمُغِيرَةَ

02 وَمُدْرِكٌ فِيكُمْ لَهُ غَفِيرَةٌ

03 أَصْغَرُكُمْ وَحَدُّكُمْ كَبِيرَةٌ

اعتمد الشاعر على الاستفهام في هذا الخطاب للإستعلام، بمعنى البحث عن طريقة/حل للقضاء على "المغيرة"، ويظهر على هذا الخطاب خروجه إلى معنى التقليل من شأن جند وقادة هلال، بمعنى أليس فيكم من يستطيع القضاء عليه، ولك أن تتخيّل استفهام "هلال" إذا وظفت "التنغيم"، وعليه تكون القوة الإنجازية للفعل الكلامي؛ طلب الحل والمشورة، وهنا الشاعر يريد منهم فعلاً، إمّا تقديم خطة للقضاء على المغيرة، أو يتطوع أحدهم ويريح الخوارج من الذي لن يترك فيهم عزيزاً، صغيراً كان أم كبيراً. ويحمل الخطاب أيضاً تعبيراً عن حالة نفسية مُحطمة بُحاه ما آل إليه وضع الخوارج من تجرّب السلطة الحاكمة وسعيها الحثيث للقضاء على الحركة الخارجية، وبهذا يكون شرط الصدق في الخطاب واضح الأثر، كيف لا؟ وهو الرّعيم الذي يهّمه حال قومهم وجنده. ويمكن بيان القوة الإنجازية للفعل الكلامي كالآتي:

- الفعل القولي: حتى متى؟

- الفعل القضيوي: سؤال/استفهام عن وضع حد لهذا الأمر.

- الفعل الإنجازي: طلب الحل.

- الفعل التأثيري: الحث على التّجلّد ومقاومة المغيرة للقضاء عليه.

**05. النداء:** إنّ الغرض الإنجازي لأسلوب النداء؛ "لفت انتباه المخاطب/المستمع/المتلقي وإشراكه في الخطاب، وبهذا يكون علامة اتصالية بين المتخاطبين"<sup>2</sup>، ومن الأمثلة التي خرج فيها النداء إلى التوجيه ولفّت الانتباه إلى فعلٍ وجب الرجوع عنه:

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 110.

<sup>2</sup> أحمد المتوكل: الوظائف التداوئية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (ط 1)، 1985، ص 166.

- قال "الحصين السعدي" مخاطب "قطري بن الفجاءة":<sup>1</sup> [الطويل]

01 أيا قطري بن الفجاءة أما لنا من النصف شيء غير فعل الجبار

وظف الشاعر أسلوب النداء في هذا الخطاب - وهو بيت من قصيدة ظاهر باقي أبياتها التعمير - للتنبه، تنبيه "قطري" بسوء فعله، وهي الفراز من "المهلب"، يلومه ويُعاتبه، ويُحذره في الوقت ذاته من وصمة العار التي سيلحقها بالخوارج إن استمر على هذه الحال، ويحوي الخطاب أيضًا نصيحة من "الحصين" لقايدته، وإن كان الخطاب من أدنى لأعلى؛ إلا أن أمرًا فيه مصلحة الخوارج يُلغى كل الرتب والفروقات، وبذلك تكون القوة الإنجازية للنداء هنا دعوة قطري ليتدارك الخطأ وأن يرجع، وقد كان لهذا النداء التوجيهي أثره في عودة "قطري" إلى ميدان القتال ومحاربة المهلب، والكر عليه في "معركة جيزفت الكرمانية" وقد كان فيها لقطري وجنده الغلبة لولا لحاق بشر بن القاص ما جعل قطريًا ينسحب مع جنده"<sup>2</sup>.

05. العرض والتخصيص: يستعمل المخاطب عدة أساليب في حديثه قصد التوجيه، وقد يكون خطابه إما ليّنًا وإما عنيفًا، فإذا كان التوجيه/الطلب بشدة وعنف؛ كان ذلك تخصيصًا، وإذا كان برفق ولين كان ذلك عرضًا.

1- العرض: هو "الطلب برفق ولين، ويظهر في صوت المتكلم عند توظيفه لكلمات رقيقة دالة على الرفق، ومن أدواته: لَوْ، أَلَا، أَمَا"<sup>3</sup>. ومن الأمثلة التي تدخل تحت هذا الباب:

- قال "سلامة بن عامر القشيري" يرثي "الخطار النمري" ويسأل عن موعد الحرب على "سفيان بن هاني الهمداني":<sup>4</sup> [الطويل]

01 أَلَا خَبْرَانِي - بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ - مَتَى الْعَهْدُ بِالْخَطَارِ يَا فَتَيَانَ

02 فَتَى لَا يَرَى نَوْمَ الْعِشَاءِ غَنِيمَةً وَلَا يَنْشِي مِنْ رَهْبَةِ الْحَدَثَانِ

03 فَمَا طَمَعْتَ عَيْنَايَ نَوْمًا لِلدَّةِ وَمَا زَلْتَا مِنْ ذِكْرِهِ تَكْفَانَ

يَسْتَفْسِرُ "سلامة" عن موعد اللحاق بالخطار، أي: عن موعد الموت، ولا سبيل له لذلك إلا بالشهادة، ويطلب في الوقت ذاته أن يُعلمه "خالد القيسي" و"يزيد السعدي" عن موعد الحرب ليثأر

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 117.

<sup>2</sup> كامل رباح: نظرية الخروج في الفقه السياسي الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 2004، 155.

<sup>3</sup> عباس حسن: النحو الوافي، (ج 4)، ص 369.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 81.

لمقتل صاحبه، موظفاً أداة العرض "ألا" للتدليل على الطلب برفق ولين، وما زاد من لين الخطاب توظيفه للجملة الاعتراضية "بارك الله فيكما" والتي تعني الدعاء بالصلاح والبركة، والتي لها بالغ الأثر في نفسية المتلقي، وبذلك يقع التأثير، وينتج الإنجاز (الإخبار).

- ويقول "زياد الأعسم" يرثي "داوود بن النعمان العبدى" ويذكر الصبح بتضحياته: <sup>1</sup> [الطويل]

01 أَلَا فَادُّكْرُنْ دَاوُدَ إِذْ بَاعَ نَفْسَهُ وَكَانَ بِهَا يَبْغِي الْجَنَانَ الْعَوَالِيَا

أداة العرض "ألا" في هذا السياق جاءت للطلب، وقد تحمل أيضاً معنى الأمر لمجيء الفعل (فادُّكْرُنْ) بعدها، فزياد القائد، وما على الصبح إلا التنفيذ، وحتى وإن كان أمراً؛ فقد ورد برفق، ولعل المعنى من الطلب / الأمر أن يُذيعوا بطلونة "داوود" وتضحياته، مُشجعاً بذلك الخوارج، والطلب هنا جاء في باب الرثاء، أي بنعمة حزينة لها تأثيرها، وخاصة وأن المرثي بطل خارجي.

ب- التخصيص: هو "الطلب بشدة وعنف، ويظهر غالباً في صوت المتكلم، وفي اختيار كلمات قوية المعنى"<sup>2</sup>، وإذا انضافت قوّة وجزالة الكلمات إلى نبرة قوية حادة ظهر على الخطاب قوّة وشدة الطلب، ومن أدواتها في العربية: "هلاً، لولاً، ألا، لوما..."<sup>3</sup>، وأسلوب التخصيص لم يرد بهذه الأدوات إلا في موضعين بأداة "هلاً"، ودونك النموذجين:

- قال "النضر الكِناني" لَمَّا قُتِلَ "كعب بن سالم الخزاعي" يُخاطبُ جُنْدَهُ في المعركة: <sup>4</sup> [الكامل]

01 هَلَّا قَتَلْتُمْ سَالِمًا وَمَجْرَمًا وَابْنَ الدَّسُوسِ وَخَالِدًا وَعَزْمَرَمَ

يطلب "النضر" في هذا الخطاب -بيت يتيم- جند الخوارج بقتل خمسة فرسان خصّهم بالذكر، وهم: "سالم بن الأكوخ، مجرم بن حزام الكِناني، عمرو بن دسوس البكري، خالد اليماني وعزمرم بن وائلة"<sup>5</sup>، وسبب التخصيص؛ هو قتلهم ل: "كعب بن سالم"، مُشدداً في الطلب، ولعل رؤيته لقتلة عابد وزعيم خارجي جعلته يستشيط غضباً، وبذلك سيكون الخطاب عنيفاً مع الجند، وقد لا يتسامح مع كلّ مُقصّر، بل قد يخرج التخصيص في هذا الخطاب إلى الأمر الواجب التنفيذ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 207.

<sup>2</sup> عباس حسن: النحو الوافي، (ج 4)، ص 369.

<sup>3</sup> ابن يعيش: شرح المفصل، (ج 8)، ص 144.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 216.

<sup>5</sup> ابن الأعمش: كتاب الفُجوح، (ج 6)، 145،

ومنه فالتحضير في هذا الخطاب فعلٌ تأثيريٌّ بالقول، فيه حثٌ للمخاطب على إنجاز فعلٍ ما (قتلٌ من خصصوا في الخطاب)، أي: إنَّ التأثيرَ سيكونُ فعلياً سلوكياً.

**6- التحذير:** الآلية توجيهية يلجأ إليها المتكلم لتنبيه المخاطب لاجتناب أمرٍ وقع فيه، أو سيقع فيه، أو أمرٍ المخاطب بالاستعداد مثلاً، ويتم ذلك بأساليب مثل الأمر، النهي والنصح، فحقق "التحذير أن يكون للمخاطب"<sup>1</sup>، ومن أمثلة التحذير في شعر الخوارج:

- يُخاطب "عبدة بن هلال الشكري" بعد أن قتل الخوارج "عباد بن علقمة" قاتل أبي بلال، فزهموا بأنفسهم، يُحذِّرهم لَمَّا عَرَفَ أَنَّ أَحَاهِ قَدْ تَوَعَّدَهُمْ بِأَخْذِ الثَّأْرِ، قال: <sup>2</sup> [الطويل]

**01** فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَلْقَى حِمَامَهُ كَمَثَلِ الَّذِي لَاقَاهُ عَبَادٌ فَاحْذَرُوا

يُخبرُ الشاعرُ في هذا الخطاب لَمَّا تَوَعَّدَ أَحُ "عباد" بأخذِ الثَّأْرِ بِأَنَّهُ سَيَلْقَى الَّذِي لَاقَاهُ أَحُوهُ (الموت)، ويحذِّرُ في الوقتِ ذاته الخوارجَ مِنَ الإِسْتِخْفَافِ بِالْعَدُوِّ، قال: (فاحذروا) و هو فعلٌ صريحٌ دلَّ على أَنَّ جُنْدَ الخوارجِ قَدْ وَقَعُوا فِي أَمْرٍ وَجِبَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، وهو عدمُ الإِسْتِعدادِ للعدوِّ، وما جَعَلَهُمْ لَا يَحْتَاطُونَ لهذا الأمرِ، قَتَلَهُمْ لِعِبَادِ البطلِ، بمعنى: إنَّهم اسْتَصْعَبُوا شَأْنَ أَحِيهِ.

وهذا الخطاب هو توجيهٌ للخوارج بأن لا يَسْتَخْفُوا بِالْعَدُوِّ/أَخْذِ التَّدَابِيرِ، وَشَرَطُ المُحتوى القضيوي هنا، التَّعْبِيرُ عن فعلٍ مُستقبليٍّ للمخاطب (الإِسْتِعداد/التَّجْهِيز)، والشُّرُوطُ المُعدَّة: قُدْرَةُ المُخاطَبِ (فُرسان الخوارج) على أداءِ المطلوبِ مِنْهُ، وبما أَنَّ الخطابَ مَوْجَّهً إلى جُنْدِ الخوارجِ وَهُمْ يَسْتَعِدُّونَ لِلْحَرْبِ؛ فَإِنَّ لَهُمُ القُدْرَةَ على القيامِ بهذا الفعلِ في المُستقبلِ والإِسْتِعدادِ للحربِ.

وقد يأتي التحذيرُ على غير الوجه المَعْرُوفِ، وبألفاظ غير مَشهُورَةٍ مُعيَّنة، ما يعني إنَّ السِّيَاقَ هو الَّذِي يُحدِّدُ المعنى، وَمِنْ ذلكم:

- قال "عمارة الدليمي" ينهى الخوارج عن الإقبال على حبِّ المال: <sup>3</sup> [الرجز]

**01** وَخَارِجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ

**02** مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ

<sup>1</sup> عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ابن عقيل): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد عبد الحميد، دار التراث العربي، القاهرة، مصر، (ط 20)، 1980، (ج 3)، ص 300.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 106.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 244.

كان "عمارة" من فؤاد "الضحاك بن قيس"، فبلغته أن جماعة من الخوارج يبغون الأعطيات بعد الفوز بالحرب، وإلا رجعوا، فاتقدت عيناه غضبًا كأنهما جمرتان، وصاح فيهم مُحدِّرًا من الوقوع في الخطأ، الإقبال على الدنيا، والرجوع عن الغاية التي خرجوا لها، فخرجهم لأجل العقيدة لا العنائم، ويحوي كذلك هذا الخطاب التوجيهي بعضًا من الحدة، في قول الشاعر: (من كان يبغى أهله فلا رجع)، وهو دعاء على كل من ينوي الرجوع لأهله، وفي ذلك تحذير من العاقبة، تحذير من فعل مذموم وهو الفرار، وهذا التحذير وإن كان مبنياً على بعض الشدة؛ إلا أن الإخلاص جوهر أساسي وشرط كامن في هذا الخطاب، فالشاعر خارجي، وتهمته المصلحة العامة لأبناء عقيدته.

### 07- الإغراء:

أسلوب الإغراء فعل توجيهي مُضادٌ للتحذير، يقوم على أساس التنبية، والدعوة على سبيل الترغيب لا الإلزام والإكراه، وفي معناه الدقيق: "التنبية على أمر محمود ليلزمه المخاطب"<sup>1</sup>، وبما أن الإغراء يعني الحث، فهو من باب التأثير بالقول، فيقول المخاطب كل ما يُشوق المدعو للاستجابة والتأثر، ويختلف مضمونه حسب الموضوع والسياق، فقد يكون وعدًا فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو حث على لزوم شيء/أمر محمود وما شابه ذلك، ومن الأمثلة التي يُتمس فيها الإغراء والترغيب:

- قال "أبو بلال مرداس" يُحاطب الشراة:<sup>2</sup> [البسيط]

01 مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ كَانَ لَهُ وُدِّي وَشَارِكُهُ فِي تَالِدِ الْمَالِ

جاء الخطاب لحث الخوارج على الثبات على العقيدة الخارجية وعدم الردة، ويُلاحظ أن الشاعر قد أسرع في جملة جواب الشرط لذكر الأمر المحمود الذي يجعل المخاطب يتهيأ للإمثال له والبقاء والثبات، قال يعدهم: (كان له وُدِّي) فكل الخوارج يسعون لنيل رضى ومحبة "أبي بلال" رمز الخوارج وبطلها، وأضاف أمرًا محمودًا آخر وهو: (شاركته في تاليد المال) أي: في أصيل المال وأحسنه، وبذكر الود والمال يضمن إخلاص وثبات الخوارج.

- وقال "عمران بن حطان" يُرغّب "عبد الله بن ذهل الدارمي" في مجالسته:<sup>3</sup> [الطويل]

01 فَاَمْسِكْ عَلَيْكَ الصَّاحِبَ الصَّدْقَ وَالَّذِي يُوَاسِيكَ فِي مَا نَابَ غَيْرَ مُؤَنَّبِ

<sup>1</sup> جمال الدين الأنصاري (ابن هشام): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، اعتنى بما: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، (ط 1)، 2001، ص 249.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 64.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 185.

مضمون هذا الخطاب التريغيب في الحفاظ على الصاحب الصدوق، والابتعاد عن خلان السوء - يقصد الحجاج-، واقتران التريغيب بفعل الأمر (أمسك) دل على النصح والإرشاد، معللاً سبب الاحتفاظ بهذا الصاحب بأنه صدوق، وإذا أصابك أمر/مكروه/خطب كان سنداً لك في اجتياز، لا لائماً ومعاتياً، وبالنظر في معاني الخطاب والهدف التأثيري الذي يسعى إليه، نجد أن شرط الإخلاص المحقق في هذا الخطاب، صدق الشاعر في إبداء النصيحة، والتريغيب في الحفاظ على الصاحب الصدوق، ويمكن بيان الغرض التداولي التوجيهي لهذا الخطاب في الجدول الآتي:

الغرض التداولي	الفعل التوجيهي	الملفوظ
نصح وترغيب	أمسك/ عليك	فأمسك عليك

#### شكل 04: الغرض التداولي للفعل التوجيهي.

رصدت هذه الجزئية من البحث أبرز الأفعال التوجيهية التي تركز على إبلاغ قاصد المتكلمين (شعراء الخوارج)، وتحقيق الهدف من خطابهم، وهذه الأساليب التوجيهية عديدة في الخطاب الخوارجي، اقتصر فيها على: الأمر، الاستفهام، النهي، النداء، العرض والتخصيص، انتهاءً بأسلوب الإغراء والتحذير. ويظهر من خلال البحث أن للأفعال التوجيهية الأثر الكبير في تبليغ مقاصد الخطاب الخوارجي، مع تفاوت في قوتها الإنجازية، ومع ما تحمله هذه التوجيهيات/الأمريات/الطلبيات من قوة إنجaziة تأثيرية، إلا أنها لا تحمل معنى محدداً ومعيّناً، بل إن مدلولها يتبين من خلال السياق الذي تقع فيه.

#### ثالثاً- الوعديات (الالتزاميات):

هي أفعال يقصد بها المتكلم "الالتزام بفعل شيء ما في المستقبل، وعرضها الإنجازي الوعد، ومحتواها القضيوي هو دائماً أن يفعل المتكلم فعلاً مستقبلياً، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات *world to words* وشرط الإخلاص فيها هو القصد *Intention*، ويدخل تحت هذا الصنف: أفعال الوعد والوصية"<sup>1</sup>.

ومن الأفعال أيضاً التي تدخل تحت صنف الالتزاميات: الوعد، المعاهدة، الضمان، وغيرها من شبيهات هذه الأفعال.

<sup>1</sup> محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

01. القسّم: لم يرد القسّم بصيغته المشهورة "أقسّم/قسّمًا" إلا في موضعين هما:

- قال "قطري بن الفجاءة" يذكُر ما بينه وبين "المغيرة بن المهلب":<sup>1</sup> [الطويل]

01 وأقسّم لو أني عرفتك ما نجا بك المهز أو تجلو علينا العوايسا

02 فتعلم إذ لا قيتني أن شدتي تخاف فسل عني الرجال الأكاسا

اشتمل خطاب "نافع" على فعلٍ إنجaziٍّ من أفعال الإلتزام، وهو القسّم، قال: (وأقسّم .. ما نجا)، والقسّم من الأفعال الكلامية الإنجaziّة، وفي هذا الخطاب جرى الفعل مَجري اليمين/الحلف، وهو فعلٌ مُنجزٌ أثناء القول، بمعنى: والله لو أني عرفتك ما نجت، وأجاء المطابقة من العالم إلى الكلمات، وفي هذا الخطاب رسالة تحذير تُبين عن قوّة "نافع" وصحبه الخوارج، جاء في معناها: إن قوتي تُخشى وتُتقى، وبذلك تكون المقصدية في هذا الخطاب هي نيّة "نافع" أن لا يترك "المغيرة" إن كان لقيه وعرفه، وليبان القوّة الإنجaziّة للقسّم، نرسم الجدول التوضيحي الآتي:

الفعل الإلتزامي	الغرض الإنجaziّ	اتّجاه المطابقة	القصدية	نمط الإنجاز
وأقسّم لو ...	قسّم نافع بأن لا يترك المغيرة إن كان عرفه	نافع مسؤول عن تحقيق قسّمه إن كان عرف المغيرة	نيّة "نافع" أن لا يترك "المغيرة"	إمكانية توفّر شرط القضاء على المغيرة تجعل فعل القسّم فعلاً إنجaziّاً ناجحاً

شكل 06: بيان القوّة الإنجaziّة للقسّم.

- وقال "رجلٌ من الخوارج" وقد أوقعوا بأهل المدائن مع "الزبير بن الماحوز":<sup>2</sup> [الطويل]

01 ونجى يزيد سايح ذو علالة وأفلتنا يوم المدائن كزدم

02 وأقسّم لو أدركته إذ طلبته لقام عليه من فزارة ماتم

يُخبر الشاعر كيف التّفوا مع "يزيد بن الحارث بن زويم" لما استباحوا ما بين أصفهان والأهواز، وكيف نجّاه منهم فرسه السريع، وكيف أن "كزدم بن مرثد الفزاري" لم يظفر بهم، وقد أقسم أنه لو أدركه لما لحقه لقي عليه ولأقامت عليه قبيلته فزارة (فرعٌ من قبيلة ذبيان من عطفان) ماتماً وعويلاً، وبقسّم الشاعر، فقد التزم بأنه سيكون لكردم من القاتلين، وبهذا يكون اتّجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، والقصد هنا هو نيّة إيقاع الأذى بالخصم إن كان قد أدركه، أمّا الغرض الإنجaziّ في هذا الخطاب فهو إظهار القوّة مع العدو والإلتزام بها دائماً، فحروب الخوارج غيرٌ مُنتهية.

<sup>1</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 131.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 90.

02. الشجاعة والبطولة: إنَّ الحديثِ عنِ بسالةِ الخوارجِ وِطُولِاتهمِ جاءَ حافلاً في شعرهم، فقد وردَ الكثيرُ منِ منه في ذِكرِ حُرُوبهم وبيانِ قُوّتهم والإشادةِ بفرسيتهم، وفي بابِ الإلتزامِ والتّضحياتِ:

- يقول "حبيُّ بنِ وائلٍ" وقد قيلَ له أُنخِرجُ راجلاً تُقاتلُ السُّلطان؟<sup>1</sup> [البيسط]

01 أَمَا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ وَلَا كَذَا رَجِلاً إِلَّا بِأَصْحَابِ

02 لَقَدْ لَقِيتُ إِذْ نَشَرًا وَأَدْرَكَنِي مَا كُنْتُ أَرْعَمُ فِي خَصْمِي مِنَ الْعَابِ

مُناسبة التّفنّة: "إنَّ حُبي بنِ وائلٍ خرجَ راجلاً يُقاتلُ السُّلطان، فقيلَ له: أُنخِرجُ راجلاً تُقاتلُ السُّلطان؟، فردَّ عليهم: أَمَا أَقَاتِلُ إِلَّا عَلَى فَرَسٍ"<sup>2</sup>، وقد وَظَفَ "أَمَا" المُخَفَّفَةَ الَّتِي جَاءَتْ بِمَنْزِلَةِ "أَلَا"، وأما هنا للإخبارِ، وكأنَّما بالشّاعر يقول: أَلَا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي إِلَّا وَأَنَا رَاكِبٌ عَلَى فَرَسٍ وَلَا رَجِلاً إِلَى بِأَصْحَابِي، وفي ذلك التّزامٌ بأنْ يُنْفَخَ عن عقيدته رَاكِبًا، راجلاً، وحده أو مع أصحابه، والفعلُ الكلاميُّ الَّذِي جَاءَ فِي صِيغَةِ الإخبارِ، أُلزِمَ به نَفْسَهُ بِقِتالِ الأعداءِ على جميعِ الحالاتِ، وبذلك تَكُونُ القوّةُ الإنجازيّةُ الشُّروعِ فِي القِتالِ على الصُّورةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا، ولهذه القوّةُ فعلٌ تَأثيريٌّ بأنَّه لا رُجوعَ ولا فِرارَ فِي سبيلِ الدِّفاعِ عَنِ الدِّينِ، وأما عن شَرطِ الإخلاصِ فهو حاصلٌ، فالقضيّةُ دِفاعٌ عن العقيدة، والشّاعرُ قد خَرَجَ إِلَى القِتالِ، وبذلك يَتَحَقَّقُ اتِّجاهُ المُطابَقةِ مِنَ العالَمِ إِلَى الكَلِماتِ، وتَظْهَرُ القوّةُ الإنجازيّةُ فِي هَذَا الخِطابِ كالأتي:

- الفعل القولي: أَمَا أَقَاتِلُ...

- الفعل القضي: التّزامٌ بالقِتالِ على جميعِ الحالاتِ.

- الفعل الإنجازي: تَنبِيهِ، الشَّجاعةُ والقوّةُ.

- الفعل التّأثيري: التّحليّ بالشَّجاعةِ والدِّفاعِ عن العقيدة.

نمطُ الإنجازِ	القصديةُ	اتِّجاهُ المُطابَقةِ	الغرضُ الإنجازيُّ	الفعلُ الإلتزاميُّ
إمكانيةُ توفّرِ شرطِ القِتالِ على جميعِ الحالاتِ تجعلُ الفعلَ الإنجازيَّ ناجحًا	نِيَّةُ حُبي فِي القِتالِ على فَرَسٍ/ راجلاً، فالهممُ عدمُ الجُبنِ	حُبي مسؤولٌ عن تحقيقِ التّزامه	التّزامُ حُبي بأنْ يُقاتلِ على الصُّورةِ الَّتِي هو عليها	أَمَا أَقَاتِلُ...

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 88.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسانُ العرب، (ج 11)، ص 320، وسعيدُ بنُ أوسٍ النّحويّ (أبو أيّوب الأنصاري): النّوادِرُ فِي اللُّغة، تح: محمّد عثمان، مرا: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 2011، ص 4، 25.

03. الرثاء: جاء الالتزام ببكاء القتلى في ثلاثة مواضع في شعر الخوارج، التزمت فيهم "مليكة الشيبانية" في اثنين ببكاء عمها وواحد في بكاء "الضحاك بن قيس".

- تقول "مليكة" في بكاء عمها: <sup>1</sup> [الكامل]

01 يَا عَمِّ كُنْتَ لِسَانَ قَوْ مِكَ حِينَ يَجْتَمِعُ الْمَعَاشِر

02 فَلَأَبْكِيَنَّكَ بِالْعَمَدَا ةِ وَبِالْأَصَائِلِ وَالْهَوَا جِر

03 وَلَئِنْ بَكَيْتُ لَقَدْ رَزُوتُ بِفَارِسٍ بَطْلٍ مُغَاوِر

تبكي الشاعرة عمها زعيم القوم القائم على أمورهم، موظفة فعلاً كلامياً إخبارياً تُخبر به عن مكانة عمها في قومه وبين العشائر، لتنتقل إلى توظيف فعل كلامي التزامي، قالت: "لأبكيَنَّكَ" والذي دل على ثلاثة أوقات محددة ومعيّنة للبكاء، وهذه الأوقات هي: (لأبكيَنَّكَ بالغدوة) أي: ما بين الفجر إلى طلوع الشمس، ما يعني أول النهار، ثم قالت: (وبالأسائل) أي: ما بين العصر والمغرب، بمعنى مساءً، ثم تبكيه بين الصبيحة والمساء في وقت شديد الحر، قالت: (والهجائر) أي: وسط النهار، وبالتالي يظهر التزام مليكة في مداومة البكاء على عمها في هذه الأوقات، الأمر الذي دل على نفسية الشاعرة المحطمة، زمن الحزن فيه غير منقطع، الحركة فيه دائمة، وعدم الانقطاع في زمن البكاء؛ يعني مكانة المرثي وجلل المصاب في فقده.

وبالتزام الشاعرة البكاء وتنفيذ ما تعهدت به؛ يتحقق شرط الإخلاص، والقصد هو نيتها الصادقة في الحزن على المرثي، وبذلك يكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، بمعنى تنفيذ مليكة ما قالتها والتزمت به. والمثال الثاني الذي التزمت فيه الشاعرة بالبكاء على عمها هو قولها: <sup>2</sup> [الكامل]

01 فَلَأَبْكِيَنَّكَ مَا عَدَدْتُ شَمْسٌ وَمَا جَرَّتِ الْبَوَا حِر

وهنا أيضاً تلتزم صادقة في تنفيذ ما تعهدت به، وبذلك يتحقق شرط الإخلاص، وعليه يكون فعل الإنشاء أو الغرض الإنجازي في كلاً التركيبين الوعد بالتزام البكاء، وأما الفعل التأثيري فهو الحزن والرثاء.

- وقالت ترثي "الضحاك بن قيس": <sup>3</sup> [الكامل]

01 فَلَأَبْكِيَنَّكَ كُلَّمَا وَخَدْتُ عَيْسٌ بِأَرْجُلِهَا عَلَى رَسْمِ

02 وَلَا أَبْكِيَنَّكَ عِنْدَ مُجْتَمَعِ الْأَمْلَاءِ عِنْدَ تَطَاوُلِ الْخَصْمِ

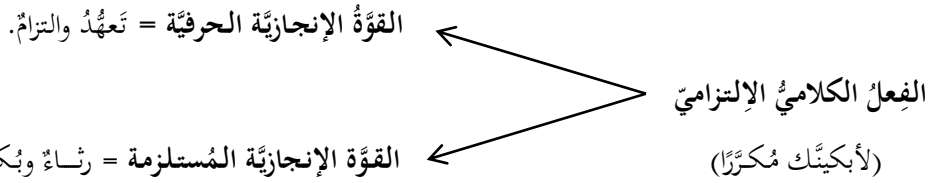
<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 239.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 240.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

يتمثلُ غرضُ الفعلِ الكلاميِّ الإنجازيِّ في خطابِ "مليكة" في التزامِ بكاءِ "الضحَّاك"، قالت: (لأبكيَنَّك)، مُتعهِّدة أن تبكيه ما سارت الإبلُ وأسرعت ووسعت الخطو، ودلت "كُلِّما" على تكرارِ الفعلِ، وربطُ البكاءِ بحريِّ الإبلِ فيه تكثيرٌ لعددِ مرَّاتِ البكاءِ اللامُتتهي، فإبلُ الخوارج لا تتوقَّف من الحريِّ لكثرةِ وقعاتهم، وبذلك يكونُ هذا الإلتزامُ خاصًّا بالحربِ، وتلتزمُ الشاعرةُ في البيتِ الثاني ببكاءِ المرثيِّ عندَ جموعِ الأشرافِ وعليةِ القومِ الذين يملؤونُ العيونَ أبهةً والصُدورَ هيبةً إذا ذُكرَ بسوءِ من الخُصوم.

وبالنظرِ إلى التزامِ الشاعرةِ بكاءِ الضحَّاك وذكُرِ شمائله وحُسنِ فعّاله؛ يظهرُ صدقُ الشاعرة، معُ وجودِ النيَّةِ (القصدِ) في ذلك، وبهذا فقد توفَّرَ شرطُ الإخلاصِ وطابقَ الفعلُ الإلتزاميُّ الخارجيُّ ما لهجتُ به من كلماتٍ، بمعنى إنَّها صاغتُ فعلها بناءً على صورته الخارجيّة، وهي قادرةٌ على تحقيقه، بل قد تحقَّقَ فعلاً، فهي ترثيه وتبكيه في العديدِ من أشعارها وفي مناسباتٍ عدَّة. ولتوضيحِ قُوَّةِ الفعلِ الإنجازيّةِ والمستلزمةِ في خطابِ الرثاءِ/البكاءِ؛ نرسمُ الشكلَ الآتي:



04. التَّنكِيلُ بالعدوِّ: من الأمثلةِ التي التزمَ فيها الخوارجُ بالكرِّ وعدمِ الفرارِ والتَّنكِيلِ بالأعداءِ:

– قال "الضحَّاكُ بنُ قيسٍ" لَمَّا خَلَفَ "سعيدَ بنَ بحدلٍ" في قيادةِ الجيشِ: <sup>1</sup>[البسيط]

01 لأوردنَّ رجلاً إن ملكهم طعنا يشج كآفواه المثاعيب

قصَّةُ البيتِ اختصاراً: "إنَّه وفي خلافةِ مروان بنِ حمَّد بنِ مروان بنِ الحُكمِ سنة 127 هـ، خرجَ سعيد بنُ بحدلٍ لفتحِ البصرةِ فحضرتَه الوفاةُ (...). فشاوَرَ قَادتهُ لاختيارِ مَنْ يخلُفه، فوقَّعَ الإختيارَ على الضحَّاك بنِ قيسِ الشيبانيِّ وأخذَ منه موثقاً أن لا يرجعَ دونَ النَّصرِ، وأعطاهُ الضحَّاكُ العَهْدَ"<sup>2</sup>، قال مُتوعِّداً: (لأوردنَّ) الدَّال على المُستقبلِ، والمعنى "لأفعلنَّ"، وهي جُملةُ جوابِ القَسَمِ، والتَّقدير: والله لأوردنَّ، مفاذها الإلتزامُ بالفعلِ، وبذلك تُكوِّنُ القُوَّةُ الإنجازيّةُ للفعلِ العهديِّ غرضها تحقيقَ ما تُلفظُ به، وهو الطَّعنُ الَّذي يجعلُ الدِّماءَ تسيلاً وتجري كأنَّها منابغُ آبارٍ أو مجامِعُ الماءِ في الوادي، وهي كناية عن

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 235.

<sup>2</sup> خليفة بن خيَّاط الشيباني: تاريخ خليفة بن خيَّاط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسَّسة الرِّسالة، دمشق، بيروت، (ط 2)، 1977، (ج 1)، ص 367.

التنكيل والبطش، ما يدلُّ على مطابقة العالم للكلمات، والمُتكلِّمُ قادرٌ وحريصٌ، وبهذا يتحقَّقُ شرطُ الإخلاص بتنفيذ المُتكلِّمِ لِمَا التزمَ به. ولبیانِ القوَّةِ الإنجازيَّةِ للفعلِ الكلاميِّ نرسمُ الجدولَ الآتي:

الفعلُ الإلتزاميُّ	الغرضُ الإنجازيُّ	اتِّجاهُ المُطابِقةِ	القوَّةُ الإنجازيَّةُ	نمطُ الإنجازِ
لأوردنَّ	تعهد الضحَّاك بأنَّ يَقَعَ في جُندِ البصرة طعنًا	الضحَّاكُ مسؤولٌ عن تحقيق التزامه	وعيدٌ	تنفيذُ الضحَّاك ما التزمَ به تجعلُ فعل القسم فعلاً إنجازيًّا ناجحًا

شكل 06: بيان القوَّةِ الإنجازيَّةِ للفعلِ الإلتزاميِّ.

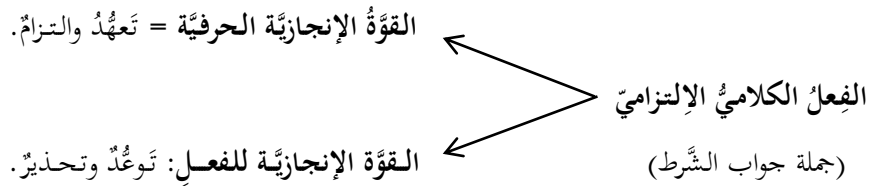
### 05. الدِّفاعُ عن أهلِ الحقِّ (الخوارج):

- يقول "عمرانُ بنُ حطَّان" في الدَّودِ عن أصحابه الخوارج: <sup>1</sup> [الوافر]

- 01 وَمَنْ يَقْصِدُ لِأَهْلِ الْحَقِّ مِنْهُمْ فَإِنِّي أَتَّقِيهِ كَمَا أَتَّقَانِي  
02 عَلَيَّ بِذَلِكَ أَنْ أَحْمِيهِ حَقًّا وَأَرْعَاهُ بِذَلِكَ كَمَا رَعَانِي

يبتدئُ الشَّاعرُ خطابهَ بجملةٍ شرطِ مُصرِّحًا فيها بأنَّ الخوارجَ أهلُ الحقِّ، مُحدِّرًا مِنَ الإعتراضِ لهم، لتأتي جملةُ جوابِ الشرطِ ليبيِّنَ فيها جزاءَ وردَّةِ الفعلِ تجاهَ مَنْ يَقْصِدُ إِلَيْهِمْ بسوءٍ، قال: (فإنِّي أتقِّيه كما أتقاني)، بمعنى: مَنْ قَصَدَ إِلَى الخوارجِ بمكروهٍ فإنِّي أفاتله وأحاربه، وأتقِّيه إذا أتقاني أي: أتجنَّبه كُلِّما تجنَّبَ مَسَّ الخوارجِ، والشَّاعرُ في هذا الخِطابِ يلتزمُ ويتعهدُ بحمايةِ الخوارجِ، وهو صادقٌ في التزامه، فعمرانُ شيخُ الخوارجِ وعالمها، ووعدُّه أمانة، ثُمَّ يلتزمُ في البيتِ الثَّاني أنَّ مَنْ اتَّقاهُ -بعدمِ تعرُّضه للخوارجِ- كانَ حقًّا عليه حمايته، وأنَّ يَرعاهُ كُلِّما رعاها الآخَرُ وراعى حُرمةَ الخوارجِ عنده، وفي هذا الخِطابِ أيضًا يلتزمُ بأنَّ مَنْ عادى الخوارجَ كانَ له غَضَبه، ومَنْ اتَّقاهمَ كانتَ له مودَّته وحمايته.

ومَّا تقدَّم، يُلاحظُ على هذا الخِطابِ توفُّرَ شرطِ الصِّدقِ مع القصدية، ما جعلَ العالمَ يُطابقُ الملفوظَ، وعليه تكونُ القوَّةُ الإنجازيَّةُ للفعلِ الكلاميِّ، الوعيدُ والتَّحذيرُ. ودونك رسماً لتوضيحِ القوَّةِ الإنجازيَّةِ لفعلِ الكلامِ الإلتزاميِّ.



<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوانُ شعرِ الخوارجِ، ص 176.

06. الثبات على دين الشراة: من الأمثلة التي التزم فيها شعراء الخوارج انتهاج طريق رُموزهم:

- قول "أحد الخوارج" يذكر من مضى من صحبه وهو في طريقه لمواجهه "ابن زياد":<sup>1</sup> [البيسط]

01 يا ربّ هب لي الثقي والصدق في ثبّتٍ وأكف المهّم فأنّت الرّازق الكافي

02 حتّى أبيع الذي يفتنى بأخرة تبقّى على دين مرداس وطواف

يسأل الشاعرُ الله سبحانه وهو في طريقه للبصرة أن يهبه الثقي والصدق مع قوّة الحجّة والبيّنة، ويسأله أن يكفيه بحلالٍ يُعيّنه على ما هو مُقبلٌ عليه، وهذا الطلّب جاء لعلّة، وهي الإقبال على الآخرة وبيع الدنيا الفانية، أي: إنّه يلتزم بالجهاد والتضحية في سبيل الله، وبذلك يكون الفعل التّأثيري الذي أدّاه السؤال؛ إعانتة على ما سيُقدم عليه، والأفعال: (أبيع، تبقّى) دلّت على المُستقبل، ومفادُ الخطاب التّعهديّ أنّه على نهج "أبي بلالٍ مرداس بن أذية" وطريق "طواف بن علاق" الذي "أجبره ابن زياد (58 هـ) على قتل بعض أصحابه الذين كانوا يعيّبون على السُلطان أفعاله، وبعدها ندّم طواف وعزم على قتل ابن زياد بالبصرة، ولكنّه حوَصر بها وقُتل وصلب"<sup>2</sup>.

إنّ الفعل التّأثيريّ المُستلزم عن هذا الفعل الكلامي هو الشّوقُ للقاء الصّحبِ والرّحيل من الدنيا الفانية، وبذلك فالعالم يُطابق الكلمات، والشّاعرُ في طريقه لقتال "ابن زياد"، ويتنفّذ المُتكلم ما التزم به؛ يحقّق شرط الإخلاص والقصد الصادق لما أخبر عنه والتزم به.

07. قتال الأعداء:

- قال "عمرو القنا" وهو في عسكر الأزارقة:<sup>3</sup> [الطويل]

01 سأجاهد أعدائي إذا ما تتابعوا وأدعى بإسمي للهدى فأجيب

02 معي كلُّ أواه برى الصّوم جسمه ففي الجسم منه نهكة وشحوب

توجّه الشاعر بهذا الخطاب إلى جنده في معسكر الأزارقة، وتلقّظه جاء في سياق الإلتزام بمجاهدة/قتال أعدائه الذين تهافتوا على الشرّ والإذابة، والسّين في الفعل الإنجازي "سأجاهد" دلّت على تأكيد الفعل الإلتزامي "إعلامًا واستمرارًا بالإستقبال"<sup>4</sup>، وجاءت أيضًا في سياق "تأكيد الوعد، كما أكّدت

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 73.

<sup>2</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (ج 3)، ص 359.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 102.

<sup>4</sup> بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضيل الدميّاطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د ط)، 2006،

الوعيد<sup>1</sup>، وإفادتها للإستقبال يعني أن فعل الجهاد والقتال كائن لا محالة، وبذلك تكون قد منحت الشاعر مصداقية في التزامه وتأكيده على تحقيق ما لهج به، وشرط صدق الفعل في هذا الخطاب؛ هو قصد الشاعر أن يُقاتل كل من ينبغي الشر.

ويتلزم في عجز البيت الأول بأنه إذا نُودي للهدى وفعل الخير يُجيب، وهو تعهد بأنه يلبّي كل داعٍ له إذا العرض فعل الخير، فلفظه "فأجيب" جعلت القصد حاصلاً وهو شرط الإخلاص حاضراً، وبذلك يتحقق فعل الوعد/الإلتزام، وأما الفعل التأثري فهو حث الشاعر الحنود ودفعهم إلى الإقبال على قتال الأعداء وإجابة داعي الخير.

**08. الإنكار على الحُكّام:** جاء الإلتزام بالإنكار على الحُكّام في موضع واحد فقط، هو:

- قال "عمرو بن ذكينة الربيعي" لَمَّا ولى "عُمَرُ بنُ عبدِ العزيرِ" الحُكْمَ: <sup>2</sup> [البيسط]

01 سَأْنَهَى\* الْوَلَاةَ بِحَدِّ السَّيْفِ عَنْ سَرْفٍ كَفَى بِذَآكَ لَهُمْ مِنْ زَاجِرٍ نَاهِ

02 فَإِنْ قَصَدْتَ سَبِيلَ الْحَقِّ يَا عُمَرُ أَخَاكَ فِي اللَّهِ أَمْثَالِي وَأَشْبَاهِي

يتعهد الشاعر في هذا الملفوظ بأنه سينهى بالقوة (حدّ السيف) كل من يسرف ويجاوز الحد في أموال المسلمين، والفعل "سأْنَهَى" فعل كلامي يتجه نحو المتكلم الذي ألزم نفسه إنجازاً طوعاً، وقد جاء الفعل مؤكداً بالدالة على نية الإنجاز، وبذلك تكون القوة الإنجازية في الخطاب تنفيذاً ملتزماً به، والغاية من هذا الأخير تقديم تحذير/إرشاد للخليفة الجديد باجتناب الفعل المخالف الذي درج عليه سابقوه من عيش حياة البذخ والرّفاهية -حسبه-، وبذلك فالشاعر أراد تغيير واقع مُعيّن، ما يعني إن العالم طابق الكلمات، مع وجود القصد وتوفر شرط الإخلاص فيما صرّح به، وتوجيه الخطاب إلى الخليفة؛ فالشاعر يسعى إلى التأثير فيه، وأن يكون وسطاً في الذي استؤمن عليه.

ثم يُعطى الخليفة الجديد العهد بأن يُؤاخيهِ وصحبه إذا قصد سبيل الحق وكان أميناً مُراعياً شرع الله فيما أوكل إليه، وهو قول/التزام صادق شرط أن يكون الخليفة صاحب حق.

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصّفحة نفسها.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 211.

\* وردت: "ننهى" في معجم الشعراء للمرزباني، (ج 1)، ص 89. و"أنهى" في: كتاب البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ط)، (د ت)، (ج 6)، ص 46.

رابعاً- **التعبيريات**: وتُسمى **البوحيات**، وهي تلك الأفعال التي "تبيّن ما يشعر به المتكلم، وتعبّر عن حالات نفسية يمكن أن تتخذ شكل جمل تُعبّر عن فرح، ألم، حزن، أو عمل محبوب أو عمل ممقوت"<sup>1</sup>، أمّا القوّة الإنجازية فيها، فهي: "التعبير عن الموقف النفسي يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف من الأفعال اتجاه مطابقة، بمعنى إن المتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما يشترط في هذا الباب الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل تحت هذا الصنف: أفعال الشكر، التهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب..."<sup>2</sup>، وبالنظر إلى مدونة شعر الخوارج نجد أنّ خطاباتهم التعبيرية جاءت متنوّعة بين: الأنيب، الألم، الندم، الشكوى، الصبر، الحمد والشكر، الرثاء وإظهار التفجع.

**01. الرثاء**: شعر الخوارج حافل بالرثاء لفقد الأهل والأصحاب، ومن ذلكم:

- قال "المنهال الشيباني البصري" يرثي "صالح بن مسرح"<sup>3</sup> [الطويل]

**01** أمْنَهَالُ إِنَّ الْمَوْتَ غَادٍ وَرَائِحُ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ مَاتَ صَالِحُ

**02** إِذَا قُلْتُ أَنْسَى صَالِحاً عَادَ ذِكْرُهُ جَدِيداً لِمَا انْضَمَّتْ عَلَيْهِ الْجَوَانِحُ

يتمحور مضمون الخطاب حول رثاء الأخ الصّاحب، والشاعر هنا يُعبّر عن حالة نفسية وهي الحزن الذي جاء على شكل رثاء، حيث افتتح الشاعر خطابه بهمزة نداء للقريب، قال: (أمنهال)، وقد أفادت التنبية، تنبيه المتكلم بحقيقة الموت، وبذلك يسعى إلى أن يصل إلى هدفه التأثيري، التصبر ومحاولة نسيان من فجع بفقده، قال: (إذا قلت أنسى) ما يدل على التكرار جاهداً، لكن ألم الفجعة أكبر من أن ينسى، قال: (عاد ذكره) جديداً كأن الضلوع قد احتضنت وضمّت الألم (التذكر)، وبالنظر إلى محتوى الخطاب نجد أنّ شرط الإخلاص قد تحقّق، فالشاعر صادق في رثاء صاحبه، واتجاه المطابقة فارغ، فالشاعر لا يسعى من خلاله أن يجعل العالم مطابقاً للكلمات ولا العكس، إذ إنّ التعبير خاص بالمتكلم، ولا يراود به التأثير في الغير. والجدول الآتي يوضّح القوّة الإنجازية لمحتوى الخطاب التعبيري:

الفعل الإخباري	الغرض الإنجازي	اتجاه المطابقة	شرط الفعل القضي	الفعل التأثيري
أنسى ذكره/عاد	التعبير عن الحزن	فارغ	الإخلاص/الصدق	التصبر/المواساة

شكل 07: القوّة الإنجازية للفعل التعبيري.

<sup>1</sup> جورج يول: التداولية، ص 90.

<sup>2</sup> محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 198.

- وقال "الحارث بن كعب الشنّي" يتألم لمقتل وصلب "عون بن أحمَر":<sup>1</sup> [الطويل]

01 أَيَهَاتَ قَدْ أَبْلَى عِظَامِي وَشَقَّهَا وَأَسْهَرَ لَيْلِي ذِكْرُ عَوْنِ ابْنِ أَحْمَرَ

02 فَتَى كَانَ لَا يَخْشَى سِوَى اللَّهِ وَحَدَهُ وَيَطْمَعُ فِي مَعْرُوفِهِ كُلُّ مُعْتَرٍ

03 يُجَاهِدُ فِي اللَّهِ ابْنُ أَحْمَرَ صَادِقًا إِذَا مَا ارْتَضَى بِالْجُورِ كُلُّ مُقْصِرٍ

يُعَبِّرُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَلْفُوظِ عَنْ شِدَّةِ حُزْنِهِ وَأَلَمِهِ لِفِرَاقِ بَطْلِ خَارِجِيٍّ، وَقَدْ دَلَّ السِّيَاقُ عَلَى أَنَّ الْأَلَمَ نَوْعَانِ: أَلَمٌ مَعْنَوِيٌّ نَفْسِيٌّ، وَأَلَمٌ جَسَدِيٌّ، قَالَ: (أَبْلَى عِظَامِي وَشَقَّهَا، أَسْهَرَ لَيْلِي)، وَكُلُّهَا أَفْعَالٌ تَعْبِيرِيَّةٌ دَلَّتْ عَلَى فَجِيعَةِ الْفِرَاقِ، وَبِذَلِكَ تُكُونُ الْقُوَّةُ الْإِنْجَازِيَّةُ قَدْ أَتَتْ فِي سِيَاقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ، فَالشَّاعِرُ يَكْبِي فِتَى صَاحِبِ صِلَاحٍ، يَطْمَعُ فِي مَعْرُوفِهِ كُلِّ طَالِبِ عَطَاءٍ، مُجَاهِدٍ صَادِقٍ، وَبِاسْتِحْضَارِ نَبْذِ الْخَوَارِجِ لِلْكَذِبِ وَعَدَمِ الْمَدْحِ تَكْسُبًا؛ يُجَزِّمُ بِصِدْقِ إِخْلَاصِ الشَّاعِرِ فِي تَعْبِيرِهِ عَنِ قَضِيَّتِهِ، وَبِذِكْرِ سَجَايَا وَصِفَاتِ الْمَرْتِيٍّ؛ أَكَّدَ لِلْقَارِئِ اسْتِحْقَاقَهُ الْبُكَاءِ، وَأَتَّجَاهَ الْمُطَابَقَةَ فَاغْرَ، فَالشَّاعِرُ يُعَبِّرُ عَنِ مَا يُخَالِجُ نَفْسَهُ وَيُؤْلِمُهَا، وَلَا يُرِيدُ إِحْدَاثَ تَأْثِيرٍ فِي الْمُتَلَقِّيِّ، وَفِي إِطَارِ غِيَابِ الْحَيْثِيَّاتِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا الْخِطَابُ؛ يُمَكِّنُ التَّحْمِينَ بِأَنَّ النَّصَّ جَاءَ فِي بَابِ تَهْوِيلِ أَمْرِ مَقْتَلِ "ابنِ أَحْمَرَ" وَاسْتِنْفَارِ الْخَوَارِجِ وَحَثِّهِمْ عَلَى الثَّأْرِ، وَبِهَذَا تَتَوَلَّدُ فِي الْخِطَابِ قُوَّتَانِ إِنْجَازِيَّتَانِ، قُوَّةٌ مُبَاشِرَةٌ وَقُوَّةٌ اسْتِلْزَامِيَّةٌ، وَيُمَكِّنُ تَوْضِيحَهُمَا كَالآتِي:

القوة الإنجaziة المباشرة = تعبير عن الحزن والألم.

الفعل الكلامي التعبيري

القوة الإنجaziة المستلزمة = تهويل مقتل "ابنِ أَحْمَرَ" والدعوة للثأر.

(أفعال التعبير + ذكر خصال المرتي)

## 02- البطولة والتجلد:

- قال "مرداس بن أديّة" في مواجهة "ابن زيادٍ" لَمَّا أَلَحَّ فِي طَلْبِهِ وَجُنْدِهِ:<sup>2</sup> [الطويل]

01 نَكْفُ إِذَا جَاشَتْ إِلَيْنَا بُحُورُهُمْ وَلَا بِمَهَائِبِ نَحِيدُ عَنِ الْبُتْرِ

02 وَلَكِنَّا نَلْقَى الْقَنَا بِنُحُورِنَا وَبِالْهَامِ نَلْقَى كُلَّ أْبَيْضِ ذِي أَثَرِ

03 إِذَا جَشَّاتْ نَفْسُ الْجَبَانِ وَهَلَلَتْ صَبْرْنَا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الْجَمْرِ

يَهْضُ هَذَا الْخِطَابُ بِمَعَانٍ دَلَّتْ عَلَى الْأَنْفَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْمُقَامَةِ، قَالَ: (نَكْفُ) أَي: نَأْنَفُ وَنَمْتَنِعُ عَنِ الْمُؤَاجَهَةِ تَصْغِيرًا لِابْنِ زِيَادٍ وَجُنْدِهِ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ لَا نَحِيدُ عَنِ الْمُؤَاجَهَةِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى فِعْلٍ ثَانٍ،

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 86.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 113.

قال: (نلقى القنا بُحورنا، نلقى كلَّ أبيض) وهي أفعال إخبارية تعبيرية دلّت على القوّة والشجاعة، ليُخبر في البيت الأخير أنّه إذا فزعت نفسُ الجبانِ ونكصت ونكلت، فإنّهم صابرونٌ مُتجلّدون، وبهذا فالشاعرُ يُعبّر عن خَلجاتِ نفسية، فهو في صددِ الافتخار، وبذلك يَكُونُ جوهر القوّة الإنجازية الإفتخار وبيان القوّة ورباطة الجأش، وغرضها التداوليّ شحذ الهمم وإعلان المقاومة والتصدّي للعدوّ.

وبالتّظر إلى المحتوى القضويّ وسياق قول الشاعر وصراعته الدائمة مع "ابن زياد"، نجد أنّ شرط الإخلاص في التّعبير الصادق عن مشاعر الفخر وبيان القوّة قد تحقّق، وأنّ الفعل التّأثيريّ هو التّقليل من شأنِ العدو، وبثّ روح المقاومة في الخواج، فعبرَ بشكلٍ صريحٍ وقويّ، وبذلك كان صادقاً ومخلصاً في موقفه، وهو يقصد ذلك.

الفعل التّأثيريّ	شرطُ الفعل القضويّ	اتّجاه المُطابقة	الغرضُ الإنجازيّ	الفعلُ الإخباريّ
التّصغير/بثّ روح المقاومة	الإخلاص/الصدّق	فارغ	الفخر/البطولة	نكفّ/نلقى/نخيد/صبرنا

شكل 08: القوّة الإنجازية للفعل التّعبيريّ.

### 03- الخوف:

معارضة الخواج للسلطة جعلهم محلّ تبعٍ ومطاردة، ومن الأمثلة التي عبّروا بها عن خوفهم:

- يقول "أبو بلال مرداس" لما ضيق عليهم "ابن زياد":<sup>1</sup> [الطويل]

01 فَقَدْ ضَيَّقُوا الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِرُحْبَهَا وَقَدْ تَرَكُونَا لَا نَقْرُ مِنَ الدُّعْرِ

يؤدّي الشاعر في هذا البيت فعلاً كلامياً تعبيرياً، له غرضٌ إنجازيّ يظهر في إعلان الخوف والتشكي من الحال التي ألوا إليها مع "ابن زياد"، قال: (فقد ضيقوا)، فعلٌ كلاميّ تفريريّ أقرّ المطاردة وتضييق الأماكن التي يهربون إليها، الأمر الذي جعلهم لا يهنأ لهم بال، قال: (لا نقر من الدّعر)، وفعل الخوف في الخطاب لا يتعلّق بالمتكلّم وحده، بل هو فعلٌ جمعيّ يشترك فيه جُنده الخواج.

وبتعبير الشاعر عن خوفه وعدم سكينتهم، فقد قام بفعلٍ إنجازيّ تداوليّ وهو التّعبير عن القضية التي أرقته، وبذلك حقّق به فعلاً تأثيرياً وهو تدمر/تشك من الوضع الذي هم فيه، فكان اتّجاه المُطابقة فارغاً في الخطاب، فالشاعر لا يريد التّأثير في المتلقّي، وقد عبّر بصدقٍ عن ما يُخالج نفسه من دّعر خلفه "ابن زياد".

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصّفحة نفسها.

#### 04- رَفْضُ الْجُورِ:

- يقول "عيسى بن فاتك" لما عدلّه أصحابه لأنه يدّم السلطان مخافة أن يؤخذوا بحيرته: <sup>1</sup> [الطويل]

01 أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ إِنْ مُتُّ رَاضِيًا بِحُكْمِ عُبَيْدِ اللَّهِ ذِي الْجَوْرِ وَالْعَدْرِ

02 وَأَخَذَرُ أَنْ أَلْقَى إِلَهِي وَلَمْ أَنْعُ ذَوِي الْبَغْيِ وَالْإِلْحَادِ فِي جَحْفَلٍ مَجْرٍ

يُصرِّحُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْخِطَابِ بِخَوْفِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ مَاتَ مُقَرًّا بِحُكْمِ "عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ" ذِي الظُّلْمِ وَالْعَدْرِ، وَبِذَلِكَ يَنْصَرِفُ مَعْنَى الْخِطَابِ إِلَى رَفْضِ الْجَوْرِ وَالْبُوحِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْخَوْفِ، قَالَ: (أَخَافُ اللَّهَ)، فَعَلُّ تَعْبِيرِيٍّ مَضْمُونُهُ خَرَجَ إِلَى الْإِنْكَارِ، وَبِخَوْفِ الشَّاعِرِ فَقَدْ أَفْصَحَ وَعَبَّرَ عَنْ حَيْرَتِهِ، فَالسِّيَاقُ سِيَاقُ تَعْبِيرٍ عَنِ الْخَوْفِ، وَهَذَا الْخَوْفُ مَبْنِيٌّ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ، وَكَأَنَّا بِالشَّاعِرِ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِحُكْمِ "عُبَيْدِ اللَّهِ"، وَبِهَذَا يَكُونُ الْفِعْلُ الْإِنْجَازِيُّ هُوَ التَّعْبِيرُ عَنِ قَضِيَّةِ طَرَحِهَا الشَّاعِرُ وَهِيَ رَفْضُ حُكْمِ الظُّلْمَةِ، وَالْفِعْلُ التَّأْتِيرِيُّ هُوَ الْخَوْفُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ مَاتَ رَاضِيًا بِحُكْمِهِمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ أَوْ يُقَاوِمَهُمْ.

وَالشَّاعِرُ فِي هَذَا الْخِطَابِ يُعَبِّرُ بِكُلِّ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ عَنِ مَوْقِفِهِ وَهُوَ يَقْصُدُ ذَلِكَ، فَالْقَضِيَّةُ عَقْدِيَّةٌ عِنْدَ الشَّاعِرِ شَبِيهَةٌ بِالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُ مُقَاوَمَةَ الظُّلْمَةِ وَاجِبًا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ إِنْ أَقَرَّ بِهِ أَوْ تَرَكَه.

#### 05- حُبُّ الدُّنْيَا:

- يقول "عمران بن حطان" يُخَبِّرُ فِي دَعْوَةٍ صَرِيحَةٍ بِأَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْحِرْصَ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ فِيهَا مَرَجَعُهُ

لصاحب الأمر سبحانه: <sup>2</sup> [الوافر]

01 أَرَانَا لَا نَمَلُ الْعَيْشَ فِيهَا وَأُولَعْنَا بِحِرْصٍ وَانْتِظَارِ

02 وَلَا تَبْقَى وَلَا تَبْقَى عَلَيْهَا وَلَا فِي الْأَمْرِ نَأْخُذُ بِالْخِيَارِ

03 كَرَكِبِ نَازِلِينَ عَلَى طَرِيقِ حَشِيثِ رَائِحٍ مِنْهُمْ وَسَارِي

يُقَدِّمُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْخِطَابِ مَشْهَدًا لِتَهَافُتِ النَّاسِ عَلَى الدُّنْيَا، مُوَظِّفًا ضَمِيرَ الْجَمْعِ الدَّالِّ عَلَى الْإِشْتِرَاقِ، قَالَ: (أَرَانَا)، وَبِتَوْضِيحِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ التَّعْبِيرِيَّةِ (أَرَانَا، لَا نَمَلُ، أُولَعْنَا) يَكُونُ الْغَرَضُ الْإِنْجَازِيُّ لِلْخِطَابِ: الْأَسْفُ عَلَى حِرْصِ النَّاسِ عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَّةِ، فَالشَّاعِرُ يَحْزُنُ فِي نَفْسِهِ نِسْيَانُ دَارِ الْبَقَاءِ وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهَا، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُ يُفْصِحُ وَيَزْدَرِي الْحَيَاةَ وَيَزْهَدُ فِيهَا، وَهَذَا الْخِطَابُ يُعَبِّرُ أَيْضًا عَنِ صِرَاعِ نَفْسِيٍّ شَدِيدٍ بَيْنَ رَغْبَةِ الْعَيْشِ فِي حَيَاةٍ كُلِّهَا أَدَى وَسُوءِ، وَبَيْنَ الرَّغْبَةِ فِي الْمَوْتِ وَالْفُوزِ بِالْأَخْرَةِ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 70.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 172.

والمستقري لما نقل عن "عمران" من زهدٍ وورعٍ وإقبالٍ على الآخرة؛ يرى صدقه في الذي نقله من وصفٍ مشينٍ اعترى ففامًا من المجتمع الخارجي، وإخلاصه في ما حزَّ في قلبه من تغيُّرٍ في المجتمع الخارجي، وبذلك يكون قد حَقَّقَ في خطابه فعلاً تأثيرياً هو تذكيرُ النَّاسِ وتحذيرهم، وأنَّ الدنيا دارُ فناءٍ، وأنَّ الآخرة هي دارُ القرار.

#### 06- الفخر:

- يقول "قيس بن عبد الله الضبي" يفاخرُ بنفسه وصحبه: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 وَإِنَّا لَخَوَاضُونَ لِلْمَوْتِ غَمْرَةً عَلَى كُلِّ مَوَّارٍ رِقَاقٍ مَلَاطْمُهُ  
02 وَإِنَّا لَتُرْدِي بِالْأَكْفِ رِمَاحَنَا وَبُنَى بِهَا مِنْ كُلِّ مَجْدٍ مَكَارِمُهُ  
03 إِذَا دُعِرَتْ ذَاتُ الرِّمَاحِ جَرَتْ لَنَا أَيَّامُنُ بِالطَّيْرِ الْكَثِيرِ غَنَائِمُهُ

يُعَبِّرُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْخِطَابِ عَنْ خَلِجَاتِ نَفْسِيَّةٍ، فَهُوَ بِصَدَدِ الْإِفْتِخَارِ بِنَفْسِهِ وَصَحْبِهِ، قَالَ: (وَإِنَّا لَخَوَاضُونَ)، صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ أَرَادَ بِتَوْضِيحِهَا كَثْرَةَ خَوْضِهِمُ الْحُرُوبَ وَغِمَارَ الْمَوْتِ، وَارْتِبَاطُ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ بِالْمَاضِي جَعَلَهَا تَحْمَلُ قُوَّتَيْنِ إِنْجَازِيَّتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا عَامَّةٌ وَهِيَ الْفَخْرُ، وَأُخْرَى خَاصَّةٌ هِيَ الشَّجَاعَةُ، قَالَ: (وَإِنَّا لَخَوَاضُونَ)، وَالْقُوَّةُ، قَالَ: (وَإِنَّا لَتُرْدِي)، وَبِهَذَا يَكُونُ الْعَرْضُ الْإِنْجَازِيُّ فِي الْخِطَابِ شَحَذَ هِمَمِ الْأَصْحَابِ وَبَثَّ رُوحَ الْمُقَاوِمَةِ فِيهِمْ، وَجَعَلَ الْمُتَلَقِّي مِنْ الْأَعْدَاءِ يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ وَيَخْشَى لِقَاءَهُمْ، مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ قُوَّةَ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ تَكْمُنُ فِي التَّعْبِيرِ الْمُزْدَوِجِ عَنِ الْفَخْرِ وَبَيَانِ الْقُوَّةِ وَالْبَطُولَةِ، وَشَرَطُ الْإِخْلَاصِ حَاضِرٌ فِي الْخِطَابِ دَلَّتْ عَلَيْهِ كَثْرَةُ وَقَعَاتِهِمْ مَعَ السُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ، وَأَنَّ الْفِعْلَ التَّأثِيرِيَّ الْإِسْتِزْمَائِيَّ غَيْرَ الْمُبَاشِرِ دَاخِلَ الْخِطَابِ، تَحْذِيرِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ يَقْصِدُ ذَلِكَ.

#### 07- الدُّعَاءُ:

- قال "مرداس بن أديبة" بعد مقتل "عبد الله بن وهب الراسبي": <sup>2</sup> [الطويل]

- 01 أَبْعَدَ ابْنِ وَهْبٍ ذِي النَّزَاهَةِ وَالْتَقَى وَمَنْ خَاضَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ الْمَهَالِكَا  
02 أَحَبُّ بَقَاءٍ أَوْ أَرْجَى سَلَامَةً وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حَصْنٍ وَمَالِكَا  
03 فَيَا رَبِّ سَلِّمْ نَيْتِي وَبَصِيرَتِي وَهَبْ لِي التَّقَى حَتَّى الْأَقْيِ أَوْلِيكَا

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 140.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 172.

يُخبرُ الشَّاعِرُ في هذا الخطابِ بأنَّ لا عيشَ بعدَ مقتلِ خيرةِ رؤوسِ الخوارجِ، وأنَّه لا يُحبُّ البقاءَ أو السَّلَامَةَ بَعْدَهُمْ، والدُّعَاءُ في البيتِ الأخيرِ سُلُوكٌ يُعَبِّرُ عن حالةِ الشَّاعِرِ النَّفْسِيَّةِ في عدمِ رَغْبَتِهِ في البقاءِ، والشَّاعِرُ في قوله: "فيا ربِّ سلِّمْ، هَبْ لي" يسألُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْفَظَ لَهُ نَيْتَهُ الصَّادِقَةَ في اللَّحَاقِ بِهِمْ، وأنَّ لا يُحِيدُهُ عن طريقِ الحقِّ وأنَّ يجعلَ التُّقَى سلاحًا يُعِينُهُ حَتَّى يَلْقَى الأَخِيَارَ الَّذِينَ سَبَقُوهُ. ومنَّ نَمَّ فالقُوَّةُ الإنجaziةُ التي عَبَّرَتْ عنها الأفعالُ التَّعْبِيرِيَّةُ لِلخِطَابِ جَسَدَتْ أَلَمَ الشَّاعِرِ وحُزْنَهِ، وبدعائه فهو يَسْتَنكِرُ موتَ زعماءِ الخوارجِ، وَيَطْلُبُ العونَ مِنَ اللهِ لِيَثْبِتَ على طريقِ الحقِّ، فبالدُّعَاءِ عَبَّرَ عن نَيْتِهِ الصَّادِقَةِ وإخلاقِهِ في القضيَّةِ التي يسعى لأجلها، وهي قضيَّةُ البقاءِ على العهدِ حَتَّى يَلْقَاهُمْ شَهِيدًا مُقْتَفٍ لِأَثَرِهِمْ.

### 08- التَّاسُفُ/النَّدَمُ:

- يقول "عمران بن حطان" يَأْسَفُ على ما يَفُوتُ المرءَ: <sup>1</sup> [الطَّوِيل]

01 يَأْسَفُ الْمَرْءُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ لُبَانَاتٍ إِذَا لَمْ يَفْضِهَا

02 وَتَرَاهُ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا بِأَلْتِي أَمْضَى كَأَنَّ لَمْ يُمْضِهَا

03 عَجَبًا مِنْ فَرَحِ النَّفْسِ بِهَا بَعْدَ مَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قَبْضِهَا

جوهرُ خطابِ "عمران" مبنيٌّ على النَّدَمِ على حاجاتِ (لُبَانَاتٍ) فَاتَتِ الإنسانَ ولم يَقْضِهَا وضاعتْ منه، وخاصَّةً إِذَا عَلِمَ أَنَّ الخوارجَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حِرْصًا على استثمارِ الوقتِ في الطَّاعَةِ، وندمٌ/تأسفٌ الشَّاعِرِ وإنَّ لَمْ يُصرِّحْ بذاته واستعملَ لفظَةَ "المرءَ"، إلاَّ أَنَّهُ شَعُورٌ قاسٍ، مبنيٌّ على جلدِ الدَّاتِ وتأنيبها، وبذلك يَكُونُ الغرضُ الإنجaziُّ لخطابِ "عمران"، التَّعْبِيرُ عن مَوْقِفِ نَفْسِيٍّ تَعْبِيرًا تَوَفَّرَ فِيهِ شَرْطُ الإخلاقِ، لأنَّه يُقَدِّمُ حِكْمَةً جَاءَتْ على شَكْلِ نَصِيحَةٍ، ولا بدَّ لَهُ مِنْ صِدْقِ القَوْلِ والإخلاقِ فِيهَا لِيَكُونَ لها الأثرُ البالغُ في النُّفوسِ، وليسَ أَنجعَ مِنْ وَقَعِ الخِطَابِ على القُلُوبِ مِنَ الإتيانِ بهِ على مَجْرَى الحِكْمَةِ، لتَرْتَفِعَ هذه الأخيَرَةُ لتَكُونُ نَصِيحَةً نابعةً مِنْ صِدْقِ تجاربِ الشَّاعِرِ، ويُحَدِّثُ في الوقتِ ذاته مِنْ أَنَّ الَّذِي مَضَى لَنْ يَنْفَعَ مَعَهُ النَّدَمُ، والمُتَمَعِّنُ في الخِطَابِ يَجِدُ أَنَّ "عمران" حَمَلَ نَصَّهُ حَمُولَةَ التَّاسُفِ والنَّدَمِ، وحمولةً ثانيةً جَاءَتْ للتَّحذِيرِ وتقديمِ النَّصِيحَةِ، وبهذا يَكُونُ للخِطَابِ معنًى صريحٌ هو النَّدَمُ، وآخرٌ مُستلزمٌ هو التَّحذِيرُ على شَكْلِ نُصْحٍ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 175.

09- الترحم:

- يقول "العيراز بن الأحنس الطائي" يشكو فقد الأحبة من رؤوس الخوارج: <sup>1</sup> [الطويل]

01 إلى الله أشكو أن كل قبيلة من الناس قد أفنى الحمام خيارها

02 جرى الله زيدا كلما ذر شارق وأسكن من جنات عدن قرارها

يحمل الخطاب معنى قضيوا لحزن الشاعر، فالموت يقع على خيار الخوارج، والسبب طبعاً كثرة الحروب، وهو هاجس يؤرقه، قال: (إلى الله أشكو)، فعل تعبيرى دل على قصد الشاعر وحزنه على أصحاب العقيدة الواحدة، وبذلك يكون المعنى القضيوي للفعل في البيت الأول "الشكوى"، والدلالة الإنجازية تكمن في إبداء الأسف على فقد رؤوس الخوارج، قال: (أفنى الحمام خيارها)، ثم ينتقل في البيت الثاني ليضرب مثلاً على الأختيار الذي غيبهم الموت، وهو "زيد بن مالك بن كعب بن يزيد"، وقيل: "زيد بن حصن" <sup>\*\*</sup> صاحب أبي بلال، مترحماً عليه سائلاً له الله أن يحزبه جنة خلده، قال: (جرى، أسكن)، ليعبر بالفعلين عن غرض إنجازي هو ترحم مع حزن، وبذلك يكون الشاعر صادقاً في ما تلمظ به وعبر عنه (المحتوى القضيوي)، وأنجز قوة تأثيرية بالأفعال التعبيرية دلت إجمالاً على الحزن.

10- الشكوى:

- يقول "أحد الخوارج" لما انهزموا أمام جيش "المهلب" ودخلوا مدينة "جيزت": <sup>2</sup> [الطويل]

01 إلى الله أشكو كربة أن تفرجاً وهماً دخيلاً لا أرى منه مخرجاً

ولت الأزارقة منهزمين حتى دخلوا مدينة "جيزت" وحوصروا من طرف المهلب وجنده، فقام أحد الخوارج يعلن عن قلقه وخوفه، وأنشد هذا البيت، قال: (إلى الله أشكو)، فعل كلامي تعبيرى له غرض إنجازي يظهر في الشكوى، ولقد ورد فعل "الشكوى" بصيغة صريحة ومباشرة دلت على الخوف والهلع، وفعل الشكوى في الخطاب جاء لسبب الهم الذي لحق بالخوارج، قال: (..أشكو كربة)، وهذه الكربة لو لم تؤرقه لما جهر بها يسأل طالباً الفرج من الله، فكان الفعل التأثيري دالاً على خوف يصاحبه حزن على الوضع الذي أُلوا إليه، هي حيرة ممزوجة بالبحث عن مخرج لمصيبتهم، قال: (وهماً دخيلاً لا

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 46.

\* البلاذري: أنساب الأشراف، (ج 3)، ص 73.

\*\* إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 46.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 151.

أرى له مخرجًا)، أي: إنهم مُحاصرون ولا أمل لهم للنجاة، ولبیان القوة الإنجازية لهذا الخطاب التعبيري؛ نرسم الجدول الآتي:

الفعل القولِي	الفعل القضي	الفعل الإنجازي	شرط الفعل القضي	الغرض الإنجازي
إلى الله أشكو	شكوى/حزن	حزنٌ وخوف	الإخلاص/الصدق	التعبير عن موقف نفسي

شكل 09: القوة الإنجازية للفعل التعبيري.

**11- التذكُر:** جاء التذكُر ليعبر عن كلِّ ما في وجدان شعراء الخوارج من أحاسيس تُجاة ذكرِ الأصحاب، وهذا التذكُر دافعٌ يُحرِّكُ النفسَ لتمِّي اللِّحاقِ بالصَّحْبِ، ومن الأمثلة على ذلك:

- قال "الأصمُّ الضبي" بعد أن فقدَ بصره ومَرَّ بـ: "قومس" فقال لعامله: أيُّ موضعٍ هذا؟ فلمَّا أخبره أنشدَ هذا البيت: <sup>1</sup> [الطويل]

01 ذكُرْتُ الشُّرَاةَ الصَّادِقِينَ بِقَوْمَسٍ وَذِكْرِي لَهُمْ مِمَّا يُهِيجُ شُجُونِي

يستدكرُ الشَّاعرُ إخوانه الذين قَضَوْا نَجَبَهُم بِمَعْرَكَةِ "قَوْمَس"، وقد دلَّ الفعلُ "ذكُرْتُ" على إنجاز بُكاءٍ ومواساةٍ لفقده أناسًا لهم مكانة في قلبه، والشَّاعرُ بهذا الخطابِ يُواسي نفسه، فمجرد سماع لفظة "قومس" تذكُرُ صحبه، فالمكانُ كانَ المؤثِّرَ للتعبيرِ عن حالةٍ شعوريةٍ انتابته لَمَّا رَبَطَ المكانَ بالصَّحْبِ، وهو تعبيرٌ لا شكَّ توفَّرَ فيه شرطُ الإخلاصِ، فذكرَ الشَّاعرُ للشُّرَاةِ آثارَ أحزانه، قال: (يُهِيجُ شُجُونِي)، فعلٌ تعبيرِيٌّ دلَّ على حالةٍ نفسيةٍ ثائرة، وهذا الإحساس صادقٌ، لأنَّه يُعبِّرُ عن حالةٍ بُكاءِ الإخوانِ، وبذلك يكونُ الغرضُ الإنجازيُّ للخطابِ التذكُرِ، والقوةُ الإنجازيةُ هي التعبيرُ بفعلِ التذكُرِ عن قضيةٍ نفسيةٍ توفَّرَ فيها شرطُ الصدقِ الذي نجدُ "سيرل" قد ربطه لتحديدِ الغرضِ الإنجازيِّ للأفعالِ الكلامية.

ترتبطُ الأفعالُ الكلاميةُ في صنفِ التعبيراتِ/البوحياتِ بالمتكلمِ دون غيره -غالبًا-، فهي في الأصلِ تعبيرٌ عن مواقفٍ وخلجاتٍ نفسيةٍ، ما يدلُّ على أنَّ إنجازيةَ الفعلِ التعبيريِّ تأتي مَقْرُونَةً بمواقفٍ ذاتيةٍ خاصةٍ إذا كان الفعلُ الكلاميُّ تذكُرًا، ندمًا، خوفًا أو فخرًا، ويشتركُ فيها المُتلقِي إذا كانت الأفعالُ من قبيل: التعزية، الشُّكر، اللُّوم والتَّهديد، إذ لا يُمكنُ أن يُغيَّبَ الطرفُ الثاني/المُخاطَبُ في هذا الصَّنْفِ من الأفعالِ، والتَّعبيراتِ في الخطابِ الشعريِّ الخارجِيِّ مع كثرتها وتنوعها، فقد أدَّتِ الغرضَ الإنجازيِّ بنجاح.

\* قَوْمَس: والتَّعْرِبُ قَوْمَس، مَدِينَةٌ فِي طَبْرِسْتَانَ بِيلاَدِ فَارِسَ، مِنْ أَشْهَرِ مُدُنِهَا "بَسْطَام"، كَانَ بِهَا الْعَدِيدُ مِنَ الْوَقَائِعِ وَخُرُوبِ الْخَوَارِجِ، أُنْتَحَى إِلَى حَصْنِهَا هَلَالُ الْيَشْكُرِيِّ فِرَارًا مِنْ جُنْدِ بَنِي أُمَيَّةَ. / ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ج 4)، ص 470.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 140.

**05- الإعلانات:** ويُطلق عليها التصريحيات، وهي الصنف الخامس ترتيباً حسب "سيرل"، ويتمثل أداء هذه الأفعال الناجح في مطابقة محتواها القضيوي للعالم الخارجي، ويلاحظ عليها أن اتجاه المطابقة فيها مزدوج، بمعنى: من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص<sup>1</sup>، وهدفها التأثيري هو: "إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التلقظ بها"<sup>2</sup>، والملاحظ على أفعال هذا الصنف أنها جاءت قليلة مقارنةً بالأصناف الأخرى، وبعد التتبع؛ فهذه أبرز الأفعال التصريحية حضوراً بالمدونة:

**01- التبرؤ:** من الأفعال الكلامية التي تدخل تحت باب "الإعلانيات"، التبرؤ، والذي يندرج ضمن باب الأحكام والقرارات، ومن الأمثلة عليه في هذا الباب:

- قال "المصل/المصك الطائي" لما أخطأ قتل "سيف بن هاني" وقدم للقتل<sup>3</sup>: [البيسط]

01 يا لهف نفسي على سيف وشيعته لو كنت ألحقت سيفاً بالخيثينا

02 أبراً إلى الله من سيف وشيعته ومن علي ومن أصحاب صفينا

03 ومن معاوية الغاوي وشيعته أخزي إله الوري تلك العثانينا

يتحسّر الشاعر بدايةً على عدم الظفر بـ: "سيف بن هاني" أكبر المحرضين على قتال الخواج بمدينة الفلوجة وقتله، معلناً براءته منه ومن كل مخالف لأمر الله، قال: (أبراً) وأصلها (أبراً) وهو فعل كلامي حسب تصنيف "سيرل" يندرج ضمن التصريحيات، فاعله ضمير مستتر تقديره "أنا"، ومرجعه الشاعر/ المتكلم، والفعل الكلامي قد أنجز عند تلقظ المتكلم به، حيث وقع الفعل صراحةً، وبذلك يكون الغرض الإنجازي للفعل "أبراً" إعلان الخلاص التام من كل ما قد يربط بينه وبينهم ولو بشكل غير مباشر، وهذه البراءة تمتد من حاضر الشاعر إلى قضية التحكيم، أما أداء فعل الإعلان الناجح فيمنثل في الجهر بالبراءة من المخالفين، بمعنى أنه المحتوى القضيوي للفعل طابق العالم الخارجي، ولبيان العناصر التداولية للفعل الإعلاني/التصريحي؛ ترسم الجدول الآتي:

الفعل الإعلاني	الغرض الإنجازي	اتجاه المطابقة	شرط الإخلاص	نمط الإنجاز
التبرؤ من سيف وشيعته	إعلان الشاعر لفعل التبرؤ.	مطابقة مزدوجة	لا يحتاج هذا الصنف إلى شرط الإخلاص	بتوفر الشروط السابق؛ يكون أداء الفعل ناجحاً

<sup>1</sup> محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50.

<sup>2</sup> جون سيرل: العقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ص 219.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخواج، ص 202.

02- إعلان المخالفة:

- قال "مسلم بن جبير" في مخالفة قومه للمنهج السليم: <sup>1</sup> [الطويل]

01 خالفت قومي في دينهم خلاف صبا الريح جاءت جنوبا

02 أرجي الإله وغفرانه ويرجون درهمهم والجريبا

أراد "مسلم" قتل "أبي فديك عبد الله بن ثور القيسي" لمخالفته "نجدة بن عامر" محرّض الخوارج عليه، ودعوتهم للإقبال على الدنيا وأن يظفروا بالعنائم<sup>2</sup>، فلما لم يقدر عليهم؛ فارقهم، وقد أعلن ذلك صراحةً، قال: (خالفت قومي)، فعلٌ يحمل دلالةً على أن "مسلمًا" أنجز فعلاً إيقاعياً، هو إعلان المفارقة، فراق الأهل الذين: (يرجون درهمهم والجريبا (المزارع))، وينكصون على الغاية التي خرج لأجلها أسلافهم وقامت عليها دعوتهم، فمخالفة القوم في دينهم الذي ارتضوه منهجاً يخالف عقيدتهم الأصل، جعلت الغرض الإنجزي للفعل الكلامي البراءة من سوءة فعاليهم، وتوفّر نيّة المفارقة والمخالفة صراحةً، فقد تحقّق شرط الإخلاص والقصد، إذ إن الفعل التصريحي أنجز عند تلغّظ المتكلم به، ووقع فعل المخالفة/المفارقة، وإعلان المفارقة، يكون الغرض التأثيري للفعل الإنجزي توثيق الصلة بين العبد وربّه أولاً، والدليل قوله: (أرجي الإله وغفرانه)، وعدم الرضا والإقرار بمخالفتهم المنهج ونصب العداء لزعماء الخوارج ثانياً، وبهذا فالملاحظ على هذا الخطاب توفّر جميع شروط الفعل الإعلاني، وقد تحقّق بنجاح.

03. الفخر بالمكّون الديني:

- قال "عيسى بن فاتك" لما تفشّت عقليّة الفخر بالأنساب بين قومه: <sup>3</sup> [الوافر]

01 أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا فخرؤا ببيكر أو تميم

02 دعوي القوم ينصّر مدعيه ليحقه بذئ الحسب الصميم

03 وما حسب ولو كرمت غروق ولكنّ التقي هو الكريم

يعلن الشاعر في خطابه رفضه لدعوى الجاهليّة، وإن لم تأت بفعل كلامي صريح في ذلك؛ إلا أن سياق الجملة الإسميّة: (أبي الإسلام لا أب لي سواه) قد عوضت الفعل ودلّت على الإعلان، وإن شئت قلت إن السياق قد دلّ على ذلك أيضاً، وقد يكون الفعل الكلامي مضمراً، وتقدير الكلام: أعلن/أصرح

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 97، 98.

<sup>2</sup> البلاذري: أنساب الأشراف، (ج 5)، ص 168.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 72.

بأن أبي الإسلام ولا أبتغي ديناً غيره، ما يدل على أن المتكلم يعلن العداء لهذه الدعاوى التي تفرق الأمة ولا تحمها، وبذلك يكون العرض الإنجزي للخطاب نبد التغي بالفرقة المقيمة، ويصرح بأنه إذا اعتزى غيره إلى قومه وانتمى في الشرف إليهم، فهو معتز إلى الإسلام، منتم في الشرف إليه، وبهذا التصريح فإن القوة الإنجزي التي تحققت في الخطاب نستشئها من خلال إعلان الفخر بالإسلام، وبذلك فقد أحال ذهن المتلقي إلى قضية جوهرية هي تعافل فئام من مجتمع الخارجي عن أنه لا عزة إلا بالإسلام وفي الإسلام، وأن معيار التفاوت، التقوى. وعليه يستنتج أن الشاعر صادق مخلص في إعلانه وطرحه.

#### 04- الحرب والمسالمة:

- قال "فروة الأشجعي" في سخطه على طرقي النزاع يوم "صفين":<sup>1</sup> [الوافر]

01 نقاتل من يقاتلنا ونرضى بحكم الله لا حكم الرجال

02 وفارقنا أبا حسن علياً فما من رجعة أخرى الليالي

صدر الخطاب من سلطة معترف بها عند الخوارج، وهو الزعيم الخارجي "فروة بن نوفل"، قال: (نقاتل من يقاتلنا)، أي: لا نبتدئ القتال إلا إذا حورينا، وهذه الأفعال تدل على قرارات آنية تحيل على الاستمرار مادام الخصوم يحاربونهم، والمتفحص لجوهر الخطاب يجده حوى ثلاثة أصناف كلامية، هي: الإخبار، الالتزام والإعلان، وبذلك يكون العرض الإنجزي للفعل "نقاتل" التأكيد على المسالمة ما لم يبادر الأعداء - حسبه - بقتالهم.

ومع هذه المسالمة إلا أنه غير راض على قبول التحكيم وأن الحكم لله، معلناً في البيت الثاني أنهم مفارقون لعلي عليه السلام، قال: (فارقنا)، فراق صعبة ودين، لأنه أراد الفتك بهم أولاً، وقبوله برأي الرجال في دين الله ثانياً، ومنه تكون القوة الإنجزي لهذه الأفعال: (نقاتل، يقاتلنا، فارقنا) الالتزام بأمرين:

- لا نقاتل إلا من يقاتلنا. - قضية التحكيم في الأصل ضلال، وإننا لا نرضى بحكم الرجال في دين الله.

#### 05- التهيج في الحرب:

- قال "عبدة بن هلال اليشكري" في إعلان الحرب والاستماتة في الدفاع عن الخوارج:<sup>2</sup> [الرجز]

01 إنني لمذك للشرة نارها

02 ومانع ممن أتاه دارها

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 56، 57.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 111.

03 وَغَاسِلٌ بِالطَّعْنِ عَنْهَا عَارَهَا

04 حَتَّى أَقْرَّ بِالْقَنَا قَرَارَهَا

تَضَمَّنَ النَّصُّ فِعْلاً كَلَامِيًّا إِعْلَانِيًّا جَاءَ فِي سِيَاقِ الْحَرْبِ وَالْمُقَاوَمَةِ، قَالَ: (وإِنِّي لَمُذَكِّ) أي: مُشْعِلٌ نَارَ الْمُقَاوَمَةِ وَبِاتَّ رُوحَ الْقِتَالِ فِي الْخَوَارِجِ، وَهُوَ بِهَذَا التَّصْرِيحِ قَدْ حَمَلَ عَلَى عَاتِقِهِ عَهْدَ الْإِنجَازِ، مَعَ تَأْكِيدِ الْعِزْمِ وَالثَّبَاتِ، فَهُوَ سَيَبْقَى مُذَكِّيًا لِنَارِ الثَّوْرَةِ ضِدَّ الْأَعْدَاءِ وَمُدَافِعًا عَنْ عَقِيدَتِهِ.

وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ اسْمَ الْفَاعِلِ الدَّالَّ عَلَى الْإِلْتِزَامِ، قَالَ: (وَمَانَعٌ) أَي: إِنَّهُ مُدَافِعٌ عَلَى حِمَى قَوْمِهِ، وَبِذَلِكَ فَقَدْ اسْتَصْعَرَ الْعَدُوَّ وَاسْتَضَعَّفَهُ، وَقَدْ حَمَلَ تَوْظِيفَ اسْمِ الْفَاعِلِ (غَاسِلٌ بِالطَّعْنِ) مَعْنَى الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ، مُنْتَقِمًا لِمَا أَحَقَّهُ الْمُهَلَّبُ مِنْ هِزَائِمٍ بِالْخَوَارِجِ، وَأَمَّا فِعْلاً الْإِعْلَانِ وَالْإِلْتِزَامِ، فَالشَّاعِرُ قَدْ عَبَّرَ بِهِمَا عَنْ غَرَضٍ إِنْجَازِيٍّ هُوَ الْمُقَاوَمَةُ وَالْحَرْبُ إِلَى أَنْ يَنَالَ الْخَارِجِيُّ غَايَتَهُ، أَمَّا بِالنَّظَرِ إِلَى شَرْطِ الْإِخْلَاصِ فِي الْخِطَابِ، فَهُوَ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ، فَالشَّاعِرُ الْمُحَارِبُ يُدَافِعُ عَنْ أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ وَجُنْدِهِ، وَمَا إِعْلَانُهُ وَالتَّزَامُهُ بِالِدَّفَاعِ عَنْهُمْ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ قَصْدِهِ.

وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ فِي هَذَا الصَّنْفِ، إِنَّ الْإِعْلَانِيَّاتِ/التَّصْرِيحِيَّاتِ/الْإِيقَاعِيَّاتِ، مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ، تُوظَّفُ فِي إِطَارِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصِلِيَّةِ، غَرَضُهَا الْإِنْجَازِيُّ إِحْدَاثُ تَغْيِيرٍ فِي الْعَالَمِ بِالتَّلْفُظِ بِهَا، وَهِيَ كِبَاقِي الْأَصْنَافِ تَأْتِيْرًا، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَنْلِ نَصِيْبًا كَافِيًّا فِي شِعْرِ الْخَوَارِجِ، وَالمُسْتَبَعُ ل: "شِعْرُ الْخَوَارِجِ"، يَجْدُ أَنَّ الدِّيْوَانَ قَدْ حَفَلَ بِمَجْمُوعِ الْأَصْنَافِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ، مَعَ تَفَاوُتٍ فِي دَرَجَاتِ تَحْلِيلِهَا دَاخِلَ الْمُدَوَّنَةِ.

## خلاصة الفصل:

لقد وضع "أوستين" اللبنة المنهجية لنظرية الأفعال الكلامية، ثم ما لبث أن أقرّ بقصورها، وجاء بعده تلميذه "سيرل" فطورها محدثاً فرقاً جوهرياً بين تصنيفه وتصنيف أستاذه من حيث الترتيب والمنهجية وقوة الأفعال الإنجازية، وتطبيق هذه النظرية على الخطاب الأدبي الشعري سهل الكشف عن المعاني المباشرة والمستلزمة، والتي حملتها الأفعال الإنجازية عند الخوارج، وبيّنت مقاصدهم وما تُحدثه من تأثيرات على المُتلقي، وبعد الوقوف على البعد التداولي للأفعال الكلامية وإبراز مقاصد شعراء الخوارج، مع تسليط الضوء على بيان القوة الإنجازية، فقد أسفر الفصل عن النتائج الآتية:

- 01- الأفعال الكلامية ركيزة أساسية في البحث التداولي.
- 02- إن ما جاء به "سيرل" في تصنيف الأفعال بحسب قوتها الإنجازية، لا يختلف عن ما تناوله العرب في وظائف اللغة الأساسية، كوظيفة الإنفعال ووظيفة التعبير.
- 03- تنوعت الأفعال الكلامية في خطاب شعراء الخوارج، مع تفاوت في درجات التجلي، فكان الحضور مكثفًا للإخباريات/التقريريات التي جاءت ناقلةً لأخبارهم وبطولاتهم وصراعاتهم مع السلطة.
- 04- دلّت الأفعال التعبيرية على حالة الخوارج النفسية المتأثرة الناقمة على أوضاعهم المتأزمية.
- 05- اعتمد شعراء الخوارج في توصيل مقاصدهم على توظيف مزدوج للأفعال، المباشرة منها والمستلزمة.
- 06- تنوعت أغراض الأفعال الكلامية بحسب السياقات العامة للخطاب والدلالات التي تحددها ظروف التواصل.
- 07- أسهمت الأفعال الكلامية في الخطاب الشعري في توجيه المُتلقي نحو الفعل وتحقيق التفاعل.
- 08- طبيعة الخطاب الشعري الخارجي تأثيرية، والتلميح الوارد في خطابهم أبلغ من التصريح في تبليغ المقصود.
- 09- كان حضور الأفعال الإعلانية في المدونة قليلاً، وهذا لإنعدام السياق/المقام الموجب لهذه الأفعال وتمثلها.
- 10- للسياق الدور الرئيسي في تحديد مقاصد الخطاب الشعري الخارجي.

<b>الفصل الرابع: الإستلزام التخاطبي في شعر الخواج</b>
توطئة
المبحث الأول: منطلقات نظرية الإستلزام التخاطبي
المطلب الأول: الإستلزام التخاطبي (المفهوم، التأسيس والخصائص)
أولاً. الحد والتأسيس والخصائص
01. الحد والتأسيس
02. سمات/خصائص الإستلزام التخاطبي/الحواري
ثانياً- تمظهر قواعد التخاطب في شعر الخواج
01. مبدأ التعاون (Grise)
02. مبدأ التأذب (Robin Lakkof)
03. مبدأ الوجه (Brown and Levinsion)
04. مبدأ التأذب الأقصى (Leach)
05. مبدأ التصديق (طه عبد الرحمان)
ثالثاً- آليات العُدول في التخاطب (نماذج)
01. الإستلزام التخاطبي في بُني الإستعارة والتشبيه
أ- الإستعارة
ب- التشبيه
02. العُدول في بُني التَهْكُمْ والمُبَالِغَة
أ- التَهْكُمْ
ب- المُبَالِغَة
المبحث الثاني: الوعي البلاغي بمفهوم الإستلزام الحواري
أولاً: الإستفهام.
ثانياً: الأمر والنهي
ثالثاً: النداء والتَمَتِّي

## تَوْطِئَةٌ:

شَعَلَتْ قَضِيَّةُ الْمَعْنَى الْعُلَمَاءَ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَاهْتَمَّ بِهَا الْبَاحِثُونَ الْمُعاصِرُونَ، فَدَرَسُوا قَضِيَّةَ الْمَعْنَى بِشَكْلِ عَامٍّ، وَقَضِيَّةَ الْمَعْنَى الشَّوَانِي -غَيْرِ الْحَقِيقِيَّةِ- بِشَكْلِ خَاصٍّ، وَحَاوَلُوا اكْتِشَافَ مَا تَرْمِي إِلَيْهِ، فَسُنُّوا النَّظَرِيَّاتِ لِدرَاسَتِهَا وَالبَحْثِ فِي دِلَالَتِهَا، وَمِنْ تَلَكُّمِ النَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ، التَّدَاوِلِيَّةِ، وَالَّتِي تَهْتَمُّ بِاللُّغَةِ أَثْنَاءِ التَّوَاصُلِ، وَتَعْنَى بِالْمُتَكَلِّمِ وَمَقاصِدِهِ وَكَيْفِيَّةِ إِبلاغِهَا وَتَوْصِيلِهَا، وَمِنْ الْأَلْيَاتِ الْمُتَخَصِّصَةِ الَّتِي اهْتَمَّتْ بِمَحَالِ الْمَعْنَى الشَّوَانِي أَوْ الإِضْمَارِ فِي الْكَلَامِ؛ الإِستِلازَمُ التَّخاطِبيُّ.

وبهذا، لَمْ تَقِفْ نَظَرِيَّةُ الْأَفْعَالِ اللُّغَوِيَّةِ "عِنْدَ حُدُودِ الْمُحتَوَى الْقَضَوِيِّ (المعنى الحرِّيِّ) وَالقُوَّةِ الإِنجَازِيَّةِ الْمُلَازِمَةِ لِلتَّلْفِظِ، بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ الْحَدَّ إِلَى مَا يُعْرَفُ بِالإِستِلازَمِ، ذَلِكَ أَنَّ "بُولَ عَرَائِسَ" قَدْ لَاحَظَ أَنَّ حُمَلَ اللُّغَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ يُمَكِّنُ أَنْ تَدُلَّ فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ عَلَى مَعَانٍ أُخْرَى خَفِيَّةٍ غَيْرِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ الْقَضَوِيِّ"<sup>1</sup>، وَهنا يَتَدخَلُ الْقَارِئُ/المُتَلَقِّيُّ لِتَأْوِيلِهَا وَاسْتِئْتِاجَ مَعْنَاهَا، فَالنَّاسُ يَقُولُونَ أحيانًا ما لا يَقْصِدُونَ، وَالبَحْثُ فِي هَذَا الْبَابِ دَلِيلٌ عَلَى "قُدْرَةِ الإِستِلازَمِ التَّخاطِبيِّ فِي تَحْقِيقِ التَّوَاصُلِ وَنَجَاحِهِ، فَالتَّعَايِيرُ الخَطَابِيَّةُ مَهْمَا كَانَتْ الْأَوْضَاعُ الْمَقَامِيَّةُ الَّتِي تُنَجِزُ فِيهَا، فَهِيَ مُوجَّهَةٌ نَحْوَ الْأَخْرَى، نَحْوَ مُسْتَمِعٍ مُعَيَّنٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ حَيْثُ وَجُودِهِ الْوَأَقِيعِيَّ غَائِبًا"<sup>2</sup>.

وَشُعْرَاءُ الخَوارجِ وَإِيضًا مَقاصِدِهِمُ التَّوَاصُلِيَّةِ؛ قَدْ اسْتَمَرُّوا كُلَّ الْأَسَالِبِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُحَدِّمَ قَضِيَّتَهُمْ وَخِطَابَهُمْ، وَخَاصَّةً وَأَنَّ حُرُوبَهُمُ السِّيَاسِيَّةُ تُحْتَمُّ عَلَيْهِمْ غَالِبًا عَدَمَ التَّصْرِيحِ وَاللُّجُوءِ إِلَى التَّلْمِيحِ، وَبِذَلِكَ عَدَّتْ هَذِهِ الْأَسَالِبُ -الإِستِلازَمِ/التَّلْمِيحِ- أَدَاةً لِلتَّعبِيرِ عَنِ آرائِهِمُ الْعَقْدِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الْمُعْلَنَةِ مِنْهَا وَالْمُضْمَرَةِ، وَمَا تَقَدَّمَ طَرَحُهُ فِي هَذَا الْبَابِ، نَصُوعُ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

➤ ما مَفْهُومُ الإِستِلازَمِ التَّخاطِبيِّ عِنْدَ "عَرَائِسَ" وما أَبرَزُ خِصائِصِهِ؟

➤ كيفِ تَتَجَلَّى قِوَامُ التَّخاطِبِ فِي النِّصِّ الْأَدَبِيِّ؟

➤ وَإِلَآمٌ يُفْضِي خَرَقُ هَذِهِ الْقِوَامِ؟

➤ وَأَهْناكَ وَعِيٌّ بِلَاغِيٍّ عَرَبِيٍّ بِمَفْهُومِ الإِستِلازَمِ الْغَرائِسيِّ الْغَرَبِيِّ الْحَدِيثِ؟.

<sup>1</sup> حافظ إسماعيل علوي: التَّدَاوِلِيَّاتُ -عِلْمُ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ-، عَالَمُ الْكُتُبِ الْحَدِيثِ، الْأُرْدُنْ، (د ط)، 2014، ص 266.

<sup>2</sup> العياشي أدراوي: الإِستِلازَمُ الْحِواريُّ فِي التَّدَاوِلِ اللَّسَانِيَّةِ، مَنشُورَاتُ الْاِخْتِلافِ، دارُ الْأَمَانِ، الرِّبَاطِ الْمَغْرِبِ، (ط 1)، 2011، ص 24.

المبحث الأول – منطلقات نظرية الاستلزام التخاطبي (Conversational Implicature):

أولاً. الاستلزام التخاطبي (الحد، التأسيس والخصائص):

01. الحد والتأسيس: يُعدُّ الاستلزام التخاطبي/الحواريُّ واحدًا من أهمِّ الجوانبِ في الدرسِ التداوليِّ وأصقِّها بطبيعةِ البحثِ فيه، ترجعُ نشأتهُ إلى "المُحاضراتِ التي ألقاها "غرايس" بجامعة "هارفارد" سنة 1967م، والتي قدَّم فيها تصوُّره لهذا الجانبِ من الدرسِ اللُّغويِّ والأسسِ التي يقومُ عليها"<sup>1</sup>، ومنطلقُ هذه النظريةِ عند "غرايس": "إننا في بعض الأحيان نعي ما نقولُ حرفيًّا، وأحيانًا لا نعي ما نقولُ، بل نُضمِّرُ معنى آخرَ في خطابنا، فالأولُ يُسمَّى المعنى الطبيعي (Natural Meaning) والثاني يُطلقُ عليه بالمعنى غير الحقيقي (Non Natural Meaning)، ومن هذا الطرحِ خرجتُ فكرةُ الاستلزامِ الحواريِّ"<sup>2</sup>، حيثُ يبحثُ الاستلزامُ الحواريُّ عن العلاقةِ بين المُتكلمِ والمُخاطبِ، ويُحدِّدُ دلالاتِ الخطابِ عن طريقِ التفاعلِ بينهما، ففي هذه العمليةِ تُوجدُ معانٍ واضحة لا يحتاجُ المُخاطبُ إلى إعمالِ التفكيرِ للوصولِ إليها، وإنما هي معانٍ واضحة وصريحة، وبالمقابل، فهناك معانٍ غير صريحة ومُضمرة يُلقِيها الباطن، حيثُ تحتاجُ من المُتلقيِّ إلى إعمالِ التفكيرِ فيها، وهذه المعاني يعملُ الاستلزامُ الحواريُّ على الوقوفِ عليها وتفسيرها.

يُعنى الاستلزامُ التخاطبيُّ بدراسة "العلاقةِ بين بنية النصِّ وعناصرِ الموقفِ التواصليِّ التي ترتبطُ به بشكلٍ مُنظَّم، ممَّا يُطلقُ عليه سياق النصِّ"<sup>3</sup>، ولعلَّ الغاية التي يقومُ عليها الاستلزامُ هي "الفهمُ والإفهام" لأجلِ تحقيقِ التَّواصلِ النَّفعيِّ الجيِّدِ، ما يجعلُه يُوطدُ العلاقةَ بين المُتكلمِ والمُستمعِ ضمنَ قواعدِ تحفظُ الخطابِ وبذلك يكونُ ناجحًا وفعالًا ويضمِّنُ الاستمرارَ والتَّواصلَ.

إنَّ محورَ العمليةِ التَّواصليةِ هو المُتكلمُ، والأخيرُ لا يبني كلامه معزولاً عن العالمِ الخارجيِّ، أو عن المُخاطبِ بصورةٍ أحصَّ، بل "يبني خطابه على ضوءِ الفرضياتِ التي بناها مُسبقًا عن المُتلقيِّ، مُراعياً في ذلك شخصيةَ المُخاطبِ الثقافيَّةِ والفكريَّةِ والاجتماعيةِ وقدراته الفكريةِ على استنباطِ المعاني والاستدلالِ عليها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة للبحث اللُّغويِّ المعاصر، ص 32.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصَّفحة نفسها. بتصرُّف.

<sup>3</sup> صلاح فضل: بلاغةُ الخطابِ وعلم النصِّ، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 1990، ص 20.

<sup>4</sup> ليلي كادة: المُكوَّنُ التداوليُّ في النظرية اللسانية العربية – ظاهرة الاستلزام التخاطبي أمودجًا-، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012، ص 108.

أما بالنسبة لحدّ الإِستِلازَمِ، فالمُصطلح الرَّاجِعُ في الإِستِعمالِ في السَّاحَةِ اللُّغويَّةِ التَّداوليَّةِ هو: "الإِستِلازَمُ الحِواريُّ"، وهذا الأخير عرّفه "غرايس" بأنّه: "ما تَمَّ الإِتِّصالُ به أَكثَرُ مِمَّا قِيلَ، ولا يُعبَّرُ عن حقيقة القول"<sup>1</sup>، وعند "دومينيك مانغونو" هو: "مُحتوياتُ ضَمنيَّةٍ تداوليَّةٍ، أي: تلك الإِستِباطاتُ المُستخرجة مِنَ السِّياقِ مِنْ قِبَلِ المُتلقِّظِ"<sup>2</sup>، وقيل هو: "ما يرمي إليه المُتكلِّمُ بنحوٍ غيرِ مُباشرٍ، جاعلاً مُستَمعَهُ يتجاوزُ المعنى الظَّاهرَ لكلامه إلى معنى آخر"<sup>3</sup>، وهو بذلك إصدارُ المُتكلِّمِ لمعنى غيرِ صريحٍ مِنْ خلالِ كلامه (ضمنيّ)، وقيل: "هو شيءٌ يَعينيه المُتكلِّمُ، ويُوحي به ويقتَرِحه، ولا يَكُونُ جُزْءًا مِمَّا تَعينيه الجُملةُ بصورةٍ حرفيَّةٍ"<sup>4</sup>، ولعلَّ أوضَحَ حدِّ لمُصطلحِ الدِّراسةِ، قول "أحمد كنون": "الإِستِلازَمُ الحِواريُّ هو مقصدُ المُتكلِّمِ المُتولِّدِ عن المقامِ الكلاميِّ والذي لا تَحمله العبارةُ المنطوقة"<sup>5</sup>.

مما تقدّم، يتَّضحُ اتِّفاقُ التعرِيفاتِ على أن الإِستِلازَمَ التَّخاطِبيَّ هو ذلك المعنى الضَّمينيُّ الذي خُلِقَ داخلَ الحِوارِ دُونَ تصرِيحٍ، وذلكَ المعنى الآخرُ أو الضَّمينيُّ يَسْتوعِبُه المُتلقِّي بواِسطةِ دلائلٍ أو قرائنٍ تُبيِّنُ عن المعنى المقصُودِ، ولعلَّ سببَ تَبَيُّنِ البَحْثِ مفهومَ الإِستِلازَمِ التَّخاطِبيِّ بَدلَ الإِستِلازَمِ الحِواريِّ، لأنَّ الغالبَ على خِطابِ شِعْرِ الخَوارجِ التَّخاطِبُ لا الحِوَارِ.

## 02- سِمَاتُ/خصائصُ الإِستِلازَمِ التَّخاطِبيِّ/الحِواريِّ:

حسب "غرايس"، فالإِستِلازَمُ التَّخاطِبيُّ/الحِواريُّ يتَّصفُ بمجموعةٍ مِنَ السِّماتِ، هي:

1- القابليَّةُ للإِلغاءِ (*Defeasible*): ويحدثُ ذلكَ عندما يُضيفُ المُتكلِّمُ قولاً يسدُّ الطَّرِيقَ أمامَ المخاطَبِ، وهو في طريقه نحو الإِستِلازَمِ، أو يحاولُ دونه، فإذا قالتُ قارئةٌ لكَاتبٍ مثلاً: لَمَ أَقرأ كُلَّ كُتُبِكَ، فقدَ يَستِلازِمُ ذلكَ عندهُ أنّها قرأتُ بعضَها، فإذا أعقبتُ كلامها بقولها: الحقُّ أنّي لَمَ أَقرأ أيّ كتابٍ منها، فقدَ ألغتِ الإِستِلازَمَ<sup>6</sup>، وإمكانُ الإِلغاءِ هذا هو أهمُّ اختلافٍ بينَ المعنى الصَّريحِ والمعنى الضَّمينيِّ، وهو الذي يُمكنُ مِنْ أن يُنكرَ ما يَستِلازِمُه كلامه.

<sup>1</sup> البُعدُ التَّداوليُّ للمجازِ في كتابِ نَهجِ البلاغةِ، ص 161.

<sup>2</sup> دومينيك مانغونو: المُصطلحاتُ المفاتيحُ لتحليلِ الخِطابِ، ص 119.

<sup>3</sup> العياشي أدراوي: الإِستِلازَمُ الحِواريُّ، ص 18.

<sup>4</sup> صلاح إسماعيل: نظريَّةُ المعنى في فلسفة بول غرايس، الدَّارُ المصريَّةُ السَّعوديَّةُ، القاهرة، مصر، (د ط)، 2005، ص 78.

<sup>5</sup> أحمد كنون: التَّداوليَّةُ بينَ النَّظريَّةِ والتَّطبيقِ، دارُ النَّابغةِ، القاهرة، مصر، (د ط)، 2005، ص 256.

<sup>6</sup> يُنظر: محمود أحمد نحلة، آفاقُ جديدةٍ في البَحْثِ اللُّغويِّ المعاصرِ، ص 38.

ب- الاستلزام لا يقبل الانفصال (*Non Etachable*): والقصد أن الاستلزام الحوارية مُتَّصِلٌ بالمعنى الدلالي لما يُقال لا بالصيغة، فلا "ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى تُرادفها، ولعلَّ هذه الخاصية هي التي تُميِّز الاستلزام الحوارية عن غيره من أنواع الاستدلالات التداولية مثل الاقتضاء التخاطبي"<sup>1</sup>. فلو قُلت لأخيك الصغير:

- أنت: كُلْ على هذا النحو.

- هو: أنا لَنْ أكل على هذا النحو لأني متأدب.

الملاحظ تغيّر مفردات الخطاب، مع بقاء مُراد الخطاب، وهو الرّفْض.

ج- الاستلزام مُتغيّر باختلاف السياقات المقامية: فالمعنى الواحد يُمكن أن يؤدي إلى: "استلزمات مختلفة في سياقات مختلفة"<sup>2</sup>، فإذا سألت طفلاً يحتفلُ بيوم ميلاده مثلاً: كم عمرك؟ فهو طلبٌ للعلم، وإذا سألت السؤال نفسه لصبيٍّ في الخامسة عشرة، فقد يكون للتأنيب على تصرف سيء صدر منه، وإذا وُجّه لشخصٍ كبيرٍ ناضج، فقد يكون لحنه على تحمّل مسؤوليته بنفسه تجاه تصرفاته.

د- القابلية للتقدير (*Calculability*): بمعنى إننا نستطيع الوصول إلى المعاني المستلزمة بخطوات محسوبة، فلو قلنا: (خالداً أسد)، فالسّامع يفهم أن المتكلم يُضفي بعض صفات الأسد كالشجاعة والقوّة<sup>3</sup>.

ثانياً- تمّظهر قواعده التخاطب في شعر الخواج:

للاستلزام التخاطبي/الحواري مبادئ عدّة، عدّها محلّلو الخطاب قواعد وأسسا تحفظ الكلام والتفاهم بين الباطن والمستمع، وهي عديدة، وأشهرها مبدأ التعاون، والذي تتفرّع منه باقي المبادئ والقواعد.

01- مبدأ التعاون (المشاركة):

الهدف من مبدأ التعاون وضع أسس وقوانين مضبوطة للحوار، مُحترمة طرفي التواصل، وهذا المبدأ: "يفرض على الأشخاص المتخاطبين احترام القاعدة التي تواضعوا عليها، وهو يُشبه إلى حد بعيد وضع: الشاهد أمام القاضي، فعليه الإجابة عن كل سؤال، وإذا رفض ذلك سيكون مآله إلى ما لا تُحمد عقباه"<sup>4</sup>.

ويُركّز "غرايس" على قدرة مبدأ التعاون في توجيه أفعال المتكلم للدلالة على المقصود، حيث يُمارس ضغطاً على المتلقي، وقيداً خطابياً ولو بسيطاً من أجل توجيهه لفعلٍ مُعيّن في المستقبل.

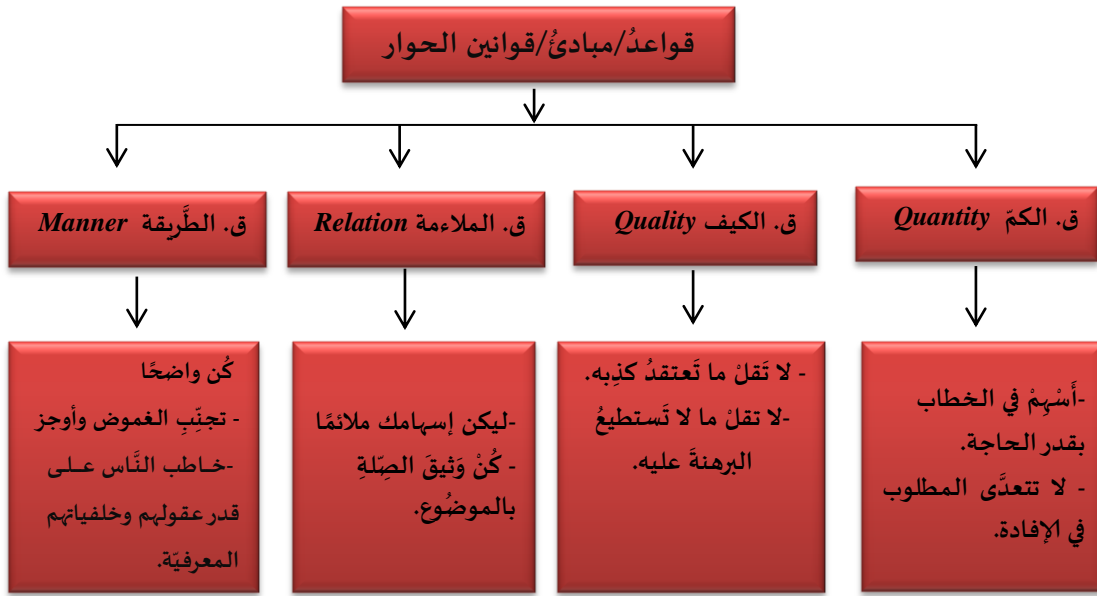
<sup>1</sup> المرجع السابق: الصّفحة نفسها.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصّفحة نفسها.

<sup>3</sup> عمر بلخير: تجلّي الخطاب المسرحي في ضوء النظريّة التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط 1)، 2009، ص 120.

<sup>4</sup> ينظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة غي البحث العربي المعاصر، ص 38.

فالقواعد التي تحتكم لها العملية الخطائية، هي التي تضمن وضوح الغاية، فالواجب على المعاني التي يتناقضها المتكلم والمخاطب، أن تكون صادقة وصریحة وحقیقیة<sup>1</sup>، وقد يحدث أثناء التخاطب أن يخالف المتحدثون هذه القواعد، لذا جاء "غرايس" بمبادئ على أساسها يضبط الحوار، والإخلال بأحد منها أو خرقه ينجم عنه: "الاستلزام الحواری"، فكل عملية تحاور بين الطرفين تحتكم إلى مجموعة من القوانين والقواعد، وقد جعلها أربعة: "Quantity, Quality, Relation and Manner"<sup>2</sup>، وستطرق إليها تباعا، ودونك مخططاً للقواعد مبسّطاً للتوضیح:



شكل 01: مخطط لقواعد التخاطب عند "غرايس".

#### 1- قاعدة الكم (Maxim of Quantity):

مقصود هذه القاعدة: "الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص أحد المتحاورين من مقدار الفائدة المطلوبة، وتتفرغ بدروها إلى:

- أفد المخاطب بقدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تفوق المطلوب"<sup>3</sup>، وقد لا يلتزم أحد المتخاطبين بمبادئ الحوار، وهنا لا بد أن يكون المتكلم فطناً ليصل إلى الانتهاك/ الخرق في عملية الحوار، والمثال الآتي يوضح هذا الطرح:
- الأستاذ: هل أنجزت البحث وحفظت القصيدة يا أحمد؟ - أحمد: أنجزت.

<sup>1</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 239.

<sup>2</sup> Paul Grice: Logic and Conversation, Studies in the way first Harvard university press paperback edition, London, 1991, p 26.

<sup>3</sup> العياشي أدراوي: الاستلزام الحواری، ص 19.

في هذا الحوار انتهاك جلي لقاعدة/ مبدأ الكم، فالأستاذ سأل هنا عن واجبين، وجواب الطالب كان أقل من المطلوب، وهنا لا بُدَّ للأستاذ أن يتفطن/ يفهم أنه لم يحفظ القصيدة، ولو أجاب بنعم لدخل شيء من المطلوب لم يقم به، وبذلك يكون جواب الطالب أقل من قدر السؤال، فحدث الخرق.

ومن نماذج خرق هذه القاعدة في شعر الخوارج:

- كُتِبَ "سميرة بن الجعد" لَمَّا فارقَ "الحجاج" والتحق بصحبه الخوارج قائلاً: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 فَمَنْ مُبْلِغُ الْحَجَّاجِ أَنْ سَمِيرَةَ      قَلَى كُلِّ دِينَ غَيْرِ دِينِ الْخَوَارِجِ  
02 رَأَى النَّاسَ إِلَّا مَنْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِ      مَلَاعِينَ تَرَائِينَ قَصَدَ الْمَنَاهِجِ  
03 فَأَيُّ امْرِيٍّ أَيُّ امْرِيٍّ يَا ابْنَ يَوْسُفٍ      ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ يَأْتِ غَيْرَ الْوَلَائِجِ  
04 يُسَائِلُنِي الْحَجَّاجُ عَنْ أَمْرِ دِينِهِ      وَلَيْسَ هَوَاهُ لِلصَّوَابِ بَوَاشِجِ  
05 فَأَضِلُّ بِهِ مِنْ وَاشِحٍ خَلَجَتْ بِهِ      عَنِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ إِخْدَى الْخَوَالِجِ

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ عَنِ مُفَارَقَتِهِ "الْحَجَّاجَ"، وَأَنَّهُ كَارَهُ/حَاقَدًا/بَاغِضًا لِكُلِّ عَقِيدَةٍ غَيْرِ عَقِيدَةِ الْخَوَارِجِ، فَهُوَ لَنْ يَتَّبِعِي دِينًا غَيْرَ مَا يَدِينُ بِهِ الشُّرَاةَ، لِيَنْتَقِلَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ مُسَاءَلَةِ الْحَجَّاجِ لَهُ عَنِ أَمْرِ دِينِهِ، لِيُجِيبَ بَأَنَّ الْحَجَّاجَ صَاحِبُ هَوَى، وَهُوَ هَوَاهُ قَدْ جَانَبَهُ الصَّوَابَ، لِيُصْرِّحَ فِي الْأَخِيرِ أَنَّ الْحَجَّاجَ ضَالٌّ خَارِجٌ عَنِ الْإِسْلَامِ. إِنَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي قَدَّمَهَا "سميرة" لَا تُضَيِّفُ شَيْئًا لَا لِلْمُخَاطَبِ/الْمُتَلَقِّي وَلَا لِغَيْرِهِ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ يَقِينًا عداوة الْحَجَّاجِ لِلْخَوَارِجِ وَالْعَكْسَ، وَبِمَا أَنَّهُ مُخَالَفٌ لَهُمْ؛ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ دِينِهِمْ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الشَّاعِرُ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ، وَفِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ أَخْبَرَ عَنِ الْمُسَاءَلَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُقَدِّمِ الْجَوَابَ لِلْمُسْتَمْعِ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مُبْهِمًا، وَبِذَلِكَ خَرَقَ أَصْلَ الْقَاعِدَةِ فِي إِفَادَةِ الْمُخَاطَبِ عَنْ مَا تَمَّ طَرْحُهُ، وَقَدْ لَجَأَ الشَّاعِرُ لِهَذَا الْخَرْقِ لِعَرَضِ بَيَانِ ضَلَالِ الْحَجَّاجِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْحَقِّ.

- وَقَالَ "أَحَدُ الْخَوَارِجِ" يَرْتَجِزُ فِي حُرُوبِهِمْ مَعَ "الْمُهَلَّبِ": <sup>2</sup>

- 01 اللَّيْلُ لَيْلٌ فِيهِ وَيْلٌ وَيْلٌ  
02 وَسَالَ بِالْقَوْمِ الشُّرَاةِ السَّيْلُ

يَرْتَجِزُ الشَّاعِرُ مُخْبِرًا عَنِ وَقَعَاتِهِمْ مَعَ الْمُهَلَّبِ وَأَنَّهَا كَانَتْ كُلُّهَا بِاللَّيْلِ، وَأَنَّ اللَّيْلَ تَكَثَّرَ فِيهِ الْوَيْلَاتُ، وَبِهَذَا الْإِخْبَارِ؛ فَقَدْ انْتَهَكَ الْمُتَكَلِّمُ الْخِطَابَ، فَتَحْصِيلُ الْحَاصِلِ، آيَةُ خَرَقَ بِهَا الشَّاعِرُ الْأَصْلَ الْأَوَّلَ مِنْ مَبَادِي الْكَمِّ، وَالَّذِي يَقْضِي بَأَنَّ بُجْعَلَ الْمُسَاهِمَةُ تَتَضَمَّنُ أَحْبَابًا كَافِيَةً، كَأَنَّ تَقْوَلَ مِثْلًا: (السَّعَادَةُ هِيَ

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 136.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 153.

السعادة)، فهذه الآلية: "تفتقر إلى قيمة الإبداع، إذ كيف يُخبر عن شيءٍ/أمرٍ معلوم عند المخاطب"<sup>1</sup>، وبذلك يكون المخاطب لم يُغد ولم يحو كلامه قيمة بلاغية.

ولم يكتف الشاعر بإيراد آلية "تحصيل الحاصل"، بل وظف التوكيد اللفظي لتأكيد خبره، قال: (ليل، ويل)، والتوكيد "قد زاد من هذا الإنتهاك الذي أكد به تحصيل الحاصل بما هو معلوم للمخاطب، وهذا التوكيد في هذا النص لم يُقدم مقصدًا جديدًا"<sup>2</sup>، فالليل فيه ويل وقتل واعتداء، ولا يخفى على أحد أن الليل أخفى للويل.

ب- قاعدة الكيف (Maxim of Quality): ومعناها أن يكون الكلام صادقًا، أي: أترك الكذب أو ما افتقر إلى دليل، وقد أكد "غرايس" في هذه القاعدة "وجوب نزاهة القائل الذي ينبغي أن لا يكذب وأن يمتلك الحجج الكافية لإثبات ما يطرحه"<sup>3</sup>، ما يعني إن جوهر هذه القاعدة هو منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل، وقد لخصت هذه القاعدة بأصلين:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.

- لا تقل ما لا تستطيع البرهنة عليه.

ولتوضيح هذه القاعدة نصوغ المثال الآتي: يقول التلميذ لأستاذه:

- تمثال الحرية في فرنسا، أليس هذا صحيحًا يا أستاذ؟.

- طبعًا، وبرج إيفل بأمريكا.

انتهاك الأستاذ مبدأ الكيف في هذا الحوار مُتعمدًا، ليبيّن للتلميذ أن تمثال الحرية ليس بفرنسا، فالأستاذ بهذا الحرق يقصد أن قول التلميذ غير صحيح.

وقد تحقّق حرق هذه القاعدة في شعر الخوارج في العديد من المواضع منها:

- قال "عمران بن حطان" يمدح "ابن ملجم المرادي"<sup>4</sup>: [السيط]

01 لله دُرُّ المرادي الذي سفكت كفاه مهجة شرّ الخلق إنسانا

02 أمسى عشيّة غشاها بضرته مّا جناه من الأثم غريانا

03 يا ضرته من تقي ما أراذ بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

<sup>1</sup> بول غرايس: المنطق والمحادثة، ص 628.

<sup>2</sup> يُنظر: أحمد كنون، التداوليّة بين النظرية والتطبيق، ص 272.

<sup>3</sup> أن ريبول وجاك موشلار: التداوليّة اليوم، ص 56.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 164.

#### 04 إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً

يَمتدِّحُ "عمران" في هذه المَقْطُوعَةِ طَاعَنَ "علي" رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "عبد الله بن مُلْجَمِ المُرَادِيِّ"، واصفًا عليًا ب: (شَرُّ الخَلْقِ إنْسَانًا)، وبهذا الاستلزام القائم على ادعاء الشاعر كذبًا بوصف من نُبِتَتِ الأدلَّةُ على خيريته؛ حَرَقَ/انتهك مَبْدَأَ الكيفِ القائم على الصِّدْقِ في البيتِ الأوَّلِ، وقد جاءَ بهذا الوصفِ لِمَا يُكْنُهُ الخوارِجُ مِنْ عَدَائِهِ لِخَلِيفَةِ المُسْلِمِينَ، وحرَقَ مَبْدَأَ الخِطَابِ في البيتِ الثَّانِي بتوظيفِ الإِستِعَارَةِ، قال: (مِنَ الآثَامِ عُريَانَا)، فالمعنى الحَرْبِيُّ هو الإِشَادَةُ بِفِعْلَةٍ "ابن مُلْجَمِ"، أمَّا المعنى المُستلْزَمُ فهو الشَّمَاتَةُ لِضَرْبِ "علي" رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَتَسَاقُطُ جميعِ الذُّنُوبِ عن "ابن مُلْجَمِ"، أي: أصبحَ نَفِيًّا، وهو أمرٌ غيبيٌّ، والشَّاعِرُ أرادَ المعنى المُستلْزَمَ لا الحَرْبِيَّ، لأنَّ أمرَ العفوِ وعُفْرانِ الذَّنْبِ مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، وقد توَصَّلَ الشَّاعِرُ إلى هذ المعنى عن طريقِ تقديمِ حُكْمٍ يخرُقُ فيه القاعدةُ الثَّانِيَةَ لِلْكَيفِ، وذلك بإطلاقه حُكْمًا هو في الأصلِ غيبيٌّ، فجاءَ به تَدْلِيلًا على صحَّةِ فِعْلَةٍ "ابن مُلْجَمِ".

#### ج- قاعدةُ الملاءمة/المُناسبة/العلاقة (Maxim of Relation):

تُنصُّ هذه القاعدةُ على "أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَكَلِّمُ خِطَابَهُ يُنَاسِبُ المَقَامَ"<sup>1</sup>، أي: تَكَلَّمَ بما يُنَاسِبُ المَقَامَ، وَأَسَهَمَ في الحِوَارِ بِطَرِيقَةٍ مُلَائِمَةٍ لِمُقْتَضَى الحَالِ، وَيَتَفَرَّعُ عن هذه القاعدةِ أصولٌ هي:<sup>2</sup>

- ليكنْ إِسهامُك ملاءمًا.

- كُنْ وَثِيقَ الصِّلَةِ بالمَوْضُوعِ.

وهذا الطَّرْحُ الَّذِي جَاءَ بِهِ "غرايس" وَالَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمِرَاعَاةِ المَقَامِ، نُجَدُّ نَظِيرُهُ عِنْدَ العَرَبِ الأوائلِ، قال "بِشْرُ بنِ المُعْتَمِرِ": "والمعنى لَيْسَ يَشْرُفُ بَأَنْ يَكُونَ في معانيِ خاصَّة، وكذلك لَيْسَ يَتَضَعُ بَأَنْ يَكُونَ مِنْ معانيِ العامَّة، وإِنَّمَا مَدَارُ الشَّرْفِ على صَوَابٍ وإِحْرَازِ المَنْفَعَةِ مع مُوَافَقَةِ الحَالِ، وما يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنْ مَقَالٍ"<sup>3</sup>، ولتوضيحِ هذه القاعدةِ نذكرُ المِثَالَ (الحِوَارِ) الَّذِي أوردَهُ "محمود نَحْلَةَ" في: "الحِوَارِ الَّذِي دارَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ: 1- أينَ زِيدٌ؟ 2- هناكَ سَيَّارَةٌ صفراءُ تقفُ أمامَ منزلِ عُمر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بعبطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، بحث ضمن كتاب: التداوليات وعلم استعمال اللغة، تقد: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011 ص 108.

<sup>2</sup> جورج يول: التداوليَّة، ص 68.

<sup>3</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، (ج 1)، ص 135.

<sup>4</sup> محمود نَحْلَةَ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38.

إنَّ المتأمل في المعنى الحرفي لردِّ الرَّجُلِ (ب) يجده لم يُجِبْ عن سؤال الرَّجُلِ (أ)، وبذلك فقد "انتهك مبدأ العلاقة/المُناسبة بالموضوع، ولكنَّ السَّامع في ضوء المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه: ما العلاقة المُمكنة بين وقوف سيارَة صفراء أمام منزل عمر، والسؤال عن مكان زيد، ثمَّ يصل إلى أنَّ المراد بهذا القول؛ هو إبلاغ السائل رسالة مؤدَّاها: إنَّه إذا كان لزيد سيارَة صفراء؛ فإنَّه عند عمر"<sup>1</sup>.

ومن الأمثلة على خرق هذه القاعدة في شعر الخوارج:

- قال "حارثة بن صخر القيني" لما هرب من "زيد":<sup>2</sup> [الطويل]

01 ستَلْفَحُ حَرْباً يَا ابْنَ حَرْبٍ شَدِيدَةً      وَتُنَجِّهَا يَتَنَّا بِسُمْرٍ ذَوَابِلِ

02 فَمَا لَزِيَادٍ يَحْرِقُ النَّابَ ظَالِمًا      عَلَيَّ فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلِ

يدورُ المحتوى القضوي لهذا الخطاب حول حديث "حارثة" بأنَّه سيُشعل نارَ الحربِ ضدَّ "زيد"، وهذه الحربُ لكثرة القتلِ فيها؛ سيخرجُ منها زيادٌ يتنَّا - واليتنُّ: أن تُخرج المرأة رجلاً المولود قبل رأسه ويديهِ- وهي كناية عن مصرعه، والمعنى في هذا الخطاب يستعصي على المتلقي أن يُفسره حرفياً، لعدم احترام مبدأ الملاءمة والذي ينصُّ على منع المتكلم من أن ينحرف إلى مقاصد أخرى من كلامه خلال النصِّ المُقدَّم، فالشاعرُ في حالة هربٍ وفرارٍ ويتوعَّد بالتَّنكيل، وبذلك خالف المقالَ المقام، خوفٌ وهلعٌ، فكيف يُهدَّد ويتوعَّد؟.

وفي البيت الثاني لم يُناسب القول ما هو مطلوبٌ في المرحلة الأولى، فالبيت الأولُ أُخبر فيه عن شجاعة وقوة، وأتى بالتقيض في البيت الثاني، فتساؤله (فَمَا لَزِيَادٍ يَحْرِقُ النَّابَ ظَالِمًا) والذي كئى به عن التهديد والوعيد، دلَّ على ضعفه وجبنه وخوفه، وبذلك خرق "قاعدة الملاءمة"، فالاستفهام انتقل من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة المُستلزمة، وبذلك يكونُ الشاعرُ لم يحترم قاعدة الملاءمة.

- وقالت "أم حكيم" وقد خطبها جماعة من أشراف الخوارج ساخرة وردَّتْهم:<sup>3</sup> [الطويل]

01 أَلَا إِنَّ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَقَهُ      لِأَجْدَرُ أَنْ يُلْفَى بِهِ الْحُسْنُ جَامِعًا

02 وَأَكْرَمُ هَذَا الْجِرْمِ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ      تَوْرُكٌ فَحَلِ هُمُّهُ أَنْ يُجَامِعَا

وَفَدَّ جَمْعٌ مِنْ أَعْيَانِ وَقَادَةِ الْخَوَارِجِ لِحِطْبَةِ "أُمِّ حَكِيمٍ" الْخَارِجِيَّةِ، فَكَانَ رُدُّهَا الرَّفْضُ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، فَسَيَاقُ الْخِطَابِ الَّذِي تَمَّ إِنْجَاؤُهُ فِيهِ اسْتِلْزَامٌ حَوْرَائِيٌّ، يَتِمُّثَلُّ فِي قَصْدِ "أُمِّ حَكِيمٍ" رَفْضَ

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصَّفحة نفسها.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 61.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 142

الخاطب، ففي زدها أدارت الحوار بعيداً عن مقصوده، فاستخدمت طريقة غير مباشرة في عدم القبول، فبدلاً من قولها: "لا"، راحت تستعلي وتتفاخر بجمالها معرضةً بالخاطب.

ففي البيت الأول: أخبرت أنها حسنة الوجه جميلة، وهذا الجمال لا بد أن يجتمع مع حسن مثله، وبذلك فقد انتهكت مبدأ الملاءمة الذي يقضي بأن "لكل مقام مقالاً"، فالفخر والإعجاب بالنفس جاء في مقام غير مقامهما، وفي البيت الثاني: عرضت بالخاطب بشكل غير صريح، وذلك بأنها تنأى بجسمها عن أي رجل همم الجماع لا غير، مشبهة ذلك الرجل بالفحل من الإبل، الحيوان العريزي، وفي هذا قدح لاذع وسخرية، وبذلك فقد انتهكت مبادئ الحوار مرة ثانية، لأنها انزلت إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي قصدتها المتكلم، فلم يكن الرد مناسباً لما هو مطلوب منها، وبذلك تفاحرت وسخرت وحطت من قيمة الخاطب بمقال خارج عن المقام.

#### د- قاعدة الجهة (Maxim of Manner):

مضمون هذه القاعدة: إنها لا ترتبط بما قيل، بل: "بما يُرادُ قوله، فالطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تحبب الإضطراب المميل والإيجاز المخل في القول"<sup>1</sup>، أي إن فحوى هذه القاعدة:

- أن يلتزم المتكلم الوضوح.

- أن يتجنب غموض العبارة.

- أن يتكلم بإيجاز.

- أن يكون كلامه مرتباً.

ويقدم "لودفيغ فيتغنشتاين" توضيحاً لهذه القاعدة يقول فيه: "إن ما يمكن قوله على الإطلاق يمكن قوله بوضوح، وأما ما لا نستطيع أن نتحدث عنه، فلا بد أن نصمت عنه"<sup>2</sup>، وإن خرق وانتهاك هذه القاعدة يحصل به الغموض والإبهام، ويتعذر بذلك الفهم على أحد المتخاطبين.

ومثال هذه القاعدة، قولك لابنك: قُمْ واملأ إناء الماء واغسل يديك قبل إدخالهما، واعقد النيّة، ثم تمضمض واستنشق واستنثر (...). وأحضر السجادة، وصلّ.

فالملاحظ على المثال الطول، فكان يفترض من الأب أن يقول لابنه: قُمْ صلّ، والولد سيتوضأ وسيقوم بكل واجبات الوضوء، ثم سيصلي، وهكذا يحصل الفهم بالإيجاز.

<sup>1</sup> العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 100.

<sup>2</sup> جمال محمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، (ط 1)، ص 247.

ومن الأمثلة على خرق هذه القاعدة في شعر الخوارج:

- قال "رجلٌ من الخوارج" وقد قدمه "الحجاج" ليقتل: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 أَحَجَّاجُ إِنِّي وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ عَلَى دِينَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ  
 02 وَدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَصَاحِبِهِ الَّذِي مَضَى عَادِلًا فِي حُكْمِهِ لَمْ يُفْنَدِ  
 03 وَلَسْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَغْضَاءَ وَلَا قَائِلًا فِيهِ مَقَالَةً مُلْجِدِ  
 04 وَإِنْ يَكُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا فَرُبُّكَ لِلْعَبْدِ الْمَظْلُومِ بِمَرْمَدِ  
 05 وَأَمَّا عَلِيُّ ذُو الْمَعَالِي فَإِنَّهُ وَصِيُّ نَبِيِّ ذِي سَنَاءٍ وَسُؤْدَدِ  
 06 وَإِنْ يَكُ مَظْلُومًا لَهُ اللَّهُ نَاصِرٌ فَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُعْتَدِ  
 07 وَقَدْ كَانَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِنِّي مُقَرَّبُهُ فِي كُلِّ نَادٍ وَمَشْهَدِ  
 08 فَذَلِكَ دِينِي لَا أَدِينُ بغيرِهِ وَلَسْتُ كَهَذَا الْكَافِرِ الْمُتَلَدِّدِ

قدّم هذا الخارجي للقتل فأنشد هذه القصيدة لبيان عقيدته التي هي على دين خير العالمين محمد ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم، وهذا لا ينفي انتهاكه لقاعدة "الكم"، لأنّ خطابه تعدّى القدر المطلوب من التبريرات، فراح يسرد فضائل الخلفاء وأنه ليس ممن يرميهم بالإلحاد والكفر، وفحوى الخطاب: إنه على التهج القويم وليس على ما يعتقده الخوارج، وقد اخترق الشاعر في هذا الخطاب الطويل "قاعدة الطريقة"، والتي تنصّ على ضرورة الإيجاز، فالشاعر هنا كان يكفيه أن يقول: إنه على دين محمد ﷺ وصحبه ليوصل إلى "الحجاج" براءته من عقيدة الخوارج، وإيراد هذا التفصيل جاء لبيان معنى مستلزم هو أنه يدين بما يدين به الحجاج.

فالشاعر هنا قدّم ليقتص منه، وخوفه هو سبب تراجع عما كان يدين به، قال: (ولسنت كهذا الكافر المتلدّد) يقصد الخارجي الذي قتل قبله، وبذلك خالف "قاعدة الكيف" التي تنصّ على الصدق، وخرق "قاعدة الملامة" فخالف فيها مقالته المقام.

- وبعت "خالد القناني" ردًا على رسالة "قطري بن الفجاءة" والتي يأمره فيها بالقتال، قال: <sup>2</sup> [الوافر]

- 01 لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا بِنَاتِي إِنَّهُنَّ مِنَ الضَّعَافِ  
 02 مَخَافَةَ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرُنَّ رَنْقًا غَيْرَ صَافِ  
 03 وَأَنْ يَغْرِبْنَ إِنْ كَسِيَ الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَن كَرَمِ عَجَافِ

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 155، 156.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 71.

04 وَأَنْ يَضْطَرُّهُنَّ الدَّهْرُ بَعْدِي إِلَى جَلْفٍ مِنَ الْأَعْمَامِ جَافٍ

05 تَقُولُ بُنَيَّتِي أَوْصِ الْمَوَالِي وَكَيْفَ وَصَاةٌ مِنْ هُوَ عَنْكَ جَافٍ

06 أَبَانَا مَنْ لَنَا إِنْ غَبْتَ عَنَّا وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافٍ

مضمون رسالة "قطري بن الفجاءة" أن يخرج "خالد" ويلحق فرسان الخوارج للقتال، وأن لا يقعد، و"خالد" بجوابه، قد انتهك قواعد عديدة من "مبدأ التعاون"، فخرق أولاً "مقولة الكم" في جعل إسهامه في الرد أكثر من المعلومات المطلوبة منه، فقد كان يكتفي بالاحتجاج في عدم الخروج بقوله: (... بناتي إهنن من الضعاف)، وخالف ثانية "مقولة الكيف" ولم يكن صادقاً في حجة عدم اللحاق بفرسان الخوارج للحرب، والدليل: "وكان خالد القناني من الذين آثروا عدم الخروج للقتال، فكان لا يميل للحرب والدماء، وخارجيته كانت في الجهاد والاعتزال، وقد غاب عليه صحبه تخاذله وتقاؤسه وجبنه"<sup>1</sup>، وخرق الشاعر برده أيضاً "قاعدة الجهة"، ولم يكن موجزاً في إيراد حجة واحدة تكون كافية رداً على المرسل، قال: (ضعاف، يرين البؤس، يعرین، يضطرهن الدهر)، والقصد من كل ذلك، هو تقوية حجته في عدم التفور للحرب.

لقي "غرايس" العديد من الانتقادات حول وضعه لمبدأ التعاون، ومن أبرز هذه المآخذ:

- إسقاطه بتعبير "طه عبد الرحمن" للجانب التهديبي من اعتباره، واكتفى فقط بجانب التبليغ في التحاو<sup>2</sup>.
- لم يأخذ بعين الاعتبار العديد من السلوكيات اليومية العادية التي تتوفر على دلالة أكبر، ولم تكن تلك القواعد غاية تطلب لذاها، وإنما وسيلة يبتغيها الفيلسوف ليصل إلى أغراضه<sup>3</sup>.

ويذكر "طه عبد الرحمن" أن "غرايس"<sup>4</sup>:

- لم يتفطن إلى الجانب التهديبي الذي هو الأصل في خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقية (المباشرة)
- إنه لم يفرد الجانب الأخلاقي بالذكر وقرنه بالجانب الجمالي.
- إنه لم يبين كيفية وضع قواعد تهديبية، وإلا كيف يمكن أن نقيم بينها وبين قواعد التبليغ علاقة منتظمة تُسهّم في سير المحادثة بشكلٍ حسنٍ صحيح.

<sup>1</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، (ج 3)، 245.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن: مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب، مجلة كلية الآداب، بني ملال، المغرب، ع1، 1994، ص 45.

<sup>3</sup> ليلي كادة: المكوّن التداوي في النظرية اللسانية العربية، ص 145.

<sup>4</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ص 240.

- قواعد مبدأ التعاون متداخلة، فمثلاً: قاعدة الكم والكيف والطريقة، تدخل ضمن قاعدة المناسبة/الملاءمة<sup>1</sup>، ما يقابل عند العرب: "مراعاة مقتضى الحال"، بمعنى لكل مقام مقالاً.

ومع كل ما ذكر من انتقادات، إلا أن خرق إحدى هذه القواعد يجعل من العلاقة بين المتكلم والسامع معقدة، ويحصل بذلك الإبهام، ويفقد الكلام "معناه الظاهري والجلي ليحمل معاني يتم التوصل إليها باعتماد كل ما أسماه الاستلزام الحواري، وهي ظاهرة لغوية تنشج عن خرق قاعدة من القواعد الأربع، مع عدم التحلي عن مبدأ التعاون"<sup>2</sup>، فالقوانين التي جاء بها غرايس، هي قوالب إجرائية، تستمد قوتها الصورية من مقومات التعميم، فهي لا تثبت على حالٍ ومعرضة للتداخل، فثمة من الظواهر البلاغية ما لا يمكن دراستها داخل قانون واحد، وإنما يستلزم ذلك قوانين أخرى، تجعل الخطاب من خلالها غير قاصر ومحصور.

وهذا التقد الموجّه لنظرية "غرايس" وقواعده، كان مُحفّزاً للعديد من الباحثين للإجتهد في وضع مبادئ مُكمّلة وبديلة لمبدأ التعاون (المشاركة) ستأتي تياً.

**02- مبدأ التأدب لـ: "Robin lakkoﬀ"**: يُعدُّ مبدأ التأدب من أهمّ المباحث التي استقطبت اهتمام العديد من اللسانيين التداوليين، والذي "تحول شيئاً فشيئاً إلى حقلٍ جديدٍ للبحث، فما فتت الكتابات تتتالي عليه والمقاربات في إطاره تنوع، حيثُ فتح مبدأ التأدب آفاقاً جديدةً اتسعت وتعددت مجالات تطبيقها، بعد أن كانت في النشأة والأصل مُقتصرةً على المُحادثات الشفوية"<sup>3</sup>، ويُقتضي هذا المبدأ أن يلتزم "المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب ما لا يقل عمّا يلتزم به من ضوابط التبليغ"<sup>4</sup>، وتفرّع عن هذا المبدأ ثلاث قواعد فرعية هي:

1- قاعدة التعفّف: ومقتضاها: - "لا تفرض نفسك على المخاطب"<sup>5</sup>، أي: تجنّب التعالي والتطّعل، ودع الناس وشأنهم، ومن الأمثلة على انتهاك هذه القاعدة:

- قال "قطريُّ بنُ الفجاءة" يحذر "خالد بن عمر القناني" من العُودِ وعدم القتالِ قائلاً:<sup>6</sup> [الطويل]

01 أبا خالدٍ يا انفِرْ فلستِ بخالدٍ وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ عُذْرًا لِقَاعِدِ

02 أَتَزَعَمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهُدَى وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لِصٍّ وَجَاهِدِ

<sup>1</sup> صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 26.

<sup>2</sup> العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 100.

<sup>3</sup> حاتم عبيد: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، مجلة عالم الفكر، مج 34، ع 1، الكويت، 2014، ص 124.

<sup>4</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 240.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 240.

<sup>6</sup> إحسان عباس: شعر الخواج، ص 119.

كان "خالد القناني" من الخوارج الذين استحبوا الموعود وعدم القتال، فلأمه "قطري"، ما أحدث بينهما الخلاف والشقاق، بعد أن كانا أصحاب مقولة واحدة، وبهذا الخطاب من المرسل (قطري) والذي جاء بصيغة الاستعلاء والأمر، فقد خالف "قاعدة التعفف"، والتي تقضي بأن يتجنب المتكلم الإلحاح على المخاطب، أو إكراهه على فعل ما، ولم يحتز "قطري" أيضاً في استعمال عبارات الطلب المباشر، قال: (انفر)، والتشكيك في عقيدة "خالد"، قال: (أترعّم أن الخارجي على الهدى) وانتهك "قاعدة التوؤد" - كما سيأتي - وذلك بعدم إظهار الوؤد للمخاطب، ثم انتهك "قطري" "مبدأ الكيف" الذي يقضي بالصدق في الحديث، وذلك في قوله (وأنت مقيم بين لصّ وجاحد)، فوصف جميع من لم يخرج معهم للحرب بأوصاف غير صادقة، والمعنى المستلزم منها، السخرية، على القوم يخرجون للقتال.

- وقال "عدي بن سويد" وقد حاول مراراً خطبة امرأة فترده، لعب في رجليه: <sup>1</sup> [الطويل]

### 01 تشكو إلى جاراتها وتعيبي فقالت معاذ الله أنكح ذا الرجل

لم يكن الشاعر حريصاً على حفظ ماء وجهه في الخطاب، وكثرة المحاولات للخطبة دلّت على إذلال النفس، ما جعلها تعيبه وتعيّره عندما تجاهل رفضها وأصرّ على المحاولة، قال: (تشكو إلى جاريتها...) أي: جعل نفسه حديثاً للنسوة يتناقلن عيبه، والشاعر بهذا الخطاب قد خرق "قاعدة التعفف" حينما لجأ إلى "إظهار عوراته في الخطاب، وإذلال نفسه والهتك بها جهاراً"<sup>2</sup>، وبهذا الخرق، فقد قلل من قيمته، ما نتج عنه تعبير وتقرّيع.

وأما القول الذي أوردته على لسانها: (فقالت معاذ الله أنكح ذا الرجل) فهو يخلو من الطابع التأديبي، وما تهجمها وتعييبها وإرادة إلحاق الأذى به؛ إلا دليل على ذلك، وبذلك خرقت "قاعدة الملاءمة" وأجابت معرضةً بالخطاب، وكان يكفيها أن تردّ بأدب أو تصمت، وبذلك يترجم فعلها على الرّفص دون أن يتأذى أحد طرفي الخطاب.

ب- قاعدة التخيير: ومقتضاها: - "لتجعل المخاطب يختار بنفسه"<sup>3</sup>، بمعنى أن تترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرار بوصفه طرفاً في الخطاب، ومن الأمثلة الإيجابية لهذه القاعدة:

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 275.

<sup>2</sup> كاترين كيربات أركيوني: المضمّر، تر: ريتا خاطر، مر: جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2009، ص 420.

<sup>3</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ص 240.

- قال "عمران بن حطان" في "سويد بن منجوف":<sup>1</sup> [الطويل]

- 01 سُوَيْدُ بَنِ مَنْجُوفٍ كَرِيمٍ نَمَتْ بِهِ جُدُودٌ وَأَبَاءٌ عِظَامُ الدَّسَائِعِ  
 02 دَعْتَنِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَوَجَدْتُهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ سَهْلَ التَّسَائِعِ  
 03 دَعَا حُرَّةً لَمْ يَقْبَلِ الْكُفْرَ قَلْبُهَا فَلَمْ تَرَ رَأْيَ الْفَاضِحِ الدِّينِ نَافِعِ  
 04 فَقَالَ لَهَا يَا جَمْرُ رُدِّي جَوَابَهُ بِحَقِّ وَكُفِّي عَنْ جَوَابِ الْمُخَادِعِ  
 05 فَقَالَتْ مَقَالَ الْمُسْتَزِيدِ لِنَفْسِهِ خَلَاصًا وَكَانَتْ فَوَزَةً لِلْمُقَارِعِ  
 06 فَلَمْ أَرِ مَطْلُوبًا إِلَيْهِ حَلِيلَةً أَرَدْتُ بِمَحْمُودٍ مِنَ الْقَوْلِ جَامِعِ  
 07 عَلَى مِثْلِنَا مِنْهُ فَلِلَّهِ دَرُهُ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا لِلْهُدَى غَيْرَ تَابِعِ

يَتَدَخُّ الشَّاعِرُ "سُوَيْدُ بَنِ مَنْجُوفٍ"، مُخْبِرًا عَنِ الْحَاجَةِ الَّتِي دَعَتْهُ لِأَنْ يَقْصِدَهُ، وَقِصَّةُ هَذَا الطَّلَبِ: "

إِنَّ "جَمْرَةَ" كَانَتْ زَوْجًا لِسُوَيْدٍ، فَسَمِعَتْ بِعِمْرَانَ وَعِبَادَتِهِ وَتُسْكِيهِ، فَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُخَلِّصَهَا مِنْ زَوْجِهَا، وَقَالَتْ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ لَكَ، فَإِنَّ رَأْيِي رَأْيِكَ وَدِينِي دِينُكَ، فَأَقْبَلَ عِمْرَانُ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى سُوَيْدٍ، وَكَلَّمُوهُ فِي أَمْرِهَا، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا عِمْرَانُ؛ وَقِيلَ لِسُوَيْدٍ: أَطَلَّقْتَ جَمْرَةَ خَوْفًا مِنَ الْخَوَارِجِ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ عِنْدِي مَنْ يَكْرَهُنِي"<sup>2</sup>، مُخْبِرًا كَيْفَ خَيَّرَ "سُوَيْدٌ" زَوْجَتَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ "عِمْرَانَ"، فَاخْتَارَتْ "عِمْرَانًا"، وَبِذَلِكَ لَمْ يُكْرَهْهَا أَوْ يُجْبِرْهَا عَلَى الْبَقَاءِ مَعَهُ، قَالَ: (رُدِّي جَوَابَهُ بِحَقِّ) وَبِذَلِكَ تَرَكَ حَقَّ الْإِخْتِيَارِ لَهَا، وَهَكَذَا احْتَرَمَ قَاعِدَةُ "التَّخْيِيرِ" الَّتِي تَقْضِي بِأَنْ تَجْعَلَ الْمُخَاطَبَ يَخْتَارُ بِنَفْسِهِ، وَبِهَذَا فَقَدْ كَانَ الْمَسْلُوكُ الْخَطَابِيُّ (الْأَمْرُ) مِنْ بَابِ التَّخْيِيرِ لَا الْأَمْرَ اسْتِعْلَاءً وَإِجْبَارًا، وَبِخَاصَّةٍ لَمَّا عَلِمَ بَعْدَ رَغَبَتِهَا فِي الْبَقَاءِ مَعَهُ.

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي انْتَهَكَ فِيهَا شُعْرَاءُ الْخَوَارِجِ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ:

- قال "فروة بن نوفل" يُحَرِّضُ "حَوَثْرَةَ الْأَسَدِيِّ" عَلَى الْقِتَالِ وَقَدْ كَانَ كَارِهًا لَهُ:<sup>3</sup> [الرجز]

01 أَكْرُرُ عَلَى هَذِي الْجُمُوعِ حَوَثْرَةَ

02 فَعَنْ قَلِيلٍ تَنَالِ الْمَغْفِرَةَ

جَاءَ الْخِطَابُ عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ، فَالْمُخَاطَبُ (فَرُوةُ بَنِ نَوْفَلٍ) مِنْ زُعَمَاءِ الْخَوَارِجِ، وَكَانَ "حَوَثْرَةَ"

مِنَ الَّذِينَ كَرَهُوا الْقِتَالَ، وَجَاءَ الْحَدِيثُ عَلَى صِيغَةِ الْإِلْزَامِ، فَالْخَوَارِجُ فِي حَرْبٍ، فَقَالَ "حَوَثْرَةَ" لِفَرُوةَ: "لَكَ فِي

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 178.

<sup>2</sup> لبلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، (ج 8)، ص 122.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 56.

عَبْرِي مِنَ الْقَوْمِ سَعَةً، فَأَعْفَنِي"<sup>1</sup>، فَلَمْ يَرْضَ "فَرَوَةَ" بِتَحَادُلِ "حَوْثَرَةَ"، وما زال عليه يُعاوِدُ أمره، حَتَّى "انطلق حوثرة إلى المعركة، وقتله رجلٌ من طيء سنة 41 هـ"<sup>2</sup>.

فما يُلاحظُ على هذا الخطاب، أَنَّ الشَّاعَرَ قَدِ انتَهَكَ "قَاعِدَةَ التَّخْيِيرِ" الَّتِي تُنصُّ على جَعْلِ الْمُخاطَبِ يَحْتَارُ بِنَفْسِهِ، فإِذَا أَنْ يُحَارِبَ "حَوْثَرَةَ" وَإِنَّمَا أَنْ يُحْجِمَ، فهو صاحبُ الأمر، وخرقَ الشَّاعِرُ أيضًا "قَاعِدَةَ التَّعْفُفِ" وَالَّتِي تُقْضِي بَعْدَ الإلحاحِ والإكراهِ على الفِعلِ، وبانتهاكِ قَاعِدَتِي "التَّخْيِيرِ والتَّعْفُفِ"؛ قضى "حَوْثَرَةَ" نَحْبَهُ.

ج- قَاعِدَةُ التَّوَدُّدِ: ومقتضاها: -"أظهرِ الوُدَّ للمُخاطَبِ"<sup>3</sup>، واستعمل كلَّ الأدواتِ والأساليبِ الَّتِي تُقَوِّي علاقةَ التَّضامِنِ والصَّدَاقَةِ بينَكَ وبينَ المُخاطَبِ، فيطمئنُّ إلى ما يُريدُه المُتكلمُ. ومن الأمثلة الإيجابية لهذه القاعدة:

- قول "أبي بلالٍ مرداسٍ" يُخاطَبُ الشُّرَاةَ:<sup>4</sup> [البسيط]

01 مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ كَانَ لَهُ وُدِّي وَشَارِكْتُهُ فِي تَالِدِ الْمَالِ

أظهرَ الشَّاعِرُ فِي خطابِهِ الوُدَّ للمُخاطَبِ، وبذلك حافظَ على مضمونِ القاعدةِ الأساسيِّ، وما زادَ من اطمئنانِ المُستمعِ للمُخاطَبِ، قولَ الشَّاعِرِ: (... وَشَارِكْتُهُ فِي تَالِدِ الْمَالِ)، وبذلك ضَمَّنَ صدَاقَةَ الخوارجِ وثباتهم معه على العقيدة الخارجية. ومن أمثلة خرقِ قَاعِدَةِ التَّوَدُّدِ:

- قال "شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ" يَهْجُو قَبِيلَةَ "كَلَابٍ" لَمَّا اعْتَرَلُوا الْمُتَحَارِبِينَ، فَأَرْسَلَ لَهُمْ رُقْعَةً فِيهَا:<sup>5</sup> [الطويل]

01 بَنُو كَلْبَةَ هَرَارَةَ وَأَبُوهُمْ حَزِيمَةُ عَبْدٌ خَامِلُ الدُّكْرِ أَوْ كَسُ

يَهْجُو الشَّاعِرُ بَنِي كَلَابٍ، وفي هذِ الخطابِ يَظْهَرُ وَجْهُ المُرسِلِ السَّلْبِيِّ، العاري مِنَ التَّأدُّبِ والكياسَةِ، فقدَ كانَ يُفترضُ به أَنْ يُظْهَرَ لَهُمُ الوُدَّ والصَّدَاقَةَ لِاسْتِمَاتِهِمْ، لا أَنْ يُقابِلَهُمُ بالتَّجريحِ والإهانةِ، فالظَّاهِرُ تَعَمُّدُ الشَّاعِرِ الحَطِّ مِنْ قَدْرِ المُخاطَبِ بتوظيفِ (هَرَارَةَ) وَالَّتِي تَعْنِي كَثِيرَةَ النُّبَاحِ، وَوَصْفِ أَبِيهِمُ بالخامِلِ الحَسِيسِ الناقصِ (أَوْ كَسُ).

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصَّفحة نفسها.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصَّفحة نفسها.

<sup>3</sup> طه عبد الرَّحمان: اللِّسانُ والميزانُ أو التَّكْوِينُ العَقْلِيّ، ص 245.

<sup>4</sup> إحسان عَبَّاسٍ: شعر الخوارج، ص 64.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 228.

الأمر الَّذِي كَانَ لَهُ تداعياته النَّفْسِيَّةِ على قَبيلة بني كلابٍ، وبذلك دَخَلُوا مُعْتَرِكَ الحروبِ وكانُوا مع بين أُمَّيَّةٍ ضدَّ الخوارجِ، وبذلك خالفَ وَحرقَ الشَّاعرُ مَقْصُودًا وَأَصَلَ قاعِدَةَ التَّوَدُّدِ فِي الخِطابِ، مُتَناسِيًا وظيفَةَ الكَلِماتِ الجارِحَةِ الَّتِي لَهَا أبعادٌ نَفْسِيَّةٌ إمَّا سلبًا وإمَّا إيجابًا، فالكلامُ "صِناعَةُ خَطرةٍ إِذَا وُظِّفَ فِي سِياقٍ غيرِ إيجابِيٍّ، وهذه الخُطُورَةُ تَكْشِفُ عن عَقَلِيَّةٍ صاحِبِها، وما يُكُنُّه فِي ضَميرِهِ مِنْ نوايا، وما يَسْتُرُهُ فِي خَلجاتِ نَفْسِهِ مِنْ خَفايا"<sup>1</sup>.

- وقالَ "أحدُ الخوارجِ" لَمَّا بَلَغَهُ فِرارُ زَعيمِهِم "دِعامةُ بنِ اللهِ الشَّيبانيِّ" مِنَ الرَّحْفِ:<sup>2</sup> [الطَّويل]

01 لِبِئْسَ أَمِيرُ القَوْمِ مُعْتَرِفًا بِهِ دِعامةُ فِي الهَيْجاءِ شَرُّ الدَّعائِمِ

أَدَاعَتْ عُيُونُ "خالدِ القسريِّ" حَبْرَ هَرَبِ "دِعامةِ الشَّيبانيِّ" مِنَ المُوَصِّلِ خَوْفًا وَجُبْنًا، فَنارتِ الفِتنةُ بينَ الخوارجِ، فَلَمَّا رَجَعَ "دِعامةُ" واجهَهُ الخوارجُ وَعابُوا عليه سَوَؤَتَهُ، وَقامَ أَحدهمُ وقالَ هذا البيتُ مُعَيَّرًا لَهُ وخالِعًا البيعةَ مِنْهُ، فَرَدَّ دِعامةُ: "... وَقَدْ قَتَلنا مِنْهُمُ رَهطًا كَثيرًا، وَلَمَّا تَكَاثَرُوا عَلينا؛ انْحَزْتُ وَلَمْ أَهْرَبْ"<sup>3</sup>.

إِنَّ التَّقَدِيمَ لَذا البَيْتِ يُؤَشِّرُ بِوضوحٍ عَنِ انتِهائِكِ واضِحٍ لقواعِدَ عديِدةٍ ل: "مَبْدَأُ التَّأدُّبِ والتَّعاوُنِ"، فالشَّاعِرُ قَدِ انتَهَكَ أَوَّلًا "قاعِدَةَ الكَيْفِ"، فَلَمْ يَكُنْ صادِقًا فِي إِطلاقِ حُكمِهِ على "دِعامةِ" الزعيمِ الخارجِيِّ والقائِدِ الشُّجاعِ بَأَنَّهُ جَبانٌ، وَبَنى الحُكْمَ بما لَمْ يَكُنْ لَهُ دليلاً عَلَيْهِ، وَهُوَ هَرَبٌ "دِعامةُ"، وانتَهَكَ ثانياً "قاعِدَةَ المُلأَمَةِ"، وَخالفَ مَقالَهُ المَقامَ، فالخوارجُ فِي فِتنةٍ، والأوَّلَى إِحماذُ نارِها لا إِذْكاؤُها.

وانْتَهَكَ الشَّاعِرُ "قاعِدَةَ التَّوَدُّدِ" بَعْدَ حِفْظِ المَقامِ، فالمتكَلِّمُ جُنْدِيٌّ والمُخاطَبُ قائِدٌ وزعيمٌ، وبهذا تَصاعَدَ الخِطابُ وَأَخَذَ جَريَ مُغايرًا فِي مُخالِفَةِ القادَةِ بينَ الخوارجِ، ما نَتَجَّ عَنْهُ "انحيازِ جماعةٍ كَبيرةٍ مِنْهُمُ لِمُبايعةِ عَمرو بنِ غالِبِ اليَشْكَرِيِّ"<sup>4</sup>، فالقُصُورُ فِي التَّبليغِ، أَحْدَثَ الفِتنةَ بينَ أَصحابِ العَقيدةِ الواحدةِ.

✓ نقد مبدأ التأدب:

لَمْ يَسَلِّمْ مَبْدَأُ التَّأدُّبِ كَذاكَ مِنَ التَّقَدِ، والاعتراضاتُ عَلَيْهِ قَدِ بَلَغَتْ "النَّهايةَ فِي الكَثرةِ"<sup>5</sup> بتعبيرِ "طه عبد الرَّحمان"، وَمِنْ أبرزِ المآخذِ:

<sup>1</sup> مُحَمَّدُ كَشَّاسٌ: صِناعَةُ الكَلامِ بَيْنَ النُّظْرِيَّةِ والتَّقْنِيَّةِ، مَجَلَّةُ المَعْرِفةِ السُّورِيَّةِ، ع 37، سورِيا، 1998، ص 418.

<sup>2</sup> إِحسانُ عَبَّاسٌ: شِعْرُ الخوارجِ، ص 220.

<sup>3</sup> البِلادِرِيُّ: كِتابُ جُمَلٍ مِنْ أَنسابِ الأَشْرافِ، (ج 9)، ص 22.

<sup>4</sup> إِحسانُ عَبَّاسٌ: شِعْرُ الخوارجِ، ص 220.

<sup>5</sup> طه عبد الرَّحمان: اللِّسانُ والمِيزانُ أو التَّكْوِثُ العَقَلِيّ، ص 239.

- قواعد مبدأ التأدب ليست كليّة في عددها وطبيعتها، وهي مُتدرّجة في القوّة، فقاعدته التّخيريّ أقوى من قاعدة التّعطف، وقاعدته التّودّد أقوى من قاعدة التّخيريّ، وهذا التّفاوت في القوّة قد يُقضي بعضها البعض عند الإستعمال<sup>1</sup>.

- لا يتطرّق مبدأ التأدب إلى "زكن المقاصد الإصلاحيّة" ولا إلى "زكن الوسائل العلميّة" الموصلة لهذه المقاصد، أو قل: غياب "مفهوم العمل" الذي يُقوّم السلوك ويوجّهه<sup>2</sup>.

- عمِل مبدأ التأدب على تجميد الجانب التّجريديّ من عنصر التّهذيب المُقوّم للتّخاطب وأهمّل الجانب العمليّ والإصلاحيّ منه<sup>3</sup>.

بعد هذا التّقديم، وجب التّنويه إلى أنّ مبدأ التأدب لم يغب عن تفكير "غرايس"، وقد أشار إليه في بحثه الموسوم ب: "المنطق والمُحادثة"، قال: "هناك بالطبع أنواع لكافة القواعد الأخرى (جماليّة، أخلاقيّة، اجتماعيّة)" مثل: "التكنؤ مؤدّباً" والتي يُراعيها المشاركون عادةً في تبادلاتهم الخطائيّة والتي تُولّد معاني غير عُرفيّة"، وبهذا يظهر أنّ التأدب كان مبدأً ثانويّاً في تفكير "غرايس".

وإنّه لما كان مبدأ التأدب قد أغفل العديد من الأوجه لسير العمليّة التخاطبيّة بشكلٍ حسنٍ، وخاصّة إهماله للجانب العمليّ والإصلاحيّ؛ أُحتيج إلى مبدأ آخر يأخذ بها الجانب، ألا وهو مبدأ التّواجه.

### 03. مبدأ التّوجه:

طرح كلٌّ من "نيلوب براون" (*Penelope Brown*) و"ستيفن ليفنسن" (*Stephen Levinson*) مبدأ التّوجه في دراستيهما المُشتركة: "الكليّات في الإستعمال اللّغويّ: ظاهرة التّأدب" (*Universals in Language Use : Politeness Phenomena*) وسماه "طه عبد الرّحمان": التّواجه، مُراعياً في ذلك معناه اللّغويّ وهو مُقابلته الوجه للوجه، والمقصود بالتّواجه: "أنّ تصوّن وجهه غيرك"، بمعنى: إنّ المُخاطبة عندهما: "مجالٌ يسعى فيه كلٌّ من المُتكلّم والمُخاطب إلى حِفْظ مائه وجهه بحِفْظ مائه وجهه مُخاطبه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسان الباهي: الحوار ومنهجية الفكر النقديّ، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2004، ص 131.

<sup>2</sup> طه عبد الرّحمان: اللّسان والميزان أو التّكوّن العقليّ، ص 232.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 233.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 243.

وهذه النظرية بتعبير "عبد الهادي الشهري": "من أهم النظريات التداولية أثرًا حتى اليوم"<sup>1</sup>، وقد جعل الباحثان هذا المبدأ يقوم على مفهومين أساسيين، هما:

- 1- قيمة الوجه (Face) الاجتماعية: ويعنيان به: "الصورة الشخصية العامة التي يُحاول المُتكلم نشرها في النَّسِجِ الاجتماعيِّ المُحيطِ به"<sup>2</sup>، فإنَّ صَانَ وَجْهَ غَيْرِهِ؛ صَانَ وَجْهَهُ، وَيَنْقَسِمُ الْوَجْهُ بِدَوْرِهِ إِلَى:
  - الوجه الدافع أو السلبي: ويعني "إرادة دَفْعِ الإعتراضِ بأنَّ لا يَعْتَرِضَ غَيْرَهُ سَبِيلَ أفعالهِ"<sup>3</sup>، ويعني: "الحاجة إلى الإستقلالية وعدم الإنصياع لإملاءات الآخرين وردِّ التُّهم"<sup>4</sup>، ومن أمثلة هذا التَّمُوجِ في شعر الخوارج:
    - قول "قطريِّ بنِ الفُجاءة" يَدْفَعُ الأراجيفَ عَنْهُ لَمَّا ذَبَعَ أَنَّهُ مِنْ مُنْكَرِي البَعْثِ:<sup>5</sup> [الرَّجَز]

01 سُبْحَانَ رَبِّي بَاعِثِ الْعِبَادِ

02 سُبْحَانَ رَبِّي حَاكِمِ الْمَعَادِ

وبهذا دَفَع "قطري" شُبُهَةً مَا أَثِيرَ حَوْلَهُ، وَبَيَّنَّ مِنْهَجَهُ وَمَنْهَجَ فِرْقَتِهِ فِي عَدَمِ إِنْكَارِ البَعْثِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ.

وَمِنْ دَفْعِ الإِنْتِقَادِ عَنِ الْغَيْرِ (الخوارج) لَمَّا قِيلَ أَنَّهُمْ أَهْلُ دُنْيَا، قَوْل "عيسى بنِ فاتك"<sup>6</sup>: [الوافر]

01 أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ

02 لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودُ أَنْبِيَاءٍ مِنْهُ تَنْفَرُجُ الضُّلُوعُ

03 وَخُرْسٌ بِالنَّهَارِ لِطَوْلِ صَمْتٍ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعُ

أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يُنَزِّهَ الخوارجَ مِنَ الأَقْوَابِلِ الَّتِي تَتَّهَمُهُمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبَلُونَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ خُرُوجَهُمْ

كَانَ لِأَجْلِهَا، لا لِأَجْلِ الحَقِّ كَمَا يَزْعُمُونَ.

- الوجهُ الجالبُ (الإيجابي):

ويعني "إرادة جَلْبِ الاعترافِ، فهو يَتَبَغَّى أَنْ يَعْتَرَفَ الْغَيْرُ بِحُسْنِ أفعالهِ"<sup>7</sup>، أو هو "الصورةُ الإيجابية

الَّتِي نَسْعَى إِلَى إعطائها عن أنفُسِنَا"<sup>8</sup>، ومن الأمثلة لهذا التَّمُوجِ:

<sup>1</sup> عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 103.

<sup>2</sup> ختام جواد: التداولية أصولها وأجسامها، 110.

<sup>3</sup> عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 103.

<sup>4</sup> جورج يول: التداولية، ص 192.

<sup>5</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 129.

<sup>6</sup> المرجع نفسه: ص 70.

<sup>7</sup> طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 243.

<sup>8</sup> دومينيكا مانوغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 30.

- قال "عمران بن حطان" لما أطلقه "الحجاج" من الأسر وأخذ عليه موثقاً بعدم القتال ثانية: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 أقاتِلُ الحَجَّاجَ عَن سُلْطَانِهِ      يَبْدُ تُقَرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ  
02 إِنِّي إِذْنُ لِأَخِي الدَّنَاءَةِ وَالَّذِي      عَقَّتْ عَلَيَّ عِرْفَانِهِ جَهْلَاتُهُ  
03 مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ مُوَازِيَا      فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعِلَاتُهُ  
04 أَأَقُولُ جَارَ عَلَيَّ؟ إِنِّي فِيكُمْ      لِأَحَقُّ مَن جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتُهُ

صرح "عمران" في هذا الخطاب بعدم مقاتلة "الحجاج" بعد أن أخذ منه وعداً بأن لا يحمل السيف ضده، وأن لا يغدر به، وهذا الموقف من الشاعر قدم به صورة إيجابية عن نفسه، وهي الوفاء بالعهد وعدم الغدر، وبذلك جلب "عمران" الاعتراف من قومه وأعدائه بحسن أخلاقه وحفظ الموثيق، وصار وفاءً عمران مع مخالفيه وأعدائه مثلاً يتناقله الناس من جيل لآخر.

ومن الأمثلة على تقديم الصورة الإيجابية عن النفس، قول "عبدة بن هلال الشكري" في الثبات

على العهد وعدم نقض البيعة، وأنه على دين "أبي بلال مرداس": <sup>2</sup> [الرجز]

- 01 أَنَا ابْنُ خَيْرِ قَوْمِهِ هَلَالٍ  
02 شَيْخٌ عَلَيَّ دِينَ أَبِي بِلَالٍ  
03 وَذَاكَ دِينِي أَخِرَ اللَّيَالِي

قدم الشاعر صورة حسنة عن نفسه، فابتدأ بمدح أبيه حافظاً قدره متادباً في ذكره، وأنه باقٍ على (دين أبي بلال)، معلناً بأنه سيموت على العقيدة الخارجية، فصار الواحد من الخوارج "إذا نازعتته نفسه أو تناقلت في الحرب أنشد قول عبدة للحماسة" <sup>3</sup>، وبذلك يكون قد جلب اعتراقاً بحسن صنيعة.

ومن الأمثلة أيضاً التي يحفظ بها المخاطب وجهه بحفظ ماء وجه مخاطبه، قول "عمران بن حطان"

في "روح بن زباع" الذي أكرمه وأحسن نزله: <sup>4</sup> [السيط]

- 01 أَكْرَمَ بِرُوحِ بْنِ زُبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ      قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ لِلْعَالَا دَاعٍ  
02 جَاوَرْتُهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ      عَرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعٍ

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 187.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 111.

<sup>3</sup> البلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، (ج 9)، ص 125.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 181.

يُطري الشاعرُ مخاطبه "روح بن زنباع"، ويذكر له حُسنَ صَنِيعه معه، وبهذا المدح وتقدير معروف "زنباع"؛ حفظَ عمرانَ وجهه، وما الإطراءُ الذي حظي به "زنباع" إلا إشادةٌ بحُسنِ فعلِ عمران في حفظِ الوُدِّ والمعروف، ويحفظ وجهه مخاطبه حفظَ وجهه.

#### ب- فعلٌ تهديدٍ الوجه (FTA):

يعني فعلٌ تهديدٍ الوجه (Face Threatening Act) "الأقوال التي تتعدى المسافة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب، ومربطٌ بما يحتله كلاهما من منزلة، وأيضًا بما تفرضه الثقافات"<sup>1</sup>، وتبسيطًا: إن التهديد أعمالٌ تمنع وتُعوق إرادة المتكلم أو السامع في دفع الاعتراض وجلب الاعتراف، ومن الأفعال التي تُهددُ الوجهَ الجالب والدافع للمستمع والمتكلم: الإهانة، الصد، الذم، السخرية، الذم، قطع الكلام قبل أن يفهم المتكلم مراده.

- تهديدُ الوجه الدافع (السلبى) للمرسل إليه: من الأمثلة التي تم الاعتراض فيها على المخاطب/المرسل إليه، قول "شيبان الخارجي" يلوم "شقيق بن عمرو الغنوي" على تحاذله في المعركة:<sup>2</sup> [الرجز]

01 قَدْ عَلِمْتَ خَيْلَكَ يَا شَقِيقُ

02 أَنْكَ مِنْ سُكْرِكَ لَا تَفِيقُ

قانونُ هذه القاعدة: إرادة المرء أن لا يعترض الغير سبيل أفعاله، وفي هذا الخطاب يسخر "شيبان" من مخاطبه "شقيق"، ويعترض على فعلته وقد كان كثير السكر، متهكمًا عليه بأن خيله التي يركبها عالمة بأنه ليس في وعيه، فما ظنك بالذي يرى قتاله من أعدائه، وبذلك لم يصن الشاعر وجه مخاطبه، ولم يحدث التهذيب، ما سبب الإحراج للمخاطب/المرسل إليه.

ومن الأمثلة التي تُهددُ الوجهَ الجالب (الإيجابي) للمرسل إليه: "التعرض للكلام قبل فهم المراد منه، وقطعه قبل تمامه"<sup>3</sup>، وبعد تتبع هذا الفعل "المهدد" في شعر الخوارج؛ لم أقب سوى على مثال واحد، وهو قول "عمرو بن أدية" قاطعًا كلام "نوفل بن قيس البكري" لما قام خطيبًا في الخوارج يوضح سبب الانسحاب من مواجهة "زياد"، فما إن حمد الله وأثنى عليه، حتى قام "عمرو" وأنشد:<sup>4</sup> [الطويل]

01 لَعْمَرِي مَا بِالْمُوتِ عَارٌّ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا الْفَتَى لَأَقَى الْحِمَامَ كَرِيمًا

<sup>1</sup> جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، 111.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 244.

<sup>3</sup> عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 105.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 66.

## 02 وَلَكِنَّمَا ضَرُّ الْحَيَاةِ وَعَارِهَا أَحَالَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ ذَمِيمًا

يقطع "عروة" بخطابه كلام المتحدث "نوفل" ذون أن يسمع منه تبرير انسحاب الخوارج من أمام "زياد"، وبذلك فقد أوقع الخطيب في موقفٍ مُحرجٍ وهَدَّدَ وَجْهَهُ، ففَقَطَعَ كَلَامَهُ قَبْلَ ابْتِدَائِهِ لَا قَبْلَ تَمَامِهِ، وَتَعَرَّضَ لِلْكَلامِ قَبْلَ سَمَاعِ التَّبريرِ، وهذا الأخيرُ قد كان مُعلِّلاً، فقد جاء في "تاريخ الطبري" و"كتاب الأنساب" أن: "معاوية بن أبي سفيان أرسلَ تعزيراتٍ لزيادٍ قيلَ إنَّها بَلَغَتْ أَلْفًا وخمسن مائةَ قَلْبَتِ موازينِ المعركة، والخوارجُ يَوْمَها مائةَ وخمسونَ فارسًا"<sup>1</sup>.

- تَهْدِيدُ الْوَجْهِ الْجَالِبِ (الإيجابي): وإِنَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُهَدِّدُ الْوَجْهَ الْجَالِبَ وَالَّتِي هِيَ نَقِضُ صِيانَتِهِ وَحِفْظِهِ؛ الْإِعْتِذارُ، الْإِقْرَارُ وَالنَّدَمُ، وَمِنَ الْأَمْثَلِ عَلَى ذَلِكَ:

- قال "حجّية بن أوس" حين ترك "رجاء النمري" ولم يلتحق بهم لصد أهل الشام<sup>2</sup>: [الطويل]

## 01 نَدِمْتُ عَلَى تَرْكِي رَجَاءً وَصَحْبَهُ وَتِلْكَ لَعْمَرِي هَفْوَةٌ لَا أَقَالُهَا

يُصْرِّحُ "حجّية" بندمه لعدم اللحاق برجاءٍ وصحبه، وهو بقوله هذا هَدَّدَ قِيَمَةَ الْوَجْهِ الْجَالِبِ الْإِيجابِيّ وَالَّذِي يَسْعَى فِي الْأَسَاسِ لِحُلْبِ الْإِعْتِرافِ مِنَ الْغَيْرِ بِحُسْنِ الْفِعْلِ وَتَقْدِيمِ صُورَةٍ حَسَنَةٍ عَنِ النَّفْسِ، وَبِهَذَا النَّدَمِ فَقَدْ هَدَّدَ الْمُرْسِلَ وَجْهَهُ الْجَالِبَ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا عُلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ "مَنْ يَحُوزُونَ مَكَانَةً مَرْمُوقَةً فِي الْمُجْتَمَعِ وَيُودُونَ الْحِفَاظَ عَلَيْهَا"<sup>3</sup>.

ج. الخُطَطُ التَّخاطِبيَّةُ الْمُتَفَرِّعَةُ عَنِ مَبْدَأِ التَّوَاجِهِ:

لِلتَّخْفِيفِ مِنْ آثَارِ التَّهْدِيدِ وَحِفْظِ وَجْهِ كُلِّ مَنْ الْمُتَكَلِّمِ وَالسَّماعِ؛ وَضَعُ "بِراون" و"لِيفَنَسَن" خُطَطًا لِذَلِكَ، هِيَ "خَمْسَةُ أَصُولٍ"<sup>4</sup> لِلْمُتَكَلِّمِ الْحَقُّ فِي اخْتِيارِ أَحَدِها تَخْفِيفًا وَتَهْدِيبًا لِلخِطابِ، وَسَدِّكُها تِباعًا مَعَ تَقْدِيمِنا لِمِثالٍ تَوْضِيحِيٍّ لِكُلِّ أَصْلٍ.

- امْتِناعُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ إيرادِ الْقَوْلِ الْمُهَدِّدِ: ومِثالُه: "الرَّغْبَةُ فِي أَنْ يُحْضَرَ لَكَ فِلانٌ كُوبَ قَهْوَةٍ"، فامْتِناعُكَ عَنِ الطَّلَبِ بِصِغَةِ الْأَمْرِ "أَحْضِرْ" فِيهِ حِفْظٌ لَوَجْهِ الْمُخاطَبِ وَبِذَلِكَ لَا تَضُرُّ بِهِ وَبِوَجْهِكَ، وَخَاصَّةً إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ طَبْعَهُ وَسُلُوكَهُ.

<sup>1</sup> الطبري: تاريخ الأمم والملوك، (ج 3) ص 1124. والبلاذري: كتاب جمل من أنساب الأشراف، (ج 7)، ص 95.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 83.

<sup>3</sup> آمنة بلعلي: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، مجلّة اللّغة والأدب العربيّ، جامعة الجزائر، مُلتقى علم النّصّ، ع 97، جانفي 2006، ص 228.

<sup>4</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 244، وجواد ختام: التداولية أصولها وأجهااتها، ص 111، 112. (بتصرف).

- أن يُصْرَحَ بالقول المُهدِّدِ مِنْ غيرِ تَعْدِيلٍ يُخَفِّفُ مِنْ جانِبِهِ التَّهْدِييِّ: فتقولُ مثلاً: "أنت، أحضِرْ لي كوبَ قهوة"، بِصِغَةِ الأمرِ دُونَ استِعاِنَةِ بِصِغَةِ تَحْفَظُ لَهُ وَجْهَهُ، وَتُقَلِّلُ مِنَ الأَثَرِ التَّهْدِيديِّ.
- أن يُصْرَحَ بالقولِ المُهدِّدِ معِ تَعْدِيلٍ يَدْفَعُ عَنِ المُسْتَمِعِ الإِضْرَارَ بِوَجْهِهِ الدَّفَاعِ: تقولُ مثلاً: "هلاً ناولتني كوبَ الماءِ؟". فَصِغَةُ "هلاً" تَحْفَظُ الوَجهَ الدَّفَاعِ لِلْمُسْتَمِعِ.
- أن يُصْرَحَ بالقولِ المُهدِّدِ معِ تَعْدِيلٍ يَدْفَعُ عَنِ المُسْتَمِعِ الإِضْرَارَ بِوَجْهِهِ الجَالِبِ: "ألستَ تُبادِرُ إلى الدَّفَاعِ عَنِ الحَقِّ كَلِّمًا رَأَيْتَ مَظْلُومًا"، فَتَوْظِيْفُ "ألستَ" فِيهِ دَرَايَةٌ بِأَنَّ المُسْتَمِعَ/المُخاطَبَ يُدْفَعُ عَنِ المَظْلُومِينَ، وَهَذَا تَحْفَظُ وَجْهَهُ، أَوْ تقولُ: "ألستَ تَشْرَبُ المَاءَ إِذَا كَانَ الجَوْ حَارًّا أَوْ شَعَرْتَ بِالعَطَشِ".
- أن يُؤَدِّيَ القولُ بِطَرِيقِ التَّعْرِيزِ، تَارِكًا لِلْمُسْتَمِعِ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَحَدَ المَعَانِي المُحتمَلَةِ للقولِ المُهدِّدِ: تقولُ مثلاً إِذَا أَرَدْتَ كُوبَ قَهْوَةٍ: "إِنَّ الجُلُوسَ فِي هَذَا الجَوْ الجَمِيلِ يَحْتَاجُ شَرَابًا يُرِيحُ المِزَاجَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ"، وَبِذَلِكَ تَتَرَكُّ لِمُخاطَبِكَ اسْتِنباطَ المَعْنَى المَقْصُودِ.

ما يُلاحظُ على هذه القواعدِ أَنَّهُ يُمكنُ تَقْسِيمُهَا -إِنْ جازَ لَنَا- إلى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الخُطَطِ، خُطَطٌ تَندرُجُ فِي بابِ السُّكُوتِ وَعَدَمِ الإِضْرَارِ بِالغَيْرِ وَتُمثِّلُهُ الخِطَّةُ (أ)، وَخُطَطٌ سَلْبِيَّةٌ تُمثِّلُهَا الخِطَّةُ (ب)، وَخُطَطٌ إِبْجَائِيَّةٌ وَتُمثِّلُهَا الخِطَّةُ (ج، د، هـ)، وَهَذِهِ الأَخِيرَةُ تُمَثِّلُ سُلُوكًا حَسَنًا لِلتَّخاطِبِ، مُتفاوِتَةٌ فِي درَجَةِ اللَّبَاقَةِ، وَفِيهَا حِفظٌ وَصِيانَةٌ لَوَجْهِ المُخاطَبِ، وَبِهَا يَكُونُ الخِطَابُ مُهدِّبًا، مُلتَزِمًا بِأَدَابِ تَجَعُّلِهِ سَلِيمًا بَعِيدًا عَمَّا يُهدِّدُ الوَجهَ مِنْ سُخْرِيَّةٍ وَاسْتِعْلَافٍ، وَبِذَلِكَ لا يُتَهَكُّ الخِطَابُ.

✓ نَقْدُ مَبْدَأِ الوَجْهِ/ التَّوَاجِهِ: لَمْ يَسَلِّمْ مَبْدَأُ الوَجْهِ مِنَ التَّقَدِّ أَيْضًا، وَمِنْ أَبْرَزِ المَأْخِذِ عَلَيْهِ:

- قَدْ لا يَعْكُسُ ظاهِرُ الخِطَابِ النَّوَايَا الَّتِي يُبْطِنُهَا المُرْسَلُ اتِّجَاهَ المُرْسَلِ إِلَيْهِ، مِمَّا يَجْعَلُ تَأْوِيلَ الخِطَابِ خاطِئًا، ما يَقُودُ إلى الخِداَعِ وَالتَّعَارُضِ بَيْنَ ما هُوَ ظاهِرٌ وَباطِنٌ<sup>1</sup>.
- يَجْعَلُ مَبْدَأُ الوَجْهِ التَّهْدِيدَ السِّمَةَ الجَوْهَرِيَّةَ لِجَمِيعِ الأَقْوالِ، وَبِضِيْقِ مَجَالِ العَمَلِ المُقَوِّمِ لِلتَّهْدِيْبِ وَحَصْرِهِ فِي وَظِيْفَةِ التَّقْلِيلِ مِنْ تَهْدِيدِ الأَقْوالِ<sup>2</sup>.
- لا يَدُلُّ السُّكُوتُ عَنِ إِيْرادِ الفِعْلِ المُهدِّدِ أَنَّ فِيهِ حِفظًا لَوَجْهِ المُخاطَبِ دائِمًا، فَقَدْ يَدُلُّ عَلى حِفظِ وَجْهِ المِتَكَلِّمِ خاصَّةً إِذا كانَ المُسْتَمِعُ أَكْبَرَ مِنْهُ قَدْرًا.

<sup>1</sup> عبد الهادي الشَّهْرِي: اسْتِراْتِيجِيَّاتِ الخِطَابِ، ص 108.

<sup>2</sup> طه عبد الرَّحْمانِ، اللِّسانُ وَالمِيزانُ، ص 245.

- لم يتطرق مبدأ الوجه إلى الأقوال غير المُهدّدة، والتي يُمكن أن يشتغل عليها العمل التّهذيبي، ومنه يُستنتج أنه يجعل الأصل في الكلام هو التّهديد، وعلى المُتكلم تَلطيف وتخفيف حدّة ذلك التّهديد، والأمر ليس كذلك، إذ الأصل فيه التّعاون وتبادل المنافع والمصالح، أمّا التّهديد فهو استثناء وشذوذ، والأخير يُحفظ ولا يُقاس عليه<sup>1</sup>.

- يجعل مبدأ الوجه المُخاطب دائم الإستعداد ومُحترزاً لأيّ انتهاك وخرق، وهكذا تتقيّد حرّيّة المُتكلم. -قابليّة إلغاء فعل تهديد الوجه (الأمر مثلاً) إذا كان بين الصّديق وصديقه، أو بين الأخ وأخيه، أو بين الشّيخ وتلميذه.

بُجمل القول: إنّه مهما سعى مبدأ التّواجه إلى وَضِعِ قواعد تَضْبُطِ عمليّة التّخاطب وتوكّد على الجانب العمليّ من التّهذيب لتقلّل من التّهديد؛ إلاّ أنّه يبقى قاصراً على الإشغال بالبعد التّقريبيّ من العمل التّهذيبيّ، وعليه: كان لزاماً البحث على مبدأ آخر يسدّ هذه الثّغرات، وهنا يبرز مبدأ التّأدّب الأقصى.

#### 04- مبدأ التّأدّب الأقصى:

ويُسمّى فنّ التّأدّب والكيّاسة، وضعّه "جوفري ليتش" (Geoffrey Leach) مُكَمِّلاً لمبدأ التّعاون، ويُطلق عليه "طه عبد الرّحمان" (مبدأ التّأدّب واعتبار العمل)<sup>2</sup>، وهذا المبدأ يقوم على صورتين<sup>3</sup>: - إحداهما سلبية: - قلّل من الكلام غير المُؤدّب.

- والثّانية إيجابية: - أكثّر من الكلام المُؤدّب.

و"ليتش" بهذا الطّرح يرى أنّ الصّورتين المُتفرّعتين عند مبدأ التّأدّب الأقصى تُجنّب المُتخاطبين من الوقوع في النزاع أو ما يَمنع التّعاون.

لقد وَضَعَ "ليتش" "ستّة قواعد" تدفع كُلاً ما من شأنه أن يُوقِع في النزاع، ووضع لكلّ قاعدة صورتين، إحداهما سلبية والأخرى إيجابية، وهذه القواعد المُتفرّعة عن "مبدأ التّأدّب الأقصى" هي:

<sup>1</sup> عمر بوقمرة: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمان -دراسة نقدية-، مجلّة أمارات في اللّغة والنّقد، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، مج 05، ع 02، 2021، ص 51.

<sup>2</sup> طه عبد الرّحمان، اللسان والميزان، ص 246.

<sup>3</sup> جواد ختام: التّداوليّة أضولها وأجّاهاتها، ص 114.

١- قاعدةُ اللَّبَاقَةِ:<sup>1</sup>

وهي "القاعدةُ الرَّئِيسِيَّةُ حسب "ليثش"، وباقي القواعد الأخرى مُتَفَرِّعَةٌ عنها"<sup>2</sup>، وصُورَتَاها:

- الجَانِبُ السَّلْبِيُّ:

- قَلَّلَ مِنْ خَسَارَةِ الْغَيْرِ. ومثَالُ هذه الصُّورَةِ:

- قال "زيدُ بنُ عبدِ الرَّاسِيِّ" مُتَعَصِّبًا لِرَأْيِهِ لَمَّا خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ "حُرُورَاءَ" (صَحْبِهِ) وَصَلُّوا خَلْفَ عَلِيٍّ

وَقَبِلُوا بِالتَّحْكِيمِ:<sup>3</sup> [الطُّوِيل]

01 شَكَّكْتُمْ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَلَوْ لَمْ تَشْكُوا مَا انْتَهَيْتُمْ عَنِ الْحَرْبِ

02 وَتَحْكِيمِكُمْ عَمْرًا عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ خَطْبًا مِنَ الْخُطْبِ

03 فَأَنْكَصَهُ لِلْعَقَبِ لَمَّا خَلَا بِهِ فَأَصْبَحَ يَهُوِي مِنْ ذُرَى حَالِقِ صَعْبِ

أَعَابَ "زيدُ" على فِئَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ قَبُولَهُمُ التَّحْكِيمَ وَالصَّلَاةَ خَلْفَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَاخَ يُخَاطِبُهُم

وَيَسْتَعْدِيهِمْ "ويَتَعَصَّبُ لِرَأْيِهِ وَلَمْ يَتَشَاوَرَ مَعَهُمْ، وَبِذَلِكَ خَسِرَ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَرْجِعْ مَعَهُ غَيْرَ جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ

إِلَى حُرُورَاءَ، وَالْأَغْلَبِيَّةُ رَأَتْ رَأْيَ عَلِيٍّ وَمَنْ مَعَهُ"<sup>4</sup>، وَهَذَا التَّعَنُّتُ خَسِرَ صَحْبَهُ وَزَادَ مِنْ عَدَاوَةِ خُصُومِهِ.

- الجَانِبُ الْإِيجَابِيُّ:

- أَكْثَرَ مِنْ رِنِحِ الْغَيْرِ، بِمَعْنَى: احْرَصْ عَلَى أَنْ تَجْلِبَ النَّفْعَ وَتُدْفَعَ الضَّرَرَ.

- قال "مُسلمُ بنُ يزيدٍ" وَكَانَ مِنْ عُبَادِ حُرُورَاءَ يَنْصَحُ الْخَوَارِجَ بِالرُّجُوعِ إِلَى طَائِفَةِ أَهْلِ الْحَقِّ:<sup>5</sup> [الطُّوِيل]

01 لَسِنْ كَانَ مَا عِبْنَاهُ عَيْبًا فَحَسْبُنَا خَطَايَا بِأَخْذِ النَّصْحِ مِنْ غَيْرِ نَاصِحِ

02 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَيْبًا فَأَعْظَمَنَّ بِتَرْكِنَا عَلِيًّا عَلَى أَمْرِ مِنَ الْحَقِّ وَاصِحِ

03 وَنَحْنُ أَنْاسٌ بَيْنَ بَيْنٍ وَعَلْنَا سُرْرِنَا بِأَمْرِ غِبُّهُ غَيْرُ صَالِحِ

خَاطَبَ "مُسلمُ" أَهْلَ حُرُورَاءَ الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ إِمْرَتِهِ، وَكَانُوا "يَوْمَهَا سَوَادًا عَظِيمًا، بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا

رُجُوعَهُ إِلَى صَفِّ عَلِيٍّ، فَأَزَادَ بَعْضُهُمْ قَتْلَهُ، وَبِحِكْمَةِ الْقَائِدِ وَصَلَابَةِ الْعَابِدِ بَيْنَ لَهُمْ خَطَأُ الْخَارِجِينَ، مُعْظَمًا

<sup>1</sup> طه عبد الرَّحْمَنِ، اللِّسَانُ وَالْمِيزَانُ، ص 246.

<sup>2</sup> عبد الهادي الشَّهْرِي: اسْتِرَاتِيجِيَّاتُ الْخِطَابِ، ص 112.

<sup>3</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيوَانُ شِعْرِ الْخَوَارِجِ، ص 127.

<sup>4</sup> يُنْظَرُ: ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ، (ج 03)، ص 1024.

<sup>5</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: شِعْرِ الْخَوَارِجِ، ص 42.

لهم فعلتهم، فرجع معه رهط كبير إلى صُفوفِ عليٍّ وصحبه<sup>1</sup>، وبهذا ربح قومه ونجّاهم، وجلب له ولهم النفع ودفع عنهم الضرر، وأما من "بقي منهم في حروراء فقد قاتلوا علياً يوم النهروان وقتلهم"<sup>2</sup>.

ب- قاعدة التواضع<sup>3</sup>: وصورتها.

- الجانب السلبي: - قَلَّ الشَّاءَ على النَّفسِ ومدحها.

ومن أمثلة هذه الصورة التي يمتدح فيها الخواج أنفسهم ويثنون عليها:

- قال "قطريُّ بنُ الفُجاءة" يذكُرُ ضعف "خالد بنِ أُسيدٍ" عند لقائه الأزارقة: <sup>4</sup> [الطَّويل]

01 وَأَنَا أَخَذْنَا مَالَهُ وَسِلَاحَهُ وَسُفْنَا لَهُ نِيرَانَهَا تَتَلَهَّبُ

- وقال "حارثة بنِ صخرِ القيني" مُشيداً بشجاعته عند مُلاقاة "زياد بنِ أبيه"<sup>5</sup>: [الوافر]

01 فَإِنَّا لَا نَفِرُ مِنَ الْمَنَايَا وَلَا نَنْحَاشُ مِنْ ضَرْبِ النَّصَالِ

- وقال "الطرماح بنُ حكيمٍ" يفخرُ بنفسه وشجاعته: <sup>6</sup> [الطَّويل]

01 وَإِنِّي لَمُقْتَادُ جَوَادِي وَقَادِفٍ بِهِ وَنَفْسِي الْعَامَ إِخْدَى الْمَقَادِفِ

- الجانب الإيجابي: - أَكْثَرَ مِنْ ذَمِّ النَّفْسِ.

ومثال هذه الصورة، يقول "أبو بلالٍ مرداس"<sup>7</sup>: [البسيط]

01 نَفْسِي ظَنُونٌ وَلَسْتُ الدَّهْرَ آمِنَهَا مِنْ بَعْدِ كَعْبٍ وَطَوَافٍ وَغَسَّالِ

- وقال "أحد الخواج" يذكُرُ شجاعته وإقدامه: <sup>8</sup> [الطَّويل]

01 وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَلَوْ دَرْتُ مُقَارِعَتِي الْأَبْطَالَ طَالَ نَجِيهَهَا

02 إِذَا مَا التَّقِينَا كُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ يَجُودُ بِنَفْسٍ أَنْقَلَتْهَا ذُنُوبُهَا

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ أَنَّ نَفْسَهُ ذَاتُ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ أَنْقَلَتْ عَلَيْهِ، وَبِهَذَا قَلَّ مِنْ مَدْحِ النَّفْسِ وَالشَّاءِ عَلَيْهَا.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عبد ربّه، العقد الفريد، (ج 03)، ص 1024.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخواج، ص 42.

<sup>3</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 246.

<sup>4</sup> إحسان عباس: شعر الخواج، ص 127.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 61.

<sup>6</sup> المرجع نفسه: ص 264.

<sup>7</sup> المرجع نفسه: ص 64.

<sup>8</sup> المرجع نفسه: ص 149.

- وقال "قطري بن الفجاءة" يذم نفسه التي تأمل العيش: <sup>1</sup> [المنسرح]

01 يَا نَفْسُ لَا يُلْهِئَنَّكَ الْأَمَلُ فَرُبَّمَا أَكْذَبَ الْمُنَى الْأَجَلُ

ج- قاعدة التعاطف: <sup>2</sup> وصورتاها:

- الجانب السلبي: - قلل التعارض أو الثفور مع النفس والغير. ومثال هذه الصورة السلبية:

- قال "عبدة بن هلال اليشكري" يقلل من شأن "الحصين بن مالك": <sup>3</sup> [الطويل]

01 قُلْ لِلْحُصَيْنِ لَقَدْ أَصَبْتَ سَعَادَةً وَمَا كُنْتَ فِيمَا رُمْتَهُ بِمَعِيبِ

02 وَمَا كَانَ فِي جَمْعِ الْمُحَلِّينَ فَارِسٌ يُبَارِزُهُ فِي النَّقْعِ غَيْرُ حَيْبِ

03 وَأَيُّ امْرِئٍ يَأْوِي الْحُرُورَ بِمَعْرِكَ يَهَابُ وَلَكِنْ كُنْتَ غَيْرَ هَيْبِ

04 فَيَارُبُّ يَوْمٌ قَدْ دَعَانِي لِمِثْلِهَا فَلَمْ أَكْ فِي مَا سَأَلَنِي بِمُجِيبِ

ظاهر الكلام أو المعنى القضيوي (الحرقي) للخطاب أن الشاعر يثني على "الحصين" وأنه قد أصاب سعادةً بانضمام جنده "المهلب" منه في المعركة، ليتساءل عن الأمر الذي جعلهم ينهزمون من مواجهته، ليسخر بعدها من "الحصين"، وبذلك لم يقدم صورةً إيجابيةً في الوفاق مع الغير، وقدم خرقاً للجانب الإيجابي الذي يقضي أن يقلل الإنسان من التعارض أو الثفور مع الغير/الآخر، وعلة الانتهاك وردت في قول الشاعر: (ولكن كنت غير هيب)، ومعنى ذلك أنك يا حصين لست من الشجعان الذين يهاجم العدو ولا من أصحاب الهيبة الذين يخشى من الإقتراب منهم، وبذلك انتقص صاحبه الخارجي وأنزل من شأنه.

- الجانب الإيجابي:

- أكثر التعاطف بين النفس والغير.

ومثال هذه الصورة، رثاء الإخوان وبكائهم؛ فيقول "داود بن عتبة العبدي" يشكو فقد صحبه

ويحسّر على البقاء بعدهم يتقاذفه قوم لئام: <sup>4</sup> [الطويل]

01 أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي مُنِيْتُ بِهِلِكَهَمْ فَلَهْفِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَوْا آخِرَ الدَّهْرِ

02 مَضَوْا سَلْفًا قَبْلِي وَأَخْرْتُ بَعْدَهُمْ وَحِيدًا لِأَقْوَامٍ تَنَابَلَةَ خُرُزِرِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 176

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 246.

<sup>3</sup> إحسان عباس: شعر الخواج، ص 109.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 211.

- وقال "الجعدُ بنُ ضمام الدَّوسِي" يرثي "صالحَ بنَ مُسَرَّح":<sup>1</sup> [الطَّويل]

01 أيا عَيْنُ فابكِي صالحًا إنَّ صالحًا شَرَى نَفْسَهُ يَبْغِي بِهَا الخُلْدًا

د- قاعدةُ الإِسْتِحسان:<sup>2</sup> وصورتها:

- الجانبُ السَّلبيّ: - الإِقْلالُ مِنْ ذَمِّ الآخِرِينَ. ومثالُ هذه الصُّورة السَّلبيَّة:

- قال "أحدُ الخوارجِ" يذمُّ أحدَ قادةِ "هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ" لَمَّا صَفَحَ عنه، وهذا القولُ يَفُوقُ الذَّمَّ

فُحشًا قَدَعًا:<sup>3</sup> [الطَّويل]

01 تَعَسَّتْ ابْنُ ذَاتِ التَّوْفِ أَجْهَزُ عَلَيَّ امْرِئٍ يَرَى المَوْتَ أَبْقَى مِنْ حَيَاةٍ وَأَكْرَمًا

- الجانبُ الإِيجابيُّ: الإِكْثارُ مِنْ مَدْحِ الآخِرِينَ. ومثالها:

- قال "عُتبانُ بنُ وصيلةِ الشَّيبانيِّ" يذكُرُ شُجْعانَ الخوارجِ:<sup>4</sup> [الطَّويل]

01 غَزَالَةُ ذَاتِ التَّنْذِرِ مَنَّا حَمِيدَةٌ لَهَا فِي سَهَامِ المُسْلِمِينَ نَصِيبُ

02 وَمِنَّا سِنَانُ المَوْتِ وَابْنُ عُوَيْمِرٍ وَمُرَّةٌ فَانظُرْ أَيَّ ذَاكَ تَعِيبُ

03 فَوَارِسْنَا مَنْ يَلْقَهُمْ يَلْقَ حَتْفَهُ وَمَنْ يَنْجُ مِنْهُمْ يَنْجُ وَهُوَ سَلِيبُ

- وقال "عَمْرُو بنُ الحُصَيْنِ العَنَبَرِيُّ" يمدِّحُ صحبه من الخوارجِ:<sup>5</sup> [الكامل]

01 وَهُمْ مَسَاعِرٌ فِي الوَغَى رُجْحٌ وَخِيَارٌ مَنْ يَمْشِي عَلَيَّ الأَرْضِ

ه- قاعدةُ السَّخاءِ:<sup>6</sup> وصورتها:

- الجانبُ السَّلبيّ: - قَلَّلَ رِبحَ النَّفْسِ. وفيها دَفْعٌ لِلأُنانيَّةِ، ومثالُ هذه الصُّورة:

- قال "الحُوَيْرِثُ الرَّاسِيُّ" يُؤدِّبُ نَفْسَهُ وَيُقَلِّلُ مِنْ تَعَلُّقِهَا بالدُّنْيَا:<sup>7</sup> [الطَّويل]

01 أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الخَلَاءِ أَلُوْمُهَا هُبِلَتْ دَعِينِي قَدْ مَلَلْتُ مِنَ العُمُرِ

02 وَمَنْ عِيشَةٌ لَا خَيْرَ فِيهَا ذَنِيَّةٌ مُذَمَّمَةٌ عِنْدَ الكِرَامِ ذَوِي الصَّبْرِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 145.

<sup>2</sup> طه عبد الرَّحمان، اللِّسَانُ والمِيزان، ص 246.

<sup>3</sup> إحسان عبَّاس: شعر الخوارج، ص 256.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 200.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 247، 248.

<sup>6</sup> طه عبد الرَّحمان، اللِّسَانُ والمِيزان، ص 246.

<sup>7</sup> إحسان عبَّاس: شعر الخوارج، ص 195.

- الجانب الإيجابي: - أكثر خسارة النفس. وفيها سخاء وإيثار، ومثالها:

- قال "عمران بن حطان" يعرض على "شبل بن عروة العبيري" المساعدة لتجهيز صحبه: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 وَقَدْ عَرَضْتَ لَكَ حَاجَةً وَأَطَّنِي بِأَنِّي إِذَا أَنْزَلْتَهَا بِكَ مُنْجِحُ  
02 فَإِنَّ أَكْ فِي بَدْلِ الْعَطِيَّةِ مُرِيحًا فَإِنَّكَ فِي أَخَذِ الْعَطِيَّةِ أَرْجِحُ  
03 لِأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا وَشُكْرِي فِي الدُّنْيَا فَحَظُّكَ أَرْجِحُ

يعرض "عمران" المساعدة على "شبل العبيري" لتجهيز صحبه للقتال، وفي ذلك سخاء وإيثار، فكلاهما في حرب، ومع ذلك فقد أثر صديقه المحتاج على نفسه، وعند رفض "شبل" المال متحججاً بأنك يا عمران أيضاً بحاجة، ردَّ عمران: (فإنك في أخذ العطية أريح) أي: سأنال أجراً دون أجر لك لأنني بذلت المال وأنت بذلت النفس، وبأخذ هذه الأعطية؛ فقد نلت الأجر العظيم في استعملها في سبيل الله.

- قاعدة الإتفاق<sup>2</sup>: وصورتها:

- الجانب السلبي: - قلل الخلاف بين النفس والغير. ومثالها:

- قال "عمران بن حطان" يعاتب "عبد الله بن ذهل الدارمي" لمجالسته للحجاج: <sup>3</sup> [الطويل]

- 01 تُصَاحِبُ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِرَأْيِهِ وَإِنْ كُنْتَ ذَا بَأْسٍ وَرَأْيٍ مُجَرَّبٍ  
02 فَيَطْمَعُ أَوْ يَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَى الَّذِي يَذُبُّ وَيُغْنِي عَنْهُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ  
03 فَفِي مِثْلِ هَذَا لَنْ تَزَالَ مُكْرَمًا بِأَحْسَنِ بَشَرٍ عِنْدَهُ وَتَقْرُبُ  
04 وَعِنْدَ تَقَاضِي حَاجَةٍ فَمُبَايِنٌ يَرَاكَ بَعَيْنِ الشَّانِي الْمُتَعَتِّبِ

- الجانب الإيجابي: - أكثر الإتفاق بين النفس والغير. ومثال الصورة:

- قال "عمران بن حطان" وقد نزل في "أزد عمان" بعد صراع وخلاف كبير معهم: <sup>4</sup> [الطويل]

- 01 نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ نُسِرُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأُنْسِ وَالْخَفَرِ  
02 نَزَلْنَا بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ دَعْوَى سِوَى الْمَجْدِ يُعْتَصِرُ  
03 مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمَ مَعْشَرٍ يَمَانِيَّةً طَابُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرِ  
04 فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعْشَرٍ أَتُونِي فَقَالُوا: مِنْ رِيْعَةٍ أَوْ مَضَرِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 95.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 246.

<sup>3</sup> إحسان عباس: شعر الخواج، ص 185.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 182، 183.

- 05 أَمِ الحَيِّ فَحَطَّانٍ فَتِلْكَمُ سَفَاهَةً      كَمَا قَالَ لِي رُوحٌ وَصَاحِبُهُ زُفَرٌ  
 06 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنِسْبَةٍ      تُقَرِّبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ  
 07 فَنَحْنُ بَنُو الإِسْلَامِ وَاللَّهُ رُبُّنَا      وَأَوْلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللهِ مَنْ شَكَرَ

تُعدُّ قاعدتهُ اللَّبَاقَةُ اللَّبَنَةُ الأَسَاسِيَّةُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا مَبْدَأُ التَّأْدُبِ الأَقْصَى، والقواعدُ الأخرى مُكَمَّلَةٌ لَهَا، حيثُ تَعْمَلُ جَمِيعًا عَلَى الحَدِّ مِنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعَكِّرَ صَفْوِ الخَطَابِ وَيَمْنَعَ حُصُولَ التَّعَاوُنِ، وَمِنْ خِلالِ البَدِيلِ المُكَمَّلِ للمَبَادِئِ السَّابِقَةِ؛ يُرَجِّحُ "لَيْتَش" مَبْدَأَهُ عَلَى مَبْدَأِ التَّعَاوُنِ مَتَى وَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَهُمَا، لِأَنَّ التَّأْدُبَ أَحْفَظُ لِلصَّلَةِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَنَخْرُجُ بِذَلِكَ مِنَ الإِلْزَامِ وَالقَسْرِ، إِلَى صِيغِ ثُبْنِي عَلَى اللَّيْنِ وَالرَّفْقِ، وَهَدَفَهُ مِنْ مُرَاعَاةِ هَذِهِ القَوَاعِدِ وَتَغْلِيصِهَا عَلَى المَبْدَأِ الأَوَّلِ، مَبْدَأِ التَّعَاوُنِ، هُوَ "بِنَاءِ نَمُودَجِ التَّدَاوُلِيَّةِ العَامَّةِ ذَاتِ المَنْزَعِ الخَطَابِيِّ، يَأْخُذُ بِعَيْنِ الإِعْتِبَارِ كَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ فِي التَّوَاصُلِ، مُسَبِّقًا التَّأْدُبَ عَلَى أَيِّ إِعْتِبَارٍ آخَرَ"<sup>1</sup>، وَمَبْدَأُ التَّأْدُبِ الأَقْصَى كغَيْرِهِ لَمْ يَسَلِّمْ مِنَ التَّقَدُّمِ، وَمِنْ أَبْرَزِ المَآخِذِ عَلَيْهِ:

- التَّأْدُبُ مَحَلُّ تَنَازُعٍ بَيْنِ المُتَكَلِّمِ وَالمُخَاطَبِ، فَإِذَا أَفَادَ مِنْهُ أَحَدُهُمَا لَا يُفِيدُ مِنَ الآخَرِ، فَإِذَا مَدَحَتِ المُخَاطَبَ فَيَلْزَمُكَ أَنْ تَدَمَّ نَفْسَكَ، وَبِذَلِكَ يَتَنَفَّى الصِّدْقُ مِنَ التَّأْدُبِ، وَالَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَنَفَّعَ بِهِ المُتَخَاطَبَانِ مَعًا، وَلَا يَتَضَرَّرَ بِهِ أَيُّ مِنْهُمَا.<sup>2</sup>

- هَذِهِ القَوَاعِدُ الَّتِي وَضَعَهَا "لَيْتَش" كَانَ لَهُ أَنْ يَسْتَعْنِيَّ عَنْهَا بِقَاعِدَةِ اللَّبَاقَةِ الَّتِي تَنْدَرُجُ تَحْتَهَا كُلُّ الصِّفَاتِ الحَسَنَةِ، فَرِيحُ الآخَرِ يُلْزَمُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَاضِعًا وَكَرِيمًا، دَاعِيًا إِلَى الإِئْتِلافِ لَا إِلَى الفُرْقَةِ وَالإِخْتِلافِ.  
 - اهْتَمَّ "لَيْتَش" بِالمُخَاطَبِ كَوْنِ حُسْنِ التَّصَرُّفِ مَعَهُ أَهَمُّ مِنْ حُسْنِ التَّصَرُّفِ مَعِ طَرَفٍ آخَرَ مِثْلًا يَسْتَمَعُ لَهَا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ سُوءُ التَّصَرُّفِ مَعَ الطَّرَفِ الثَّالِثِ أَشَدَّ أَثَرًا عَلَى المُخَاطَبِ نَفْسَهُ.<sup>3</sup>

- أَكْثَرَ "لَيْتَش" مِنَ القَوَاعِدِ الَّتِي صَاغَهَا عَلَى شَكْلِ أوَامِرٍ، فَكَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَذْكَرَ الجَانِبَ الإِجْبابِيَّ للقَاعِدَةِ لِيُفْهَمَ الجَانِبَ السَّلْبِيَّ، وَأَنْ لَا يَجْمَعُ الأَضْدَادَ فِي قَاعِدَةٍ وَاحِدَةٍ، تَقُولُ مِثْلًا: "أَكْثَرُ مِنْ رِيحِ الغَيْرِ" فِي الجَانِبِ الإِجْبابِيِّ، فَتَحْصِيلُ الحَاصِلِ أَنَّكَ تَنْهَاهُ عَنِ خَسَارَتِهِمْ.

- الرِّيحُ والخَسَارَةُ السُّمَّةُ البارِزَةُ لِهَذَا المَبْدَأِ، فَرِيحُكَ لِغَيْرِ يُقَابِلُهُ خَسَارَةُ لِدَاتِكَ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ أَشْبَهَ بِصَفْقَةِ تِجَارِيَّةِ قِوَامِهَا الخِدْمَاتِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا المُتَكَلِّمُ لِلْمُخَاطَبِ.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حواد ختام: التَّدَاوُلِيَّةُ أَصُولُهَا وَأَبْجَاهَاتُهَا، ص 111.

<sup>2</sup> طه عبد الرَّحْمَنِ، اللِّسَانُ وَالمِيزَانُ، ص 248.

<sup>3</sup> جِيوفَرِي لَيْتَش: مَبَادِئُ التَّدَاوُلِيَّةِ، تر: عبد القادر قَيْنِي/ إفريقيا الشَّرْقِيَّة، المَغْرِبِ، (د ط)، 2013، ص 174، 175.

<sup>4</sup> المَرْجِعُ نَفْسَهُ: ص 125.

هذا وإن كان مبدأ التَّأْدُبِ الأَقْصَى قد بنى أُسُسه على التَّقَرُّبِ، والأذِي ذهبَ فيه مذهبًا قائمًا على التَّظَاهِرِ وعلى تَحْصِيلِ الأَغْرَاضِ، فَإِنَّهُ يَلْزِمُ طلبَ مبدأ آخَرَ يَأْخُذُ بالتَّقَرُّبِ وَيَرْفَعُ عَنْهُ التَّظَاهِرَ، وبذلك يَكُونُ تَقَرُّبًا أخلاقِيًّا صادِقًا مُجَرَّدًا مِنَ العَرَضِيَّةِ، تَقَرُّبًا خالصًا، وهذا المبدأ هو: مبدأ التَّصَدِيقِ واعتبار الصِّدْقِ والإِخْلَاصِ مع طه عبد الرَّحْمَانِ.

#### خامسًا: مبدأ التَّصَدِيقِ:

مبدأ التَّصَدِيقِ واعتبار الصِّدْقِ والإِخْلَاصِ، هو المبدأ الخَامِسُ مِنَ المَبَادِي التَّخاطِيبِيَّةِ، وَصَّعَهُ "طه عبد الرَّحْمَانِ" مُراعِيًا الخَلْفِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ فِي ذلك، وَجاءَ على عِدَّةِ صُورٍ مِنْهَا: "مُطابَقَةُ القَوْلِ لِلْفِعْلِ" و"تَصَدِيقُ العَمَلِ لِلكَلَامِ"، أَي إِنَّ المَبْدَأَ يَقُومُ على صُورَتَيْنِ: الأُولَى: "لا تَقُلْ لغيرِكَ قَوْلًا لا يُصَدِّقُهُ فِعْلُكَ" والثَّانِيَّةُ: "لا تَقُلْ ما تَعْتَقِدُ عَدَمَ صِدْقِهِ ولا ما لَيْسَ لَكَ دَلِيلٌ عَلَيْهِ"<sup>1</sup>، وَيُؤَيِّنُ هذا المَبْدَأُ فِي أُسُوسِهِ على صُورَتَيْنِ هُمَا:

**01- نَقُلُ القَوْلَ "التَّبْلِيغُ":** وهي صُورَةٌ تَرْتَبِطُ بِجَانِبِ التَّوَاصُلِ، وَتَتَفَرَّغُ مِنْهَا قَوَاعِدُ تَضْبِطِهَا، وَهذه المَبَادِي الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالجَانِبِ التَّبْلِيغِيِّ جَاءَتْ مُجْتَمِعَةً فِي كِتَابِ "أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ" لِلْمَاوَرِدِيِّ، قال: "وَاعْلَمَنَّ أَنَّ للكَلَامِ شُرُوطًا لا يَسْلَمُ المُتَكَلِّمُ مِنَ الرِّكْلِ إِلَّا بِهَا ولا يَعْرِى مِنَ النَّقْصِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا"<sup>2</sup>، وَهذه الشُّرُوطُ هي:

أ- أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو لَهُ، إِمَّا اجْتِلابُ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضَرَرٍ، وَهَذَا الشَّرْطُ يُقَابَلُ الجَانِبَ الإِيجَابِيَّ مِنَ قَاعِدَةِ اللَّبَاقَةِ.

ب- أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الكَلَامُ فِي مَوْضِعِهِ، وَهَذَا الشَّرْطُ يُقَابَلُ قَاعِدَةَ المَلَاءَمَةِ فِي مَبْدَأِ التَّعَاوُنِ عِنْدَ "غَرَايِسَ".

ج- أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ على قَدْرِ حَاجَتِهِ، وَهَذَا الشَّرْطُ يُقَابَلُ "قَاعِدَةَ الكَمِّ": "أَفْدِ المُخاطَبَ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ".

د- أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُقَابَلُ هَذَا الشَّرْطُ قَاعِدَةَ الطَّرِيقَةِ/الجِهَةِ.

وَهذه الشُّرُوطُ "مَتَى أَحَلَّ المُتَكَلِّمُ بِأَحَدِهَا؛ فَقَدْ أَوْهَنَ فَضِيلَةَ باقِيهَا"<sup>3</sup>.

**02- تَطْبِيقُ القَوْلِ "التَّهْذِيبُ":** وهي صُورَةٌ تَرْتَبِطُ بِجَانِبِ التَّعَامُلِ، وَيَتَفَرَّغُ عَنْ هذه الصُّورَةِ ثَلَاثُ قَوَاعِدٍ<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> يُرَاجَعُ: طه عبد الرَّحْمَانِ، اللِّسَانُ وَالمِيزَانُ، ص 249، وَالعِياشِيُّ أَدْرَاوِي: الحِوَارِ الإِخْتِلافِي أو مَسَلُّكَ التَّنَاطُرِ الكَلَامِي -مُساهِمَةٌ فِي إِعادَةِ بِناءِ أَصُولِ الخِطابِ-، إِفْرِيقِيَا الشَّرْقِ، المَغْرِبِ، (د ط)، 2012، ص 127.

<sup>2</sup> عَلِيِّ بِنِ مُحَمَّدِ المَاوَرِدِيِّ: أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، شَر: مُحَمَّدُ كَرِيمِ راجِح، دارِ إِقْرَأْ، مِصرَ، (د ط)، 1985، ص 283.

<sup>3</sup> المَرَجِعُ نَفْسُهُ: الصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

<sup>4</sup> طه عبد الرَّحْمَانِ: اللِّسَانُ وَالمِيزَانُ، ص 253.

أ- قاعدة القصد: وتقضي بأن يتفق المتكلم قصده في كل قول يلقي به إلى الآخر/الغير.

ب- قاعدة الصدق: وتقضي بأن تكون صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.

ج- قاعدة الإخلاص: لتكن في توددك للغير متجرداً من أغراضك.

وهذه القواعد الثلاث المتفرعة عن تطبيق العمل/التهديب لها تضمين في مبدأي التأدب والتواضع.

ومحمل القول في مبدأ التصديق أنه مبدأ أخلاقي تداولي، يستقي قواعده من الدين الإسلامي، وتتضمن قواعده جميع المبادئ التي جاء بها العربيون: مبدأ التعاون وقواعده المتفرعة عنه مع "غرايس"، ومبدأ التأدب وقواعده مع "رؤبين لاكوف"، ومبدأ الوجه مع "براون وليفنسن"، ومبدأ التأدب الأقصى مع "ليتس"، جاعلاً الصدق والإخلاص أساس الحوار/التخاطب، لكنه في ذات الوقت مبدأ صعب الضبط، وبخاصة العلم بنية المخاطب، لذا فهو مبدأ يعتمد بالأساس على صلاح وأخلاق المتكلم، ما يعني إنَّ الوازع الديني هو الذي يسيّر الخطاب ويضبطه، والناس كما نعلم متفاوتون في درجات الإيمان والأخلاق.

خلاصة الطرح: سعى "غرايس" بنظريته إلى الكشف عن الجانب الآخر من التواصل، وهو تواصل غير مباشر وغير مقصود، متروك للسامع ليحلله ويفهم المراد منه، ثم جاءت المبادئ المكتملة لمبدأ التعاون وسعت لجعل التخاطب تضبطه قواعد وقوانين، وانتهاك أي قاعدة ضمن المبادئ المطروحة يؤدي إلى معنى مستلزم، فينتهك عندئذ الحوار/الخطاب.

ومع كل ما قدم لهذه المبادئ من نقد، إلا أنها مبادئ يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولاً إلى حوار ناجح مثمر، وما المآخذ التي طالت النظرية الأساسية (مبدأ التعاون) إلا بناءً إيجابياً لسد الثغرات للخروج بمبادئ متكاملة تضبط الحوار وتضمن عدم تأذي أحد طرفي الحوار.

ثالثاً- آليات العُدول في التخاطب (نماذج):

تُعدُّ الاستعارة، التشبيه، التهكم والمبالغة من الطُرق المقبولة سياقيًا لاستخدام اللُغة للتعبير عن شيءٍ مختلفٍ عمّا يُقال فعلاً، وهذه الآليات الأكثر استخدامًا في سياقاتٍ مُعيّنة من غيرها، وهي من التقنيات التي تُعبّر عن المعنى على غير حقيقتة، وهذه الأساليب هي أمثلة على سبيل التّذليل لا الحصر.

### 01. الاستلزام التخاطبي في بُنيّة الاستعارة والتشبيه:

1. الاستعارة: الاستعارة معقلٌ من معاقل الإبداع، تُؤثّر في المُتلقي فكرًا وعاطفةً، وتعمل على شغل ذهن المُستمع وتحريكه، تحوي بُنيّتها التّركيبية طاقةً حجاجيةً تُسهّم في: "بناء النصّ الحجاجي من ناحية: الاستدلال، التأثير والإقناع، ما يعني: لفتَ ذهن المُتلقي أولاً، وبالتّيجة تُعطي للخطاب القوّة الدلالية التّأثيرية، ضمن بُنيةٍ إيضاحيةٍ تصويريةٍ، لتغيير مسارِ الدّهن وتحفيز المُتلقي بصورةٍ أعمق<sup>1</sup>.

وبالمُقابل لهذا الطّرح، نجد أنّ الاستعارة آليّة من الآليات التي عدّها "غرايس" انتهاكًا وخرقًا للحوار/التخاطب، وبالتّحديد "قاعدة الكيف"، فالاستعارة حسبه "تتضمّن قدرًا من الكذب، وإيرادها لا يجعلُ الكلامَ حقيقيًا، بل تشوّبه الزيادة إذا كانت الاستعارة مدحًا، أو التّقصان إذا كانت الاستعارة قدحًا"<sup>2</sup>، وخرقُ هذا القاعدة ليس مأخوذًا من اللفظ المُستعار، وإنّما من المعنى الثّاني الذي يتولّد في النّفس بطريق هذا المعنى الظّاهر بالّلزوم.

وَنماذجُ هذه الآليّة التي تخترقُ قواعد ومبادئ الخطاب (قاعدة الكيف) كثيرةٌ، لذا سيقتصرُ على مثالين (لا حصرًا) لبيان خرق قواعد التخاطب:

- قال "أحدُ الخواج" يُجَبُّ الموت/الإستشهاد في عُيون أصحاب: <sup>3</sup> [الطّويل]

01 وإنّ كريمة الموت عذبٌ مذاقه إذا ما مرّجناه بطيبٍ من الذّكر

حوى البيث استعارهً مكنيّة (عذبٌ مذاقه) شبّه فيها الشّاعر الموت بشرابٍ له مذاقٌ وطعمٌ، وهنا يظهرُ المعنى الإستلزامي الذي نتج عن خرق مبدأ الكيف، وبذلك يُجَبُّ الموت/القتال في قلوب المُتخلّفين/القاعدين عن الجهاد والحرب.

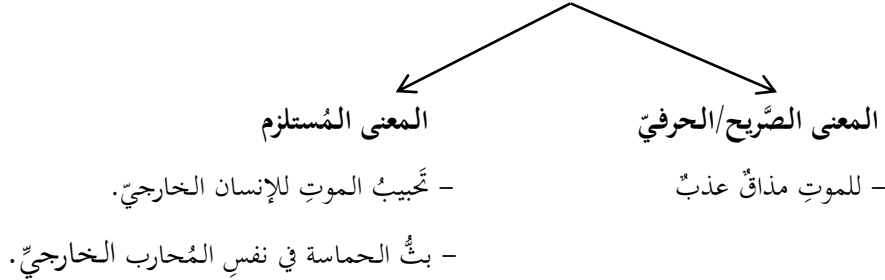
<sup>1</sup> يُنظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التّداولي البلاغي -تنظير وتطبيق على السّور المكّيّة-، منشورات الاختلاف، لبنان، (ط 1)، 2015، ص 177-179.

<sup>2</sup> بول غرايس: المنطق والمحادثة، ص 629.

<sup>3</sup> إحسان عبّاس: شعر الخواج، ص 255.

وقد وظَّفَ الشَّاعِرُ مَجموعَةً مِنَ الأفعالِ التَّأثيرِيَّةِ الإِيجابِيَّةِ لتعميقِ المعنى الإِستِلازِمِيِّ في نَفْسِ المُستَقْبَلِ، قال: (الطَّيِّبُ، الذِّكْرُ) لَعَلِمَ ما لَذِكرِ اللهُ سُبْحانَهُ مِنْ وَقَعٍ في النَّفْسِ، وبذلك تُشجِدُ الهِمَمُ، فِتَوظِيفُ الشَّاعِرِ ل: (مَرَجِنَاهُ بِطِيبٍ مِنَ الذِّكْرِ) هو العَلَّةُ الَّتِي يُسْتَساعُ بِها المَوْتُ ويُقبَلونَ عَلَيهِ. ويَمَكُنُ تَوضيحُ المعنى الإِستِلازِمِيِّ لِللفظِ المُستعارِ كالأتي:

"وَإِنَّ كَرِيهَةَ الْمَوْتِ عَذَبٌ مَذاقُهُ".



شكل 01: المعنى الصَّرِيحُ/الحرفي والمعنى المُستلزم في المَلفوظِ الإِستِعارِيِّ.

02. التَّشْبِيهُ: يُعَدُّ التَّشْبِيهِ في نَظَرِ "أوستين": "أداة لا تُفيدُ التَّطابِقَ الواقِعِيَّ بَينَ المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ بِهِ، وَهي أَيْضًا لا تَدْعُو إلى تَمَثُّلِ طَرِيقِ التَّطابِقِ، وبذلك لا يَكُونُ القَوْلُ حَقِيقِيًّا"<sup>1</sup>، ما يَعبُرُ إِنَّهُ آليَّةٌ لِخَرَقِ قاعِدةِ الكِيفِ، وَمِنْ نِماذِجِ هَذِهِ الآليَّةِ في شِعْرِ الخَوارجِ:

- قال "شَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ اليَشْكَرِيِّ" يَرِثِي أِخاهُ "الرَّيَّانَ" وَصَحْبَهُ مِنْ "بَنِي شَيْبَانَ"<sup>2</sup>: [الكامل]

- |  |  |
|--|--|
| 01 وَلَقَدْ فُجِعْتُ بِسَادَةِ وَفَوَارِسٍ     | لِلْحَرْبِ سَعْرِ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ   |
| 02 إِعْتاقُهُمْ رَيْبُ الرِّمَّانِ فَعَالَهُمْ | وَتُرَكَّتْ فَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانِ |
| 03 كَمَدٌ تَجَلَّجَلُ فِي فُؤادِي حَسْرَةٌ     | كَالنَّارِ مِنْ وَجَدٍ عَلَى الرِّيَّانِ |
| 04 وَفَوَارِسٍ بَاعُوا إِلَهَهُ نَفُوسَهُمْ    | مَنْ يَشْكُرُ عِنْدَ الوَعْيِ فُرْسَانَ  |

فُجِعَ الشَّاعِرُ بِفِئدِ سادَةِ شُجْعانِ، وَقَدِ عَبَّرَ عَن هَذَا التَّفجُّعِ بِتَشْبِيهِ صَوْرَةٍ فِيهِ حُرْقَةُ فِؤادِهِ، وَالمُقارَنَةُ بَينَ حالَةِ احْتِراقِ الفِؤادِ وَحالِ العَطْشانِ الَّذِي أَذْهَبَتِ النَّارُ ارْتِواءَهُ يَدُلُّ عَلى الحُزَنِ في كِلا الحالَتَيْنِ. وَاعْتِماَدُ هَذَا المُشَبَّهِ بِهِ: (كَالنَّارِ مِنْ وَجَدٍ عَلَى الرِّيَّانِ)، يُوحِي بِما قَصَدَ إِلَيهِ المُتَكَلِّمُ مِنْ إِبْتابِ التَّحَسُّرِ، وَبِهذا فَحالَفَ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ الكِيفِ القائِمِ عَلى الصِّدْقِ، فَالكَمَدُ وَالْحَسْرَةُ في فِؤادِ الشَّاعِرِ لَيْسا تَعْبِيرًا حَقِيقِيًّا، وَإِنَّمَا أَرادَ بِالتَّشْبِيهِ المعنى المُستلزم الَّذِي يَدُلُّ عَلى الحُزَنِ لِمَقْتَلِ الصَّحْبِ وَالإِخْوانِ.

<sup>1</sup> جون أوستين: نظريته أفعال الكلام العامة - كيف نُنجزُ الأشياءَ بالكلماتِ -، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1991، ص 05.

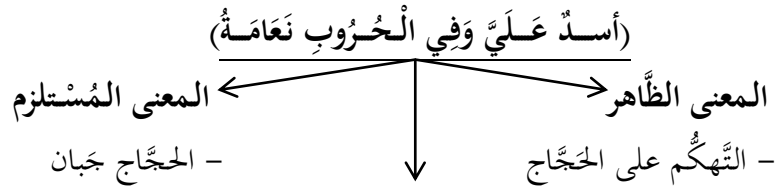
<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 217، 218.

- وقال "عمران بن حطان" يهجو ويُعيرُ "الحجاج بن يوسف"<sup>1</sup>: [الكامل]

01 أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامَةٌ ربداءُ تُجفَلُ من صفيرِ الصّافرِ

يهجو الشاعرُ "الحجاج" مُشبّها إيّاه بالأسدِ عليه في حالِ الأمن، يُطارده من مكانٍ لآخر، قال: (أسدٌ عليّ)، وأمّا في الحروبِ فهو كالنعامِ التي ترتعدُ خوفاً إذا سمعتُ صفيرَ الإنسان، واعتمادُ الشاعرِ لهذا الأسلوبِ؛ قصد به إثباتَ الجبنِ للحجاج، وبذلك خالفَ مبدأَ الكيفِ القائم على التزامِ الصدق، وإلّا فمَنْ ذا يُصدّق أنّ الحجاجَ كانَ جباناً خائفاً، مع كلِّ الأخبارِ التي تناقلتها كتبُ السِّيرِ عن قوّةِ الحجاجِ وبطشه وجبروته.

ومن خلالِ هذا التقديم، يُمكنُ توضيحُ المعنى الحقيقيِّ والمعنى المُستلزمِ للتَّركيبِ التَّشبيهيِّ:



#### نتائج القول

الحجاجُ خائفٌ وجبانٌ (أتهكّمُ وأعيرُ الحجاج)

شكل 02: المعنى الصريح والمُستلزم للملفوظِ التَّشبيهيِّ.

- وأنشد "الوليد بن طريف" مُعتدّاً بنفسه:<sup>2</sup> [الرجز]

01 أنا الوليدُ بنُ طريفِ الشَّاري

02 فسورةٌ لا يُصطَلَى بِناري

03 جورُكمُ أخرجني من داري

يَفخرُ الشاعرُ في هذا المرجوزِ بنفسه، مُعتدّاً بها، مُشبّها إيّاها بالأسدِ الشَّديدِ الصَّاري، وهو تشبيهٌ بليغٌ خرجَ وعدلَ به عن المعنى الحقيقيِّ، بمعنى: العدول عن مُقتضى الحال، والقصْد من التشبيهِ إثباتُ القوّةِ والشَّجاعةِ لا المعنى الحقيقيِّ، وبذلك وقعَ العدول، وشابَ القولُ زيادةً، وخرقتُ قاعدةَ الكيفِ، ليُبَرِّرَ أخيراً عن السَّببِ الذي جعله يخرُجُ على السُّلطةِ الحاكمة، قال: (جورُكمُ أخرجني من داري).

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 184.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 125.

## 02. العُدُولُ فِي بِنَيْتِي التَّهْكُمْ وَالْمُبَالَغَةُ:

1. التَّهْكُمْ: يَجْعَلُ "غرايس" أسلوبَ "التَّهْكُمْ" الَّذِي يَعْنِي: "إِخْرَاجَ الكَلَامِ عَنِ مُقْتَضَاهُ اسْتِهْزَاءً بِالمُخاطَبِ أَوْ بالخَبْرِ الَّذِي أوردَهُ المُخاطَبُ"<sup>1</sup> آيَةً "لِخَرَقِ القَاعِدَةِ الأُولَى مِنْ قَوَاعِدِ الكَيْفِ"<sup>2</sup>، والأَمْثَلَةُ فِي هَذَا البَابِ قَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

- قَوْلُ "الطَّرْمَاحِ" يَتَهَكَّمُ وَيَهجو قَبِيلَةَ "تَمِيمٍ" الَّتِي وَالتَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَتَتَرَلَّفُ إِلَى حُكَّامِهَا:<sup>3</sup> [الطَّوِيل]
- 01 تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ القَطَا      وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ المَكَارِمِ ضَلَّتْ
- 02 أَرَى اللَّيْلَ يَجْلُوهُ النَّهَارُ وَلَا أَرَى      خِلَالَ المَخَازِي عَنِ تَمِيمٍ تَجَلَّتْ
- 03 وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ      يَكُرُّ عَلَيَّ صَفِّي تَمِيمٍ لَوَلَّتْ

المعنى الحرفيُّ لِلخطابِ؛ الإِخبارُ عَنِ ضلالِ وَلؤْمِ وَضعفِ قَبِيلَةِ تَمِيمٍ، وَأَمَّا المعنى المُستلزمُ فَهو الهِجَاءُ وَالتَّهْكُمْ وَالدُّمُّ وَوَصْفُهُم بِالْحَبْنِ، وَهَكَذَا فَالشَّاعِرُ قَدْ خَرَقَ الأَصْلَ الثَّانِي لِقَاعِدَةِ الكَيْفِ، وَالَّذِي يَقْضِي بَعْدَهُ قَوْلُ مَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُثَبِّتَهُ، لِأَنَّهُ وَإِنْ وَالتَّ تَمِيمٍ بَنِي أُمَيَّةَ فَهَذَا لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى ضَعْفِهَا وَحُبْنِهَا، فإِطْلَاقُ هَذِهِ الأَحْكَامِ يَسْتَوْجِبُ تَقَدُّمَ الدَّلِيلِ، كَأَنَّ تَكُونَ تَمِيمٍ حَارِيتٌ وَفَرَّتْ مَثَلًا، فَادَّعَاءُ الشَّاعِرِ لَا بُدَّ مِنْ بَرَهْنَتِهِ، وَإِلَّا كَانَ كَلَامًا يَجْوِي كَذِبًا وَهَيْئَانًا.

حَسَبَ "غرايس" فَادَّعَاءُ مِنْ هَذَا التَّوَعُّعِ هُوَ خَرَقٌ لِمَبْدَأِ التَّعَاوُنِ عَمُومًا، وَلِقَاعِدَةِ الكَيْفِ خُصُوصًا، لَكِنَّ مَقْصُودَ الشَّاعِرِ جَلِيٌّ، وَهُوَ التَّهْكُمْ عَلَى تَمِيمٍ لِمُؤَالَاتِهَا أَعْدَاءَ الخَوارجِ مَا جَعَلَهَا تَسْتَحِقُّ الهِجَاءَ.

- وَقَالَ "أَحَدُ الخَوارجِ" مُتَهَكِّمًا عَلَى "عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَوْرٍ" ذَاكَرًا تَغْيِيرَ حَالِ حُكْمِ اليَمَامَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ "بَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ":<sup>4</sup> [الوَافِر]

01 فَأَصْبَحَتِ اليَمَامَةُ بَعْدَ عِزِّ      أَدَلَّ رِقَابَهَا الأَسَدُ العَقِيرُ

يُخْبِرُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا البَيْتِ عَنِ الحَالِ الَّتِي آلتَ إِلَيْهَا اليَمَامَةُ بَعْدَ عِزِّهَا لَمَّا كَانَتْ تَحْتَ حُكْمِ "عَامِرِ بْنِ بَجْدَةَ"، وَمَقْصُودُ الشَّاعِرِ بِقَوْلِهِ: "بَعْدَ عِزِّ"، الإِسْتِقْلَالِيَّةُ الحُكْمِ الدَّائِيَّةِ وَعَدَمُ التَّبَعِيَّةِ، وَإِنْ جَازَ القَوْلُ؛ مُعَادَاةُ بَنِي أُمَيَّةَ، حَيْثُ انْقَلَبَ هَذَا السُّؤْدُدُ وَالمَجْدُ إِلَى ذُلِّ وَهَوَانٍ، وَسَبَبُ هَذَا الذُّلِّ وَالِي اليَمَامَةِ

<sup>1</sup> التَّسْهِيلُ فِي عُلُومِ التَّنْزِيلِ، (ج 1)، ص 25.

<sup>2</sup> بُولُ غرايس: المنطق والمحادثة، (ج 2)، ص 628.

<sup>3</sup> الحُكْمُ بِنُ حَكِيمِ (الطَّرْمَاحِ): دِيوَانُ الطَّرْمَاحِ، تَح: عِزَّةُ حَسَنِ، دَارُ الشَّرْقِ العَرَبِيِّ، لَبْنَانِ، (ط 2)، 1994، ص 74-77.

<sup>4</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيوَانُ شِعْرِ الخَوارجِ، ص 87.

الجديد "عبد الله بن ثور"، مُشَبَّهاً بِإِيَّاهُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ الَّذِي أَصَابَهُ الدَّهْشُ والرُّوعُ، فلا هو مُتَّزِنٌ لِسُودِ الأُمُورِ بِحِكْمَةٍ، ولا الشَّجَاعِ الَّذِي يَحْمِي وَيُقَاتِلُ، وهو بذلك يَسْتَحِفُّ به وبِحُكْمِهِ.

هذا وإن كان "عبد الله" مُوهَنَ العِزْمِ؛ إِلَّا أَنَّ وَصْفَهُ بالخَوْفِ والجُبْنِ قد خَرَقَ به قَاعِدَةَ الكَيْفِ بِتَهْكُمِهِ وتَعْيِيرِهِ، فالْمُرَادُ مِنْ عَقْدِ التَّشْبِيهِ، التَّهْكُمُ، وبذلك يكونُ المعنى المُرَادُ والمُسْتَلْزَمُ مِنَ الخِطَابِ؛ عَدْمُ اسْتِحْقاقِ "عبد الله" الحُكْمِ والوِلايَةِ فِي نَظَرِ الشَّاعِرِ.

يَتَجَاوَزُ المُتَكَلِّمُونَ بِأَسْلُوبِ التَّهْكُمِ "الطَّرِيقَ المُبَاشِرَ فِي التَّعْبِيرِ، فَيَمْتَنِّطُونَ صَهْوَةَ التَّعَابِيرِ غَيْرِ المُبَاشِرَةِ لِلوُصُولِ إِلَى ما يُرِيدُونَهُ حَقِيقَةً، والمُخاطَبُ يَنْظُرُ فِي حَرْفِيَّةِ القَوْلِ، فَيَتَرَاءَى لَهُ أَنَّها غَيْرُ مُلائِمَةٍ لِلسِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، مِمَّا تَدْفَعُهُ مُرْغَمًا إِلَى تَأْوِيلِ القَوْلِ، فيجِدُ أَنَّ المَقْصُودَ مُضادًّا لِلشَّكْلِ الحَرْفِيِّ"<sup>1</sup>، وبذلك يَكُونُ التَّهْكُمُ فِعْلاً إِنْجَازِيًّا غَيْرِ مُبَاشِرٍ، قِوامِهِ الخُرُوجُ عَنِ "قَاعِدَةِ الكَيْفِ".

#### ب. المُبالِغَةُ:

المُبالِغَةُ/الإفراطُ مِنَ الآليَّاتِ الَّتِي يُنْتَهَكُ بِها الخِطَابُ، وبِالتَّحْدِيدِ: "يُحْرَقُ بِها الأَصْلُ الأوَّلُ مِنْ قَاعِدَةِ الكَيْفِ"<sup>2</sup>، وقد قِيلَ فِي المُبالِغَةِ بِأَنَّها: "أَنَّ يَكُونُ لِلشَّيْءِ صِفَةً ثابتَةً، فتزِيدُ فِي التَّعْرِيفِ بِمَقْدَارِ شِدَّتِهِ أو ضَعْفِهِ، فيُدْعَى لَهُ مِنَ الزِّيادَةِ فِي تلكِ الصِّفَةِ ما يُسْتَبْعَدُ عِنْدَ السَّماعِ"<sup>3</sup>، والمُتَأَمِّلُ لِحَقِيقَةِ المُبالِغَةِ عِنْدَ عُلَماءِ البِلاغَةِ؛ يَجِدُ أَنَّها تُثَبِّتُ وَصْفًا فِيهِ الزِّيادَةُ عَنِ غَيْرِهِ، إمَّا عَلى جِهَةِ الإِمْكانِ أو التَّعَدُّرِ أو الإِسْتِحْالَةِ"<sup>4</sup>، وَمِنْ نَمادِجِ المُبالِغَةِ (الإفراطِ) فِي شِعْرِ الخَوارجِ:

- قال "أحدُ الخَوارجِ" وهو عَلى رَأْسِ هَضْبَةٍ يَمْدُحُ فُرْسانَ الخَوارجِ: <sup>5</sup> [الكامل]

01 وَهُمُ الأَسُودُ لَدَى العَرِينِ بِسالَةٍ وَمِنَ الخُشُوعِ كَأَنَّهمُ أَحْبابُ

المعنى الحِواريُّ المُستَلْزَمُ لِلبَيْتِ، الإِخبارُ عَنِ شِدَّةِ بَأْسِ الخَوارجِ، جِامِعًا بَيْنَ الحُسَيْنِيِّينَ، الشَّجَاعَةِ وَالتَّقْوَى، وبهذا الإِخبارِ فَقَدْ خَرَقَ القَاعِدَةَ الأوَّلَى مِنْ مَبْدَأِ الكَيْفِ (قَاعِدَةُ صَدَقِ الخَبَرِ)، فَهو لا يَصِفُهُم عَلى نَحْوِ الحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا إِخبارُهُ يَسْتَدْعِي مِنَ المُخاطَبِ تَأويلَهُ، وَهنا يُلاحَظُ أَنَّ التَّأويلَ المُناسِبَ لِلخَبَرِ؛ هو الإِخبارُ عَنِ بِسالَةٍ وَفُتُوَّةِ فِرْسانِ الخَوارجِ وَقُوَّتِهِم، وَهو إِخبارٌ عَنِ طَرِيقِ الإفراطِ والمُبالِغَةِ.

<sup>1</sup> ليلي كادة: المَكُونُ التَّداوُلِيُّ فِي النِّظَرِيَّةِ اللِّسانِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، ص 411.

<sup>2</sup> بول غرايس: المَنْطِقُ والمُحادِثَةُ، ص 629.

<sup>3</sup> الرِّزْكَشِيِّ: البُرْهانُ، (ج 3)، ص 51، 52.

<sup>4</sup> يحيى العَلَوِيُّ: الطَّرائِزُ لِأَسرارِ البِلاغَةِ وحَقائِقِ الإِعْجازِ، المَكْتَبَةُ المِصرِيَّةُ، بِيروَتِ، (ط 1)، 1423 هـ، (ج 3)، ص 63.

<sup>5</sup> إِحْسانُ عَبَّاسٍ: دِيوانُ شِعْرِ الخَوارجِ، ص 257.

- وقالت "عمره أم عمران" تُخبرُ عن صلاحه ودُعائه أن يُرزقَ الشَّهادة: <sup>1</sup> [البسيط]

01 اللهُ أَيَّـدَ عِمْرَانَ وَطَهَّرَهُ      وكانَ عِمْرَانُ يَدْعُو اللهُ في السَّحْرِ

02 يَدْعُوهُ سِرًّا وإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ      شَهَادَةً بِيَدَيِّ مِلْحَادَةٍ غُدْرٍ

المعنى الحرفي للبيت هو إخبارُ الشاعرة عن تقوى وصلاح ابنها، وأنه مؤيَّد من الذاتِ العليَّةِ سبحانه، وأمَّا المعنى المستلزم فهو تمنيُّ الشَّهادة، ولا يزيدُ هذه الشَّهادة رِفعةً إلا إذا كانت على يدِ الملاحدة الكافرين -وتعني خصومه-، وقد توصلت الشاعرة إلى هذا المعنى بخرقِ الصُّورة الأولى لقاعدة الكيف (صدق الخبر)، والتي من بين تأسيساتها "منع الكذبِ وادِّعائه، وعدم قولِ الباطل"<sup>2</sup>، ولقد أطلقت الشاعرة الحكم عليهم بالكُفر بدعوى المخالفة، فجاءت بصيغة المُبالغة والإفراط "مِلْحَادَةٍ" في وصفِ كُفر الآخر (العدو).

إنَّ هذه الآلياتِ التي تنتهكُ الخطابَ وتخرقه، يُطلقُ عليها طرقُ الإِستِلازِمِ المُخصَّص، وهذا الأخيرُ ينتج عن خرقِ إحدى القواعدِ التَّخاطِبِيَّة، وقد عُرِّفَ بأنه "ذلك المعنى الإضافي الذي يعتمدُ على معرفةٍ خاصَّةٍ أو محلِّيَّةٍ لفهمِ الإِنتهاكِ، ولحصُوله لا بدَّ من خرقِ إحدى هذه القواعدِ الأربع، مع احترامِ مبدأ التَّعاون"<sup>3</sup>، فإذا انتهك المُتكلِّمُ إحدى قواعدِ التَّخاطب؛ سعى المُتلقُّ إلى الوُصولِ إلى الغايةِ والهدفِ من هذا الإِنتهاكِ، ما يعني إنَّ معرفة الإِنتهاكِ هنا خاصَّة بالمُخاطَب، حيثُ تندخُل عوامل عديدة في ذلك منها: يقظته وإدراكه، وهذه الطُّرقُ أو الآلياتُ هي نماذج فقط للعديدِ من الطُّرقِ التي يُنتهكُ بها الخِطابُ، كالكِناية وأسلوبِ تحصيلِ الحاصلِ والإخبارِ بما هو معلوم.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 85.

<sup>2</sup> عبد العزيز حمودة: المرايا المُحدَّبة من البِنويَّة إلى التَّفكيك، المجلس الأعلى للفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998، ص 323.

<sup>3</sup> جورج يول: التَّداوليَّة، ص 68. وأحمد المتوكَّل: اللِّسانيَّات الوظيفيَّة، ص 27.

### المبحث الثاني - الوَعْيُ البَلاغيُّ بِمَفهُومِ الإِستِلازِمِ التَّخاطِبيِّ:

ظاهرةُ الإِستِلازِمِ التَّخاطِبيِّ بالمفهومِ العربيِّ ضاربةٌ في التَّاريخِ، ونظيراتها في العربيَّةِ: (المَعْنَى المَقاميُّ)، (الأغراضُ الَّتِي تَخْرُجُ إليها الأساليبُ)، (خُرُوجُ الكلامِ عَن مُقْتَضَى الظَّاهِرِ) و(المَعْنَى وَمَعْنَى المَعْنَى).

ومن أبرزِ الَّذِينَ تناوَلُوا هذهَ القضيَّةَ، "الجرجانيُّ" (ت 471 هـ) في حديثه عن: (المَعْنَى وَمَعْنَى المَعْنَى)، فيقول: "نَعْنِي بالمَعْنَى المَفهُومَ مِنْ ظاهِرِ اللَّفْظِ الَّذِي تَصَلُّ إلىهِ بِغَيْرِ واسِطَةٍ، وبمعنى المَعْنَى أَنْ تَعْقِلَ مِنْ اللَّفْظِ مَعْنَى نَمَّ يُفْضِي بِكَ ذَلِكَ المَعْنَى إلى مَعْنَى آخَرَ"<sup>1</sup>، وبذلك يَكُونُ المَعْنَى الأَصْلِيُّ ما دَلَّ عليه ظاهِرُ اللَّفْظِ، وَمَعْنَى المَعْنَى هو المَفهُومُ الَّذِي يَتَأَوَّلُهُ المُتَلَقِّي، ويُمكنُ القَوْلُ بأنَّه: "الإِستِلازِمُ".

ويَتحدَّثُ "السَّكَّايُّ" (ت 626 هـ) ضَمَنَ مباحثِ عِلْمِ المَعاني عن خُرُوجِ دِلالةِ الكلامِ عن مُقتَضَى الظَّاهِرِ، وذلك نَتِيجَةً للسِّياقاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فيه، وبذلك تَتولَّدُ معانٍ مُتعدِّدة، وهذه المَعاني قد تُكوِّنُ: تَوبيخًا، إرشادًا وتهديدًا...<sup>2</sup>، والمَعْنَى المُتولَّدُ هو عَمليَّةُ الإِنْتقالِ مِنَ المَعْنَى الصَّريحِ إلى المَعْنَى المُستلزمِ، وهذه العَمليَّةُ تَتَمُّ على مَرَحلتين:<sup>3</sup>

- الأولى: يُودِّي عَدَمُ مُطابَقةِ المَقامِ إلى خرقِ أحدِ شُرُوطِ إجراءِ المَعْنَى الأَصْلِيِّ، وبذلك يُمتنعُ إجراؤه.

- الثَّانية: يَتولَّدُ عن الإِخلالِ بِشَرطِ المَعْنَى الأَصْلِيِّ، ومن ثَمَّةِ امتناعِ إجرائه معنى آخَرَ يُناسِبُ المَقامَ.

وهذا تَصريحٌ مِنَ "السَّكَّايِّ" على أَنَّ المَعاني المُختلفةَ عن المَعاني الأَصْلِيَّةِ إنَّما تَتولَّدُ جَرَّاءَ امتناعِ قرائنِ السِّياقِ مِنَ إجراءِ المَعْنَى على أَصلِهِ.

وما جاءَ به "السَّكَّايُّ" في بابِ الخَبيرِ والإِنشاءِ وخُرُوجِهما إلى معاني غيرِ حَقِيقِيَّةِ مُستلزِمَةٍ لا يَخْتلِفُ عن الطَّرِحِ الَّذِي جاءَ به "أوستين" و"سيرل" وما طَوَّرَهُ بعدهما "غرايس" وسُمِّيَ الإِستِلازِمُ التَّخاطِبيُّ/الحواريُّ، وفي هذا البابِ يقولُ "أحمدُ المتوكَّلُ": "ويَتضمَّنُ الفِكرُ اللُّغويُّ العَرَبِيُّ القَدِيمُ ثنائِيَّةَ الخَبيرِ/الإِنشاءِ الَّتِي تُشَبِّهُ إلى حدِّ بعيدٍ ثنائِيَّةَ "أوستين" في حديثه عن الوَصْفِ/الإِنجازِ"<sup>4</sup>.

وإنَّ هذهَ الجزِيَّةَ مِنَ البَحْثِ، سَتُسلِّطُ الضُّوءَ على الأساليبِ الإِنشائيَّةِ (الطَّلبيَّةِ) والمعاني الَّتِي تَخْرُجُ إليها، الَّتِي يُقسِّمُها "السَّكَّايُّ" في كتابه: "مِفْتاحُ العُلومِ" إلى خَمسةِ معاني أَصْلِيَّةِ هي: الأَمْرُ، النَّهْيُ، النَّداءُ، الإِستِفهامُ والتَّمَنِّيُّ، حسبِ مِقاَرِبةِ تَداولِيَّةِ غرايسِيَّةِ، وهو ما يُسمَّى بـ: "ظاهرةِ الإِستِلازِمِ التَّخاطِبيِّ/الحواريِّ".

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 203.

<sup>2</sup> يوسف السكاي: مِفْتاحُ العُلومِ، تح: جميل هندراوي، دار الكتب العلميَّة، لبنان، (د ط)، 1971، ص 186-190.

<sup>3</sup> أحمد المتوكَّل: الإِستِلازِمُ التَّخاطِبيُّ بين البلاغةِ العربيَّةِ والتَّداولِيَّاتِ الحديثيةِ، ضمن كتاب: حافظ إسماعيل علوي، التَّداولِيَّاتِ عِلْمِ استعمالِ اللُّغةِ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (ط 1)، 2011، ص 297، 298.

<sup>4</sup> أحمد المتوكَّل: اللِّسانِيَّاتِ الوظيفِيَّةُ -مدخل نظري-، منشورات عكاظ، الرِّباط، المغرب، (د ط)، 1989، ص 37.

أولاً - الاستفهام:

الاستفهام هو: "طَلَبَ الْعِلْمَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، وَذَلِكَ بِأَدَاةٍ مِنْ إِحْدَى أَدَوَاتِهِ الْآتِيَةِ: الْهَمْزَةُ، هَلْ، مَا، مَتَى، أَيَّانَ، كَيْفَ، أَيْنَ، أُنَّى، كَمْ وَأَيُّ"<sup>1</sup>، وعرفه "التفتازاني" بأنه "طَلَبُ حُصُولِ صُورَةِ الشَّيْءِ فِي الذَّهْنِ بِأَدَوَاتٍ مَحْصُوصَةٍ"<sup>2</sup>، وقد يخرج الاستفهام عن وظيفته الأصلية إلى: "أغراض مجازية يمكن التوصل إليها من خلال السياق"<sup>3</sup>، ويجري الاستفهام على حقيقته إذا: "لم يخرج عن أصله وهو طلب الحصول، وأن يكون المستفهم عنه ممكن الحصول، وأن يهتم المستفهم ويعنيه شأنه، فإذا استوفيت هذه الشروط في إنجاز جملة استفهامية ما؛ أجري الاستفهام على أصله وكان استعمالاً حقيقياً، أما إذا كان إنجاز الجملة الاستفهامية في مقام غير مطابق؛ فإن المعنى الأصلي يخرج إلى معنى آخر"<sup>4</sup>، وخروج الاستفهام عن وظيفته الأصلية، يقود إلى مقاصد تداولية، وهو محل بحث "غرايس".

جاء الاستفهام في شعر الخواج كثيراً، حاملاً معانٍ مختلفة، فالاستفهام من أقوى وسائل الحجاج، وقد لجأ إليه الشعراء لتنويع اللغة الشعرية، وبه تزيد طاقة النص الإيحائية.

01- خروج معنى الاستفهام إلى التحدي:

- يقول "سميرة بن الجعد" مرسلاً أبياتاً للحجاج بن يوسف:<sup>5</sup> [الطويل]

- 01 فَمَنْ مَبْلِغُ الْحَجَّاجِ أَنْ سَمِيرَةً قَلَى كُلِّ دِينٍ غَيْرِ دِينِ الْخَوَاجِ  
02 رَأَى النَّاسَ إِلَّا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ مَلَاعِينُ تَرَائِكِينَ قَصَدَ الْمَنَاهِجِ  
03 فَأَيُّ امْرِيٍّ أَيُّ امْرِيٍّ يَا ابْنَ يُوسُفٍ ظَفَرَتْ بِهِ لَمْ يَأْتِ غَيْرَ الْوَلَاجِ

تنوعت الأساليب الاستفهامية في هذه الأبيات بين (من) التي يُستفهم بها عن العاقل، وقد حمل معناها الرّفص والإنكار، وبين (أي) ويؤتى بها للسؤال عما يُميّز أحد المتشاركين في أمرٍ يهْمُهُما، فباستعمال هذه الأدوات أراد الشاعر إيصال أفكاره للحجاج بن يوسف، متحدّ إياه، موصلاً له ثباته على دين الخواج، مُستعدّ للقائه ومُحاربتة.

استفهام (من) + خرق لقاعدة كم الخبر = معنى مستلزماً حوارياً (التحدي والشجاعة).

<sup>1</sup> يحي العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، المكتبة المصرية، لبنان، (ط 1)، 1423 هـ، ص 245.

<sup>2</sup> سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني مع شروح التلخيص، دار أدب الحوزة، إيران، (د ط)، (د ت)، (ج 2)، ص 246.

<sup>3</sup> عبد الكريم محمود يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن، مطبعة الشام، دمشق، (د ط)، 2000، ص 17.

<sup>4</sup> أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، (ط 1)، 1986، ص 99.

<sup>5</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخواج، ص 71.

## 02- خروج الاستفهام إلى الرثاء:

وفي هذا الباب، نجد أن "مليكة الشيبانية" في رثاء عمها اتخذت من الاستفهام وسيلة لإظهار التشويق، مع حزن ومرارة في ذكر مناقب من تراثهم، قالت: <sup>1</sup> [الكامل]

01 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَتْ فِعَالُهُمْ عُرِفُوا بِحُسْنِ عَفَافَةٍ وَوَقَارٍ

02 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا أَتَاهُمْ سَائِلٌ بَدَلُوا لَهُ أَمْوَالَهُمْ بِيَسَارٍ

03 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرْنَا دِينَهُمْ قَالَتْ عَشَائِرُهُمْ: هُمْ الْأَخْيَارُ

جسد السياق نبرة حزن، حملتها أدها الاستفهام (أين)، والتي في الأصل يُسأل بها عن المكان، فقلب "مليكة" يعترض ألماً لفراق عمها، رثاءً يحمل بُعداً في ذكر المناقب (عفة، وقار، كرم وجود)، وقد جاء التكرار ليصف انفعالات الشاعر، ويُعبّر في الوقت نفسه عن عاطفة.

استفهام (أين) + حرق لقاعدة الكم = مستلزماً حوارياً (الرثاء).

## 03- خروج الاستفهام إلى التبكيت والتعجب:

- يقول "عيسى بن فاتك الخطي" في تبكيت الخصوم: <sup>2</sup> [الوافر]

01 أَلْفَا مُؤْمِنٍ فِيمَا زَعَمْتُمْ وَيَهْزُمُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَ نَا

02 كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ نَا

خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى التعجب والتبكيت، ويحمل كذلك معنى السخرية، أي: أنتم أكبر عدداً وعدةً ويهزئكم أربعون مقاتلاً.

استفهام بالهمزة (أ) + حرق لقاعدة كيف = مستلزماً حوارياً (تبكيت وتعجب).

## 04- خروج الاستفهام إلى النصح:

- قال "الكميت" يحث قومه على النهوض ضد حكومة "بني أمية": <sup>3</sup> [الوافر]

01 فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ سَابِعُونَ أَلْفَا رَمَّاكُمْ خَالِدٌ بِشَبِيهِ قَرْدٍ

02 وَمَنْ وَلَّى بِذِمَّتِهِ رَزِينًا وَشَبِيَعَتِهِ وَلَمْ يُوفِي بَعْهَدٍ

أعطى "خالد القسري" الأمان لرزين (أحد الخوارج على بني أمية)، فلما ظفر به قتلته، فحذر الكميث أهل "مرو" ناصحاً إياهم، حاثهم على عدم الرضوخ، فقد أتى الشاعر بصفات قبيحة لحيوانٍ مُشبَّهاً

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 202.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 54.

<sup>3</sup> نايف معروف، ديوان الخوارج - شعرهم، خطبهم، رسائلهم -، دار المسيرة، بيروت، 1983، (د ط)، ص 49.

بها الظالم "خالدا القسري"، فخرق الشاعر "قاعدة الكم" في وصفه وإخباره، وقد خرج الاستفهام إلى معنى النصح مع تحقير الظلمة.

استفهام (كيف) + خرق قاعدة كم الخبر = استلزما حواريا (نصح وتذكير).

#### 05- خروج الاستفهام إلى التحريض:

- قال "عمران بن حطان" في نقد سياسة "عبد الملك مروان":<sup>1</sup> [البيسط]

01 حَتَّى مَتَى لَا نَرَى عَدْلًا نَعِيشُ بِهِ وَلَا نَرَى لِدُعَاةِ الْحَقِّ أَعْوَانَا

02 مُسْتَمْسِكِينَ بِحَقِّ قَائِمِينَ بِهِ إِذَا تَلَوْنَ أَهْلُ الْجُورِ أَلْوَانَا

يُعرضُ الشاعرُ بـ"عبد الملك"، وفي تصريحه بأنهم لا يرون عدلاً دلالة على الظلم الذي سُلطَ عليهم من أرباب السُّلطة، والاستفهام في صدر البيت خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مُستلزم وهو التحريض على سياسة بني أمية عامة ونقدها.

استفهام (متى) + خرق قاعدة كيف = استلزماً حوارياً (تحريض ونقد).

#### 06- خروج الاستفهام لوصف الألم والمرارة:

- تقول "مليكة الشيبانية" تربي عمها:<sup>2</sup> [الكامل]

01 مَا بَالُ دَمْعِكَ يَا مُلِيكَةَ جَارِ أَمْ مَا لِقَلْبِكَ لَا يَقْرُ قَرَارِ

02 أَمْ مَا لِنَفْسِكَ لَيْسَ يَسْكُنُ حُزْنَهَا لَيْلًا وَلَيْسَ نَهَاظُهَا بِنَهَارِ

03 جَزَعًا عَلَى مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَنَا وَنُعْدُهُ لِنَوَائِبِ وَعَثَارِ

04 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ دَفَعْتُ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ يَا عَمُّ بَيْنَ نَضَائِدِ وَعُجْبَارِ

صوّرتِ الشاعرةُ بالاستفهام المُتكرّر عِظَمَ مُصَابِهَا، وصيغَةُ الاستفهام اكَتَسَتْ لَوْنًا عاطفيًا حزينا، وهذه الجملةُ الاستفهاميةُ لا يُقصدُ بها الاستفهام عن مُعَيَّن، وإنما أَنْجَزَتْ فِعْلاً ضَمْنِيًّا هو الألم والتَّحسُّر، وفي ذاتِ الوقتِ تَعْظِيمَ شَأْنِ المَرْتَبِيِّ والتَّنْوِيهِ إلى عُلُوِّ مكانته.

وما يُلاحظُ على هذا النصِّ أيضًا، خرّقه لقاعدة كمّ الخبر، والتي تقضي أن "لا تجعل إفاذك تُفوق المَطْلُوب"، ومُجَاوِزَةَ الشاعرةِ القَدْرَ في الإخبارِ عن المَرْتَبِيِّ والحُزْنَ عليه وبيانِ رِفْعَتِهِ في قومه انتَهَكْتَ القاعدة وحصل الاستلزام.

استفهام (ما) + خرق قاعدة كم الخبر = استلزماً حوارياً (وصف الألم)، (وظيفية تعبيرية).

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخواج، ص 36.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 218.

07- خروج الإستفهام إلى التقرير:

- قال "شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ" يَذْكُرُ أَنَّ "عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ" و"سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ" صَلَّيَا خَلْفَ "الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ":<sup>1</sup> [الطويل]

01 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ نَصْرَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ

قِصَّةُ الْبَيْتِ الْيَتِيمِ اختصارًا: إِنَّهُ وَفِي خِلَافَةِ آخِرِ خَلِيفَةٍ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ "مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ" أَخِ الْخَلِيفَةِ "عَبْدِ الْمَلِكِ" سَنَةَ 127 هـ، وَقِيلَ: 128 هـ، وَقِيلَ: 129 هـ، "حَدَّثَ انْقِسَامٌ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ قَادَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبَعْدَ صِرَاعٍ دَامَ عَلَى الْحُكْمِ، انْتَهَزَمَ سُلَيْمَانٌ وَالتَّحَقَّقَ بَعْدَهُ اللَّهُ بْنُ عُمَرَ إِلَى الْعِرَاقِ (...) وَخَرَجَا إِلَى "الضَّحَّاكِ" الرَّعِيمِ الْخَارِجِيِّ، وَبَايَعَاهُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، وَصَلَّيَا خَلْفَهُ"<sup>2</sup>، فَقَالَ "شُبَيْلٌ" يَذْكُرُ صَلَاةَ قُرَيْشٍ (بَنِي أُمَيَّةَ) خَلْفَ "بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ" (الْخَوَارِجِ) وَيُؤرِّخُ لِهَذَا الْحَدِيثِ، فَجَاءَ بِاسْتِفْهَامٍ تَقْرِيرِيٍّ، تَقْرِيرِ فِعْلِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْخَوَارِجِ، وَبِذَلِكَ خَرَجَ الْإِسْتِفْهَامُ مِنْ مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى التَّقْرِيرِ، وَفِيهِ مُخَالَفَةٌ لِلْقَاعِدَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَبْدَأِ التَّأْدُبِ الْأَقْصَى فِي صُورَتِهَا السَّلْبِيَّةِ، وَالَّتِي تَقْضِي "أَنْ تُقَلَّلَ الثَّنَاءُ عَلَى النَّفْسِ وَمَدْحُهَا".

استفهام (ألم تر) + خرق قاعدة التواضع (الصورة السلبية) = استلزامًا حواريًا (تقرير)، (وظيفية إخبارية).  
ثانيًا - الأمر والنهي:

أ- الأمر:

الأمر نقيض النهي، وهو صيغة تستدعي الفعل، أو: "قولٌ يُنبئُ عن استدعاءِ الفعلِ مِنْ جِهَةِ الْغَيْرِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِعْلَاءِ"<sup>3</sup>، بِمَعْنَى طَلَبِ الْفِعْلِ مِنْ دُونِهِ، وَبَعْنَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ عِدَّةُ صُورٍ، جَاءَتْ فِي تَعْرِيفِ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ: "الْأَمْرُ: طَلَبُ الْفِعْلِ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى، حَقِيقَةً أَوْ ادِّعَاءً، وَيَأْتِي بِصُورٍ هِيَ: الْأَمْرُ، الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الْمَقْرُونُ بِالْأَمْرِ، اسْمُ فِعْلِ الْأَمْرِ، وَالْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنِ فِعْلِ الْأَمْرِ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 226.

<sup>2</sup> يُرَاجَع: الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ، (ج 2)، ص 461، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلدَّهَبِيِّ، (ج 8)، ص 18، الْبَيَانُ وَالتَّسْبِيحُ لِلْحَاحِظِ، (ج 1)، ص 278، وَالتَّنْبِيهُ وَالْإِشْرَافُ لِلْمَسْعُودِيِّ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، لُبْنَانِ، (د ط)، 2004، (ج 3)، ص 282. /وروى الدَّهْيُ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَالْحَاحِظُ: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ".

<sup>3</sup> يحيى العلوي: الطراز، (ج 3)، ص 155.

<sup>4</sup> عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (ط 5)، 2001، ص 144.

والأمر في التداولية فعلٌ كلاميٌّ يندرجُ ضمنَ التوجيهياتِ (*Derectives*) إذا كان مُباشراً، وذلك حسب تقسيمات "سيرل"، وقد يخرجُ الأمرُ عن معناه الحقيقيِّ وهو طلبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء والإلزام، إلى أغراض تضييئة حسب السِّياق، وقد وردَ في شعرِ الخوارجِ بكثرة:

### 01- خُرُوجُ الأَمْرِ إلى معنَى الإلتِماسِ:

- قال "قطريُّ بنُ الفُجاءة" يلتمسُ من "سميرة بنِ الجعد" التَّوبَةَ بعد مُجالسة "الحجاج":<sup>1</sup> [الطَّويل]

01 فَرَجِعْ أبا جَعْدٍ وَلَا تَكُنْ مُغْضِبًا عَلَى ظُلْمَةٍ أَغْشَتْ جَمِيعَ النَّوَاطِرِ

02 وَتُبْ تَوْبَةً تُهْدِي إِلَيْكَ شَهَادَةً فَإِنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَسْتَ بِكَافِرٍ

03 وَسِرْ نَحْوَنَا تَلْقَ الْجِهَادَ غَنِيمَةً تُفِدُكَ ابْتِئاعًا رابِحًا غَيْرَ خاسِرٍ

خرج الأمرُ عن معناه الحقيقيِّ إلى غرضِ الإلتِماسِ (راجع، تُبْ وسِرْ)، التماس مع استلطافٍ قصْدٍ استماله "سميرة بن الجعد" للعدول عن ذنبه لتزكته الخوارجِ ومُجالسة "الحجاج"، وهو ما يُعبَّرُ عنه لفظ (تُبْ)، ناصحًا إيَّاه، لعله ينال الشهادة مع أصحابه.

- القوة الإنجازية الأصلية = الأمر.

- القوة الإنجازية المُستلزمة = استلطافٌ (وظيفة تعبيرية توجيهية).

### 02- خُرُوجُ الأَمْرِ إلى الحسرة والمرارة:

- قال "عمرانُ بنُ حِطَّان" مُجسِّدًا مُعاناته الرُوحية والنفسية في انتقاله من مكانٍ لآخر:<sup>2</sup> [البسيط]

01 فَأَكْفُفْ كَمَا كَفَّ إِنِّي رَجُلٌ إِمَّا ضَمِيمٌ وَإِمَّا فَفَعَةُ القَاعِ

02 وَاجْتُنِبْ لِسَانَكَ عَن لَوْمِي مَسْأَلَتِي مَاذَا تُرِيدُ إِلَيَّ شَيْخٍ لِأَوْزَاعِ

03 أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا كُلُّ أَمْرِي لِلَّذِي يَنْعَى بِهِ سَاعِ

جاء الأمرُ في الأبيات بصيغة تراكمية، حرَّك دلالات النصِّ، وعَمَل على إقامة علاقةٍ ترابطيةٍ جسَّدتْ مُعاناة الشاعر النفسية (أكفف، اجنّب)، فالشاعرُ يرفضُ ويحتجُّ على واقعهِ الأليم، فالأمرُ في الأبيات حملٌ دلالةً مقصودةً من شُحناتِ العُضْبِ والإنفعالِ، جسَّدتْ المرارة والحزنَ التي يعيشها الشاعرُ، وخرج في الوقت ذاته إلى معنى مُستلزم وهو الحسرة والمرارة التي يُلاقِيهما جرَّاء فراره من مكانٍ لآخر.

- القوة الإنجازية الأصلية = الأمر.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 134.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 181.

- القوَّةُ الإِنجَازِيَّةُ المُستَلزِمةُ = الحَسرةُ، الألمُ (وظيفةٌ تَعْبِيرِيَّةٌ).

ب- النَّهْيُ: النَّهْيُ هُوَ طَلَبُ الكَفِّ، تَقُولُ: "نَهَاهُ عَنِ الأَمْرِ، زَجَرَهُ عَنِ الفِعْلِ"<sup>1</sup>، مَعَ وُجُوبِ "الإِزَامِ المُحاطَبِ بِهِ، كَمَا فِي فِعْلِ الأَمْرِ، إِلاَّ أَنَّهُ اِخْتَلَفَ عَنهُ فِي الصِّيغَةِ، وَلَهُ صِيغَةٌ وَاحِدَةٌ (لَا تَفْعَل)"<sup>2</sup>.

قال "البيضاوي" (ت 685 هـ) في التَّهْيِ: "اصطلاحاً: لَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ "لا" الجَازِمةُ، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: لَا تَفْعَلْ، وَهُوَ كالأَمْرِ فِي الاسْتِعْلَاءِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ طَلَبِ الكَفِّ أَوْ التَّرْكِ"<sup>3</sup>.

يَشْتَرِكُ النَّهْيُ مَعَ الأَمْرِ فِي أَنَّهُمَا يَأْتِيَانِ عَلَى وَجْهِ الإِسْتِعْلَاءِ وَالإِزَامِ، وَيَخْتَلِفَانِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الأَمَرَ يَكُونُ طَلَباً لِلفِعْلِ، وَالثَّانِي طَلَباً لِكَفِّ عَنِ الفِعْلِ، وَيَخْرُجُ النَّهْيُ عَنِ المَعْنَاهِ الأَصْلِيَّةِ إِلَى مَعَانِي اسْتِلْزَامِيَّةٍ، وَتَحْمَلُ هَذِهِ المَعَانِي دِلالاتٌ كَثِيرَةٌ كَالإِلتِمَاسِ أَوْ الدُّعَاءِ، أَوْ التَّهْدِيدِ وَالنُّصْحِ، وَشِعْرُ الخَوارجِ تَجَلَّتْ فِيهِ هَذِهِ المَعَانِي بِكثْرَةٍ، وَالسِّيَاقُ هُوَ الحَكْمُ فِي فَهْمِ هَذِهِ المَعَانِي.

#### 01- خُرُوجُ النَّهْيِ إِلَى التَّرْغِيبِ:

- قال "قطريُّ بنُ الفُجاءة":<sup>4</sup> [الكامل]

01 لا يَرْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلى الإِحْجَامِ يَوْمَ الوَغَى مُتَخَوِّفاً لِحِمَامِ

02 فَالْقَدُّ أَرانِي لِلرَّمَّاحِ دَرِينَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

- القوَّةُ الإِنجَازِيَّةُ الأَصْلِيَّةُ = النَّهْيُ (لا + فِعْلٌ مُضارعٌ + ن).

- القوَّةُ الإِنجَازِيَّةُ المُستَلزِمةُ = التَّرْغِيبُ. (وظيفةٌ تَعْبِيرِيَّةٌ تَوْجِيهِيَّةٌ).

الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الأَيَّاتِ يُجَبِّبُ القِتَالَ إِلى النَّاسِ، وَيُنقِرُهُم مِنَ الإِحْجَامِ وَالفِرارِ فِي المَعْرَكَةِ، ثُمَّ يَدِيرُ الكَلَامَ حَوْلَ نَفْسِهِ مُفَاخِرًا بِشِجَاعَتِهِ وَفُرُوسِيَّتِهِ، وَالنَّهْيُ فِي هَذَا النِّصِّ قَدْ خَرَجَ مِنَ مَعْنَاهِ الحَقِيقِيِّ إِلى التَّرْغِيبِ فِي الجِهَادِ وَمُواجَهَةِ المَوْتِ، وَتَحْلِيَّاتِ المَوْتِ فِي شِعْرِ الخَوارجِ وَالشَّهادَةِ هِيَ أَسْمَى مَطالِبِهِم.

#### 02- خُرُوجُ النَّهْيِ إِلى الرِّثاءِ:

- تَقُولُ "لَيْلى بِنْتُ طَرِيفٍ" فِي رِثاءِ أَخيها "الوَلِيدِ الشَّارِي":<sup>5</sup> [الطَّوِيل]

01 فَلا تَجْزَعَا يا ابْنِي طَرِيفٍ فَإِنِّي أَرى المَوْتَ نَزَّالاً بِكُلِّ شَرِيفٍ

<sup>1</sup> إنعام عكاوي: المُعْجَمُ المُفَضَّلُ فِي عُلُومِ البَلاغَةِ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، العِراقِ، (د ط)، 1987 م، ص 668.

<sup>2</sup> السَّكَاكِي: مُفْتاحُ العُلُومِ، ص 320.

<sup>3</sup> ناصر الدِّينُ البِيضاوي: التَّنْزِيلُ وَأَسْرارُ التَّأوِيلِ، تَح: أَحْمَدُ لَطْرَشُ، دَارُ الرِّشْدِ، لَبْنانِ، (ط1)، 2000، (ج 1)، ص 234.

<sup>4</sup> إِحْسانُ عَبَّاسٍ: دِيوانُ شِعْرِ الخَوارجِ، ص 159.

<sup>5</sup> أَحْمَدُ مَعِيطة: الإِسْلامُ الخَوارجِي، ص 213.

ذَكَرَتِ الشَّاعِرَةُ مَنَاقِبَ عَدِيدَةٍ لِأَخِيهَا (الوليد)، مُبَيِّنَةً صِفَاتِ الشَّجَاعَةِ الَّتِي اِكْتَسَبَهَا فِي مُوَاجَهَةِ الظَّلْمَةِ، مُنْتَهِيَةً بِحَقِيقَةِ تَنْصِيحِهَا بِهَا قَوْمَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ (الموتِ)، الوَاقِعِ لَا مَحَالَةَ، وَمَا أَجْمَلَ أَنَّ يَأْتِيَ المَوْتُ وَالإِنْسَانُ عَلَى حَقِّ وَشَرَفٍ، وَالنَّهْيُ هُنَا قَدْ خَرَجَ عَن مَعْنَاهِ الحَقِيقِيِّ إِلَى مَعْنَى مُسْتَلْزَمٍ وَهُوَ الرِّثَاءُ.

- القُوَّةُ الإِنجَازِيَّةُ الأَصْلِيَّةُ = النَّهْيُ (لا + فَعْلٌ مَضَارِعٌ).

- القُوَّةُ الإِنجَازِيَّةُ المُسْتَلْزَمَةُ = الرِّثَاءُ (وِظِيفَةٌ تَعْبِيرِيَّةٌ).

### 03- خُرُوجُ النَّهْيِ إِلَى الإِلْتِمَاسِ:

- قَالَ "الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ" يَرِثِي أَصْحَابَهُ: <sup>1</sup> [البسيط]

01 لَا تَطْرُدُونِي إِذَا مَا جِئْتُ زَائِرُكُمْ رُجُّوا الفَلاحَ وَكُونُوا اليَوْمَ إِخْوَانَا

02 يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوعًا مِنْكَ تَهْتَانَا وَابْكِي لَنَا صُحْبَةً بَانُوا وَإِخْوَانَا

سِياقُ الأَبْيَاتِ يُبْعِدُ ذَهْنَ المُتَلَقِّي عَن قَبُولِ المَعْنَى اللَّفْظِيِّ (الحَرْفِيِّ) لِذِلَّةِ النَّهْيِ، فَيَبْحَثُ عَمَّا وَرَاءَ النَّهْيِ مِنْ ذِلَّةٍ، فَظَاهِرُ القَوْلِ؛ النَّهْيُ، وَلَكِنَّهُ خِطَابٌ مُوَجَّهٌ إِلَى أَمْوَاتٍ لَنْ يَصْدُرَ مِنْهُمْ أَيُّ رَدَّةٍ فَعَلٍ إِذَا جَاءَ زَائِرُهُمْ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ القَصْدُ أَوْ الذِّلَالَةُ الإِسْتِلْزَامِيَّةُ هِيَ تَوَيْخُ النَّفْسِ الَّتِي قَصَّرَتْ فِي حَقِّ أَصْحَابِهَا، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَلُومُ نَفْسَهُ إِذْ لَمْ يُنْقِذْهُمْ، وَبِهَذَا كَانَ النَّهْيُ مَزِيحًا بَيْنَ التَّمَاسِ الصَّفْحِ وَتَوَيْخِ الذَّاتِ مَعَ حَسْرَةٍ وَنَدَمٍ.

- المَعْنَى الأَصْلِيَّةُ = النَّهْيُ (لا + فَعْلٌ مَضَارِعٌ).

- المَعْنَى المُسْتَلْزَمُ = الإِلْتِمَاسُ مَزِيحٌ مَعَ نَدَمٍ وَحَسْرَةٍ.

<sup>1</sup> إْحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيوَانُ شِعْرِ الخَوارجِ، ص 235.

ثالثًا - النِّدَاءُ وَالتَّمَنِّي:

01. النِّدَاءُ: النِّدَاءُ: "طلب المتكلم إقبال المخاطب بحرفِ نابٍ منابٍ أدعو لفظًا، نحو: يا يزيدُ، أو تقديرًا، نحو: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا) يوسف 29"1، وأدوات النداء: (الهمزة، أي، يا، أي، أيًا، هيا، وا)، وهي في كَيْفِيَّةِ الاستعمال نوعان: (الهمزة وأي) للقريب، وباقي الأدوات للبعيد<sup>2</sup>. وللنداء معانٍ كثيرة يخرج إليها، يحددها السياق: لأنَّ النداء حسب المتعارف عليه، لا يُؤتى به لمجرد الانتباه والإصغاء فحسب، وإنما يُؤتى به لتنفيذِ فعلٍ إنجازيٍّ ما عن طريقه.

وردَ النداءُ في شعر الخوارجِ بأدوات عديدة، ولؤزوده أسباب عديدة منها: وإفهام الأليم وظروفهم القاسية، وجور الحكام في تلك الفترة -بزعمهم-، وقد تعددت الأدوات في شعر الخوارج، فاستعملوا بعضًا منها لنداء القريب، والبعض الآخر للبعيد، وكان السبب دائمًا هو استحضار المُنَادِي، وجعله في منزلة القريب، وقد تعددت أغراضُ النداء، فخرج إلى معاني مُستلزمة منها: الوصف، التقدُّم والتَّهْكُم، ومن ذلكم:

01- خُرُوجُ النِّدَاءِ لِلنُّصْحِ وَالتَّوْجِيهِ:

- قال "مُعَاذُ بْنُ حُصَيْنِ الطَّائِي" حِينَ هَمَّ "المُغِيرَةُ" بِنْفِي الخوارجِ إِلَى الكُوفَةِ: <sup>3</sup> [الطَّوِيل]

01 أَلَا أَيُّهَا الشَّارُونَ قَدْ حَانَ لِامْرِئٍ شَرَى نَفْسَهُ لَلَّهِ أَنْ يَتَرَحَّلَا

02 أَقَمْتُمْ بِدَارِ الْخَاطِئِينَ جَهَالَةً وَكُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ يُصَادُ لِيَفْتَلَا

03 أَلَا فَافْصِدُوا يَا قَوْمِ لِلْغَايَةِ الَّتِي إِذَا ذُكِرَتْ كَانَتْ أَبْرَ وَأَعْدَلَا

يَحْتُ الشَّاعِرُ أَصْحَابَهُ (الشُّرَاة) عَلَى بَدْلِ النَّفْسِ وَشِرَاءِ الْآخِرَةِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ، دَارُ فَنَاءٍ، حَاتًا لَهُمْ نَاصِحًا وَمُرْشِدًا، مُسْتَفْتِحًا كَلَامَهُ بِأَدَاةِ تَنْبِيهِ (أَلَا)، لِجَلْبِ انتباهِ السَّماعِ، وَقَدْ خَرَجَ النِّدَاءُ عَنِ مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْإِرْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ.

02- خُرُوجُ النِّدَاءِ لِإِظْهَارِ الضَّعْفِ وَالْإِنْكَسَارِ:

- قال "حَبِيبُ بْنُ خِدْرَةَ الْهَلَالِيِّ": <sup>4</sup> [الكامل]

01 يَا رَبُّ إِنَّهُمْ عَصَوْكَ وَحَكَّمُوا فِي الدِّينِ كُلِّ مُلْعَنِ جَبَّارِ

02 يَدْعُو إِلَى سُبُلِ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى وَالْحَقُّ أَبْلَجُ مِثْلَ ضَوْءِ نَهَارِ

<sup>1</sup> الحسن المفتي: خلاصة المعاني، تح: عبد القادر حسين، الناشر: العرب، السعودية، (د ط)، 1403 هـ، ص 247.

<sup>2</sup> أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 89.

<sup>3</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 45.

<sup>4</sup> نايف معروف: ديوان الخوارج، ص 52.

وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ النِّدَاءَ دِلَالَةً عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَظْهَرَ الضَّعْفَ وَالْإِنْكَسَارَ أَمَامَهُ، دَاعِيًا عَلَى الْفِتْنَةِ الضَّالَّةِ -حَسَبَ زَعْمِهِ- الَّذِينَ عَصَوْهُ، وَحَكَّمُوا بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

### 03- خُرُوجُ النِّدَاءِ لِلتَّعْظِيمِ:

- قال "مرداسُ بنُ أدية" مُتَمَنِّيًا أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ: <sup>1</sup> [الطَّوِيل]

01 إِلَهِي هَبْ لِي زُلْفَةً وَوَسِيلَةً إِلَيْكَ فَإِنِّي قَدْ سَأَمْتُ مِنَ الدَّهْرِ

02 وَقَدْ أَظْهَرَ الْجُورَ الْوُلَاةَ وَحَكَّمُوا عَلَى ظُلْمِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْعَدْرِ وَالْكَفْرِ

03 فَإِذَا سَأَلْتُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١﴾

وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ أُسْلُوبَ النِّدَاءِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، مَحذُوفِ الْأَدَاةِ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ (يَا إِلَهِي) أَوْ (أَدْعُوكَ يَا إِلَهِي) دِلَالَةً عَلَى تَعْظِيمِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتُعَالَى، وَبَيَّنَّ حِرْصَهُ الشَّدِيدَ عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ، وَقَدْ وَضَّحَ سَبَبَ طَلَبِهِ لِلشَّهَادَةِ: (سَأَمْتُ مِنَ الدَّهْرِ، جُورَ وَظُلْمَ الْوُلَاةِ، الْعَدْرَ بِأَهْلِ الْحَقِّ)، فَالنِّدَاءُ اسْتَعْمَلَ هُنَا لِلْقَرِيبِ، وَقَدْ اسْتَحْضَرَ الشَّاعِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١﴾﴾ الْبَقْرَةَ 186، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.

### 04. خُرُوجُ النِّدَاءِ إِلَى النُّصْحِ:

- قال "أحمدُ الخواج" يَرْتَجِزُ: <sup>2</sup> [الرَّجَز]

01 يَا نَفْسُ مِنْ طُولِ الْحَيَاةِ مَلِّي

02 وَعَيْشِكَ الْمُنْقَطِعِ الْمُؤَلِّي

03 عَلِّي أَلْقَى عَاصِمًا لَعَلِّي

04 فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ وَظِلِّ

تَدُلُّ الْحُمُولَةُ الدَّلَالِيَّةُ لِهَذَا الْمَرْجُوزِ عَلَى مَعْنَى حَرْفِيٍّ وَهُوَ نِدَاءُ النَّفْسِ بِاسْتِعْمَالِ أَدَاةِ النِّدَاءِ (يَا) لِلْقَرِيبِ، وَمَعْنَى مُسْتَلْزَمٍ وَهُوَ النُّصْحُ وَالْإِرْشَادُ، وَبِذَلِكَ انْتَفَتْ حَقِيقَةُ النِّدَاءِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا السِّيَاقُ، وَخَرَجَ إِلَى مَعْنَى الْإِسْتِلْزَامِ.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخواج، ص 113.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 221.

## 02. التَّمْنِي:

التَّمْنِي: عبارة عن تَوْعُّعِ أمرٍ مَحْبُوبٍ في المُسْتَقْبَلِ، وَقِيلَ: هو "طَلَبُ حُصُولِ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ لا يُرْجَى حُصُولُهُ لَكُونِهِ مُسْتَحِيلًا"<sup>1</sup>، وللتَّمْنِي ألفاظٌ هي: لَيْتَ، هَلْ وَبَلْ، و"لَيْتَ" هي اللَّفْظَةُ المَشْهُورَةُ لِلنَّدَاءِ، وتأتي "هَلْ" للتَّمْنِي، "والأصلُ أَنَّمَا لِلإِسْتِفْهَامِ، وَسَبَبُ العُدُولِ عن "لَيْتَ" إلى "هَلْ": إِبْرَازُ المُتَمْنِي لِكَمَالِ العِنَايَةِ به في صُورَةِ المُمَكِنِ الَّذِي لا يُحْرَمُ بَانْتِفَائِهِ"<sup>2</sup>، وَالَّذِي يُحَدِّدُ أَنَّ مَعْنَى هَلْ لِلإِسْتِفْهَامِ أَوْ التَّمْنِي هو السِّيَاقُ الَّذِي تَرُدُّ فِيهِ، قال "السَّكَاكِي": "كَمَا إِذَا قُلْتَ هَلْ لِي مِنْ شَفِيعٍ فِي مَقَامٍ لا يَسْعُ إِمْكَانُ التَّصْدِيقِ بِوُجُودِ الشَّفِيعِ، اِمْتَنَعَ إِجْرَاءُ الإِسْتِفْهَامِ على أَصْلِهِ وَوُلِدَ بِمَعُونَةِ قرائنِ مَعْنَى التَّمْنِي"<sup>3</sup>.

## 01. خُرُوجُ التَّمْنِي إِلَى الإِنْكَارِ وَالإِسْتِهْزَاءِ:

- قال "أحدُ الخوارجِ" مِنْ جُرْمِ يَرِثِي "نَجْدَةَ بِنِ عَامِرٍ" وَيَتَحَسَّرُ على انْقِلَابِ الحَالِ:<sup>4</sup> [الوافر]

- 01 أَبْعَدَ أَبِي المُطَرِّحِ يَوْمَ حَجْرٍ يَقُومُ بِسُوقِهَا أَبَدًا مُجِيرُ  
02 فَلَيْتَ سُيُوفِكُمْ يَا أَهْلَ حَجْرٍ أَنَاهَا يَوْمَ نَجْدَةَ مُسْتَعِيرُ  
03 فَأَصْبَحَتِ اليَمَامَةُ بَعْدَ عَزِّ أَذَلَّ رِقَابَهَا الأَسَدُ العَقِيرُ

يَرِثِي الشَّاعِرُ "نَجْدَةَ بِنِ عَامِرٍ" الَّذِي قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ "بَنِي عُدِيٍّ بِنِ حَنِيفَةَ" المُؤَالِينَ لِلخَلِيفَةِ "عَبْدِ المَلِكِ بِنِ مِروانٍ" سَنَةَ (69 هـ)، وَقَدْ كَانَ "نَجْدَةَ" "يَحْكُمُ اليَمَامَةَ، وَامْتَدَّ سُلْطَانُهُ إِلَى البَحْرَيْنِ وَعُمَانَ"<sup>5</sup>، وَالشَّاعِرُ فِي هَذَا الخِطَابِ يَتَمَنَّى لو أَنَّ أَهْلَ حَجْرٍ (اليَمَامَةَ) أَغَاثُوا زَعِيمَهُمْ وَمَا تَرَكَوهُ، وَبِذَلِكَ يُنْكَرُ عَلَيْهِمُ تَخَادُّهُمُ، وَبِعَدَمِ دِفَاعِهِمُ عن "نَجْدَةَ"؛ انْقَلَبَ حُكْمُ اليَمَامَةَ مِنْ عَزِّ زَعِيمِهِمْ إِلَى ذُلِّ وَجَبْرُوتِ عَبْدِ اللهِ بِنِ ثُورٍ مِنْ بَنِي قَيْسٍ، قال: وَقَدْ (أَذَلَّ رِقَابَهَا الأَسَدُ العَقِيرُ) مُعَيَّرًا عَبْدَ اللهِ بِنِ ثُورٍ.

- المَعْنَى الأَصْلِيَّ = التَّمْنِي (فَلَيْتَ).

- المَعْنَى المُسْتَلَزَمُ = إِنْكَارٌ وَاسْتِهْزَاءٌ.

<sup>1</sup> يُنْظَرُ: الطَّرَازُ، ج 3، ص 160.

<sup>2</sup> أَحْمَدُ المَهاشمي: جواهر البلاغة، ص 87.

<sup>3</sup> السَّكَاكِي: مَفْتاحُ العِلْمِ، ص 304.

<sup>4</sup> إِحْسانُ عَبَّاسٍ: دِيوانُ شِعْرِ الخَوارجِ، ص 87.

<sup>5</sup> عَبْدُ اللهِ بِنُ مُحَمَّدِ بِنِ حَمِيْسٍ: تَارِيخُ اليَمَامَةَ - مَعاني الدِّيَارِ وَمَا لَهَا مِنْ أَحْبارٍ وَأَثارٍ -، دارُ المَلِكِ عَبْدِ العَزِيزِ، (د ب)، (د ط)، 1987، (ج 7)، ص 281.

## 02- خُرُوجُ التَّمَنِّيِ إِلَى التَّدْمِ وَالتَّلْهُفِ:

- قال "عبد الواحد الأزدي" في انخزام "شبيب بن يزيد" يوم "السبخة":<sup>1</sup> [الكامل]

- 01 يَا لَيْتِي فِي الْخَيْلِ وَهِيَ تَدُوسُهُمْ فِي السُّوقِ يَوْمَ الظَّفْرِ بِالْحَجَّاجِ  
 02 بِأَخِي ثَمُودَ وَقُرْبِ مَا أَخْطَأَنَّهُ وَلَقَدْ بَلَغَنَ الْعُذْرَ فِي الإِذْلَاجِ  
 03 أَصْبَحَنَ بِالْأَنْبَارِ ثُمَّ أَتَيْتَنَّهُ مِثْلَ السَّعَالِي تَحْتَ لَيْلِ دَاجِ  
 04 فَبَطَحَنَ مَيْمُونَ الْعَذَابِ لَوَجْهِهِ وَتَرَكْنَهُ مُتَقَطِّعَ الأُودَاجِ  
 05 وَلَقَدْ تَخَطَّاتِ الْمَنَايَا حَوْشِبًا فَجَا إِلَى أَجَلٍ وَلَيْسَ بِنَاجِ

يَتَمَنَّى الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ صَاحِبِهِ الخَوارجِ يَوْمَ التَّحْمُومِ مَعَ "الْحَجَّاجِ" وَجُنْدِهِ، وَاصفًا شِجَاعَةً وَإِقْدَامَ فُرْسَانَ الخَوارجِ، وَالمُتَمَعِّنَ فِي النِّصِّ، يَجِدُ أَنَّ التَّمَنِّيَّ امْتَنَعَ إِجْرَاؤُهُ فِي الخِطَابِ عَلَى أَصْلِهِ، فَالشَّاعِرُ يَتَمَنَّى أَمْرًا يَسْتَحِيلُ حُصُولُهُ، وَبِذَلِكَ تَوَلَّدَ عَنِ خِطَابِهِ مَعْنَى مُسْتَلَزِمٍ وَهُوَ تَلْهُفُهُ وَتَدْمُهُ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ وَيُجَاهِدَ عَدُوَّهُمْ.

- المعنى الأَصْلِيُّ = التَّمَنِّيُّ (يا+ ليتني).

- المعنى المُسْتَلَزِمُ = تَلْهُفٌ وَتَدْمٌ.

## 03- خُرُوجُ التَّمَنِّيِّ إِلَى التَّحْسُرِ:

- قال "مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ الطَّائِي" وَهُوَ مَحْبُوسٌ حِينَ هَمَّ "المُغْبِرَةُ" بِنَفْيِ الخَوارجِ مِنَ الكُوفَةِ:<sup>2</sup> [الطَّوِيل]

- 01 فَيَا لَيْتِي فِيكُمْ عَلَى ظَهْرِ سَابِحِ شَدِيدِ القُصَيْرِي دَارِعًا غَيْرَ أَعْزَلَا  
 02 وَيَا لَيْتِي فِيكُمْ أَعَادِي عَدُوِّكُمْ فَيَسْقِيَنِي كَأْسِ المَيِّتَةِ أَوْلَا

وَظَفَ الشَّاعِرُ عِدَّةَ أَسَالِبٍ تَخْدُمُ فِكْرَةَ "السَّبْقِ إِلَى الشَّهَادَةِ"، فَهُوَ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ، قَالَ: (فِيَا لَيْتِي)، وَيَسْعَى لَهَا، وَيَحْتُ قَوْمَهُ لِئِيلِهَا، فَاسْتَحْدَمَ التَّنْبِيَةَ وَالتَّدَاءَ (أَلَا - يَا)، لِجَذْبِ انْتِبَاهِ القَوْمِ، وَوَضَفَ الأَمْرَ (فَأَقْصِدُوا) وَأَسْلُوبَ الشَّرْطِ (إِذَا)، وَكَلَّ هَذِهِ الأَسَالِبِ وَظَفَتْ لِلحَثِّ عَلَى طَلْبِ الشَّهَادَةِ، وَالتَّمَنِّيِّ فِي هَذَا النِّصِّ قَدْ خَرَجَ عَنِ مَعْنَاهِ الأَصْلِيِّ إِلَى مَعَانِي التَّحْسُرِ، وَخَاصَّةً وَأَنَّ مَانِعَ عَدَمِ المُحَارَبَةِ مَعَ صَاحِبِهِ، الحَبْسِ.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 228، 229.

<sup>2</sup> نايف معروف: ديوان الخوارج، ص 197.

04- خروج التمني إلى معنى الحيلة والحدز:

- قال "عمران بن حطان" في باب تمنى الشهادة والحدز من مينة العجز: <sup>1</sup> [ الوافر]

01 أَحَادِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَى الْعَوَالِي

02 وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنْ حَنَفِي كَحَنَفِ أَبِي هَالِلٍ لَمْ أَبَالِي

جاءت أداءة التمني محذوفة، والتمني يفهم من سياق الكلام، فالشاعر يتمنى الشهادة في ميدان الحرب، ويخشى أن يموت على فراشه، ويتمنى أن يلقي مينة كميته "أبي هلال" (أحد قادة الخوارج) في ميدان القتال والشهادة.

بهذا التقديم في باب الإنشاء الطلبي - كنموذج من مباحث علم المعاني -، نجد أن الفكر العربي القديم قد تضمن ما يتعلق والاستلزام التخاطبي، وبذلك يكون الانتباه له قديماً، وهذا ما أجمع عليه العديد من الباحثين المعاصرين، ليس "من حيث كون الاستلزام مفهوماً، ولكن باعتباره إشكالاً دلالياً، يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب، لذا طرحت جملة اقتراحات لوصفه واستقصائه، وخاصة في علم البلاغة، بيد أن هذه الاقتراحات بقيت في نطاق ملاحظة الظاهرة والتمثيل لها، ثم وضع مصطلحات تتباين بتباين العلوم المعنوية، كالأغراض التي تؤديها الأساليب، ودلالة المفهوم، والمعنى المقامي، والمعنى الفرعي" <sup>2</sup>، وإن كان الأوائل لم يعرفوا مصطلح الاستلزام بالمفهوم الغربي الحديث اليوم، إلا أن علومهم كالنحو والبلاغة وأصول الفقه وغيرها قد اهتمت بالمعنى وبالمخاطب والمعاني المضمرة غير الصريحة، فتجد النحوي مثلاً "يضمّر ما كان يقع مظهرًا استخفافاً، ولأن المخاطب يعلم ما يعني، فجزى ذلك بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني، لا بأس عليك، أو لا سوء أو ضرر عليك (...). ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم، وقد تقول: إذا كان غداً فأتني، كأنه ذكر أمراً إما خضومةً وإما صلحاً، فقال: إذا كان غداً فأتني" <sup>3</sup>، ويبحث الأصولي في دلالة الأمر والنهي - مثلاً - الشرعية، فقد يقتضي الأمر "أن تطيع قول الأمر،

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 159.

\* يُنظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 37، وأحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 85، وشاهر الحسن: علم الدلالة - السمائيكية والبراهمائية في اللغة العربية -، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2001، ص 182، وردة الله بن عبد الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، السعودية، (ط 1)، 1424 هـ، ص 232.

<sup>2</sup> العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 25.

<sup>3</sup> سيبويه: الكتاب، (ج 1)، ص 224.

والنَّهْيُ أَنْ تُتْرَكَ وَتُحْجَمَ، وَقَدْ يَفْتَضِيانِ غَيْرَ ذَلِكَ"<sup>1</sup>، بِمَعْنَى: قَدْ يَخْرِجُ الأَمْرُ إِلَى التَّدْبِ، النُّصْحِ، الإِرشادِ، وَيَنْتَقِلُ النَّهْيُ وَالَّذِي لَهُ صِيغَةٌ وَاحِدَةٌ "لا تَفْعَلْ" إِلَى مَعَانِي مُسْتَلزِمَةٍ مِنْهَا الدُّعَاءُ، الإِرشادِ، التَّحْقِيرِ، وَعَلَيْهِ فَالْفَيْصَلُ فِي تَحْدِيدِ الصِّيغَةِ الَّتِي يَخْرِجُ كُلُّ مِنْهُمَا؛ السِّيَاقُ.

## خَلَاصَةُ الفَصْلِ:

- بَعْدَ هَذِهِ الجَوْلَةِ البَلاغِيَّةِ بَيْنَ القَدِيمِ وَالْحَدِيثِ فِي شِعْرِ الخَوارجِ، وَمُحاوَلَةِ دِرَاسَةِ التَّعَالِقَاتِ بَيْنَهُمَا، مَتَّخِذِينَ مِنَ الإِستِلازِمِ التَّخاطِبيِّ عَنوَانًا لِلدِّرَاسَةِ، فَقَدْ أَسَفَرَ الفَصْلُ عَلَى نَتائِجِ أَهْمَتِهَا:
- 01- تُعَدُّ الأَعْمَالُ الَّتِي قَدَّمَهَا "غَرابِس" مُنطَلِقَ نَظَرِيَّةِ الإِستِلازِمِ التَّخاطِبيِّ/الْحَواريِّ.
  - 02- الإِستِلازِمُ التَّحَواريُّ/التَّخاطِبيُّ مِنْ أَهَمِّ المَفاهِمِ الَّتِي يَقومُ عَلَيْهَا الدَّرْسُ التَّداوِليُّ، وَهُوَ ثابِي دَرَجاتِهِ حَسَبَ تَقْسيمِ "هَانُسُون".
  - 03- اهْتَمَّ مُحَلِّلوُ الخُطابِ بِسُنِّ مَبادِي وَقَوانِينِ تَحْفَظُ الكَلامَ، وَبِالتَّالِي ضَمَانِ نِجَاحِ العَمَلِيَّةِ التَّخاطِبيَّةِ.
  - 04- إِمكانيَّةُ تَطْبِيقِ قَواعِدِ التَّخاطِبِ عَلَى النِّصِّ الشَّعْرِيِّ، وَلِلسِّيَاقِ الدَّورَ البَارِزَ فِي تَحْدِيدِ مَقاصِدِ المُتَكَلِّمِينَ.
  - 05- الإِستِلازِمُ الحَواريُّ لا يَقفُ عِنْدَ صَدقِ القَوْلِ، وَإِنَّمَا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي قِيلَتْ دَاخِلَ السِّيَاقِ.
  - 06- الإِستِعارَةُ، التَّشْبِيهُ، التَّهَكُّمُ وَالمُبالِغَةُ، مِنَ الأَساليبِ الَّتِي يَنْتَهِكُ تَوظيفُها قَواعِدَ التَّخاطِبِ (قاعِدَةُ الكِيفِ).
  - 07- الشَّاعِرُ الخَارجِيُّ قادِرٌ عَلَى إِصالِ مَقاصِدِهِ بِأَساليبٍ مُتعدِّدةٍ، مِنْها ما هُوَ ظاهِرٌ وَمُضْمَرٌ.
  - 08- جِاءَ شِعْرُ الخَوارجِ مَشحُونًا بِالمَعانِي الحَقِيقِيَّةِ المِباشِرَةِ، وَالمَعانِي غَيْرِ الحَقِيقِيَّةِ، وَالَّتِي تَنْتَظِمُ فِي سِياقاتٍ إِنتاجِيَّةٍ تَوَلِيدِيَّةٍ.
  09. هِناكَ وَعِيٌّ بَلاغِيٌّ بِمَفهومِ الإِستِلازِمِ التَّخاطِبيِّ/الْحَواريِّ عِنْدَ القُدَاميِّ.

<sup>1</sup> أبو إِسحاقِ إِبراهيمِ الشَّاطِبيِّ: المُوافِقاتُ فِي الأَصولِ وَالشَّرِيعَةِ، تَح: عبدُ الرِّزَّاقِ عَفِيفِي، دارُ الصُّمعيِّ، الرِّياضِ، السُّعُودِيَّةِ، (ط 1)، 2003، (ج 1)، ص 32، 33.

## الفصل الخامس: الحجاج البلاغي في شعر الخوارج

توطئة

المبحث الأول: الوظائف الحجاجية للأشكال البلاغية

01. التشبيه (*Analogie*)

03. الكناية (*La Métonymie*)

المبحث الثاني: حجاجية الأساليب البلاغية

أولاً. الإلتفات (*Apostroph*)

ثانياً. التكرار (*Répétition*)

توطئة:

تُساعدُ الأساليب والأشكالُ البلاغيَّةُ بأدواتها وصورها الفنيَّة على توجيهِ المتلقِّي عن طريق استمالاته، وعَاطيَتها الإقناع، باعتبارِه: "شحنةٌ منطقيَّةٌ يُحاولُ بها المُخاطبُ حَمْلَ مُخاطبِه على التَّسليمِ الوضعيِّ بمدلولِ رسالته، ثمَّ إنَّها تشملُ معنى الإمتاع، باعتبارِه سعيًّا حثيثًا نحو جعلِ الكلامِ قنأَةً تعبرُه الموصفاتُ التعاطفيَّةُ، فينطفئُ عندئذٍ الجدولُ المنطقيُّ العقلائيُّ في الخطابِ، وتحلُّ محلُّه نفاثُ الإرتياحِ الوجدانيِّ، وتُستقطبُ أخيرًا فكرةَ الإثارة، وبموجبها يكونُ الخطابُ عاملَ استفزازٍ يُحرِّكُ في المتقبَّلِ نوازغَ ورُودودٍ فعلٍ"<sup>1</sup>.

معنى ذلك: إنَّ الحَمالَ مُقترنٌ بالإقناع، مع استحالةِ الفصلِ بينهما، فالمعنى: "يكونُ مُقنعًا ولكِنَّه يحتاجُ إلى جمالٍ يُوشيه، ويحفظُ له رونقه ويُدعمُ فعله، والمعنى يكونُ جميلًا فتزدادُ قدرته على الفعلِ في المتلقِّي متى كانَ مُقنعًا"<sup>2</sup>، فجوهرُ البلاغةِ الإقناعُ، وإنَّ ازدانَ الإقناعُ بخاصيَّةٍ جُملةً صارَ تأثيره أقوى وأبلغ.

إنَّ الشَّكلَ البلاغيَّ عند "شايم بيرلمان" (*Chaim Perlmén*): يعدُّ بُرهانًا كَلِّما "استطاعَ أن يُولِّدَ تغييرًا في المنظور، وكانَ طبيعيًّا بالنَّسبةِ للموقفِ الجديِّ المُوحى به، وعلى العكسِ من ذلك، إذا كانَ الخطابُ لا يُثيرُ تأكيدَ المتلقِّي لهذا الشَّكلِ البرهانيِّ، فإنَّه يَتَمُّ إدراكُ الشَّكلِ البلاغيِّ حينئذٍ باعتبارِه مُجرَّدَ زينةٍ أو حيلةٍ أُسْلوبيَّة، ممَّا يُمكنُ أن يُثيرَ الإعجابَ على هذا المُستوى الجماليِّ، أو كدليلٍ على براعةِ المتكلِّمِ"<sup>3</sup>، فتقسيمُ "بيرلمان"، لا يدعُ مجالًا للشكِّ في أهميَّةِ التَّقسيماَتِ البلاغيَّةِ، والتي تكمنُ أهميَّتها في: تحريكِ المتلقِّي والفعلِ فيه، فإذا انضَفتْ تلكَ "الجماليَّةُ إلى حُججٍ مُتنوعةٍ، وعَلاقاتٍ حجاجيَّةٍ تُربطُ بدقَّةٍ أجزاءَ الكلامِ، وتُصِلُ بينَ أقسامِه؛ أمكنَ للمتكلِّمِ تحقيقَ غايَتِه من الخطابِ، أي: قيادَةَ المتلقِّي إلى فكرةٍ ما ورأيٍ مُعيَّنٍ، ومن ثمَّ توجيهِ سُلوكةِ الوجهةِ التي يُريدها له"<sup>4</sup>، أي: إنَّ الحجاجَ لا غنىَ له عن الجمالِ، فالجمالُ يرفدُ العمليَّةَ الإقناعيَّةَ، ويُيسِّرُ على المتكلِّمِ ما يُرومه من نفاذٍ إلى عوالمِ المتلقِّي الفكريَّةِ والشعوريَّةِ والفعلِ فيها.

وسيركزُ البَحْثُ على الصُّورِ والأشكالِ البلاغيَّةِ - حسب تقسيمِ "بيرلمان" -، بأخذِ نماذجٍ تطبيقيَّة، بدءًا بالتشبيهِ والكنايةِ، انتهاءً بأسلوبي الإلتفاتِ والتكرارِ، مُبيِّنًا: كيفَ وظَّفَ شعراءُ الخواجِ هذه الآلياتِ البلاغيَّةَ في خدمةِ قضيتهم؟ وما مدى فاعليتها في الخطابِ الإقناعيِّ؟.

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي: الأسلوب والأُسْلوبيَّة، دار الكتب الجديدة، بيروت، لبنان، (ط 5)، 2006، ص 65.

<sup>2</sup> سامية الدريدي: الحجاجُ في الشعرِ العربيِّ بنيتِه وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأردن، (د ط)، 2011، ص 122.

<sup>3</sup> ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّصِّ، ص 134.

<sup>4</sup> سامية الدريدي: الحجاجُ في الشعرِ العربيِّ بنيتِه وأساليبه، ص 120.

### المبحث الأول - الوظائف الحجاجية للأشكال البلاغية:

تعدُّ الصورة البيانية (*Rhétorique figure*) أحد أهم الأشكال الحجاجية، لأنها: "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه الدلالة، وتَنْحَصِرُ أهميتها في ما تُحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"<sup>1</sup>، حيث إنَّ غرض هذه الصور الحجاجية: إزعاج المتلقِّي وإثارة عواطفه عن طريق استمالة فكره ومشاعره حتى يُدعِنَ للقضية المطروحة موضوع الخطاب، والتشبيه والكناية أهم هذه الصور.

#### أولاً. التشبيه (*Analogie*):

التشبيه من أوسع فروع علم البيان\* الذي اهتم به البلاغيون، فهو ذو انطلاقة تأثيرية، يكتنِز بوظيفة إقناعية تؤثر في السامع وتستميل موقفه، أما عند "بيرلمان"، فالتشبيه: "طريقة حجاجية، تَعْلُو قيمتها على مفهوم المشابهة والمستهلِك، حيث لا يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة، وهذا الشكل يحمل شحنة حجاجية إقناعية أكثر منها جمالية، وصفة الجمال تُعنى: بزخرفة الألفاظ وتقريب المعاني، فلذَّه القارئ لا تُكوِّن في العبارات السطحية المتعارف عليها، وإنما في العبارات المشبعة بالعموض الذي يدفَع القارئ إلى محاورة هذه الصور، والإقناع بحجج القائل في تعبيره"<sup>2</sup>.

وبذلك، فالقوة الحجاجية للتشبيه تكمن في عناصره التي تعودُّه إلى بعث الدلالات التي تفتح خيال المتلقِّي، كالعلاقة بين المشبه والمشبه به، وكذا عنصر المقام والسياق الذي يرد فيه هذا التشبيه، إضافة إلى عناصر العملية التواصلية من: مرسل الخطاب، ورسالته، ومتلقَّيه، وشعراء الخواج قد وظَّفوا هذه الآلية كأداة حجاجية، هدَّفها التأثير في المتلقِّي وإقناعه، وقد عكف الخواج على هذا اللون من ألوان الحجاج البلاغي في شعرهم، باعتباره يُرسِّخ المعاني في النفس، وبذلك تزيد القوة الإقناعية التي هي غايتهم الأسمى في قضيتهم، فالسبوطي يذهب إلى القول بأنه: "بُحْسِن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد؛ تترصَّع المعاني في القلوب،

<sup>1</sup> جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عن العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (ط 3)، 1992، ص 323.

\* علم البيان: "أصول وقواعد يُعرَفُ بها المعنى الواحد بطرق متعدِّدة وتراكيب متفاوتة، من الحقيقة والحجاز والتشبيه والكناية.. مختلفة من حيث وضوح الدلالة على ذلك المعنى الواحد، وعدم وضوح دلالتها عليه، فالتعبير عن (جود حاتم الطائي) يُمكن أن يكون بهذه الألفاظ: جواد، كثير الرماد، بحر لا ينضب، سحاب مُمطر، وغيرها من التراكيب المختلفة في وضوح أو خفاء دلالتها على معنى الجود". أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 235.

<sup>2</sup> تركي أمحمد: التشبيه بين الجمالية والحجاجية نظرات في تراثنا العربي القديم، مؤسسة التربية، مصر، (د ط)، 2017، ص 9.

وتتصق بالصُدور، ويزيد حسنه حلاوةً وطلاوةً؛ بضرب الأمثلة والتشبيهات المجازية<sup>1</sup>، فالتشبيه يُقدم دليلاً أقوى لصالح النتيجة المتوخاة، وبالتالي تحصيل الإفادة، وهي التأثير والإقناع.

وقد تفنن شعراء الخوارج في وصف شجاعتهم وقوتهم، وخاصةً وصف الأحداث التي يعايشونها من حروبٍ ونزاعاتٍ سياسية، وقد تنوعت حقولُ ورودِ التشبيهات في شعرهم بين: حقل الشجاعة والبطولة، الرُهد والتقوى، الإغترار بالدنيا، التهكم والهزاء، وسُورُ نماذجٍ لكلِّ حقلٍ تباعاً.

١- تشبيه شجاعة الخصم وقوته:

إنَّ تشبيه الشجاعة في شعر الخوارج لم يقتصر عليهم فقط، وإنما تعدى ذلك إلى تشبيه شجاعة العدو/الخصم، وهم لا يرون في ذلك بأساً، فكلُّ من استحقَّ هذه الصفة أطلقوها عليه، وإن كان من مناصبيهم العداء، وفي هذا الباب يقول "أحد الخوارج" يُخبر عن وقّعتهم و"نافع بن الأزرق" وخوضهم معه الحروب ضدَّ "المهلب بن أبي صفرة"<sup>2</sup>: [الكامل]

### 01 وَلَئِن مِّنَا بِالمُهَلَّبِ إِنَّهُ لِأَخُو الحُرُوبِ وَكَيْتُ أَهْلِ المَشْرِقِ

شبهه الشاعر "المهلب" بالليث الضاري، لقوته وشجاعته في الحروب، وهذا الوصف للعدو ليُمثِّلَ أسمى معاني الإنصاف والإقرار، بل "المهلب" هو شجاع أهل المشرق، وفي هذا القول حجاجٌ ودليلٌ أتى به الشاعر ليُبَرِّرَ به هزائمهم المتكررة أمام "المهلب"، وبتشبيه قوة العدو؛ قدّم صورةً ذهنيةً تجعل القارئ يعذرهم لهزيمتهم، فشجاع وباسل أهل المشرق هي صورة تجعل الهزيمة أمامه ممكنةً، فإطلاق حُكم عامٍ يجعل القارئ/المتلقي يتعاطف والخوارج.

وفي السياق ذاته، يعضد "قطري" القول السابق بتشبيه سداد رأي "المهلب" وقوته، قال:<sup>3</sup>

[الطويل]

### 01 رُمِينَا بِشَيْخٍ يَفْلُقُ الصَّخْرَ رَأْبُهُ يَرَاهُ رَجَالٌ حَوْلَ رَأْيِهِ أَبَا

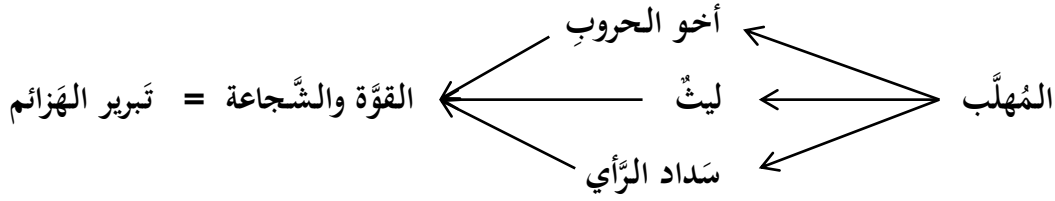
إنَّ سدادَ الرأْيِ والنظرة الثاقبة للأمور، مع شجاعة وقوة "المهلب" جعلت منه قائداً لا يُغلب، فتراه حول رأيه مدافعا ومقاتلاً، وفارساً لا يُشقُّ له عُبار، وهذا ما أراد الخوارج إيصاله للمتلقي من بني جلدتهم، وبذلك حاججوا بهذه التشبيهات لكي لا يلاموا في هزائمهم.

وللازتيقاء بهذا التشبيه إلى الحجاجية؛ إليك الترسيم الآتية:

<sup>1</sup> السُّيوطي: المُزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، دار الكتب العلميَّة، لبنان، (ط 1)، 1998، ص 37، 38.

<sup>2</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج: ص 123.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 130.



شكل 01: تشبيه شجاعة وقوة الخصم.

ب- تشبيه نقاء الخارجي وشجاعته:

إنَّ الإقبالَ على الشهادة وابتغاء الجنان، جعلَ مِنَ الخوارج لُحمةً واحدة، يُعِينُ ويُؤازر بعضهم البعض لنيلِ هذه الغاية التي إذا نيلتْ كانتْ نجاهً حَسَبَهُم، وفي سياقِ الإقبالِ على الشهادة، ويبيع النفس في سبيلِ الله، وفي سياقِ صفاءٍ ونقاءٍ سريرةِ الصَّحْبِ في مُؤازرةِ رمزِهِم وشيخِهِم ليصلَ إلى مُبتغاه، يقولُ "كعب بن عُميرة" في "أبي بلالٍ مرداس" وصحبه: <sup>1</sup> [الطَّويل]

- 01 شَرَى ابْنُ حُدَيْرٍ نَفْسَهُ اللَّهُ فَاحْتَوَى جِنَابًا مِنَ الْفِرْدَوْسِ جَمًّا نَعِيمُهَا  
 02 وَأَسْعَدَهُ قَوْمٌ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ نُجُومٌ دُجْنَاتٍ تَجَلَّتْ غُيُومُهَا  
 03 مَضَوْا بِسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدَمًا وَبِالْقَنَا عَلَى مُقَرَّبَاتٍ بَادِيَاتٍ سُهُومُهَا

يُمَثِّلُ "ابن حُدَيْرٍ" -وهي كُنْيَةُ "أبي بلالٍ الشَّاري"- رمزًا تاريخيًا للخوارج، والشاعرُ في هذه المَقْطُوعَةِ يُخبر عن بيعِ أبي بلالٍ نَفْسَهُ لله، يَبغي الجِنَانَ، واصفًا مُؤازرةَ الصَّحْبِ له لبلوغِ مَسْعَاه، قال: (قومٌ كأَنَّ وُجُوهُهُمْ نُجُومٌ)، فشَبَّه وُجُوهُ صَحْبِ أبي بلالٍ بالنُّجُومِ المُضِيئَةِ التي تُزِيحُ الغُيُومَ وتُنِيرُ الدَّرَبَ، وفي هذا التَّشْبِيهِ دلالةٌ على المُؤازرةِ والتَّأييدِ لِيُظْفَرَ صَاحِبُهُم بِأَنَّ هِيَ أَبْقَى وَأَحْسَنُ، وبهذا فَقَدْ حَاجَجَ ودَفَعَ شُبُهَةً "أَنَّ الخوارجَ كرهوا القِتَالَ مع أبي بلالٍ وأرادوا الحِيَادَ لولا خوفَ التَّنكِيلِ بهم لخدلانِ قضيَّتِهِم"<sup>2</sup>، وما يُفنِّدُ قولَ نُكُوصِ الخوارجِ عن نُصرةِ "أبي بلالٍ" وتأييدهم له ولمسعاها، قولَ الشَّاعر: (مَضَوْا بِسُيُوفِهِمْ) وبالرَّمَاحِ (وبالقَنَا)، وهذا لَهُوَ أكبرُ دليلٍ على الشَّدِّ بالعَضْدِ والتزامِ ما تعاهدوا عليه.



شكل 02: الخوارج لُحمة واحدة.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 75.

<sup>2</sup> خليل صالح: من قضايا الأدب والفكر في التراث العربي، دار الكتاب، عمان، الأردن، (د ط)، 2012، ص 145.

- وقال "سميرة بن الجعد" لما قرأ كتاب "قطري بن الفجاءة"، والذي يدعوه فيه للرجوع إلى ركب الخوارج، وعدم مجالسة "الحجاج بن يوسف"، فركب فرسه ولحق بالأزارقة، وكتب إلى الحجاج: <sup>1</sup> [الطويل].

- 01 فَأَقْبَلْتُ نَحْوَ اللَّهِ بِاللَّهِ وَاتَّقَا وَمَا كُرَيْتِي غَيْرُ الْإِلَهِ بِفَاجِ  
02 عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ الْقَرَا مُتَمَطِّراً إِلَى فِتْيَةِ بَيْضِ الْوُجُوهِ مَبَاهِجِ  
03 إِلَى قَطْرِي فِي الشُّرَاةِ مُعَالِجَا وَلَسْتُ إِلَى غَيْرِ الشُّرَاةِ بِعَاجِ  
04 وَأَمَّا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَسَدُ عِنْدَ الْحَرْبِ أَسَدُ التَّهَائِجِ

يتحدث الشاعر في أبياته عن رجوعه وتوبته، وأنه ترك ما كان عليه من مجالسة الحجاج بن يوسف، وأقبل على الله لفك كُرْبته، قال: (فأقبلت نحو الله)، ثم وصف قوة أصحابه في ساحات القتال، مؤكداً شجاعتهم، فشبَّههم بالأسود في القوة والشجاعة، قال: (هم الأسد)، وهو تشبيه بليغ، حذفت منه الأداة ووجه التشبه، فجعل من الخوارج والأسد لحمة واحدة لا تنفصل، فالخوارج لا يخشون الموت، بل أملهم الشهادة، وهي أسمى مطالبهم. وهذه الأبيات كانت تأثراً بأبيات قطري بن الفجاءة، وهي الغاية التي يسعى إليها التشبيه، وهي التأثير.

- يقول "فروة بن نوفل الأشجعي" يرثي قومه: <sup>2</sup> [الطويل]

- 01 هُمْ نَصَبُوا الْأَجْسَادَ لِلنَّبْلِ وَالْقَنَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِلَّا رَمِيمُهَا  
02 تَطَلُّ عِتَاقَ الطَّيْرِ تَحْجِلُ حَوْلَهُمْ يُعَلَّلْنَ أَجْسَادًا قَلِيلاً نَعِيمُهَا  
03 لَطَافًا بَرَاهَا الصَّوْمُ حَتَّى كَانَتْهَا سُيُوفٌ إِذَا مَا الْخَيْلُ تُدْمَى كُلُّومُهَا

صوّر الشاعر في الأبيات التي ذكرها؛ الخوارج وهم يعرضون أجسادهم للسهم والرماح طلباً للشهادة، وأن أجسادهم بقيت ولم يبق منها إلا الرميم البالي، ثم يصوّر مشهداً درامياً، وهو أن كibar الطير تأكل أجسادهم النحيلة التي لم تعرف التعم يوماً، وربما الطير في تصويره، لم تجد ما تأكله، وفي البيت الأخير، أتى الشاعر بتشبيه يظهر فيه ورع وزهد الخوارج، فشبَّه ضعف أجسادهم بالسيوف الحادة التي تُصيب الخيل بالجراح في حومة القتال.

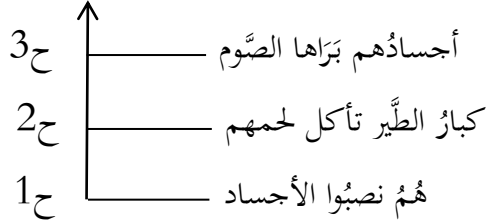
وتعريض الخوارج أجسادهم للنبال والسهم، يُريدون الموت (طلب الشهادة)، فتيل الشهادة هو الدين الحقيقي عندهم، والذي قامت عليه حركتهم، فالشاعر الخارجي يرى نفسه في صراع مع الزمن، وسيل

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 137.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 57.

الانتصار عليه هو الموت، وزهد الخوارج وحبهم لبقاء الله دفعهم إلى: "طلب الموت، فالخارجي يسعى لها سعيًا حثيثًا، وتضييق نفسه إذا طالت به الحياة، ولم تُكتب له الشهادة"<sup>1</sup>.

ن = تشبيه الإديار عن الدنيا (طلب الشهادة)



شكل 05: السُّلم الحجاجي لتشبيه زهد الخوارج.

- ويقول "سميرة بن الجعد" في وصفه لتقوى أصحابه:<sup>2</sup> [الطويل]

- 01 وَأَمَّا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ فَإِنَّهُمْ قِيَامَ كَأَنوُاحِ النَّسَاءِ النَّوَاشِجِ  
 02 يُنَادُونَ بِالتَّحْكِيمِ لِلَّهِ إِنَّهُمْ رَأَوْا حُكْمَ عَمْرٍو كَالرِّيَّاحِ الهَوَاجِ  
 03 وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا الدِّينُ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا وَلَمْ يَضْمُدْ لِقَصْدِ المَخَارِجِ

في البيت الأول يُشَبِّهُ الشَّاعر "سميرة بن الجعد" شِدَّةَ تقوى الخوارج، ويصف خوفهم الشديد من الله سبحانه، قيام ليلٍ وخشوعٍ (قيام كنائحات)، كأهم نسوة في ماتم، وأمَّا جُمْلَةُ الشَّرْطِ (إذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ)، فتدلُّ على أنهم في النَّهار مُنْشَغَلُونَ بِالْحُرُوبِ والقِتَالِ، وما يُدَلِّلُ على ذلك قول "سميرة بن الجعد" في السِّيَاقِ نفسه:<sup>3</sup> [الطويل]

إِلَى عُصْبَةٍ أَمَّا النَّهَارُ فَإِنَّهُمْ هُمُ الأَسَدُ عِنْدَ الحَرْبِ أُسْدُ التَّهَائِجِ

ويصف في البيت الثاني حُكْمَ "عمرو بن العاص" في القضيَّة المشهورة والتي هي أساسُ الخُروجِ على عليّ رضي الله عنه - سبق التَّقديْمُ لها-، الَّذِي كَانَ جَائِرًا -حَسَبَ زَعْمِهِم- وَقَلَبَ المَوَازِينَ، فَشَبَّهَ هَذَا الحُكْمَ بِالرِّيَّاحِ الهَائِجَةِ الَّتِي تَقْلِبُ كُلَّ شَيْءٍ فِي طَرِيقِهَا، خَاتِمًا قَوْلَهُ بِنصِيحَةٍ وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا (إِذَا الدِّينُ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا) عَلَى جَادَّةِ الصَّوَابِ والحَقِّ، فَكُلُّ مَا جَانَبَ مَنَاهِجَ وَمَذَاهِبَ الحَقِّ خِدَاجٌ وَبَاطِلٌ.

<sup>1</sup> عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي الأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1989، ص 38.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 137.

<sup>3</sup> المرجع السابق: الصَّفحة نفسها.

د- تشبيه الإغترار بالدنيا والتعلق بها:

- يقول "عمران بن حطان الدوسي" يصف تعلق الناس بالحياة: <sup>1</sup> [الطويل]

01 أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع

02 أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف عن قليل تقشع

03 كركب قد قضوا حاجاتهم وترحلوا طريقهم بادي العلامة مهيع

يُبيّن "عمران بن حطان" في أبياته تعلق الناس بالدنيا وتشبثهم بها، واصفاً إيّاهم ب: (أشقياء القوم)، وهي رؤية مادية بصرية، فالشاعر ينقل ما يعيشه ويشاهده، مُشَبِّهاً هذه الحياة بأنها (سحابة صيف) عابرة، مُكَنِّياً في الوقت نفسه على سرعة تفرق أهلها وزوال نعيمها، قال: (سحابة صيف عن قليل تقشع)، حتى وإن كانت تحب فالبقاء والمكوث فيها: (كركب قضوا حاجتهم ورحلوا)، فالشاعر بهذه المقدمات يؤسس ل طرح حجاجي يعمل التأثير فيه كوسيلة لتهييج المشاعر، فيزهد الخارجيين في الدنيا، وبذلك يحارون ويُقاتلون معه الأعداء -برغمه-، دون نُكوصٍ أو تولٍّ يوم الواقعة، فلا فائدة من التمسك بزائل، فالقيمة الحجاجية للتشبيها تظهري في تهذيب النفس وحثها على تجنّب التعلق بقاء، وهي صفة سليمة تناقض أسمى هدف يُريده الخارجي؛ وهو الشهادة.

وفي السياق ذاته؛ يقول "عمران": <sup>2</sup> [الكامل]

01 حتى متى تسقى النفوس بكاسها ريب المنون وأنت لاه ترزع

02 أفقد رضىت بأن تعلل بالمنى وإلى المنيّة كل يوم تدفع

03 أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يُخدع

فالشاهد في هذه المقدمات التي حاجج بها الشاعر لتبيين أنّ الدنيا ليست دار بقاء، وهي فترة زمنية تنقضي بقيام الإنسان من نومه، قوله: (أو كظل زائل)، وهو تشبيه يدل على أنّ الدنيا وقت معلوم يقضيه الإنسان فيها، ثم يأتي أجله، فالظل يزول بمرور الوقت، والحصيف العاقل لا يُخدع بزيتها القانية.

يُستنتج ممّا تقدّم، أنّ وظيفة التشبيه داخل الخطاب هي: "تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حياً، ومن ثمّ فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يُريده المصور، فإن أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة؛ شبه الشيء بما هو أرجح منه حسناً، وإن أراد صورة متداعية في الفبح والتفاهة؛ شبه

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 172.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 173.

الشيء بما هو أزدأ صفة<sup>1</sup>، وبذلك يكتسب التشبيه الحجاجية وينطوي تحت نظرية الحجاج، فالشاعر إذا توخى المشابهة بين شيء وآخر، فهو يؤسس لفكرة يريد إيصالها لذهن السامع، ويقود المتلقي إلى أن يسلم بالغاية الكبرى المضمرة خلف الخطاب.

ولتبيين حجاجية التشبيه وفاعليته في الخطاب، حلت عناصره في الجدول الآتي من خلال بيان نوع التشبيه، مقامه، موضوعه والغاية الحجاجية التي سعى التشبيه إلى تحقيقها.

الصورة التشبيهية	نوعها	مقامها	موضوعها	غايتها الحجاجية
أخو الحروب	بليغ	مدح العدو	وصف شجاعة الخصم وقوته	تبرير الهزيمة
ليث أهل المشرق	بليغ			
كانَّ وجوههم نجوم	تام	المدح	مؤازرة وعضد الصاحب	الخوارج لخدمة واحدة
كالضرعامة الهضبر	تام	المدح	وصف الشجاعة	تعداد مناقب المرثي
كأنها سيوف	تام	زهّد	الزهد	إبراز تقوى الخوارج وترفعهم عن الملذات
كأنواع النساء	تام	الرتاء	وصف صلاح الخوارج	
كالرياح الهوائج	تام	القدح	القدح في قضية التحكيم	رفض حكم علي رضي الله عنه
كأنهم لخشوعهم	تام	الرتاء	وصف تقوى وتدين الخوارج	تقرير معاني التقوى والصلاح التي يتصف بها الخوارج.
كانَّ بهم جوى	تام			
كركب مضوا	تام	الذم	ذم التعلق بالدنيا	التحذير من الدنيا والإغترار بها
كظل زائل	تام			

#### جدول 01: عناصر التشبيه الحجاجي.

يلاحظ على التشبيهات الواردة في شعر الخوارج - العينة المختارة - أنها جاءت تامة وبليغة، واختلفت مقاماً ورودها بين تشبيهات للشجاعة وأخرى للمدح والهجاء والزهد والرتاء، وتنوعت الغاية الحجاجية بين الإشادة ببسالة الخوارج وبطولاتهم، وبين الزهد في الحياة والتحذير من الدنيا والإغترار بها، ما يبيّن عناية الشاعر الخارجي بهذه الصور البيانية التي تُخدم خطابه، فجاءت جليّة موصحة للمعاني، ما أكسب تصورات

<sup>1</sup> يُنظر: محمّد حسين الصّغير، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (د ط)، 1981، ص 167.

الخوارج بُعدًا جماليًا وفنيًا، كما نجحوا من خلالها في تصوير واقعهم وحروبهم، فألفاظها جاءت موافقةً وملائمةً للمواقف، فحققت بذلك الحجاجية والإمتاع.

### 03. الكناية (La Métonymie):

الكناية من أدوات علم البيان، لها منزلة عالية عند البلاغيين، فهي "الرداء الذي تستتر تحته المعاني التي يتحرّج المتكلم من التصريح بها (...)" كما أنّها تحرك الفكر، وتبعث النفس على التأمل في المعنى المباشر لظاهر الكلام، ثمّ المرور منه إلى المراد عن طريق الصّلات بين الكلام الظاهر والمعنى الكِنائي المراد<sup>1</sup>، فما احتواها كلامٌ إلاّ وارتفع بها إلى مصافّ الشعر والسحر، وهي بلاغة لا يكمل لها إلاّ المُحيدون، وفرنٌ لا يتأتى لعامة الناس، ولا يُجيدُه إلاّ الأفاضل منهم.

تعدّ الكناية وسيلة حجاجية، فالمراد بها: "أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكنّه يجيء إلى معنى هو تاليه وردّفه في الوجود فيوميّ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"<sup>2</sup>، معنى ذلك، أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح، ولا تبرز قيمتها وجمالها وحسنها إلاّ في المواضع التي لا يحسن التصريح بها، فالمتلقّي الذي يتفادى التصريح، ويُقبل على التلميح؛ يبتدع الكناية ويُرَاهُن في الآن ذاته على ذكاء وفطنة المتلقّي، وسُرعة فهمه لدلالات الكناية الباطنية المختلفة وراء دلالاتها الظاهرة.

وقد وظّف شعراء الخوارج الكناية في خطاباتهم، كونها آليّة حجاجية لها بالغ الأثر في التأثير على فكر ومشاعر المتلقّي، وبذلك يحدث الإقناع، ومن الأمثلة التي يُمكن الاستدلال بها في هذا المضمار، والتي جاءت في أغلبها تصويرًا لثناء موتى الخوارج، وزهدهم وتقواهم:

#### 1- كِنَايَاتُ الرِّثَاءِ:

- قال "الخبيري الشيباني" يرثي "عبد الملك بن علقمة"<sup>3</sup>: [الوافر]

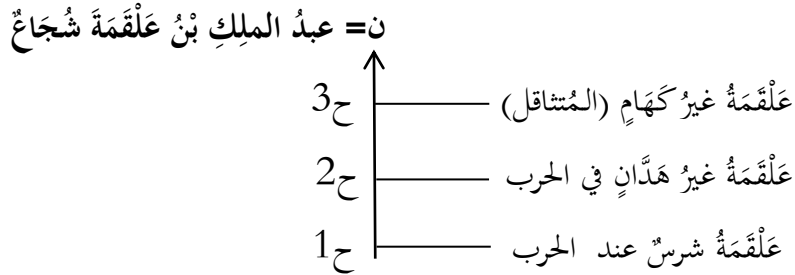
- |    |  |   |
|----|--|---|
| 01 | وَقَائِلَةٌ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي | عَلَى رُوحِ ابْنِ عَلْقَمَةَ السَّلَامِ |
| 02 | أَأَذْرَكَ الْحَمَامُ وَأَنْتَ سَارٍ   | وَكُلُّ فِتْيٍ لِمَصْرَعِهِ حَمَامٌ     |
| 03 | فَلَا رَعِشُ الْيَدَيْنِ وَلَا هِدَانٌ | وَلَا وَكَلُ اللَّقَاءِ وَلَا كَهَامٌ   |
| 04 | وَلَا قَتْلٌ عَلَى شَارٍ بَعَارٍ       | وَلَكِنْ يُقْتَلُونَ وَهُمْ كِرَامٌ     |

<sup>1</sup> صلاح الدين محمد أحمد: التّصوير المجازي والكِنائي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، (ط 1)، 1988، ص 240.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 224.

صوّر الشاعر في مرثيته قوّة "عبد الملك بن علقمة"، وأنة كان فارساً مقداماً شجاعاً، فلا هو بالخائف (رِعْشُ اليَدَيْنِ)، ولا المُستأقِلِ يَوْمَ الوَقِيعةِ (ولا هِدَانٌ)، ولا بالمتقاعصِ الضّعيفِ والجبانِ (وَكِلْ اللَّقَاءِ)، ولا التّقيّلِ عن الغاية التي ينشدّها وهي الإستشهادُ (ولا كَهَامٌ)، هي كنياتٌ استعملَ فيها ألفاظاً تلميحياً غير مباشرة، تُفهم من خلال السياق، أو تعتمد على المتلقّي واستدلّاه لفكّ شيفراتِ هذا البيتِ، وبذلك تُفهم قَصديّة المتكلّم (*L'intentionnalité*)، ولعلّ غاية تَكَرّر حرف النّفي (لا) مُلصقاً للكِنَيَاتِ، يُفهم منه: نفي الخوفِ والضعفِ، والتّوَلّي يوم الرّحفِ، ويُعلنُ الشّاعرُ في البيتِ الأخيرِ أنّ القتلَ في عُرفِ الخوارجِ الشُّرارة ليسَ منقصةً، بل هو الهدفُ الذي يبعونه (ولكن يُقتلونَ وهم كرامٌ)، فالقيمةُ الحجاجيّةُ لهذه الكِنَيَاتِ؛ تكمنُ في جعلِ المرثيِّ قُدوةً لبقيةِ إخوانه، فالخوفِ والجبنِ عند لقاءِ العدوِّ ليسا من صفاتِ الفارسِ الخارجيِّ، والقتلُ في سبيلِ القضيةِ شرفٌ لكلِّ شارٍ.



شكل 01: السلم الحجاجي للكناية عن صفة (شجاعة علقمة).

– وتقول "مليكة الشيبانية" ترثي أباها تُخبر عن أخلاقه وشيمه<sup>1</sup>: [الخفيف]

- 01 سَوْفَ أَبْكِي عَلَيْكَ مَا سَمِعْتُ      أَذْنَايَ يَوْمًا تَلَاوَةَ الْقُرْآنِ  
 02 أَيْنَ مَنْ يَحْفَظُ الْقِرَابَةَ      وَالصَّهْرَ وَيُوْتِي لِحَاجَةِ اللِّهْفَانِ  
 03 وَيَحُوطُ الْمَوْلَى وَيَصْطَبُغُ الْ—      خَيْرَ وَيَجْزِي الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ  
 04 وَيُكْفُ الْأَذَى وَيَبْتَدِلُ الْمَ—      عُرُوفَ سَمَحِ الْيَدَيْنِ سَبْطَ الْبَنَانِ

جاء الرثاء في هذه الأبيات على شكل تأيين، لا على شكل نواح وبكاء، فالتأيين فيه ذكر محاسن المرثي وذكر مناقبه، فالشعراء يُشيدون بالمرثي، مُنوهين إلى: "علو منزلته، وخاصة السياسيّة أو العلميّة أو الأخلاقيّة، وكأنهم يُريدون تصوير حسارة الناس فيه، فالشاعر منهم لا يُعبّر عن حزنه، بل عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المُهم"<sup>2</sup>، و"مليكة" ترثي أباها سيّد القوم الذي عُرف بشجاعته، وإكرام الصّيفِ،

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 238.

<sup>2</sup> شوقي ضيف: فنون الأدب العربيّ الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط 4)، 1991، ص 08.

فالأطروحات الحجاجية تكمن في جمل: (يَحْفَظُ الْقَرَابَةَ وَالصَّهْرَ)، وهي كناية على صيلة الرَّحِمِ، (يُؤْتَى لِحَاجَةِ اللَّهْفَانِ)، وهي كناية على إغاثة الملهوفِ، (يبتذلُ المعروفَ) كناية على الجودِ والبذلِ في الخير، فالشاعرةُ عدَدَتْ صفات أخيها، لتظهر شجاعته وقوته، ومن الحجج على أخلاق أخيها وخبريته، قولها: (يُحُوطُ المولى)، (يَصْطَبِغُ الخيرَ)، (سَمَّحَ اليدينِ)، وعليه فالغاية الحجاجية لهذه الكنايات؛ تكمن في حث الخارجي على التَّحَلِّي بالقيم الخلقية الفاضلة من: (صلة الرَّحِمِ، البذلِ والعطاءِ وإغاثة الملهوفِ)، وهي أخلاق لا بدَّ أن يتَّصفَ بها النَّاسُ جميعًا، لا الخارجي فقط، ويمكن الاستدلال على خيرية وشجاعة المرثي من خلال الصور الكنائية المُقدَّمة بمُقدِّمتين ونتيجة:

- المقدمة الأولى: كلُّ شجاعٍ وخيرٍ غادرَ الحياةَ يستحقُّ الحزنَ عليه.
- المقدمة الثانية: رحيلُ الإنسانِ الخيرِ الشُّجاعِ يستحقُّ البكاءَ.
- النتيجة: أخو مُليكة يستحقُّ تخليدًا وتمجيدًا.

- وأرسلت "ليلى بنت طريف" أبياتا "لابن الأعمى" الذي قتلَ أباها ترثيه فيها: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 تَضَمَّنَ جُودًا حَاتِمِيًّا وَسُودَدًا      وَهَمَّةً ضِرْغَامٍ وَرَأْيَ حَصِيفِ
- 02 فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى      وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ
- 03 فَقَدْنَاهُ فَقَدَ الشُّبَانَ وَلَيْتَنَا      فَدَيْنَاكَ مِنْ فِتْيَانِنَا بِأُلُوفِ

تستحضرُ الشاعرةُ في مطلعِ كلامها مثلًا قديمًا (أَجُودُ مِنْ حَاتِمِ) يُضْرَبُ لِقَمَّةِ الكرمِ والجودِ، وهي بذلك تُشَبِّهُ أباها برجلٍ شريفٍ من أخصيارِ العربِ (حاتمُ الطائي)، لتعطيَ بذلك قوَّةَ حجاجيةٍ في وصفِ أخيها، فقد صوّرتِ الشاعرةُ بهذه الكناياتِ (جودًا حاتمياً وسوددًا)، كناية عن الكرمِ وحُصوله على المنزلةِ الرفيعةِ في قومه، و(همَّةُ ضِرْغَامِ) كناية عن الشُّجاعةِ، و(قَلْبُ حَصِيفِ) كناية عن سدادِ الرَّأْيِ، وَصَفًا يُخَلِّدُ ذِكْرَ أخيها في التاريخ، فهذه الصِّفَاتُ ما اجتمعت في رجلٍ إلا ورفعت مكانته، وما يُدَلِّلُ على قيمةٍ ورفعةٍ المرثيِّ قولها: (فدَيْنَاكَ مِنْ فِتْيَانِنَا بِأُلُوفِ)، ولو استدلَّت بهذا العَجْزِ على مكانةٍ ورفعةٍ أخيها؛ لَكَمَى، فهو في نظرها رجلٌ بأمةٍ، أمَّا القيمةُ الحجاجيةُ لهذه الكناياتِ؛ فهي رَسْمُ لوحَةٍ فنيَّةٍ تُجسِّدُ عِظَمَ المُصِيبَةِ في فَقْدِ الأخِ الخارجيِّ البطلِ.

<sup>1</sup> نايف معروف: ديوان الخوارج، ص 172.

المرسل	المتلقي	المقام
ليلي بنت طريف	ابن أعثم (ابن الأعمش)	- تعداد مناقب بطل خارجي. - تهديد بفدائه (الأخذ بالتأثر).

شكل 02: عناصر التركيب الكِنائِي.

ب- تصوير تقوى الخوارج وشجاعتهم: من الكِنائيات التي جاءت تصويرًا لإيمان وصلاح الخوارج:

- قال "عمرو بن الحصين العنبري" يرثي الشُّرأة من الخوارج: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 مُتَأَهَّبُونَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ نَاهُونَ مَنْ لَاقُوا عَنِ التُّكْرِ  
02 صَمْتُ إِذَا اخْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَا عَيَّ بِهِمْ يُزْرِي  
03 لَا لَيْلُهُمْ لَيْلٌ فَيَلْبَسَهُمْ فِيهِ عَوَاشِي النَّوْمِ بِالسُّكْرِ  
04 وَهُمْ مَسَاعِرُ فِي الْوَعَى رُجِحٌ وَخِيَارٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

يرسم الشاعر في وصفه لتقوى وصلاح وفطنة الخوارج صورةً حيَّةً تزيد من درجة إقناع المُتلقي، فقد حوت الأبيات العديد من الأطروحات الحجاجية، منها: (متأهبون لكل صالح) كناية على بذل الخير، (صمت إذا حضروا مجالسهم) كناية على السكينة عند الحضور بين أيديهم، وفي البيت الثالث: قدم صورة خيالية حسية تُصوِّرُ مُناجاة الخوارج وتهجدهم، فتقديم المعاني بصورة حسية ذات أبعاد إيجابية له تأثير في النفس، فوصف الشاعر لمشهد تعبدهم؛ يُحرِّك الوجدان، وبذلك يتحقق التأثير ويحصل الإقناع. تظهر فاعلية الكِنائيات الحجاجية (التركيب أعلاه) في أنها تُمثِّلُ درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تُسَدُّ مسدده، إذ بالإمكان أن نترقى بها في الحجاج على النحو الآتي:

<p>ن = فَاخْدَرُ بِطَشَهُمْ</p> <p>ق 2 — بَلْ هُمْ شُجْعَانُ</p> <p>ق 1 — هُمْ مَسَاعِرُ فِي الْوَعَى</p>		<p>ن = تَأَسَّ وَاقْتَدِ بِهِمْ</p> <p>ق 2 — بَلْ هُمْ صَالِحُونَ مُتَعَبِّدُونَ</p> <p>ق 1 — هُمْ مُتَأَهَّبُونَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ</p>
---	--	--

- وقال "حجية بن أوس" يكي "رجاء النمري" وأصحابه من الشُّرأة: <sup>2</sup> [الطويل]

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 247، 248.

<sup>2</sup> المرجع السابق: ص 83.

01 إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي رَجَاءً وَصَحْبَهُ أَكَادُ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ أَلُومَهَا

02 فَلَلِهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ عُصْبَةٍ أَقَامَ بِضُئْبِ بْنِ الزُّبَيْرِ مُقِيمَهَا

03 تَرَى عَافِيَاتِ الطَّيْرِ يَحْجِلْنَ حَوْلَهُمْ يُقَلِّبْنَ أَجْسَامًا قَلِيلًا لُحُومَهَا

يَسْتَذَكُرُ الشَّاعِرُ وَاقِعَةً أَلِيمَةً تَرَكَتْ بَالِعَ الْأَثْرِ فِي نَفْسِيَّتِهِ، وَهِيَ مَصْرَعٌ "رَجَاءِ النَّمْرِيِّ"، حَيْثُ تَقُولُ الرَّوَايَةُ: "إِنَّ رَجَاءَ النَّمْرِيِّ اسْتَنْفَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْخَوَارِجِ لَصَدِّ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَكَّةَ، فَخَرَجَ مَعَ ثَمَانِينَ شَارِيًا يَمْنَعُونَ مَكَّةَ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ، وَكَانَ مَعَهُمْ "حَجِيَّةُ بِنِ أَوْسٍ"، وَلَكِنَّ أَبَاهُ لَحِقَ بِهِ وَرَدَّهُ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّ أُمَّهُ مَرِيضَةٌ، فَرَجَعَ "حَجِيَّةً"، وَحَبَسَهُ وَالِدُهُ بِالدَّارِ (...) فَلَمَّا بَلَغَ "حَجِيَّةً" مَقْتَلِ "رَجَاءِ" تَحَسَّرَ عَلَى فَقْدِ صَاحِبِهِ، مَتَأَلِّمًا أَنَّ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ، وَبَكَاهُ فِي آيَاتٍ خَلَّدَتْ ذِكْرَهُ"<sup>1</sup>، قَالَ: (أَكَادُ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ أَلُومَهَا)، وَمَا يُدَلِّلُ عَلَى نَدَمِهِ وَحَسْرَتِهِ، قَوْلُهُ فِي بَيْتِ يَتِيمٍ<sup>2</sup>: [الطَّوِيل]

نَدِمْتُ عَلَى تَرْكِي رَجَاءً وَصَحْبَهُ وَتِلْكَ لِعَمْرِي هَفْوَةٌ لَا أَقَالُهَا

ثُمَّ يَمْدُحُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي الْجَمْعَ الَّذِينَ اسْتَنْفَرُوا وَأَقَامُوا بِفِنَاءٍ وَنَاحِيَةِ مَكَّةَ لِلدَّفَاعِ عَنْهَا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ فِي الصَّدْرِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي (وَلِلَّهِ دُرٌّ عَيْنٍ) وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْفِعْلِ وَصَنِيْعٍ حَسَنٍ يُجْمَدُونَ عَلَيْهِ، وَفِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ؛ كِنَايَاتٌ عَنِ زُهْدِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَعَافِيَاتِ الطَّيْرِ؛ هِيَ (الطَّيْرُ الَّتِي تَطْلُبُ رِزْقَهَا)، وَتَوْظِيْفُ جُمْلَةٍ (يَحْجِلْنَ حَوْلَهُمْ) دَلِيلٌ عَلَى مَصْرَعٍ وَمَقْتَلِ أَصْحَابِهِ، وَكِنَايَةٌ عَنِ كَثْرَةِ الْقَتْلِ يَوْمَهَا، فَالطَّيْرُ (تُقَلَّبُ أَجْسَامَهُمْ) فَلَا تَجِدُ مَا تَأْكُلُهُ (قَلِيلًا لُحُومَهَا)، وَهِيَ كِنَايَاتٌ عَنِ ضَعْفِ وَهْزَالَةِ أَجْسَادِهِمْ، وَبِالتَّالِي زُهْدِهِمْ فِي الْحَيَاةِ.

- قَالَ "عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ" يَرْتِي "أَبَا بِلَالٍ مِرْدَاسًا"<sup>3</sup>: [الْوَافِر]

01 لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بَعْضًا وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ

02 أَحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَى الْعَوَالِي

03 وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّ حَتْفِي كَحَتْفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أَبَالِ

04 فَمَنْ يَكُ هُمُّهُ الدُّنْيَا فَإِنِّي لَهَا وَاللَّهِ رَبِّ الْبَيْتِ قَالِي

كَانَ "أَبُو بِلَالٍ مِرْدَاسُ بْنُ أُدِيَةَ" مِنْ شُجْعَانَ الْخَوَارِجِ، بَلْ هُوَ الرَّمْزُ الْمَعْنَوِيُّ لِجَمِيعِ فِرْقِ الْخَوَارِجِ، وَلَمَّا قُتِلَ تَأَثَّرَ "عِمْرَانُ" عَلَى إِثْرِ هَذِهِ الْفَاجِعَةِ، وَازْدَادَ حُبُّهُ أَكْثَرَ لِلْمَوْتِ، فَمَوْتُ "أَبِي بِلَالٍ" شَحَدَ الْهَيْمَةَ لِلْقِتَالِ،

<sup>1</sup> يُرَاجَع: أَنَسَابُ الْأَشْرَافِ لِلْبِلَازَرِيِّ، (ج 5)، ص 394، وَإِحْسَانُ عَبَّاسٍ: شِعْرُ الْخَوَارِجِ، ص 83.

<sup>2</sup> إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: دِيْوَانُ شِعْرِ الْخَوَارِجِ، ص 83.

<sup>3</sup> الْمَرْجِعُ السَّابِقُ: ص 159، 160.

قال: (أحاذر) وهي كناية عن الحرص والخوف من الموت دون ساحات الوغى، و(أرجو الموت) كناية عن الشجاعة والقوة، وفي قوله: (ذرى العوالي) كناية عن موصوف وهي "رؤوس الرماح"، وهي رؤية قامت على تأصيل عقدي عند الخوارج وهو "طلب الموت"، وترفض الجبن والتقاعد، فالمثلي إذا علم أن المعنى الخفي للكنايات هو "طلب الشهادة" اقتنع بالفكرة التي يدافع عنها الشاعر، فاستخدام الكنايات لم يكن اعتباطاً، بل أراد ربط العلاقة بين الخوارج والموت، فالشاعر قد صوّر التهاوت على "طلب الشهادة" والرهد في الدنيا، ولا سبيل لذلك إلا بتقصير المسافة بالموت، ويمكن تمثيل شجاعة الخوارج وطلبهم للشهادة من خلال تقديم المعطى والحصول على النتيجة بتطبيق قانون العبور (Loi de Passage): على النحو الآتي:

(ق ع 1): هو يخاف الموت على فراشه ← إذن: هو يتمنى الشهادة.

ذلك أن كل كاره للموت على الفراش يتمنى الشهادة.

(ق ع 2): يتمنى الموت (تحت رؤوس الرماح) ← إذن: هو شجاع

ذلك أن كل طالب للموت "الشهادة" شجاع.

شكل 03: قانون العبور من القول إلى النتيجة.

ج- كنايات البطولة: صوّر شعراء الخوارج بطولاتهم وانتصاراتهم التي: "لم تتمثل في حزب كما تمثلت في حزب الخوارج، الذين يطلبون الشهادة في ميادين الجهاد، المقبلين على الموت بنفوس راضية..."<sup>1</sup>، فتوّعت بطولات الخوارج بين بطولات فردية وأخرى جماعية، من ذلك:

- قال "عيسى بن فاتك الخطي" يصف بطولة جماعة من الخوارج<sup>2</sup>: [الوافر]

01 فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَلَّوْا وَقَامُوا إِلَى الْجُرْدِ الْعِتَاقِ مُسْؤَمِينَ

02 فَلَمَّا اسْتَجْمَعُوا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَظَلَّ ذَوُو الْجَعَائِلِ يَقْتُلُونَا\*

03 يَقُولُ بِصِيرُهُمْ لَمَّا رَأَاهُمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ وَلَّوْا هَارِبِينَ

<sup>1</sup> شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ص 54.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 68.

\* وردت "يقتلوننا" بصم الباء وفتح التاء "يقتلوننا" في العديد من المصادر، فالأولى تعني أن جند عبد الله الأنصاري هم الذين وقعوا قتلاً في الخوارج، وهو ما تُفنده باقي الأبيات، والأصح "يقتلوننا"، وعلى هذا "التشكيل" روتها المصادر التي أخذ منها: "إحسان عباس"، وهو خطأ غير مقصود. يُنظر على سبيل المثال: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د ط)، 1977، (ج 1)، ص 53.

#### 04 هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة يُنصرونَا

يصف الشاعر في أبياته ملحمة بطوليّة لجماعة من الخوارج، في معركة جمعتهم مع جند معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه-، والذين أرسلهم لملاحقتهم والقضاء عليهم، حيث نزل زعيم الخوارج "أبو بلال مرداس" ومن معه "بأسك" في بلاد فارس، فهاجمهم "عبد الله بن رباح الأنصاري" في ألقى محارب، فكانت الغلبة لفرقة الخوارج، فقال "عيسى الخطي" يصف سرعة قيامهم (للجرد العتاق) وهي كناية عن الخيل القصيرة الشعر، و(العتاق) السريعة الكريمة الأصل، وهو تصوير لحمال الخيل وسرعتها، فعثقت الفرس: "تعتق، وعثقت عثقا؛ سبقت الخيل فنحت، وفرس عاتق؛ سابق"<sup>1</sup>، ثم يُصور تحريخ وتحقير الخوارج لخصومهم، قال: (فضل ذوو الجعائل يُقتلون) وهم القوم الذين يُقاتلون في سبيل الدنيا وحطامها، كناية عن تحاذلهم وعدم رسم هدف سام في الحياة يعيشون لأجله ويدافعون عنه، ثم ينتقل إلى الإخبار عن هروبهم وفرارهم من المعركة (ولو هاربينا) كناية عن الجبن، ما يدل -حسب الخوارج- على تعلق القوم بالدنيا، وأن أغلبهم يُقاتلون لأجل العنائم والأعطيات، وأنهم مُجبرون على القتال خوفاً وإكراهاً، فالشاعر بهذه الصور قد سلخ عليهم تعبيراً وتحقيراً وتجريحاً، ورسم مشاهد المعركة وقربها إلى ذهن المُتلقي بتفاصيلها ودقائقها، وهو بذلك يُشيد ببطولة الخوارج، مُنتقياً القوم الهاريين المنهزمين.

ما يلاحظ على شعر الخوارج عامة؛ أن الحجج والدلائل تختلف داخل السياق، فثارة تكون ظاهرة وأخرى مضمرة، ولكن النتيجة تكون واحدة، وقد تكون الحجّة الواحدة كافية لتعود إلى نتيجة قويّة، ويُمكن أن يُبين ذلك على هذا النحو: (المثال: التركيب أعلاه).

- هم قاموا إلى الخيول
  - هم يُقاتلون ويُقتلون
  - هم انتصروا على القوم
- ← الخوارج شجعان أبطال.

#### شكل 04: اختلاف الحجج والنتيجة واحدة.

تكتسب الكناية حجائتها من خلال ما تُحدثه في المُتلقي، من حيث تحقيق المقاصد من الكلام، وهي الإفهام والإقناع، وذلك كله من خلال التأثير، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ): "إن الكناية

\* أسك: "بمدّ بدل وكسر السين وكاف، بلدة في نواحي الأهواز في بلاد فارس، ذات نخيل، بناها الملك فباد والد أنوشيروان (كسر)، أقام بها أبو بلال مرداس بن أدية من أئمة الخوارج ومعه صحبه من الشراة لماركة المقام بالبصرة".  
يُنظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، (ج 10)، ص 234.

أبلغ من التصريح، فإنك لما كُنيت عن المعنى ما زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد<sup>1</sup>، وشعراء الخوارج لم يلجؤوا للكناية للتواصل ونقل الأخبار والأحداث، وإنما وظفوها لغاية حجاجية تأثيرية، وهي تأكيد وتبرير صدق ما يُلقونَه إلى المُتلقي (الدفاع عن عقيدتهم وحقهم السياسي).

ولبيان عناصر الكناية الحجاجية وتداوليتها، نرسم الجدول الآتي:

الكناية	نوعها	موضوعها	تداوليتها
فلا رعشُ اليمين، ولا هدان، ولا كهام	كناية عن صفة	وصفُ الشجاعة	الإشادة شجاعة عبد الملك بن علقمة.
يحفظُ القرابة والصهر	كناية عن صفة	صلة الرحم	تعدادُ المناقبِ الحسنة والصفاتِ النبيلة للمرثي، وأنه يستحقُّ تمجيداً وتخليداً.
يبتذلُ المعروف، سمحُ اليمين، يصطنعُ الخير.	كناية عن صفة	العطاء والكرم	
يؤتى لحاجة اللهفان، يحوطُ المولى	كناية عن صفة	إغاثة المحتاج	
تضمنَ جوداً حاتماً	كناية عن صفة	الكرم والجود	تجسيدُ عظمِ المصيبة لفقد بطلٍ خارجي، مع تهديدٍ بفدائه (الأخذ بالتأري).
رأيٍ خصيفٌ	كناية عن صفة	سدادُ الرأي وصلاحه	
فقدناه - فدينناك	كناية عن صفة	ندرة أمثال المرثي	
متأهبون لكلِّ صالحة	كناية عن صفة	بذلُ الخير	الدعوة إلى التأسّي والافتداء بالشرارة من الخوارج، والإشادة ببطولاتهم.
صمتٌ إذا احتضروا مجالسهم	كناية عن صفة	السكينة	
لا ليْلهم ليلٌ	كناية عن صفة	التعبُّد والقيام	
مساعدٌ في الوغى	كناية عن صفة	الشجاعة والبسالة	
يَحْجَلَن حولهم	كناية عن صفة	وصفٌ صرعى وقتلى الخوارج.	الرَّهْدُ في الحياة والتذكيرُ بزوال نعيم الدنيا
يُقَلِّبَن أجساماً	كناية عن صفة		
قليلاً لُحومها	كناية عن صفة	الرَّهْدُ في ملذات الدنيا	
الجرد العتاق	كناية عن صفة + موصوف	أصالة الخيل وسرعتها	الإشادة ببطولات الخوارج
دُؤوا الجعائل	كناية عن صفة	التخاذل - الجبن	

جدول 01: عناصر الكناية الحجاجية التداولية.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 57.

### المبحث الثاني - حجاجية الأساليب البلاغية:

يُعدُّ الخطاب الشعريُّ عند الخوارج حجاجياً بامتياز، فأبعاده الحجاجية تفوق التصور المتعارف عليه من جمالية وإبداع في القول إلى غاية أكبر، وهي: التأثير واستمالة المتلقي، ودفعه إلى الإقناع بصدق قضيتهم، ما جعلهم يعمدون إلى وسائل وآليات الإقناع التي تكفل لهم نيل المراد، والتي تُساعدهم على عرض أفكارهم، بأسلوب يقنع ويستميل المتلقين، وخاصةً أن وظائفها العميقة داخل الخطاب تزيد من حزالة العبارات وقوة تأثيرها، والإلتفات وأسلوب التكرار؛ أبرز الأشكال البلاغية -بتعبير بيرلمان- التي حضرت بقوة في شعرهم.

وفي إطار هذا الطرح: "حجاجية الأشكال البلاغية"، نسعى للكشف عن كيفية توظيف الخوارج لهذه الأساليب في أشعارهم، وكيف استعملوها لبلوغ أهدافهم الخطابية، وما الغاية الحجاجية التي خرجت إليها في خطاباتهم.

#### أولاً. الإلتفات (Apostroph):

يُعدُّ الإلتفات من الأساليب المهمة في الدراسات البلاغية والأسلوبية، وهو قدس في العربية، يُعرف على أنه: "التحويل في التعبير الكلامي من اتجاهٍ لآخر من جهات أو طرق الكلام الثلاثة: التكلّم، الخطاب والعيبة"<sup>1</sup>، وجاء عند "ابن المعتز" (ت 296 هـ) بأنه: انصراف المتكلم عن مخاطبة الإخبار، وعن الإخبار إلى مخاطبة، وما يُشبه ذلك"<sup>2</sup>، معنى ذلك إن المتكلم يأتي باستراتيجية تنويعية مستمرًا إيّاها في الخطاب، وبذلك يُؤثر في السامع، فينتقل به من حديثٍ لآخر، ومن وضعٍ لوضعٍ، وهو أفضل لنشاط السامع. إن بلاغة الإلتفات وحجاجيته تأتي لدفع السامة عن المستمع، فينتقل المتكلم من الخطاب إلى العيبة، ومن المتكلم إلى الخطاب، فيحسن الانتقال من بعضها إلى بعضها، لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد لا يُستطاب، وبذلك يكون فيه إيقاظا للسامع وتنشيطه، وتطريًا له بنقله من خطابٍ لآخر، ففائدته الإلتفات، يُصوّرها "أبو حازم القرطاجني" (ت 684 هـ) في قوله: "وهم يسأمون الاستمرار على ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى العيبة، وكذلك أيضًا يتلاعب المتكلم بضميره، فتارةً يجعله تاءً على جهة الإخبار عن نفسه، وتارةً يجعله كافًا، فيجعل نفسه مخاطبًا، وتارةً يجعله هاءً، فيقيم نفسه مقام الغائب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن حبنكة: البلاغة العربية أسسها وعلموها وفنونها، دار القلم، دمشق، (ط 1)، 1996، (ج 1)، ص 479.

<sup>2</sup> عبد الله بن المعتز: البديع، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط 3، (1982)، ص 58.

<sup>3</sup> أبو حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1982، ص 134.

وفي البلاغة الجديدة؛ يربط "بيرلمان" الالتفات "بالحجاج، وبخاصة على مستوى الضمائر والأزمنة، ما يُعزِّز الموضوع الذي ينطوي تحت الالتفات في ذهن المُتلقي، من خلال التَّوَعُّع في توظيف الضمائر داخل الخطاب، وغاية ذلك؛ تفاعل المُتلقي معه"<sup>1</sup>، ما يعني: إنَّ الالتفات يكتسب حجاجيته متى رام جذب انتباه المُتلقيين والتأثير فيهم.

أمَّا عن حجاجية الالتفات في شعر الخوارج، فيذكر "عبد الله صولة" أنَّ من أهم الصيغ اللغوية التي لها بُعد حجاجي يربط بين الباط والمُتلقي: "الالتفات في الأزمنة (*Enallage de temps*) وفي الضمائر (*Enallage de personne*)"<sup>2</sup>.

فاستخدام الضمائر يُعدُّ كسرًا للسياق اللغوي، فيلفت انتباه المُتلقي ويُسوقه، لأنَّ السياق إذا ما استمرَّ على وفق نسقٍ بعينه سيكون سياقًا مُشبعًا، والالتفات الضميري أسلوبٌ مُفاجئٌ وتعبيرٌ لا يتوقَّعه السامع، ويُمكنُ عدُّه طريقةً للضَّعْطِ على المُتلقي ولتفت انتباهه إلى مواطنٍ مخصوصة في الرسالة/ الخطاب، والالتفات الضميري بصفة عامة في شعر الخوارج لا يخرج عن هذه الالتفاتات الستة:

#### 01- الالتفات من التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ:

وردَ هذا النوع من الالتفات الضميري لأغراضٍ وغاياتٍ متعدِّدة، منها: تمِّيُّ الشَّهادة، الرِّثاءُ والإستعداد، ومن ذلك:

- قال "عمران بن حطان" يرثي "أبا بلالٍ مرداسًا"<sup>3</sup>: [البيسط]

01 أَصْبَحْتُ عَنْ وَجَلٍ مَنِّي وَإِيجَاسٍ أَشْكَو كُلَّوَمٍ جِرَاحٍ مَا لَهَا أَسِي

02 يَا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعِهِ يَا رَبَّ مِرْدَاسٍ أَلْحِقْنِي بِمِرْدَاسٍ

03 تَرَكْتَنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمِرْزِيَّةٍ فِي مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ

04 أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مِمَّنْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

استخدم الشاعر في هذه الأبيات أسلوب الالتفات، فقال مُتحدِّثًا: (أصْبَحْتُ عَنْ وَجَلٍ)، أي: خائفًا فرعًا، وانتقل إلى أسلوب الخطاب ومُحادثة عينه أمرًا إيَّاها بالبكاء على "مرداس"، قال: (يا عينُ بكي...)، واجعلي من يراك ييكي ويتأثر لموت "مرداس"، ثمَّ تحوَّل إلى التَّكَلُّمِ (أَلْحِقْنِي بِمِرْدَاسٍ...)، وهو بذلك يتمي

<sup>1</sup> Chaïm Perlman et Lucie Olbrechts Tyteca, traité de l'argumentation, Edition de l'université de Bruxelles, Belgique, 2008, p: 216

<sup>2</sup> عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص 323.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 158، 159.

الشهادة، فالحيأة بعد "أبي بلال" جحيم لا يُطاق، ثم انتقل إلى مُحَادَثَةِ المَرثِيّ في قوله: (ما النَّاسُ بعدَكَ يا مَرْدَاسُ بالنَّاسِ)، فهو بذلك يُبَيِّنُ الصِّفَاتِ والخِصَالَ التي كان يتحلَّى بها مَرْدَاسُ، وأتته كانَ مثلاً يُحْتَدَى به، وإن لَمْ يُصْرِّحْ بذلك.

فالأليفة الكامنة في هذا الأسلوب، هي أنّ الشاعِرَ افتتحَ كلامه ببيان ما أصابه من ضيق، وآلام لفراق صاحبه، فصورَ مُعاناته لفقْدِ مَرْدَاسٍ بمشهدٍ دراميٍّ مؤثّر، وبينَ شدّةَ ألمه وشوقه لأبي بلال، فالانتقال من: "وصفِ الألم، إلى تصويرِ مشهدِ التَّحسُّرِ والبكاء، فدكّرِ مناقِبِ المَرثِيّ، لهُ عملٌ إبداعيٌّ عند الشعراء، وهو ما يُعرفُ: بِحُسْنِ الأداء عند المَسْرُحِيِّينَ (*Top Performance*)"<sup>1</sup>، فالالتفاتُ بهذه الصيغة جاء للرتاء وبكاء بطلٍ خارجيٍّ.

- وتقول "أخت الحازوق الحنفي الخارجي":<sup>2</sup> [الطويل]

- 01 أَعْيَيْ جُودًا بِالدُّمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ عَلَى الْفَارِسِ الْمَقْتُولِ فِي الْجَبَلِ الْوَعْرِ  
02 فَإِنْ تَقْتُلُوا الْحَازُوقَ وَابْنَ مُطَرِّفٍ فَإِنَّا قَتَلْنَا حَوْشَبًا وَأَبَا جُسْرٍ  
03 أَقْلَبُ عَيْنِي فِي الرِّكَابِ فَلَا أَرَى حَزَاقًا وَعَيْنِي كَالْحِجَاةِ مِنَ الْقَطْرِ  
04 فَيَا لَهْفَتِي أَلَّا تَكُونِ لِقِيَّتِهِمْ بِصَحْرَاءَ لَا ضَيْقَ الْمَكْرَ وَلَا وَعْرٍ

تتألم أخت الحازوق لفراق أخيها، قالت متكلمة: (أعْيَيْ جُودًا)، وهو تعبيرٌ عن شدّة الألم مع الحسرة لفقْدِ أخيها البطل، قالت: (على الفارس المقتول)، وتوظيف فعل الأمر "جودًا" تطلبُ به أن تُخرج العينَ أفضلَ ما لديها من دموعِ العين، دلالةً على مكانة المَرثِيّ، ثم انتقلت إلى الخطاب في جملة الشرط: قالت: (إن تقتلوا الحازوقَ وابنَ مُطَرِّفٍ)، لتعود إلى التكلّم وبُجيب في جوابها: (فإننا قتلنا حَوْشَبًا وأبَا جُسْرٍ)، وهي بذلك تستعدي قتلَ أخيها، وتقول لهم: كما قتلتم منا فقد قتلنا منكم.

هو خطابٌ سرديٌّ مُتدرِّج (*discours narratif gradué*) اعتمدت عليه الشاعرة في بناء نصّها، حيثُ ابتدأت أبياتها بفعلٍ كلاميٍّ طليٍّ ضمنَ جملةٍ إخباريةٍ ترثي فيها أحاها، وجملةٍ شرطيةٍ في البيت الثاني تستعدي فيها قتلَ الحازوق، تطلبُ النَّارَ، ما يجعلُ نصّها وكأنّه رجوعٌ صدَى صوتٍ لدخلها الحزين، صوتٌ مُقيّدٌ يحتاج نوعًا من التنفيس، فخطأها قد أثارَ سُخْطَ المُتَلَمِّيِّ على قتلِ "الحازوق" عَدْرًا، وما زاد من جَلَلِ الفجعة ورُعبِ المشهد؛ قتلَه رَميًا بالحجارة كالزُّنَاة، ثمّ تكيهه ودُموعُها كالماء بعد تساقطِ المطرِ،

<sup>1</sup> موسى حسن عويص: الأداء المُخيّلاتي المسرحي، دار زويرك، د بلد، (د ط)، 2004، ص 58.

<sup>2</sup> إحسان عباس: شعر الخوارج، ص 89.

قالت: (وعيني كالجحاة من القطر)، وفي الأخير تحسّر لعدم كَرّ أخيها في المعركة، لأنه حوَصِرَ في جبلٍ وعِرِ المسالك، وهي بهذا الالتفات قد أصابت العاية من أبياتها، فمن جهة بثت خطابها لتستعطف المتلقي وتؤثر فيه، ومن جهة أخرى توجّه رسالةً لنفسها بأن تأخذ بثأر أخيها.

## 02- الالتفات من التكلّم إلى الغيبة:

- قال "الجعد بن ضمام الدوسي" يرثي "صالح بن مسرح":<sup>1</sup> [الطويل]

- 01 أيا عين فابكي صالحاً إن صالحاً شرى نفسه يبغي بها الخلدًا  
02 وقد كان ذا رأيٍ مبینٍ ورأفةٍ صفوًا عن العوراء يدفعها عمدًا  
03 وقد كان في الحرب العوان يشبها ويسعرها بالخيل محبوبًا جردًا

فإن "صالح بن مسرح" أيام "بشر بن مروان"، سنة ست وسبعين (76) للهجرة على يد "عميرة الشاكري"، وكان من الذين دخلوا على عبد الملك بن مروان للمناصحة، فرثاه "الجعد بن ضمام"، واستعمل الالتفات من الحديث بضمير المتكلم (يا عين فابكي صالحًا)، وهو بذلك يتحسّر لفقده قائم وهب نفسه للقتال وإعلاء راية الخوارج - حسب زعمهم -، ليعدّل إلى الحديث بضمير الغائب، متحدّثًا بأن صالحاً شرى نفسه، أي: باعها في سبيل الله، يبغي بها الجنة ورضوان الله، ولقّب الشراة من أحبّ الألقاب عند الخوارج، بل لا يُحبون أن يُنادوا بغيره، واصفًا إياه بالشجاعة والحكمة والحزم عند اللقاء (كان ذا رأيٍ، صفوًا، ويسعرها بالحرب)، وهي صفات تجعل الإنسان يحزن لفراق صاحبها.

- ويقول "الطرمّاح بن حكيم" لَمَّا عيبَ عليه مُصاحبة فوارسٍ من "بني شيبان" مُتمنيًا الشهادة:<sup>2</sup> [الطويل]

- 01 وإنّي لمقتاد جوادي وقادفٍ به ونفسي العام إحدى المقادف  
02 إذا العرش إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجع يعلّى بخضر المطارف  
03 ولكن أحن يومي سعيدًا بعصبة يصابون في فحج من الأرض خائف  
04 فوارس من شيبان ألف بينهم تُقى الله نزالون عند التراحف  
05 هم منعوا التعمان يوم رؤية من الماء وفي نجم من القيط جانف  
06 إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى موعود ما في المصاحف  
07 فأقتل قعصًا ثم يرمى بأعظمي كضغت الحلا بين الرياح العواصف  
08 ويصبح لحمي بين طير مقيله دوين السماء في نسور عوائف

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 196.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 264.

سياق القصيدة جاء يسردُ بطولته الشاعرِ وصحبه ومدى إقبالهم على الشهادة، حيثُ يُصرِّحُ في مُستهلِّ حديثه بأنه سيرمي بنفسه وبحواده في إحدى المعارك لينال الشهادة، مُقبلاً غيرَ مُدبرٍ على تلك الغاية الأسمى، ليأتي في البيت الثاني بتمنٍّ يسأل فيه الله أن لا يُميتَهُ على نعشٍ (شَرَجع) مُغطًى بخضِرِ المطارِفِ (الأزديَّة من الحرير)، ما يجعلُ القارئ/ المتلقِّي يفهم ضمناً بأنَّ الشاعِرَ يبغي الشهادةَ والموتَ في ميادين القتال، وقد قرَنَ هذه الشهادةَ مع جماعةٍ تآلفوا على مبدأ الخروج في سبيل الله، ما يُفترضُ مُسبقاً أنهم أهلُ صلاحٍ وبطولات، ليعدلَ في البيتِ الرَّابِعِ إلى الغيبةِ ليُجيبَ عن أمنيته التي حوَّاهَا البيتُ الثَّالثُ، وهي طلبُ الشهادةِ مع فوارسٍ من "بني شيبان" أَلَّفَ اللهُ بينهم وجمعهم على قتال أعداء الله، مُشيداً ببسالَتهم وقوَّتهم في منَعهم للنعمان الماءَ يومِ رُوِيَّة\* (هضبة تقع جنوب قرية موقِّق بجائل/ شبه الجزيرة العربية)، بل ومنَعوه أصغرَ من ذلك، النَّجمُ الجانِبُ (النَّباتُ المائلُ الذي لا ساق له)، واستحضارُ الشَّاهدِ هنا؛ جيءَ به للمُحاجَجةِ وبيانِ قوَّةِ فوارس "بني شيبان"، ليُصرِّحَ بأنَّهم إذا فارَقُوا هذه الدُّنيا فقد فارَقُوا الظُّلمَ والجورَ، وصاروا إلى ما وُعدُوا به، وهي الجنَّةُ، ثُمَّ إنَّ فراقهم جعلهم يبغي أن يُقتَلَ سريعاً، ويُرْمى بعظامه لتُحومَ بها الطيرُ في جوِّ السَّماءِ، وهذا البيتُ يمثُلُ أسمى درجاتِ الرُّهْدِ في الدُّنيا والإقبالِ على الآخرة، غيرَ أنَّ أمنيته في نيلِ الشهادةِ لم تَحَقِّقْ، فقد حكى "ابنُ شُبْرُمَةَ" قال: "فَقَدْنَا الطَّرْمَاحَ أَيَّاماً، فَأَتَيْنَا مَنْزِلَهُ، فَإِذَا بِنَعْشٍ عَلَيْهِ مِطْرَفٌ أَخْضَرٌ، فقلنا: نَعْشٌ مَنْ؟ فقالوا: نَعْشُ الطَّرْمَاحِ، فقلنا: أَمَا وَاللَّهِ مَا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ"<sup>1</sup>.

إنَّ التَّكْلُمَ في هذه القصيدة جاء على شَكْلِ تصرُّيحٍ، يُعلِنُ فيه الشاعِرُ الإقبالَ على الشهادةِ بكلِّ شجاعةٍ وإقدامٍ، والعدولُ إلى الغيبةِ جاء للإشادةِ بقوَّةِ صلاحِ القومِ من بني شيبان، ليعدلَ مرَّةً أخرى إلى التَّكْلُمِ يُريدُ أن يُنكَلَّ به ليُصِيبَ الأجرَ كاملاً، وبهذه الالتفاتاتِ الثلاثة؛ شاركَ القارئُ إشعاعَهُ الوُجْدانيَّ، المملوءَ بالفخرِ والحماسةِ والبُطولةِ، فجعله يُحسُّ ويتفاعلُ والخطابِ، في مشهدٍ حركيٍّ جعلَ القارئَ وكأنَّه يعيشُ تلكَ المشاهدَ البُطوليَّةَ والإيمانيَّةَ.

### 03- الالتفاتُ مِنَ الخِطَابِ إلى الغيبةِ:

يرى الرَّمَّحِيُّ أنَّ فائدةَ صَرفِ الكلامِ عن الخِطَابِ إلى الغيبةِ، هو "المبالغةُ في وصفِ السَّجايَا والأخلاقِ التي يتحلَّى بها القومُ، وقد تستدعي كذلك الإنكار"<sup>2</sup>.  
ومن الأمثلةِ في هذا الباب:

\* ينظر: عبد الله بن خميس: مُعجمُ جبال الجزيرة، دار اليمامة، السعودية، (ط 1)، 1989، (ج 1)، ص 84.  
<sup>1</sup> محمَّد بن واصلِ الحَمَوِيِّ: تجريدُ الأغاني، تح: طه حسين، مطبعة مصر، القاهرة، (د ط)، 1955، (ج 3)، ص 1338.  
<sup>2</sup> جار الله الزمخشري: تفسيرُ الكشَّاف، العبيكان للنشر، السعودية، (د ط)، 1998، (ج 2)، ص 186.

- قال "عمرو بن الحصين العنبري" يرثي الشُّرَاةَ مِنَ الخَوَارِجِ: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 إِلَّا تَجِئُهُمْ فَـإِنَّهُمْ رُجْفُ الْقُلُوبِ بِحَضْرَةِ الذِّكْرِ  
02 مُتَأَوُّهُونَ كَأَنَّ جَمْرَ غَضًّا لِلْمَوْتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَسْرِي  
03 تَلَقَّوْهُمُ إِلَّا كَأَنَّهُمْ لَخُشُوعِهِمْ صَدَرُوا عَنِ الْحَشْرِ  
04 فَهُمْ كَأَنَّ بِهِمْ جَوَى مَرَضٍ أَوْ مَسَّهْمُ طَرْفٍ مِنَ السَّحْرِ

الالتفاتُ يَكْمُنُ فِي الْإِنْتِقَالِ مِنْ أَسْلُوبِ الْخِطَابِ (إِلَّا تَجِئُهُمْ فَإِنَّهُمْ)، بِمَعْنَى تَجِدُهُمْ، إِلَى الْعَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: (ضُلُوعِهِمْ، لَخُشُوعِهِمْ)، وَهُوَ بِذَلِكَ يُصَوِّرُ شِدَّةَ خُشُوعِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ، تَرَكُوا مِلْدَاتِ الدُّنْيَا، وَيَعُونَ الشَّهَادَةَ، وَإِذَا أَقْبَلُوا عَلَى الْعِبَادَةِ نَسُوا الدُّنْيَا وَمَنْ حَوْلَهُمْ، حَتَّى إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَشِدَّةَ خُشُوعِهِ، إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى جَمْرِ الْعَضَى\* (وَهُوَ شَجَرَةٌ مِنَ الْأَثَلِ، خَشْبُهُ صَلْبٌ جَدًّا، وَجَمْرُهُ لَا يَنْطَفِئُ سَرِيعًا) لَا يُحْسُ لَشِدَّةِ الْخُشُوعِ، فَتَجِدُهُمْ أَلَّا (مُهْتَزِّينَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ وَالْأَيْنِ)، وَهَذَا الْاَيْنُ مَرِيضٌ بَيْنَ خُشُوعٍ وَرَجْفَةٍ قَلْبٍ، وَكَأَنَّهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتُودِي عَلَيْهِمْ فِي الْحَشْرِ، فَهَذَا الْخِطَابُ تَصْوِيرٌ فَنِّيٌّ أَتَى بِهِ الشَّاعِرُ لِيُعَبِّرَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ.

- ويقول "عمرو بن الحصين" يذُكُرُ وَقَعَاتِ صَحْبِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ مُتَأَلِّمًا لِمَصْرَعِهِمْ: <sup>2</sup> [الكامل]

- 01 مَا بَالُ هَمِّكَ لَيْسَ عَنكَ بِعَازِبٍ يُمْرِي سَوَابِقَ دَمْعِكَ الْمُتَسَاكِبِ  
02 وَتَبِيَّتُ تَكْتَلِي النُّجُومَ بِمُقْلَةٍ عَبْرِي تُسَرُّ بِكُلِّ نَجْمٍ دَائِبِ  
03 مُتَأَوِّهِينَ كَأَنَّ فِي أَجْوَافِهِمْ نَارًا تُسَعَّرُهَا أَكْفُ حَوَاطِبِ  
04 تَلَقَّوْهُمُ فَتَرَاهُمْ مِنْ رَاكِعٍ أَوْ سَاجِدٍ مُتَضَرِّعٍ أَوْ نَاجِبِ  
05 عَرُّوا صَوَارِمَ لِلْجَلَادِ وَبَاشَرُوا حَدَّ الطُّبَاةِ بِأَنْفٍ وَحَوَاجِبِ  
06 مُتَسَرِّبِلِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ عَلَى لِحْقِ الْبُطُونِ سَلاهِبِ

تُصَوِّرُ هَذِهِ الْآيَاتُ مُعَانَاةً ذَاتِيَّةً يَعِيشُهَا الشَّاعِرُ، حَيْثُ يَبْتَدِئُ خِطَابَهُ بِسُؤَالٍ يَسْتَفْهِمُ بِهِ عَنِ مُلَازِمَةِ الْحُزْنِ لَهُ، قَالَ: (مَا بَالُ هَمِّكَ لَيْسَ عَنكَ بِعَازِبٍ)، وَأَنَّ هَذَا الْحُزْنَ يَظْهَرُ وَيَتَضَخُّ جَلِيًّا مِنْ خِلَالِ تَسَابِقِ نُزُولِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ، بَلْ وَأَثَرُ فِيهِ وَجَعٌ فَقَدِهِمْ فَهَجَرَ النَّوْمَ أَجْفَانَهُ، فَيَبِيْتُ لَيْلَهُ يَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ وَعَيْنُهُ تَبْكِي الصَّحْبَ وَالْحَلَّانَ، لِيَعْدَلَ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْعَيْبَةِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُجِيبُ عَنِ سَبَبِ حُزْنِهِ وَفَجَعِهِ وَبُكَائِهِ، فَيَذُكُرُ

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 248.

\* أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، (ج 23)، ص 264.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 251، 252.

صحبهُ الصَّالِحِينَ الخَاشِعِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَكَأَنَّ نَارًا مُشْتَعَلَةً تُوجِعُهُمْ، فَتَجِدُهُمْ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ بَيْنَ رَاكِعٍ مُعْظَمٍ، وَسَاجِدٍ مُتَضَرِّعٍ يَبْكِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِنْ جَدَّ الْجَدُّ قَامُوا وَنَزَعُوا السُّيُوفَ مِنْ أَعْمَادِهَا (عَرَّوْا صَوَارِمَ) لِلْقِتَالِ وَضَرَبُوا بِجَدِّهَا وَجَدَعُوا الْأُنُوفَ وَالْحَوَاجِبَ، كَنَايَةً عَنِ قُوَّتِهِمْ وَبَأْسِهِمْ، وَهُمْ فِي الْوَعَى يَلْبَسُونَ حِلَقًا مِنَ الْحَدِيدِ لِيَضْرِبَ الْأَعْدَاءُ، لِيُشَبِّهَهُمْ بِالْأَسَدِ الَّتِي تَرَكِبُ الْخَيْلَ الطَّوِيلَةَ وَالسَّرِيعَةَ لِلْحَاقِ بِالْعَدُوِّ وَالظَّفَرِ بِهِ.

فالملاحظُ على هذه الأبياتِ؛ تقاسمُ ثلاثة حُفُولٍ دلاليَّةٍ مُعجمها، حَقْلًا الحُزْنَ والحَرْبَ، وحَقْلًا التَّدْيُنَ، حيثُ كَيْفَ بِهَا حِطَابُهُ وَدَفَعَ بِوَحْدَتِهِ النَّصِيَّةَ لِتَكُونَ أَعْمَقَ فِي بَيَانِ مَقَاصِدِ وَغَايَةِ حِطَابِهِ، وَسَبَبُ الْإِبْتِدَاءِ الْإِسْتِفْهَامَ؛ جَذَبَ انْتِبَاهَ الْمُتَلَقِّي، لِيَعْرِفَ سَبَبَ الْحُزَنِ وَالْبُكَاءِ، وَاسْتَمَرَّ الْعُدُولَ إِلَى الْغَيْبَةِ لِتَرْسِيخِ قِيَمِ دِينِيَّةٍ وَأَخْلَاقٍ بُطُولِيَّةٍ كَانَتْ أَصْحَابُهُ يَتَحَلَّوْنَ بِهَا، وَبِهَذَا الْعَرْضِ لِحِطَابِهِ هَيَأُ بِحُمُولَتِهِ الْمُلْتَقِي لِإِيْلَاسِ ذَهْنِهِ وَعَوَاطِفِهِ، حَيْثُ لَا تَنَاقُضَ فِي مُعْطِيَاتِ الْحِطَابِ، وَكَأَنَّهُ رَسَمَ وَخَطَّطَ لِنَسْجِ أَيْبَاتِهِ، كَمَا فَكَّرَ وَخَطَّطَ فِي حَرْبِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ، فَغَلَبَ الْإِنْسِجَامُ مُقَدِّمَاتِ الْأَيْبَاتِ وَنَتَائِجِهَا، وَبِتَوْظِيْفِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ؛ شَدَّ الْقَارِئُ إِلَى أَهْمِيَّةِ مَا سَيَعْرُضُهُ، وَبِذَلِكَ جَالَ بِهِ فِي آفَاقٍ أَرْحَبَ وَرَوَى أَعْمَقَ، لِيَصِلَ إِلَى غَايَةِ وَمَقْصِدِ الْحِطَابِ.

#### 04- الْإِلْتِفَاتُ مِنَ الْحِطَابِ إِلَى التَّكْلِمِ:

يَتَقَلَّبُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا النَّوعِ مِنْ أُسْلُوبِ الْحِطَابِ إِلَى التَّكْلِمِ، وَفَقًّا لِمَا تَتَطَلَّبُهُ الْأَفْكَارُ الَّتِي يَطْرُقُهَا فِي النَّصِّ، وَيَرِدُ كَذَلِكَ لِلْمُبَالَغَةِ وَلَقَّتِ انْتِبَاهَ السَّمَاعِ، وَقَدْ يَرِدُ عَلَى شَكْلِ نُصْحٍ وَتَنْبِيهِ وَتَفْجُحٍ.

- يقول "عمرو بن الحُصَيْنِ" فِي حِوَارٍ دَاخِلِيٍّ مَعَ نَفْسِهِ مُتَحَسِّرًا لِقَفْدِهِ صَحْبَهُ مِنَ الشُّرَاةِ: <sup>1</sup> [الْكَامِل]

01 أَنَّى اعْتَرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا سَرِبَ الدَّمُوعِ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ

02 أَقْدَى بَعِينِكَ مَا يُفَارِقُهَا أَمْ عَائِرٌ أَمْ مَا لَهَا تَذْرِي

03 أَمْ ذَكَرُ إِخْوَانٍ فُجِعْتَ بِهِمْ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ عَلَى قَدْرِ

04 فَأَجَبْتَهَا بَلْ ذَكَرُ مَضْرَعِهِمْ لَا غَيْرَهُ عِبْرَاتُهَا تَمْزِي

05 يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ سَبِيلَهُمْ ذَا الْعَرْشِ وَأَشْدُدْ بِالشَّقَى أَرْزِي

يَنْبَنِي الْحِطَابُ فِي هَذِهِ الْأَيْبَاتِ عَلَى حِطَابِ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ، وَهُوَ حِطَابٌ غَيْرُ مُبَاشِرٍ (مُؤْتَلُوجٍ دَاخِلِيٍّ *Interior Monologue*)، مُوظَّفًا صَيَغَ الْحِطَابِ: (اعْتَرَاكَ، كُنْتَ، سَرِبَ الدَّمُوعِ، بَعِينِكَ)، حَيْثُ جَعَلَ الشَّاعِرُ مِنْ ذَاتِهِ مُحَاوِرًا لَهُ، تَسْأَلُهُ كَيْفَ أَصَابَهُ الْحُزْنَ، قَالَ: (أَنَّى اعْتَرَاكَ...)، وَمَا الَّذِي جَعَلَ عَيْنِكَ تَسِيلَانَ دَمْعًا، قَالَ: (سَرِبَ الدَّمُوعِ)، وَقَدْ كَانَ عَهْدِي بِكَ أَنَّكَ ذُو احْتِمَالٍ وَتَجَلُّدٍ، قَالَ: (وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ)،

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 247.

لتبدأ النفس في التَّحْمِينِ عن سَبَبِ البُكَاءِ، قال: (أُقَدَى بعينك...)، أي: هل هو العَمَشُ الَّذِي أَبْكَاكَ، أم هو عَوْرٌ أَصَابَ عَيْنَيْكَ (أم عَائِزٌ...))، أم سَبَبُ دَرْفِ الدُّمُوعِ فَجِيعَتُكَ لِمُقْتَلِ صَحْبِكَ، قال: (أم ذِكْرُ إِخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ)، لِيَعْدَلَ فِي البَيْتِ الرَّابِعِ والخَامِسِ عَنِ الخِطَابِ إِلَى التَّكْلُمِ، لِيُجِيبَهَا عَنِ سَبَبِ حُزْنِهِ وَبُكَائِهِ، قال: (بَلْ ذِكْرُ مَضْرَعِهِمْ...) لا غَيْرَهُ الَّذِي جَعَلَنِي أَحْزَنُ وَأَذْرَفُ الدَّمْعِ.

فالشَّاعِرُ بِهَذَا الإِلْتِفَاتِ (التَّكْلُمِ) لَامَسَ عَاطِفَةَ المُتَلَقِّي، فَقَدَّمَ بِإِجَابَتِهِ حُجَّةً اعْتَمَدَتْ عَلَى التَّأثيرِ فِي المُتَلَقِّينَ وَإِثَارَةَ عَوَاطِفِهِمْ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ عِنْدَ "أَرِسْطُو طَالِيَس" بِالبَاتُوسِ (*Pathos*)، فَأَجَابَ عَلَى السُّؤَالِ المِحْورِيِّ لِهَذَا الخِطَابِ (سَبَبُ البُكَاءِ)، فابْتِدَاءُ الخِطَابِ بِاسْتِفْهَامٍ وَأَسْئَلَةٍ جَعَلَ المُتَلَقِّي يُتَابِعُ الخِطَابَ لِيَصِلَ إِلَى الجَوَابِ الَّذِي أَثَارَتُهُ النَّفْسُ، فَحَاجَجَ عَنِ خَيْرِيَّةِ صَحْبِهِ وَبَيَّنَ فَجِيعَتَهُ بِهِمْ، وَفِي البَيْتِ الأَخِيرِ؛ سَأَلَ اللهُ أَنْ يُسَلِّكَهُ سَبِيلَ صَحْبِهِ، أَي: يُلْجِئَهُ بِهِمْ، وَهُوَ سؤَالٌ يَحْمِلُ مَعْنَى ضَمْنِيًّا، وَهُوَ طَلَبُ الشَّهَادَةِ.

- ويقول رجلٌ من الخوارج يُخَاطَبُ "هَلَالُ بْنُ أَحْوَزَ" قائِدَ جيشِ "عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ"<sup>1</sup>: [الوافر]

01 خَرَجْتَ إِلَى الشُّرَاقِ وَأَنْتَ حَرْبٌ لَقَدْ غَرَّرْتَ يَا ابْنَ أَبِي هَلَالٍ

02 وَإِنَّا مَعَشَرٌ قَتَلُوا عَلِيًّا وَعَبَّادَ بْنَ أَخْضَرَ فِي الضَّالَالِ

03 وَإِن بَصِيرَتِي لَمَّا تَبَدَّلَ وَإِنَّ الدِّينَ دِينُ أَبِي بَلَالٍ

كَتَبَ "عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ" إِلَى "عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الخِطَّابِ" "يَأْمُرُهُ أَنْ يَكْفَ عَنِ الخِوَارِجِ مَا لَمْ يَعْتَدُوا أَوْ يُفْسِدُوا (...). فَأَمَرَ قائِدَ الجَيْشِ "هَلَالُ بْنُ أَحْوَزَ" بِالتَّوَقُّفِ بِالجُنْدِ، وَقَدْ كَانَ مُتَحَمِّسًا لِقِتَالِ الخِوَارِجِ، وَبَقِيَ الفِتْنَانِ دُونَ قِتَالِ إِلَى أَنْ مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ"<sup>2</sup>، فَقَالَ أَحَدُ الخِوَارِجِ يُخَاطَبُ "هَلَالًا" لَمَّا عَرَفَ الخِوَارِجُ بِنَيْتِهِ لِقِتَالِهِمْ، قَالَ يُخَاطَبُهُ: (خَرَجْتَ إِلَى الشُّرَاقِ) الَّذِيْنَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِمْ، وَ(أَنْتَ حَرْبٌ) تَبْغِي القِتَالَ، مُتَهَكِّمًا عَلَيْهِ فِي عَجْزِ البَيْتِ بِأَنَّهُ عَلَى غَفْلَةٍ وَقَلَّةِ فِطْنَةٍ لِرَغْبَتِكَ فِي قِتَالِ الخِوَارِجِ، قَالَ: (لَقَدْ غَرَّرْتَ يَا ابْنَ أَبِي هَلَالٍ)، وَفِي هَذَا البَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَى رَغْبَةِ أَبِي هَلَالٍ فِي حَرْبِ الخِوَارِجِ لَوْلَا أَمْرُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ "عَمْرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ" بِالكِفِّ والرُّجُوعِ عَنْهُمْ، لِيَعْدَلَ الشَّاعِرُ فِي البَيْتِ الثَّانِي إِلَى التَّكْلُمِ، مَرْهُوًّا لِقِتْلِهِمْ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثَارًا لِقِتْلَاهُمْ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ، قَالَ: (وَإِنَّا مَعَشَرٌ قَتَلُوا عَلِيًّا)، وَقَتَلْنَا تَنْكِيلًا عَبَّادَ بْنَ عَلْقَمَةَ قَاتِلَ "مِرْدَاسٍ"، لِيُصْرِّحَ فِي البَيْتِ الأَخِيرِ مُتَكَلِّمًا بِأَنَّ عَقِيدَتَهُ لَمْ وَلَنْ تَتَبَدَّلَ، وَأَنَّه بَاقٍ عَلَى العَهْدِ دِينِ أَبِي بَلَالٍ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 212.

<sup>2</sup> يُرَاجَع: إبراهيم شحادة الخواجه، الصِّرَاحُ السِّيَاسِيُّ فِي القَرْنِ الثَّانِي المِجْرِي، شَرِكَةُ كَاطِمَةَ لِلنَّشْرِ وَالتَّرْجَمَةِ، الكُوَيْتِ، (ط 1)، 1984، ص 11. / وقيس كاظم الجنابي: أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2007، ص 255. / وإحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 212.

إنّ الالتفات من الخطاب إلى التكلّم جاء به الشاعِرُ لتَهكُّمِ والتحدّي، وأنّ لا قبل لجندي "عمر" بقتال الخوارج، والتكلّم جاء لفخرهم واعتدادهم لقتلهم خليفة المؤمنين عليّاً وصحبه -رضوان الله عليهم-، ما ينمُّ عن اعترافٍ صريحٍ بعقيدتهم التي لم يُخفوها يوماً.

#### 05- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

- يقول "حبيب بن خدرّة الهلالي" في قتل "عتّاب بن ورقاء" لما كُروا عليه بجيْلهم وُفِرسانهم: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 أَصْبَحْنَ بِالْأَنْبَارِ ثُمَّ أَتَيْنَهُ      مِثْلَ السَّعَالِي تَحْتَ لَيْلِ دَاجٍ  
02 أَلْوَتْ بَعْتَابٍ شَوَارِدُ خَيْلِنَا      ثُمَّ انْشَنَّتْ لِكِتَابِ الْحَجَّاجِ  
03 لِأَخِي ثُمَّ دَفَرْتَمَا أَخْطَأْنَهُ      وَلَقَدْ بَلَّغْنَ الْعُدْرَ فِي الْإِذْلَاجِ  
04 حَتَّى تَرُكْنَ أَخَا الضَّلَالِ مُسَهَّداً      مُتَمَنِّعَا بِحَوَائِطِ وَرْتِاجِ  
05 وَلَعْمَرُ أَمْ الْعَبْدِ لَوْ أَدْرَكْنَهُ      لَسَقَيْنَهُ صِرْفاً بَغَيْرِ مِرْزَاجِ  
06 وَلَقَدْ تَخَطَّاتِ الْمَنَائِبَا حَوْشَبَا      فَجَجَا إِلَى أَجَلٍ وَلَيْسَ بِنَاجِ

الحدثُ الكلاميُّ الرئيسيُّ لهذا الخطابِ يتمحورُ حولِ البطولةِ، حيثُ تنفُرجُ في فضاءِ هذه الأبياتِ حقولٌ دلاليّةٌ أبرزها الشجاعةُ، التحدّي، الذمُّ والتَهكُّمُ، وخلاصةُ الطرحِ كما تقولُ المصادرُ: "إنّ عتّاب بن ورقان أرسله "الحجاج بن يوسف" لقتال "شبيب بن يزيد" وصحبه، وبعد عدّة معاركٍ غلبَ قُربُ الأنبارِ، فتولّى "الحجاج" قيادةَ الجُنْدِ، فسارَ الخوارجُ حتّى دخلوا المدينةَ، فما زالوا بينَ كَرٍّ وفَرٍّ دونَ أن يتغلّبَ أحدُ الفريقين.."<sup>2</sup>، فقال "حبيب بن خدرّة" يُخبرُ ويصفُ تلكَ الواقعةَ: (أصبحن بالأنبار...)، أي: صحبه لَمَّا قاتلوا "عتّاباً"، ولَمَّا استجمَعوا القوي: (أتينهُ مثلُ السعالي)، وهنَّ ساحراتُ الجنِّ<sup>3</sup>، كناية على سرعة الخيلِ وقُوّتها، حيثُ إنّ هذه الخيلُ الشوارِدُ قد ألّوتِ بعتّابٍ بين حوافرها، وهنا عدلَ من الغيبة إلى التكلّم، قال: (شوارِدُ خيَلِنَا)، فجعلَ نفسه والصّحبَ من الخوارجِ حُمَةً واحدةً، لأجلِ ذلك التفتَ عن خطابِ الغيبة واستخدمَ ضميرَ المتكلمِ، ممّا يجعلُ المتلقّيَ يُحسُّ أنّ الشاعِرَ مع الشُّرةِ شخصٌ واحدٌ، ثمّ يتنقّلُ في البيتِ الرَّابِعِ للإخبارِ عن توجُّهِ الخيلِ بفرسانها لقتالِ الحجاجِ، واصفاً إيّاهُ بأخي ثمودَ عاقِرِ النَّاقَةِ الظَّلومِ العَشُومِ، ليعدلَ ثانيةً إلى الغيبةِ: (فرمّا أخطأته)، مُبرِّراً فشلِ ضرباتِ أصحابهِ للحجاجِ التي لم تهزّمهُ، مُلتَمِساً العُدْرَ لهم بأنّ قتلهم كان في الظلمةِ الحالكةِ: (ولقد بلغن العُدْرَ في الإذلاجِ)، ومع ذلك فإنّ تلكَ الضرباتِ جعلتِ

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 228، 229.

<sup>2</sup> نايف معروف: الخوارج في العصر الأمويّ، ص 218، 219.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسانُ العرب، (ج 5)، ص 324.

الأزق (السَّهْد) يستبْدُ بالحجاج، الأمر الذي جعله يتحصَّن في القُصُور، قال: (مُتَمَنِّعًا بجوائِظٍ ورتاج)، ليُقَسِّمَ في البيتِ الخامسِ بأَمِّ العَبْدِ (والدَّةُ شَبِيبٍ) بأنَّهم لو أذَرَكُوهُ لَسَقَّوهُ شرابًا غير ممزوجٍ تديلاً على التَّنكِيلِ به، وأنَّه كانَ مِنَ الحِجَمِ الكَثِيرِ الَّذينَ أخطأهم المَنايَا، ولكنَّ ذلكَ لَنْ يَمَنَعَهُمُ مِنْ مُحاولَةِ الكَرِّ مِنْ جَدِيدٍ. إنَّ الإلتفاتَ مِنَ العَيِّبَةِ إلى التَّكَلُّمِ جاءَ للفتخِرِ بِبطولَةِ الخوارجِ واستِمائَتِهِمُ في مُقاتَلَةِ جُنْدِ الحِجَّاجِ، وبذلكَ أشعَرَ المتلقِّيَ بَعْدِمَ ضَعْفِهِمُ، وَلَوْ استَمَرَ الحِطَابُ بِأسلوبِ العَيِّبَةِ؛ لَمَا كانَ لَهُ حُصُوصِيَّةٌ اشترَاكَ معهمُ في المَعْرَكَةِ، حيثُ إنَّ ضَمائِرَ الغائبِ المُستعمَلَةَ في الحِطَابِ تدلُّ فقط على قِتالِ صحبِهِ مِنَ الخوارجِ دُونِهِ، وَبتوظيفِ العُدُولِ إلى التَّكَلُّمِ أَشْرَكَ نَفْسَهُ في الكَرِّ على الأعداءِ، وبذلكَ يَكُونُ الإلتفاتُ قَدْ جاءَ للتهديدِ والتَّخويفِ.

- وقال "عبيدة الشكري" يَصوِّرُ مَشْهَدَ تَقادُفِ "سُفيان بن الأبرد" أصحابه وخيلهم مُتَحَسِّراً: <sup>1</sup> [الطويل]

- |    |   |  |
|----|---|--|
| 01 | تَعَاوَرَهَا القُدَّافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ      | بِقَوْمَسَ حَتَّى صَغِبُهُنَّ ذُلُولُ    |
| 02 | فَإِنْ يَكُ أَفْئَاهَا الحِصَارُ فَرُبَّمَا     | تَشَحَّطَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ     |
| 03 | قَتِيلٌ عَزِيزٌ فِي العَشِيرَةِ فَقَدُهُ        | يَوَدُّونَ لَوْ يَشْرُونَهُ بِبَدِيلِ    |
| 04 | وَقَدْ كَدَنْ مِمَّا أَنْ يُقَدْنَ مِنَ الوَجَى | لَهُنَّ بِأَبْوَابِ القِبَابِ صَهِيلُ    |
| 05 | فِيَا نَفْسُ صَبْرًا كُلُّ مَا حُمَّ واقِعٌ     | وَلَيْسَ إِلَيَّ مَا تَعْلَمِينَ سَبِيلُ |
| 06 | وَقُومِي إِلَيَّ دُرُوزِقِ الحِصْنِ فَاَنْظُرِي | إِلَى خَنْدَقِ فِيهِ الحِصَارُ طَوِيلُ   |

أحاطَ "سُفيان بن الأبرد" بالخوارجِ في حِصْنِ "قَوْمَسَ" حَتَّى خَرَجُوا إليه لِلقِتالِ "فوقَعَ فِيهِمُ رَمِيًّا بالسَّهَامِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِمُ، وَكانَ يَسْتَهْدِفُ الخَيْلَ أَكثَرَ مِنْ فُرسانِ الخوارجِ لِقوَّةِ حَمْلِها وَسُرْعَتِها في الكَرِّ والْفَرِّ"<sup>2</sup>، ولعلَّ غايَتُهُ حِصارِ الخوارجِ لِأَنَّ لا يَفِرُّوا، وَهكذا يَضْمَنُ القِضاءَ عَلَيْهِمُ، قال مُلتفتًا إلى الغيبةِ: (تَعَاوَرَهَا القُدَّافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) أَي: الخيلِ، فَقَدَ كانوا يرمونها بالسَّهَامِ والحِجارَةِ لِإِضعافِها، وَيُبيِّنُ في البيتِ الثَّانِي أَنَّ كَثْرَةَ الوَقَعِ في الخيلِ وحِصارِها أَكثَرَ مِنْ تَمُرُّغِ القَتلى بَيْنَها، لكَثْرَةِ اسْتَهْدافِها، مُبِينًا قيمةَ هُؤُولاةِ القَتلى ومكانَتِهِمُ، فَبَعَدَ كُلُّ هذِهِ المِشاهِدِ الَّتِي نَقَلْها، عَدَلَ مِنَ الغيبةِ إلى الحِطَابِ، يُخاطِبُ نَفْسَهُ ويحْتَنُّها على الصَّبْرِ وَأَنَّ كُلَّ ما حُمَّ وَقُضِيَ واقِعٌ وَليسَ لِلْفِرارِ طَريقَ، ولكي لا يُعْطِيَ لها مَجالاً لِلتَّفَكيرِ في مجرَّدِ الإِسْتِسلامِ؛

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 114.

<sup>2</sup> أبو مُحَمَّدٍ أحمد بنُ أَعَمِّ الكُوفِيِّ: كتابُ الفُتُوحِ، دارُ الفِكرِ، بيروت، لبنان، (د ط)، 1978، (ج 7)، 56.

أمرها بالقيام إلى مقدمة باب الحصن (دروزاق) لتتظر (تعاين) الخندق الذي هُيأ لمعاودة القتال، وهو تصريح ضمني بأن الخوارج جاهزون متحضرون لِم يستجد ويطرأ.

إنَّ صَرَفَ الكلامِ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخطابِ (خطاب النفس) جاء في معرضِ التُّصْحِ والحثِّ على التَّجَلُّدِ، وهو بذلك يتلطفُ بها ويهيئها ويستنهضُ همَّتها لمعركةٍ قد يطولُ حصارُهم فيها، قال: (إلى خندقٍ فيه الحصارُ طويلٌ).

### 06- الالتفات من الغيبة إلى التكلّم:

- قال "أبو بلالٍ مرداسُ بنُ أديةٍ" حين خرجَ مع قومه: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 وَقَدْ أَظْهَرَ الْجُورَ الْوُلَاةَ وَأَجْمَعُوا عَلَى ظَلَمِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْعَدْرِ وَالْكَفْرِ  
02 فَقَدْ ضَيَّفُوا الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِرُحْبِهَا لِكُلِّ الَّذِي يَأْتِي إِينَا بِنُوصَخِرِ  
03 فَيَا رَبِّ لَا تُسَلِّمْ وُلَاتِكَ لِلرَّدى وَأَيِّدْهُمْ يَا رَبِّ بِالنَّصْرِ وَالصَّبْرِ

يَكْمُنُ الإلتفاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى التَّكَلُّمِ في قولِ الشَّاعرِ (أَجْمَعُوا، ضَيَّفُوا)، فَأتى بِضَميرِ الغَيْبَةِ المُستترِ "هم"، وهو بذلك يُصوِّرُ مَشَاهِدَ ظَلَمِ وُلَاةِ العِراقِ لِقومه، فَأهانُوهم وَأذوهم، وبألغوا في إِخراجهم، وَعَدَل إلى التَّكَلُّمِ، فقال: (علينا، إلينا)، وهو بذلك يتألّم وَيَقْتَسِمُ المُعاناةَ مع قومه، مع أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُم، ولكنّه تَكَلَّمَ بِصيغةِ الجَمعِ، أي: ما يجلُّ بِقومي واقِعَ بي، واستعملَ الشَّاعرُ أفعالاً مِنْ قبيلِ (الجور، العَدْر، ضَيَّفُوا)، وهي في التَّداوُلِيَّةِ، أفعالٌ كَلَامِيَّةٌ مِنْ صِنفِ التَّعْبيريَّاتِ، وبذلك يَكُونُ تَوْظيفُ الإلتفاتِ هنا جَاءَ لِلتَّحْصِيصِ وَذَمِّ وُلَاةِ بني أُمَيَّةِ، وبيانِ فِضاعةِ جرائمهم وتَفْجيحِها.

- ويقولُ "أحدُ الخوارجِ" مُشيداً بِضُروبِ بسالةِ أصحابه عند ذهابهم لِأحدى المِعارك: <sup>2</sup> [الكامل]

- 01 وَهُمْ الْأَسْوَدُ لَدَى الْعَرِينِ بِسَالَةً وَمِنَ الْخُشُوعِ كَأَنَّهُمْ أَحْبَارُ  
02 يَمْضُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْعَلَا مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِشْشَارُ  
03 يَرْدُونَ حَوْمَاتِ الْحَمَامِ وَإِنَّهَا تَأَلَّاهُ عِنْدَ نُفُوسِهِمْ لَصَغَارُ  
04 وَلَقَدْ مَضَوْا وَأَنَا الْحَبِيبُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَدَيَّ أَحَبَّةٌ أَبْرَارُ  
05 قَدَرٌ يُخَلِّفُنِي وَيَمْضِيهِمْ بِهِ يَا لَهْفِ كَيْفَ يَفُوتُنِي الْمَقْدَارُ

يَتَدَيُّ الخِطابُ بِضميرِ الجَمعِ الغائبِ مَقرونًا مع اسمِ لِشِكْلا تشبيهاً بليغاً (همُّ الأسودُ)، إِشارةً إلى قوَّةِ الخوارجِ وشجاعتهم في الحروبِ، ثُمَّ يَرسُمُ في عَجْزِ البيتِ صُورةَ التَّديُّنِ والتَّقوى عند ذِكرهم اللهُ تعالى، ما

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 65.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 257.

يُثيرُ في ذهن المُتلقي نَائيَّةً ضديَّةً، فهم عند الحروب شُجعانُ كالأَسود، وعند حضور الذِّكر كالرُّهبان، ليُخبر في البيت الثاني عن إقدامهم في ساحات الوغى، وكسريهم لأعمادِ السُّيوفِ (الجُفون) وهم بذلك يطلُبون الموت، وفي إقبالهم على هذه الغاية فرحون مُستبشرون بالنصر، قال: (مُسْتَبَشِرِينَ وَفِيهِمْ اسْتِيشَارًا)، ليرسم في البيت الثالث صورةً قويَّةً في تهاوتهم على الموت، قال: (يَرِدُونَ حَوْمَاتِ الحِمَامِ)، مشهدٌ يجعلُ الخارجيَّ يُقبلُ على الموتِ بلهفَةً، فالورودُ في معناه الأصليُّ جعلُ للحياةِ (الشُّرب، الإرتواء) بينما جعله الخارجيُّ مصدرًا للموتِ ووضعِ نهايةٍ لوجوده، مُنتقصًا الحياةَ، جاعلاً منها شيئًا ذليلاً، قال: (وَأَمَّا .. لَصَعَاؤُ)، ليعدلَ في البيت الرابع من الغيبةِ إلى التكلُّمِ بعد حديثه عن أحم قَضَوْا مَحَبَّهُمْ في سبيلِ الغايةِ الأسمى، قال: (وَأَنَا الحبيبُ إليهم)، وهم لديه أحبةٌ ذُؤوا صِدقٍ وخيرٍ وإحسانٍ وإصلاحٍ، وهو بذلك يُوضِّحُ العلاقةَ بينه وبين صحبه، ليصلَ في نهايةِ الخطابِ إلى التأسفِ والتحسُّرِ للتحلُّفِ عن ركبهم وفواتِ الشَّهادةِ.

وتأسيسًا على ما تقدَّم؛ فالإلتفاتُ إلى الغيبةِ جاء لسردِ بُطولةِ الخوارجِ وبيانِ الصِّلاحِ والخيرِيَّةِ، والانتقالُ إلى التكلُّمِ بيِّنَ الشَّاعرُ من خلاله العلاقةَ الوثيقةَ بينه وبين صحبه، وبهذا العدولُ أثبتَ لهم صفةَ الشجاعةِ والصِّلاحِ التي قلَّما تجتمعُ في قومٍ، وبذلك تكونُ؛ المُبالغةُ جاءت في وصفِ صفاتِ الصَّحْبِ.

للإلتفاتِ في شعرِ الخوارجِ أشكالٌ متنوِّعةٌ، فشعرهم يحملُ بناءً لغويًّا وأسلوبياً جميلاً، فقدَ تَمَنُّوا في تلويحِ تَغْلَاتِهِمُ السِّيَاقِيَّةِ، فتَنَقَّلوا بين أوجهِ الخطابِ الثلاثةِ (خطابٌ، تكلُّمٌ وعيبيَّةٌ) باحترافيةٍ، وعأيتهم التَّأثيرُ في السَّامِعِ، كيف لا؟ وهم أصحابُ قضيَّةٍ، فأكثرُوا مِنَ الإلتفاتِ النَّوعِيِّ (الصَّميريِّ)، فاستخدموه كأحدِ التَّقنياتِ الأسلوبِيَّةِ الحِجاجِيَّةِ التي تُظهرُ قُدرةَ الشَّاعرِ على حُسْنِ النَّصْرِفِ والإفْتِنَانِ في وُجوهِ الكلامِ.

وَدُونَ شَكٍّ؛ فهو ظاهرةٌ لغويَّةٌ أسلوبِيَّةٌ وحجاجِيَّةٌ، انَّصفتُ به العربيَّةُ بخاصَّةٍ، لِكُونِهَا مُتَّسِعَةً المعاني ومجالاً رَحْبًا للتَّطبيقِ، تلاقفتُهُ علومُ البلاغةِ الثلاثةِ، فسمِّيَ عُذولاً، وانصرافاً، وأشهرُ هذه التَّسمياتِ؛ الإلتفاتُ. ثمَّ توسَّعتْ دائرَةُ الإهتمامِ به إلى الغربِ، فأولَّوه اهتماماً كبيراً، وعدَّه "بيرلمان" شكلاً بلاغيًّا من أساسياتِ الخطابِ الحِجاجِيِّ، يجعلُ المُتلقيَّ يتراوَحُ بين المُتعةِ والإقتناعِ والتَّأثيرِ، ويستحضرُ المُلقيُّ له معاني مُختلفةٍ وموضوعاتٍ متنوِّعةً داخلَ الخطابِ الواحدِ، وهو الطَّرِيقَةُ التي يَبْنِئُهَا الباطُّ/ المُخاطَبُ ليتوسَّعَ في أدائه، مُحملاً الخطابَ طَرِحًا يجعلُ المُتلقيَّ يتفاعلُ وموضوعِ الخطابِ، مُنتبهاً لِمَا طُرِحَ وما انصرفَ إليه، وبذلك تكونُ وظيفتُهُ الأساسيَّةُ؛ حَصْرُ انبِياهِ المُتلقيِّ وإقناعه، فيحدثُ بذلك الإذعانُ والتَّسليمُ.

### ثانياً- حجاجية التكرار (Répétition):

يُعدُّ التَّكرارُ وسيلةً للتَّماسكِ النَّصِّيِّ، مُرتبطٌ عندَ البلاغيِّينَ بالتَّوكيدِ، يلجأُ إليه الشعراءُ والأدباءُ بهدفِ التَّأثيرِ والتَّأكيدِ والإقناعِ، وهو عندَ العربِ الأوائلِ فنٌّ يدلُّ على الفصاحةِ والضَّلاعةِ في العربيَّةِ، ولمعرفةِ قيمةِ التَّكرارِ حجاجيًّا؛ لا بُدَّ منَ تتبُّعِ المُصطلحِ اصطلاحًا، مع بيانِ الأهميَّةِ الَّتِي يكتسبُها، حتَّى نصلَ إلى وظيفتهِ الحجاجيَّةِ في شعرِ الخواج.

يُعرِّفُ التَّكرارَ عندَ البلاغيِّينَ كابن الأثير، على أَنَّهُ: "دلالةُ اللَّفظِ على المعنى مُرَدِّدًا"<sup>1</sup>، بمعنى أَن يأتي المُتكلِّمُ بلفظٍ أو أسلوبٍ ثُمَّ يُعيدُه بعينه، "سواءَ كانَ اللَّفظُ متَّفِقَ المعنى أم مُختلفًا، أو يأتي بمعنى ثُمَّ يُعيدُه"<sup>2</sup>، ويجعله "ديفيد كريستال" (David crystal) تحت مصطلح: (Repeated) الَّذي يعني: الإعادة: فيقول: "هو التَّعبيرُ الَّذي يُكرَّرُ في الكلِّ والجزءِ"<sup>3</sup>، فهو عنده منَ أهمِّ عواملِ التَّماسكِ والتَّرابِطِ النَّصِّيِّ، ويُعرِّفه "إبراهيم الفقي": "إعادةُ ذِكْرِ لفظٍ أو عبارةٍ أو جُملةٍ أو فقرةٍ، وذلكَ باللفظِ نفسه أو بالتَّرادفِ، وذلكَ لتحقيقِ أغراضٍ كثيرةٍ، أهمُّها: تحقيقُ التَّماسكِ النَّصِّيِّ بين عناصرِ النَّصِّ المُتباعِدة"<sup>4</sup>، فالتَّكرارُ حسب "الفقي" غيرُ مُحدِّدٍ بعددٍ معيَّنٍ منَ الكلماتِ، سواءَ أكانَ اللَّفظُ مُكرَّرًا حرفيًّا أو بمُرادفاته.

وتبسيطًا، فإنَّ التَّكرارَ هو أَن يأتي المُتكلِّمُ أو المُتلقي بلفظٍ ثُمَّ يُعيدُه بعينه، سواءَ أكانَ اللَّفظُ متَّفِقَ المعنى، ومثاله: (العِلْمُ العِلْمُ يا أُمَّةَ الإسلامِ)، أو مُختلفًا، كقولك: (يا سالمُ سالمِ القومِ)، أو يأتي بمعنى ثُمَّ يُعيدُه، مثل: (أضحَتِ الأُمَّةُ مُزَقَّةَ الأواصرِ واللُّحمةِ، مُشتتةَ القُوَّةِ والاتِّحادِ)، وهذا "منَ شرطه اتِّفاقُ المعنى الأوَّلِ والثَّاني، فإنَّ كانَ متَّحدَ الألفاظِ والمعاني؛ فالفائدةُ منَ إثباته هي تأكيدُ ذلكَ الأمرِ وتقديره في النَّفسِ"<sup>5</sup>.

إنَّ التَّكرارَ يُساعدُ على خَلْقِ الإنسجامِ الحجاجيِّ، ويُسهِّمُ في إنجاحِ العمليَّةِ التَّواصليةِ، ما يجعلُ القارئَ يُدعِنُ لسلطةِ اللَّفظِ المُردِّدِ، واللَّفظُ إذا تكررَ؛ ثَبَتَ وتقرَّرَ.

يكتسبُ التَّكرارُ أهميَّةً كبيرةً عندَ مُنظِّري الحجاجِ، فقيمتهُ تفوقُ زخرفةَ القولِ والتَّلاعِبِ بالألفاظِ، إلى التَّأثيرِ في سلوكِ المُتلقي وتوجيهه، فهو ذو دلالةٍ: "نفسيةٍ قيِّمةٍ، تُفيدُ الناقدَ الأدبيَّ الَّذي يدرسُ النَّصَّ

<sup>1</sup> ابن الأثير: المثل السائر، (ج 2)، ص 03.

<sup>2</sup> أحمد مطلوب: أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، وكالة المطبوعات، الكويت، (ط 1)، 1980، ص 234.

<sup>3</sup> صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النَّصِّيِّ بين النَّظريَّةِ والتَّطبيقِ، دار قباء، مصر، (ط 1)، 2000، (ج 2)، ص 19.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: الصَّفحة نفسها.

<sup>5</sup> أحمد مطلوب، معجم النَّقد العربيِّ القديم، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، (ط 1)، 1989، (ج 1)، ص 370. بتصرُّف.

ويُحلّلُ نفسيّةَ كاتبه، إذ يَضَعُ في أيدينا مفتاحَ الفكرة المُتسلّطة على الشّاعر<sup>1</sup>، ويكتسبُ صفةَ الحجاجيّة متى اعتمدَ "على سياقاتٍ مُحدّدة، وتوفّرت فيه شروطٌ مُعيّنة، فتكرارُ اللفظة ذاتها في أكثر من موضع؛ يُعدُّ من أفانين القول الرّافدة للحجاج المُدعّم للطّاقة الحجاجيّة في الدّليل والبرهان، لِمَا لَهُ من وقعٍ في القلوب، لا سيما في سياقاتٍ خاصّة كالمدح والتّناء"<sup>2</sup>، وهذه السّياقات قد تأتي للتّنبية، الحماسة، التّأثير، الإستمالة، التّذكير والتّحذير.

وفي "البلاغة الجديدة" حسب "بيرلمان وتيتيكا"، فالتّكرارُ: "طريقةٌ من طرق العرض ذات الأثر الحجاجي، فجعلُ المعنى الواحد يتكرّر مراراً؛ من شأنه أن يلفت الانتباه إلى الأهميّة التي يكتسبها الموضوع الذي تراكمت حوله هذه الحكايات، وبذلك يتّسم الموضوع في ذهن السّامعين، ويكونُ أبعث على الإنفعال"<sup>3</sup>، ما يعني أنّه يمدُّ القولَ بسُلطة قويّة داعمة للخِطاب، ويُساعدُ على الإفهام وتأكيدِ القضية أو الرّأي المطروح، وهو بذلك: "يُوفّرُ للنصّ طاقةً مُضافة تُحدث أثراً جليلاً في المُتلقي، وتعملُ على إقناعه وحمله على الإذعان، فإذا ردّد المُحتجُ لفكرةٍ طرحَ ما، أدركت مراميها وبانت مقاصدها، ورسخت في ذهن المُتلقي، وإن ردّد رابطاً حجاجياً أقام تناغماً بين أجزاء الخِطاب وأكّد على الوحدة بين الأقسام أو أوهم المُتلقي بها"<sup>4</sup>. وعليه، فإنّ غاية التّكرار والأبعاد التي يسعى لتحقيقها؛ هي بيان المقاصد التي يحملها الكلام، مع إحداث تناسقٍ بين أجزاء الخِطاب الواحد، وبذلك يحدث التّأكيد والإقناع.

يُعدُّ التّكرارُ في شعر الخوارج أحدَ الرّكائز البلاغيّة الأساسيّة التي لجأوا إليها بعرض تأكيد خطابهم، وجعله حجاجياً هدفه الإقناع، حيث إنّ إعادة اللفظ تُبرزُ شدّة حضور الفكرة التي يُريدون إيصالها، وبذلك تترسّخ الدّعوى والفكرة في ذهن المُتلقي، وتزيد الحجّة تأكيداً، فكلّما كان الموضوع مخصّوصاً كان أبعث على التّأثير والإنفعال، وسُتحصي هذه الجزئيّة من البحث أنواع التّكرارات الموجودة في شعر الخوارج، مُبيّنةً فاعليّتها وحجاجيّتها في الخِطاب.

#### 01- التّكرار الحرفي (الصّوتي):

لا يقتصرُ تكرارُ الحروف على مُجرّد تحسين الكلام وحسب، بل يتعدّى ذلك إلى تتركُّ الأثر البالغ في نفسيّة المُتلقي، فالشّاعر حين يُكرّر صوتاً بعينه أو مجموعة من الأصوات؛ فإنّه: "يريد أن يُوكّد حالة إيقاعيّة

<sup>1</sup> عصام شريح: ظواهر أسلوبيّة في شعر بدويّ الجبل، دار اتحاد كتّاب العرب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2005، ص 07.

<sup>2</sup> سامية الدّريدي: الحجاج في الشعر العربيّ، ص 168.

<sup>3</sup> عبد الله صولة: الحجاجُ أطره ومنطلقاته، ص 318.

<sup>4</sup> سامية الدّريدي: الحجاج في الشعر العربيّ، ص 168.

أو يُبرز منطقة من مناطق النصّ بنسيج إيقاعي يُوفّر إمتاعاً لآذان المُتلقي<sup>1</sup>، وبذلك يحدث التأثير، فحسُن اختيار الأصوات، وبراعة توظيفها وتوزيعها على التراكيب الشعريّة؛ يستميل القارئ والمُتلقي، ما يبعث في النفس شحناً من الإرتياح عند السّماع، وبذلك يُدعّن السّامع/المُتلقي لسُلطة الحرف أو الصّوت المُكرّر، ما يمنح اللّغة وظيفَةً حجاجيّة، وسنأخذ نماذج لهذا النوع حسب صفة الحرف -الصّوت- وقوّته.

1- حرف "الهاء" المهموس:

- قال "حجّية بن أوس" يرثي "رجاء التّمري" وأصحابه من الشّراة:<sup>2</sup> [الطّويل]

- 01 إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي رَجَاءً وَصَحْبَهُ أَكَادُ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ أَلُومَهَا  
 02 فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ عُصْبَةٍ أَقَامَ بِضُئْبِ بْنِ الرُّبَيْرِ مُقِيمَهَا  
 03 تَرَى عَافِيَاتِ الطَّيْرِ يَحْجِلْنَ حَوْلَهُمْ يُقَلِّبْنَ أَجْسَامًا قَلِيلًا لُحُومَهَا  
 04 فَوَا حَرْبًا أَلَا أَكُونُ شَاهِدُهُمْ بِمَكَّةَ وَالْخَيْلَانَ تُذْمِي كُلُومَهَا

يُكي "حجّية بن أوس" رمزاً من الخواج -سبق تحليل الأبيات-، مُوظِّفاً حرف "الهاء" مُكرّراً ثماني مرّات، وهو حرف مهموس رخو من حروف أقصى الحلق، والشّاعر بهذا التكرار؛ يُعبّر عن آهاته وخلجاته التّفسيّة، حيث يغلب طابع اللّوم والعتاب على هذه الأبيات، قال: (أكاد على بعض الأمور ألوّمها)، وهو بذلك يُجّجها في تركها "رجاء"، ويكي لمصرع وقتل صحبه، واصفاً الحالة التي ألو إليها، قال: ( قليلاً لُحومها، تُذمي كلومها)، وبهذا التّعّم الموسيقيّ الذي أحدثه الحرف المُردّد المتبوع بالمد؛ أضفى على الأبيات نبرة الحزن المصحوبة بالألم، وبها يجعل المُتلقي يتأثّر لحال المرثي، ويتعاطف وحالة الشّاعر التّفسيّة.

ب- حرف السّين (طرف اللسان):

- قال "عمران بن حطان" يرثي "أبا بلال مرّداساً":<sup>3</sup> [البسيط]

- 01 أَصْبَحْتُ عَنْ وَجَلٍ مَنِّي وَإِيْجَاسٍ أَشْكَو كُلُّومَ جِرَاحٍ مَالَهَا آسِي  
 02 يَا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعُهُ يَا رَبَّ مِرْدَاسٍ الْحَقْنِي بِمِرْدَاسٍ  
 03 تَرَكْتَنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمِرْزَاةٍ فِي مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ

<sup>1</sup> مقداد محمّد شاعر قاسم، البنية الإيقاعيّة في الشّعر الجواهريّ، دار دجلة، العراق، (ط 1)، 2010، ص 185.

<sup>2</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخواج، ص 83.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 158.

04 أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مِمَّنْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

05 قَدْ كُنْتُ أَبْكَيكَ حِينًا نَمَّ قَدْ يَيْسَتْ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَا سِي

يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَرْتِبَةً تَلِيْقُ بِزَعِيمٍ خَارِجِيٍّ وَبَطْلٍ نَائِرٍ، مُوظَّفًا حَرْفَ "السَّيْنِ" الْمَهْمُوسِ، وَهُوَ مِنْ حُرُوفِ "الصَّفِيرِ"، مُوسِيقَاهُ تُحَدِّثُ أَثْرًا وَاضِحًا فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي، فَهَذَا الْحَرْفُ الْمُكْرَّرُ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً يَتَلَاءَمُ وَحَالَةَ الشُّكُوى وَالْيَأسِ وَالْإِنْكَسَارِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، قَالَ: (إِيحَاسٍ، آسِي، يَا سِي)، وَهَذَا التَّرْدَادُ جَاءَ مَعَهُ حَرْفُ الْبِئْسِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْإِنْبِينِ وَالتَّحْسُرِ، قَالَ: (أَلْحَقْنِي، تَرَكْتَنِي، أَبْكَي، عَبْرَتِي)، فَفَقَدُ رَمَزَ التَّوَرَةَ وَالبُطُولَةَ جَعَلَ الْقُلُوبَ تَنْكَسِرُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ؛ التَّكَرُّارُ اللَّفْظِيُّ الْإِسْمِيُّ لِلخَارِجِيِّ "مِرْدَاسٍ" أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، حَيْثُ حَاجَجَ الشَّاعِرُ بِتَكَرُّارِ اسْمِ الْمَرْتَبِيِّ لِيُبْرِزَ قِيَمَتَهُ السِّيَاسِيَّةَ وَالمُجْتَمَعِيَّةَ، وَتَوْظِيفَ التَّكَرُّارِ اللَّفْظِيِّ مُلَازِمًا لِلتَّكَرُّارِ الْحَرْفِيِّ أَكْسَبَ الفَصِيدَةَ قُوَّةً تَأْثِيرِيَّةً، فَالنَّعْمَةُ الَّتِي يُحَدِّثُهَا حَرْفُ السَّيْنِ الْمُكْرَّرُ تُعَبِّرُ عَنِ عِظَمِ الْمُصِيبَةِ فِي فَعْدِ زَعِيمٍ وَبَطْلٍ خَارِجِيٍّ.

ج- حَرْفُ "البَاءِ" الشَّفَوِيّ:

- قَالَ "قَطْرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ" مُعْتَدًّا بِنَفْسِهِ مُحْمَلًا رَسُولَ "بِشْرِ بْنِ مِرْوَانَ" رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا<sup>1</sup>: [الطَّوِيل]

01 أَلَا قُلْ لِبِشْرِ بْنِ بِشْرٍ مُصَبِّحٌ بِخَيْلٍ كَأَمْثَالِ الذَّنَابِ شُرْبٌ

02 يُقَحِّمُهَا عَمْرُو الْقَنَا وَعُبَيْدَةٌ مُفْدَى خِلَالِ النَّقْعِ بِالْأُمِّ وَالْأَبِ

03 هُنَالِكَ لَا تَبْكِي عَجُوزٌ عَلَى ابْنِهَا فَأَبْشِرْ بِجَدْعٍ لِلْأَنْوْفِ مُوعَبِ

04 رَجَعْنَا إِلَى الْأَهْوَازِ وَالْخَيْلِ عَكْفٌ عَلَى الْخَيْرِ مَا لَمْ تَرْمَنَا بِالْمُهَلَّبِ

يَعْتَدُ "قَطْرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ" بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَتَوَعَّدُ "بِشْرَ بْنَ مِرْوَانَ" بِالْهَزِيمَةِ، سَاحِرًا مِنْهُ، قَالَ: (إِنَّ بِشْرًا مُصَبِّحٌ)، وَأَنَّهُ سَيَحْمِلُ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَرُكْبٍ كَالذَّنَابِ الْجَائِعَةِ السَّرِيعَةِ، تَارِكًا وَرَاءَهُ قَتْلَى تَنْدَبُهُمْ أُمَّهَاتِهِمْ، فَجَاءَ بِحَرْفِ "البَاءِ" مُكْرَّرًا ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، مَا أَكْسَبَ الْآيَاتِ قُوَّةً وَأَنْعَامًا تَنْتَاسِبُ وَجْهَ الْحِمَاسَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمُوَاجَهَةِ، فَحَرْفُ الْبِئْسِ مِنَ الْحُرُوفِ الشَّفَوِيَّةِ الشَّدِيدَةِ الْإِنْفِجَارِيَّةِ، الْمُوجِبَةِ لِلِإِنْثِاقِ وَالظُّهُورِ، يَحْمِلُ شُحْنَ الْعُضْبِ وَالتَّقْمَةَ عَلَى الْعَدُوِّ، مُحَقِّقًا بِهِ الْإِنْسِجَامَ الصَّوْتِيَّ وَالْقُوَّةَ الْحِجَاجِيَّةَ، حَيْثُ يَرَسُمُ بِالرَّوِيِّ الْمَحْزُورِ حَالَةَ الْإِنْكَسَارِ الَّتِي سَيُلْحِقُهَا بِأَعْدَائِهِ، قَالَ: (فَأَبْشِرْ بِجَدْعٍ لِلْأَنْوْفِ مُوعَبِ)، مُتَّحِدًا فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ "بِشْرًا" مُتَهَكِّمًا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْلَا "المُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ" لَمَا تَجَرَّأَتْ عَلَى الْخُرُوجِ لِقِتَالِنَا، مُقَرَّرًا بِشِجَاعَةِ وَقُوَّةِ "المُهَلَّبِ"، قَالَ: (مَا لَمْ تَرْمَنَا بِالْمُهَلَّبِ).

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 128.

د- حرف الرّاء:

- قال "أبو بلالٍ مرداس بن أديّة" يُشيدُ بقوّتهم وثباتهم عند المواجهة: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 فَلَسْنَا إِذَا جَمَّتْ جُمُوعٌ عَدُونًا      وَجَاءُوا إِلَيْنَا مِثْلَ طَامِيَةِ الْبَحْرِ  
02 نَكْفُ إِذَا جَاشَتْ إِلَيْنَا بُحُورُهُمْ      وَلَا بِمَهَائِبٍ نَحِيدُ عَنِ الْبَثْرِ  
03 وَلَكِنَّا نَلْقَى الْقَنَا بِنُحُورِنَا      وَبِالْهَامِ نَلْقَى كُلَّ أْبَيْضَ ذِي أَثْرِ  
04 إِذَا جَشَّاتْ نَفْسُ الْجَبَانِ وَهَلَّتْ      صَبْرَنَا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامَ عَلَى الْجَمْرِ

عمد الشاعر في هذه الأبيات إلى وصف بسالة البطل الخارجي عند مجابهة جيوش وجموع الظلمة، وهو بذلك يُقوي الروح المعنوية للخوارج، ما يدفعهم إلى الاستماتة في القتال، مُشيداً بأنهم يواجهون الموت بشجاعة، قال: (ولكننا نلقى القنا بنحورنا)، موظفاً حرف الرّاء مُكرراً أحد عشر مرّة، حيثُ وُلدَ إيقاعاً حمل قوّة الإرتفاع، فالسياق الأول الذي ورد فيه حرف الرّاء مُردّداً؛ هو سياق بيان الظلم والتّجبر، قال: (الجور، العدر، الكفر)، بينما اختلف السياق الثاني عن سابقه، حيثُ جاء حرف الرّاء مُكرراً ومُلاصقاً لألفاظ تحمل معاني الرّفص والمقاومة، قال: (البثر، بنحورنا، صبرنا، الجمر)، فبذلك قرّر الثّبات في مواجهة جند الولاة الظالمين، وبهذا الإيقاع الذي أحدثه تردادُ حرف الرّاء؛ أسس لفكرة الرّفص وعدم الخنوع والخضوع. يلاحظُ ممّا تقدّم، أنّ للصوت وظيفةً تأثيريّةً تزيد من قوّة التّراكيب، ما يُعطي الحروف المُكررة بُعداً جماليّاً وآخر تأثيريّ، ويمكنُ توضيح ذلك من خلال هذا الجدول:

الصوت	تكراره	صِفته	سياق توظيفه	الوظيفة الحجاجية
الهاء	ثماني مرّات	احتكاكي - مهموس - مُرَقَّق	التّحسُّر / الرّثاء	بيان مكانة ودرجة المرثي، مع إبداء التّحسُّر والفجعية لفقده.
السين	أحد عشر مرّة	احتكاكي - مهموس	التّحسُّر / الرّثاء	وصف حالة الإنكسار وإبراز مكانة المرثي
الباء	عشر مرّات	انفجاري - مجهور	الفخر والبُطولة	الحماسة، الاعتداد بالنّفس، الشّجاعة
الرّاء	أحد عشر مرّة	تردّدي - مجهور - مُرَقَّق	الشّجاعة والبُطولة	البُطولة والثّبات عند المواجهة - الرّفص وعدم الخضوع

شكل 01: الصوت؛ السياق الوظيفي والتّركيب الحجاجي.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 65، 66.

02- التكرار اللفظي: التكرار اللفظي من أبسط التكرارات استعمالاً، وهو اللون الأكثر شيوعاً في الشعر العربي، يُوظفه الأديب والشاعر لما له من وقع في نفوس المتلقين، حيث يمنح النص: "امتداداً وتنامياً في الصور والأحداث، لذلك يُعدُّ نقطة ارتكازٍ أساسية لتوالد وتنامي حركة النص"<sup>1</sup>، ما يعني إنّه بالتركيز على اللفظ المكرر؛ تظهر الفكرة العامة أو المركزية للنص/ الخطاب، ومنه تسهل وتتضح الفكرة المراد إيصالها وإبلاغها للمتلقّي.

#### ❖ تكرار اسم العلم:

- قال "صالح بن محراق العبدي" يصف شجاعته في حروبه مع "المهلب بن أبي صفرة"<sup>2</sup>: [الرجز]

- 01 قُلْ لِلْمُحَلِّينَ أَتَاكُمْ صَالِحٌ
- 02 وَصَالِحٌ فِي الْحَرْبِ كَبِشٌ نَاطِحٌ
- 03 وَصَالِحٌ فِي الْغَيْلِ لَيْثٌ كَالِحٌ
- 04 وَصَالِحٌ ظَفْرٌ وَنَابٌ جَارِحٌ
- 05 يَهْوِي بِهِ طَرْفٌ سَرِيعٌ سَابِحٌ

صوّر الشاعر قوّة بسالته في مواجهة "المهلب بن أبي صفرة" وجنّده الذين أحلّوا سفك دماء الخوارج، قال: (قُلْ لِلْمُحَلِّينَ أَتَاكُمْ صَالِحٌ)، موظفاً الفعل "أتى" الذي يدلُّ على سهولة الوصول لهم دون عقبات تُذكر، ما يعني استخفافه بالمهلب، ثمّ يستخدم تشبيهاتٍ بليغة ليُقوي به حجاجه مع خصومه، قال: (وصالح في الحرب كبش ناطح، ليث كالح)، وبهذه الصفات التي استعارها يُعظّم من شأنه في نظر أعدائه، ما يُزعزِعُ ثقتهم بأنفسهم، وبالتالي يحطُّ من معنوياتهم، فتسهلُّ بذلك هزيمتهم.

فالملاحظ على هذا التركيب؛ تكرار الشاعر لاسمه أربع مرّات، وهذا الترداد لم يأت به اعتباطاً، وإنما جاء به ليؤكد على شجاعته، ما أكسب خطابه قوّة إقناع وتأثير، فاسم الشاعر مُكرّراً؛ خلق به موقفاً بطولياً، فوظفه بطريقة ذكيّة تُمكن من الإقناع والحمل على الإذعان، والأمر الذي سعى لأجله الشاعر بهذا التكرار؛ هو تمرير رسالة لخصومه وأعدائه بأنّه مُستمرٌّ في حربهم، مُستميثٌ في الدفاع عن قضيتّه.

<sup>1</sup> حسن العرفي: حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2001، ص 84.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 138.

- وقال "قطري بن الفجاءة" يُعَاتِبُ "سميرة بن الجعد" لمجالسته "الحجاج بن يوسف":<sup>1</sup> [الطويل]

- 01 لَشْتَانُ مَا بَيْنَ ابْنِ جَعْدٍ وَبَيْنَنَا إِذَا نَحْنُ رُحْنَا فِي الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرِ  
 02 وَرَاحَ ابْنُ جَعْدٍ الْخَيْرِ نَحْوَ أَمِيرِهِ أَمِيرٍ بِتَقْوَى رَبِّهِ غَيْرِ أَمِيرِ  
 03 أبا الجعدِ أَيْنَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنَّهْيُ وَمِيرَاثُ آبَاءِ كِرَامِ الْعَنَاصِرِ  
 04 فَرَا جَعُ أبا جَعْدٍ وَلَا تَكُ مُغْضِبًا عَلَى ظُلْمَةٍ أَغْشَتْ جَمِيعَ النَّوَاطِرِ  
 05 أبا الجعدِ سِرٌّ تَلَقَّ الْجِهَادَ غَيْمَةً تُفِدُكَ إِبْتِياعًا رَابِحًا غَيْرَ خَاسِرِ

يُقيمُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلٍ آيَاتِهِ مُقَارَنَةً بَيْنَ مَنْ اخْتَارَ سَبِيلَ الْمَوْتِ وَالشَّهَادَةِ، وَبَيْنَ مَنْ اخْتَارَ جِوَارَ سَادَةِ الْحُكْمِ، قَالَ: (وراح ابن جعد الخير نحو أميره)، يعني به صاحبه "سميرة" الذي فارق جماعة الخوارج والتحق بالحجاج، وتوظيف الشاعر للفظه (شتان) المؤكدة؛ فقد جذب انتباه القارئ/ المُتلقي إلى وجود مشكلة يسعى الشاعر لبيان علته ومحاولة حلها.

فَيْتَسَاءَلُ الشَّاعِرُ مُتَعَجِّبًا، قَالَ: (أبا الجعد أين العلم والنهي)، بمعنى: أنت صاحب دراية وعلم، فما الذي دعاك لتفارق جماعتنا، وهو بذلك يُعَاتِبُهُ عَلَى فِعْلَتِهِ، ناصحًا له، قال: (فراجع أبا جعد... موظفًا فعل الأمر/الطلب الذي يحمل بصيص أمل بعودة "سميرة" إلى جادة الصواب.

إِنَّ تَوْظِيْفَ "قَطْرِي" لِلْقَبِّ مُكْرَّرًا؛ جَاءَ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا: الْعِتَابُ، التَّوْحِيحُ، مَا يُوضِّحُ مَكَانَةَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، فَالغَايَةُ التَّأْثِيرُ وَالْإِقْنَاعُ، وَالتَّكْرَارُ قَدْ سَاعَدَ عَلَى التَّبْلِيغِ وَالْإِفْهَامِ، إِفْهَامِ الْمَقْصُودِ مِنْ تَرْدَادِ اسْمِ "أَبِي الْجَعْدِ"، وَأَسْهَمَ فِي تَرْسِيخِ الْفِكْرَةِ فِي الْأَذْهَانِ، فِكْرَةَ أَنَّ مَكَانَ صَاحِبِهِ بِحَنْبِ "الْحَجَّاجِ" خَطَأٌ لَا بُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ مِنْهُ، وَبِهَذَا بَانَتْ مَقَاصِدُ وَغَايَةُ "قَطْرِي" مِنْ هَذَا الْخِطَابِ، فَمَا إِنْ بَلَغَتْ آيَاتُ "قَطْرِي" "سَمِيرَةَ" بِنِ الْجَعْدِ "حَتَّى رَكِبَ وَلَحِقَ بِصَحْبِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ آيَاتًا طَوِيلَةً مِنْهَا:<sup>2</sup> [الطويل]

- 01 فَمَنْ مَبْلِغُ الْحَجَّاجِ أَنَّ سَمِيرَةَ قَلَى كُلِّ دِينَ غَيْرِ دِينِ الْخَوَارِجِ  
 02 رَأَى النَّاسَ إِلَّا مَنْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِ مَلَاعِينَ تَرَائِينَ قَصْدَ الْمَنَاهِجِ  
 03 فَأَيُّ أَمْرِي أَيُّ أَمْرِي يَا ابْنَ يُونُسَ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ يَأْتِ غَيْرَ الْوَلَائِحِ

بِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا "سَمِيرَةُ" بِنِ الْجَعْدِ تَوْبَتَهُ وَرُجُوعَهُ؛ حَدِثَ التَّأْثِيرُ وَالْإِقْنَاعُ، وَهُوَ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْخِطَابُ الْحِجَاجِيُّ.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 134.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 136.

❖ تَكَرُّرُ الْفِعْلِ النَّاقِصِ:

- يقول "زياد الأعسم" يرثي "داود بن نعمان العبدي" لما بلغه أن قوماً ينتقصون قدر صاحبه: <sup>1</sup> [الطويل]

- 01 فَإِنْ يَكُ دَاوُدُ مَضَى لِسَبِيلِهِ فَقَدْ كَانَ ذَا شَوْقٍ إِلَى اللَّهِ تَالِيَا  
 02 وَقَدْ كَانَ ذَا أَهْلِ وَمَالٍ وَغِنَطَةٍ وَكَانَ لِمَا يُفْنَى مِنَ الْعَيْشِ قَالِيَا  
 03 كَأَنَّ الْفَتَى دَاوُدَ لَمْ يَكُ فِيكُمْ وَلَمْ نَرَهُ يَوْمًا مِنَ الصَّوْمِ بِالِيَا  
 04 أَلَا فَادُّكُرْنَ دَاوُدَ إِذْ بَاعَ نَفْسَهُ وَكَانَ بِهَا يَبْغِي الْجِنَانَ الْعَوَالِيَا

يستهل الشاعرُ خطابهُ بحُملةٍ شرطيةٍ يُبين في جواها أن "داود بن النعمان" كان من المُشتاقين إلى لقاء الله سبحانه، قال: (فقد كان ذا شوقٍ إلى الله تالياً)، لينتقل إلى الإخبار عن اجتهاد المرثي في الدنيا كارهاً لِمِلداتِ العيشِ الفانية، قال: (وكان لما يفنى من العيش قالياً)، مع أنه كان ذا نسبٍ ومالٍ، قال: (وقد كان ذا أهلٍ ومالٍ...)، ويتعجبُ في البيتِ الثالث عن قولهم في "داود" وكأنه لم يكن بين ظهرانيهم ولم يروه يوماً مُتعبداً صائماً، وهو بذلك يستنكرُ فعلهم ويثبتُ في الوقت نفسه خيرية الرجل، لينتهي أخيراً إلى ما بدأ به خطابهُ وهي الفكرةُ العامةُ لهذا النصِّ، وهي ابتغاء داود للجنان، وأنه باع نفسه للغاية الأسمى "الشهادة"، ويطلبُ منهم (في معنى ضمنيّ) أن ييُكوا على الفجعة التي حلت بهم لفقدِهم رجلاً عظيماً الشأن.

فالشاعرُ بتكرارِ الفعلِ الماضي الناقص (كان) مقروناً بالحجة؛ يبرزُ اعتقاداً وقولاً مكذوباً جرى بين السنة من يُريدُ تشويه بطولات رجلٍ من أبرز الخوارج، ويصحح المُلققَ بعرضٍ غيره في النفوس.

فالملاحظُ على خطابِ "زياد" أنه أتى بأسلوبِ البيانِ والتصحيح، بيانِ الافتراء والطعن، وتصحيح ما درج على السنة الشائعين المُبغضين لرجلٍ: "كان يكره الدنيا والظلم والظلمة، باذلاً لِماله ونفسه في سبيلِ قضيتهم"<sup>2</sup>، فتوظيفُ الفعلِ "كان" أكسب النصَّ امتداداً وتنامياً في سرد الأحداث، ومَنَحَ الخطابَ نُقطةَ ارتكازٍ أساسيةً لتوالد الصور التي تجعل المُتلقي يُدعُن ويرجع عن ما كان يُروجُّ له، وبذلك يُقبل على الاقتداء بالمرثي وانتهاج طريقه في الجهاد والإقبال على الآخرة.

ولتصلَ إلى حجاجية هذا التركيب، نصوّر انتقال الشاعر من الفكرة العامة (داود باع نفسه) إلى

التفصيل في الحجج بسلم حجاجي كالآتي:

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 207.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

ن = داؤود باع نفسه في سبيل الله.

ح 4	↑	بيغي الجنان الغواليا
ح 3	—	زاهداً
ح 2	—	ذَ أهلٍ ومالٍ
ح 1	—	ذا شوقٍ إلى الله

شكل 02: الانتقال من الفكرة العامة إلى التفصيل في الحجج.

❖ التكرار الإستهلائي (*Anaphore*): هو نمطٌ من التكرار تتردّد فيه: "اللفظة أو العبارة في بداية الأسطر الشعريّة بشكلٍ مُتتابع"<sup>1</sup>، أو هو "الضغط على حالة لغويّة واحدة يأتي توكيدها عدّة مرّات بصيغٍ مُتشابهة"<sup>2</sup>، ما يعني: إنّ التكرار الاستهلائي هو أن يركّز الشاعر والأديب في نصّه على لفظةٍ أو تركيبٍ ويكرّره تواليًا، حيثُ تكمنُ وظيفته في التأكيد والتنبية وإثارة التوقُّع لدى السامع لجذب تركيزه وانتباهه.

لَمْ يَرِدِ التَّكْرَارُ الإِسْتِهْلَائِيُّ بِلَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ فِي خِطَابِ الخَوَارِجِ إِلاَّ فِي تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ قَوْلُ "عَمْرُو القَنَا العَنْبَرِيَّ" لَمَّا ذِيعَ أَنَّهُ هَرَبَ مَعَ "قَطْرِيَّ بنِ الفُجَاءَةِ" و"عُبَيْدَةَ بنِ هلال" إلى بلادِ "سائور" \* بفارس، متوعِّدًا أعداءه، بأنَّ الكَرَّ ما زالَ قائِمًا، مُعلِّلاً سَبَبَ خُرُوجِ أَصْحَابِهِ مِنَ المَعْرَكَةِ:<sup>3</sup> [الرَّجَز]

اليَوْمَ عَمْرُو وَغَدًا عُبَيْدَهُ  
 كِلاهُمَا شَوْكْتُهُ شَدِيدَهُ  
 كِلاهُمَا غَايَتُهُ بَعِيدَهُ  
 كِلاهُمَا طَعْنَتُهُ عَنِيدَهُ  
 كِلاهُمَا صَعْدَتُهُ جَرِيدَهُ  
 كِلاهُمَا وَقَعْتُهُ مُيِيدَهُ  
 كِلاهُمَا فِرَارُهُ مَكِيدَهُ

يَتَوَعَّدُ الشَّاعِرُ فِي مُسْتَهْلٍ مَرَجُوزِهِ أَعداءَهُ، مُخْبِرًا أَنَّ الأَيَّامَ دُولٌ، وَأَنَّ الحَرْبَ لا زالَتْ قائِمةً، قال: (اليومَ عمرو وغداً عبّيدة)، وهو بهذا القول يتحدّى الغامزين ويحدّثهم بأن لا يأمنوا بطشّه وصحبه، فالغالب على هذا الخطاب والتحدّي والبطش، قال: (كلاهما شوكته شديده)، ولا خوف من الهزيمة (فكلاهما

<sup>1</sup> حسن الغري: حركيته الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2001، ص 84.

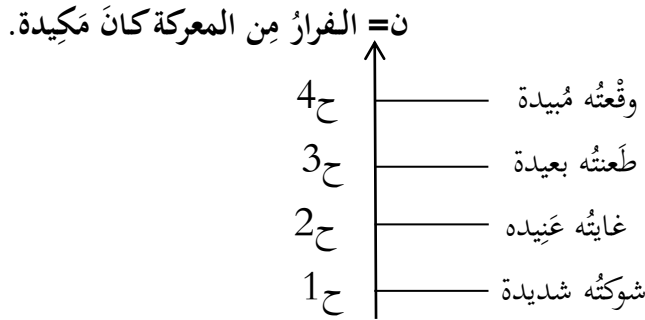
<sup>2</sup> محمد عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، اتحاد كتاب، سوريا، (د ط)، 2001، ص 161.  
 \* سائور: "مدينة بأرض فارس، ذات نخيل وجبال وعرة، فر إليها الشراة مع زعيمهم قطري بن الفجاءة من بني أمية، وكان للخوارج عدّه وقائع بها مع المهلب بن أبي صفرة". / ينظر: محمد شريف سليم، ملخص تاريخ الخوارج، ص 119.

<sup>3</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 102.

غايته بعيدة) وهي الشهادة، وفي ميدان القتال (كلاهما طعنته عنيدته)، وإذا حلوا بقوم أبادوهم، فكلاهما (وقعته مبيدة)، ليعلل في الأخير على تهكم العدو، موضحاً أنّ سبب فرار "قطري" و"عبيدة" كان مكيدة لسحب "المهلب" ومن معه إلى "سأبور" ذات الجبال الوعرة قصد إهناكه والفتك به ويجنده.

إنّ توظيف التكرار الاستهلاكي لللفظة "كلاهما" بصورة رأسيّة متتالية ستّ مرّات أراد بها الشاعر جعل نفسه وعبيدة لُحمة واحدة، تضرب لنفس الغاية والحاجة، ما يُثبت أنّ التكرار ليس من نافلة القول، بل تقاطر لغاية حجاجيّة، وهي ترهيب العدو وتحذيره، متجاوزاً بذلك الإخبار والإبلاغ والإشادة بالبطلية والشجاعة إلى التحدّي، وهذا الأخير جاء استجابة لثورة النفس التي تأتي الإهانة، ما جعله يضع العدو في مكان العجز بما ذكره من صفات رفع بها معنوياته وحطم بها نفسيتهم.

وما ساعد كذلك بالتهوض بهذا التكرار إلى الحجاجيّة؛ هو نجاعة الإيجاز الذي اتّسمت به هذه الأرجوزة، كلامٌ قليلٌ ومعانٍ واسعة، فحجاجٌ موجزٌ، مع حُسنٍ ترابطٍ أقرب إلى القبول الصق بالذاكرة، ما يُمكننا الارتقاء بحجاجيّة هذا الخطاب المرّجوز بسلم حجاجي كالآتي:



شكل 03: السلم الحجاجي للشجاعة وتعليل الفرار من المعركة.

#### ❖ تكرار وحدة الغايات:

الموت حقيقة يقينية عند الخوارج إنّ لم نقل عقيدة، فلسفة تعمقوا فيها، وجعلوها غاية لا تكتمل الحياة إلا عند الظفر بها، مُستبدلين المعاني السلبية المُلتصقة بالموت من: طعن، قتل، عذاب، وحشة ودود، بمعاني إيجابية منها: الخلاص من الظلم، عذب المداق، الجنة والحياة الأبدية، وهذه الصفات الإيجابية قد طغت على شعرهم، ومن ذلكم:

- قال "الأشل البكري الأزقي" مُفتخرًا بشجاعته وأنّ الموت غايتهم الأسمى في الحياة: <sup>1</sup> [الرجز]

01 أنا أبو برزة إذ جدّ الوهل

02 خلقت غير زمل ولا وكن

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 144.

03 ذَا فُؤَةٍ وَذَا شَبَابٍ مُّقْتَبِلٍ

04 لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلِ

05 الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

06 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ

يبدأ الشاعر أرجوزته بضميرٍ من الإشارات الشخصية، معتدداً بنفسه مُفاحراً، قال: (أنا أبو بَرَزَةَ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ)، المُبارزُ إِذَا اشتدَّ الفزعُ في القتال، ثُمَّ ينتقلُ إلى الإخبارِ بأنَّه لَمْ يُخلَقْ جباناً ضَعيفاً مُتَّكلاً عِنْدَ التَّجَالُدِ على غَيْرِهِ، مُشيداً بقوَّته، قال: (ذَا فُؤَةٍ...)، بمعنى: "إِنَّ رَأْيَهُ قَوِيٌّ، وَمَسْمُوعُ الْكَلِمَةِ فِي قَوْمِهِ"<sup>1</sup>، فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ، قال: (وَذَا شَبَابٍ مُّقْتَبِلٍ)، فتيٌّ لَا يَخْشَى عَمَارَ الْحُرُوبِ، وَيَنْتَقِلُ بَعْدَهَا إِلَى نَفْيِ الْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ، مَا يَدُلُّ عَلَى نَفْسِيَّةٍ رَاضِيَةٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ الْوَاقِعِ لَا مُحَالَةٍ.

ثُمَّ يُصْرِّحُ فِي الشَّطْرِ الْخَامِسِ أَنَّ الْمَوْتَ عِنْدَهُمْ أَشْهَى مِنَ الْعَسَلِ، وَهِيَ صُورَةٌ بَلِيغَةٌ صَوَّرَ فِيهَا الْمَوْتَ وَشَبَّهَ مَذَاقَهُ بِأَنَّهُ يَفُوقُ الْعَسَلَ حَلَاوَةً، مَا يُبَيِّنُ إِقْبَالَهُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَخْتَمُ خُطَابَهُ بِعِلَاقَةٍ تَلَازِمِيَّةٍ تَرْبِطُ الْخَارِجِيَّ بِالْمَوْتِ، لِيَصِيرَ كَالْأَبِ وَابْنِهِ، وَهِيَ عِلَاقَةٌ تَسْتَشِيرُ ذَهْنَ الْمُتَلَقِّيِّ وَتَجْعَلُ الْعَدُوَّ يَهَابَهُمْ، فَهؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ، وَالْمَوْتَ عِنْدَهُمْ أَشْهَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ أَلْدِّ طَبِيبَاتِ الدُّنْيَا.

إِنَّ تَكَرُّرَ "وَحِدَةَ الْغَايَاتِ" حَاجَجٌ بِهَا الشَّاعِرُ فِي سِيَاقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، الْأَوَّلُ: التَّحَدِّيُّ وَالْمُفَاخِرَةُ، وَالثَّانِي: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّ خَوْضَ الْحُرُوبِ عِنْدَهُمْ وَالْمَوْتَ لَا يُثْنِي عَزَائِمَهُمْ فِي الْمُقَاوِمَةِ وَبُلُوغِ غَايَتِهِمُ الْأَسْمَى، وَأَنَّ مَاضُونَ مُتَحَدِّدُونَ فِي قِتَالِ خُصُومِهِمْ دُونَ تَرَاحٍ أَوْ وَجَلٍ.

ب- التَّكَرُّارُ التَّرْكِيبِيُّ:

❖ تَكَرُّارُ الْجُمْلَةِ:

- تَقُولُ أَحْتُ "الْحَازِقُ الْخَنْفِيُّ الْخَارِجِيُّ" تَرْتِي أَخَاهَا الَّذِي قُتِلَ وَتُكَلِّبُهُ: <sup>2</sup> [الطَّوِيل]

01 تَعَاوَرَهُ أَطْيَافُ قَوْمٍ تَعَوَّدُوا قِرَاعَ الْكُمَاةِ لَا خُنُوسٍ وَلَا ضُجُرٍ

02 فَلَوْ كَانَ لِي مُلْكُ الْيَمَامَةِ سَوَّمْتُ فَوَارِسُ يَسْبُونُ الْعَذَارِيَّ مَنْ شَكَرَ

<sup>1</sup> فيضُ الرَّحْمَانِ الْحَقَّانِي: شَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِيْرُوتَ، لِبْنَانِ، (د ط)، 1971، ص 191.  
<sup>2</sup> كَانَ مِنْ: "أَتْبَاعِ نَجْدَةَ الْخَنْفِيِّ زَعِيمِ الْفِرْقَةِ النَّجْدِيَّةِ، وَلَاهَ عَلَى الطَّائِفِ، فَكَثُرَتْ بِإِمَارَتِهِ الصَّرَاعَاتُ حَتَّى اجْتَرَأَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ، فَحُوصِرَ فِي إِحْدَى الْجِبَالِ الْوَعْرَةِ مِنْ جَمَاعَةِ دَوْسٍ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قُتِلَ". / ابن طيفور: بلاغاتُ النِّسَاءِ، ص 181.

<sup>2</sup> إحسان عباس: ديوانُ شعرِ الخوارج، ص 89.

03 وَلَوْ كَانَ لِي مُلْكُ الْيَمَامَةِ قَدْ عَزَتْ قَبَائِلَ دَوْسٍ كُلِّ قَنْبَلَةٍ شُقِر

04 فَإِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْ دَوْسٍ تَأْرِي بِفِتْيَةٍ مَصَالِيَتَ لَمْ يَكْسِرْهُمْ حَدَثُ الدَّهْرِ

05 فَفِي قَتْلِهِمْ مِثْلُ الَّذِي نَالَ مِنْ حَظِّي بِقَتْلِ حُرَاقٍ فِي الْعُلَاءِ وَفِي الذِّكْرِ

مُشِيرُ الرِّثَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ هُوَ احْتِرَاقُ الْقَلْبِ حُزْنًا عَلَى مَقْتَلِ أَخٍ وَبَطْلٍ خَارِجِيٍّ، وَخَاصَّةً إِذَا عَلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ الْقَتْلِ كَانَتْ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، حِينَ "طَلَبَهُ الْقَوْمُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الظَّفَرَ بِهِ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَكَانَ يَقُولُ: أَتَقْتُلُونِي قَتْلَ الرُّنَاةِ؟ لِيُبَارِزَنِي مِنْكُمْ أَحَدًا"<sup>1</sup>، فَقَالَتْ نُحْبِزُ عَنْ كَيْفِيَّةِ الظَّفَرِ بِهِ: (تَعَاوَرَهُ أَطْيَافُ قَوْمٍ)، مُتَهَكِّمَةً عَلَيْهِمْ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الْإِقْتِرَابِ مِنْهُ خَوْفًا، وَمَقْصُودُ كَلَامِهَا: أَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ وَجْهًا لَوَجْهٍ، بَلْ يَجْتَنِبُونَ خَلْفَ الدَّرْعِ، حَيْثُ تَنَاوَلَتْهُ السُّيُوفُ بِأَدَى الْأَمْرِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا مَعَهُ حِيلَةً عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ، إِلَّا حِيلَةَ الْجُبْنَاءِ وَضِعَافِ النَّفُوسِ؛ وَهِيَ الْعَدْرُ.

وَبِتَكَرُّرِ الْجُمْلَتَيْنِ الشَّرْطِيَّتَيْنِ (بَيْت: 03-04) خَرَجَ التَّمْيِي فِيهِمَا عَنْ دَلَالَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ لِمَا لَهَا مِنْ حِجَاجِيَّةٍ، وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي الْأَخْذِ بِالنَّارِ وَالتَّشْدِيدِ عَلَى ذَلِكَ، قَالَتْ: (فَلَوْ كَانَ لِي مُلْكُ الْيَمَامَةِ سَوَّمْتُ)، أَي: لِأَرْسَلَتِ الْخِيُولَ بِرُسَايَاهَا لِلْقَضَاءِ عَلَى "دَوْسٍ" وَكُلِّ مَنْ لَهُ صِلَةٌ بِمَقْتَلِ أَخِيهَا، وَلَكِنَّهُ تَمَنَّيَ يُمْتَنِعُ وَيُسْتَحَالُ حُصُولُهُ، حَيْثُ طَرَحَتْ بِهَذَا التَّمْيِي تَسَاؤُلًا فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي فِي أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يُسْتَدْعَى لِأَجْلِهِ تَمْيِي اعْتِيَاءَ عَرْشِ مَمْلُوكَةِ الْيَمَامَةِ؛ لَا بُدَّ مِنْ كَوْنِهِ عَظِيمِ الشَّانِ وَالْمَنْزِلَةِ، فَهَذَا التَّمْيِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُسْتَعَدَّةٌ لِبَدْلِ الْغَالِي لِتَشْفِي غَلِيلِهَا، وَهُوَ إِشْعَارٌ بِعِزَّةِ طَلَبِهَا.

#### ❖ النِّدَاءُ (أدَاءُ النِّدَاءِ وَالْمُنَادَى):

- يَقُولُ "عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ" يُحَدِّثُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَرَعْدِ الْعَيْشِ:<sup>2</sup> [البسيط]

01 يَا جَمْرَ يَا جَمْرَ لَا يَطْمَحُ بِكَ الْأَمَلُ فَقَدْ يُكَذِّبُ ظَنَّ الْأَمَلِ الْأَجَلَ

02 يَا جَمْرَ كَيْفَ يَذُوقُ الْخَفْضَ مُعْتَرِفٌ بِالْمَوْتِ وَالْمَوْتُ فِيمَا بَعْدَهُ جَلَلٌ

03 كَيْفَ أُوَاسِيكَ وَالْأَحْدَاثُ مُقْبِلَةٌ فِيهَا لِكُلِّ أَمْرٍ عَنِ غَيْرِهِ شُغْلٌ

04 وَقَدْ أَظْلَمَتْكَ أَيَّامٌ لَهَا حَمْسٌ فِيهَا الزَّلَازِلُ وَالْأَهْوَالُ وَالْوَهْلُ

تَذَكُّرُ الْمَصَادِرُ أَنَّ "عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانٍ" كَانَ: "عَلَى مَذْهَبِ السُّنَّةِ (...). وَبَعْدَ وَاعِهِ بِجِمْرَةَ حَاوَلَ التَّقَرُّبَ مِنْهَا وَرَدَّهَا عَنِ الْخُرُوجِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ (...). بَلْ وَصَّارَ عَلَى مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ أَنْ رَضِيَتْ بِهِ

<sup>1</sup> المرجع السابق: الصَّفحة نفسها.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 167.

زوجاً<sup>1</sup>، وهذه الأبيات يطغى عليها الصراخ، صراخ الموت وحُب الحياة، صراخ بين حُب لجمرة وعقيدته التي ارتد عنها، و"جمرة" في شعر عمران "حلت محل النفس، فإليها يجهز الشعاع بحيرته، وإليها يتحدث بآرائه وعقيدته، وبين يديها يبكي إخوانه وصحبه، ويلجأ إليها حين تُعييه مشكلات الحياة، ويضيق دَرعاً بأمر الفناء"<sup>2</sup>، فهو يُدكّر نفسه بأن لا تَطْمَح في هذه الدنيا، وأنّ الأمالي قد لا تتحقّق، والسبب: (فقد يكذب ظنّ الأمل الأجل)، فالأمل هنا لم يطمح بجمرة محبوبته، وإنما طمّح بنفسه، وهو بذلك يُحاول النجاة من الصراخ الذي وضع العيش والحياة على طرفيّ نقيض، فالمعروف عن عمران "حُبّه للحياة، ودليل ذلك أنه ممّن آمن بالعود وظلّ بعيداً عن ساحات القتال"<sup>3</sup>، وكان دائماً ما يُنشد:<sup>4</sup> [الطويل]

01 إذا ما تذكّرت الحياة وطيبها إلى جرى دمع من العين غاسق

وتوظيف الشاعر لأسلوب النداء (أداة النداء + مُنادى مُرَحَّم) مُكرّراً؛ جاء للتبسيه والتذكير بأنّ التعلّق بالحياة غير دائم، وأنها دار فناء، فكيف يهنأ بسعة العيش ورعده من يعترف ويعلم يقيناً بأنّ الموت حقيقة، فهو بهذا الخطاب يُواسي نفسه ويُمسّسها، فاستعمال النداء المركّب والاستفهام وحرف التحقيق (قد+ فعل ماضٍ) جاء يُحاجج بهم علىّ نفسه تتعظّ بكلّ ما مرّ عليها من أهوالٍ وخوفٍ ومحنٍ، ولقد أتى هذا الحجاج أكله، فها هو "عمران" يتنقل من حُب الحياة والحِرص على البقاء فيها إلى التحذير منها وبُعْضها، وخاصة بعد مقتل الإمام والمثل الأعلى "مرداس بن أذية"، قال:<sup>5</sup> [الطويل]

01 إن كنت كارهة للموت فارتحلي ثم اطلبي أهل أرض لا يموتونا

02 فلست واجدة أرضاً بها بشر إلا يروحون أفواجاً ويغدونا

03 يا جمر قد مات مرداس وإخوته وقبل موتهم مات النّبونا

04 يا جمر لو سلمت نفس مطهرة من حادث لم يزل يا جمر يعيننا

إنّ هذه الأبيات، لهي دليلٌ على نَقْلَةِ نَوْعِيَّةٍ في مُعتَقِدِ "عمران"، من حُبّ العيش إلى كُره الحياة وبُعْضها، وهو بذلك يُثبِت حقيقة الموت الذي لَنْ تجدّ نفسه أرضاً تها بها البشر إلاّ والموت حالٌ بهم، وتكرار تركيب النداء جاء للحجاج والإثبات بالأدلة العقلية على أنّ الموت سبيلٌ كلِّ حيٍّ، ومنها: تغيبُ

<sup>1</sup> يُنظر: عُمر فرُوخ، تاريخ الأدب العربيّ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1943، ص 190.

<sup>2</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 31، 32.

<sup>3</sup> داود سلوم، نوري حُودي القيسي، شخصيات كتاب الأغانى، الجمع العلمي العراقيّ، بغداد، (د ط)، 1982، ص 168.

<sup>4</sup> إحسان عبّاس: ديوان شعر الخوارج، ص 30.

<sup>5</sup> المرج نفسه: ص 32.

الموت لمرداس وإخوته، وقبلهم مات خير البشر النبيون، وهي أدلة واضحة لا تستطيع المجادلة فيها، ثم يفترض جدلاً بأنه لو سلمت النفوس من الحوادث والموت؛ لكان "مرداس" بين أهله معافى، ولما بكاه الناعون، فالشاعر بهذا التركيب استطاع أن يَصوّر التفاتة من التعلق بالدنيا والصراع الذي آلمه كثيراً حتى

اهتدى إلى الصواب، وهو بعض الحياة والإقبال على الخروج وملاقاة الموت، قال: <sup>1</sup> [الوافر]

01 لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بَعْضًا      وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ

02 أَحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي      وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَى الْعَوَالِي

- وقال "أَيُّوبُ بْنُ خُوَلَى الْبُجَلِيُّ" يرثي "هَدْبَةَ الْيَشْكُرِي": <sup>2</sup> [الطويل]

01 فَإِنْ يَكُ خَلِي هَدْبَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَى      فَإِنِّي بِآلَاءِ الْفَتَى أَنَا نَادِيهِ

02 فَيَا هَدْبُ لِلْهَيْجَا وَيَا هَدْبُ لِلنَّدَى      وَيَا هَدْبُ لِلْخَضَمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهُ

03 وَيَا هَدْبُ كَمْ مِنْ مُلْحِمٍ قَدْ أَحْبَبْتُهُ      وَقَدْ أَسْلَمْتُهُ لِلرَّمَاحِ جَوَالِبُهُ

04 تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِغْفَرًا      وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخْنَهُ مَضَارِبُهُ

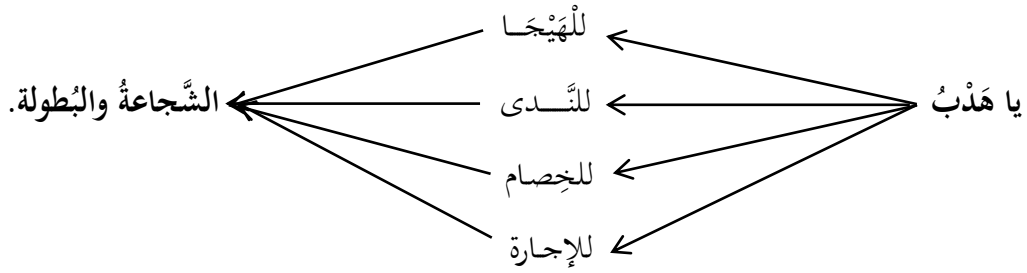
سعى الشاعر في هذه الأبيات إلى رسم صورة مثالية لمرثيه وخليه "هدبة اليشكري" يكيه فيها، ويُشيدُ بطولته، حيث صرح بذلك قائلاً: (فإني بآلاء الفتى أنا نادية)، مبرزاً قوة صاحبه وشجاعته وفئوته، فتوة النجدة والمسلك الذي ينمي خلق الشجاعة في الفتى، قال: (ويا هذب للهيجاً ويا هذب للندى) مُدلاً على بسالته وبطولته، مُصوّراً إقدامه في الحروب وعدم خوفه عند اللقاء، قال: (ويا هذب للخضم الألد يحاربه)، مُشيراً في البيت الرابع إلى أن صاحبه يُغيث المغلوب والأسير، قال: (ويا هذب كم من ملحم قد أحبته)، وتوظيف "كم الخبرية" جاء دلالة على التكثير، والشاعر بتوظيف التركيب التكراري للنداء؛ يُقرّر ويؤكد شجاعة "هدبة"، ويُثبت صفات قلما تجتمع في رجل، ففي الحرب تراه مقدماً، وفي الإغاثة تلقاه مُلبياً، وعند لقاء الخضم تراه مُجَاهداً، لينتقل الشاعر متحدناً في البيت الأخير عن زهد في الدنيا التي لم يخرج منها سوى سيفٍ ودرعٍ وخوذةٍ وسيفٍ باترٍ لا يُخطئ الهدف.

جسدت هذه المرثية معاني البطولة والفئوة، والتي انطوت على مجموعة من القيم التي هي أسمى الصفات التي يُمكن أن يمدح بها الرجال، من شجاعة وبسالة وإغاثة للمستجير والأسير، لتختتم هذه السجايا بالزهد في الدنيا وملذاتها.

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 159.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 215.

ولتبيان فاعلية التركيب الندائي في هذا الخطاب، يُمكن أن نرتقي به إلى مستوى الحجاجية كالاتي:



شكل 04: فاعلية التركيب الندائي في الخطاب.

- وتقول "امرأة" \* من الخوارج حين قدّم "الحجاج بن يوسف" خارجياً ليقتله<sup>1</sup>: [الطويل]

- 01 أَحَجَّاجُ لَوْ تَشْهَدُ مَقَامَ بَنَاتِهِ وَعَمَّاتِهِ يَنْدُبْنَ بِاللَّيْلِ أَجْمَعَا  
 02 أَحَجَّاجُ إِمَّا أَنْ تَمُنَّ بِتَرْكِهِ عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تُقْتَلْنَا مَعَا  
 03 أَحَجَّاجُ لَا تَفْجَعْ بِهِ وَنَسَاؤُهُ ثَمَانًا وَتِسْعًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا  
 04 فَمَنْ رَجُلٌ دَانَ يَفُومُ مَقَامَهُ عَلَيْنَا فَمَهْلًا لَا تَزِدُنَا تَضَعُضُعًا

قصّة الأبيات -اختصاراً- أنّ الخليفة "عبد الملك" كتب إلى الحجاج "يا أمره أن يرسل له رأس" أسلم البكوي" -من أشدّ الخوارج بأساً-، فلما همّ "الحجاج" بقتله قال أسلم: إني أعول نساء كثيرات، وما لهنّ بعد الله من كاسب، فأمر الحجاج بإحضارهنّ ليشهدنّ مقتله<sup>2</sup>، فقالت إحداهنّ الأبيات تستعطف فيها الحجاج وتسترحمه بأن يترك عائلهنّ، قالت: (أحجاج إمّا أن تمّن بتركه) تستعطفه بأن لا يقتله، أو أن يقتلهنّ معه، ثمّ تذكر أدلة تُحاجج بها عن سبب طلب العفو، قالت: (ونسأؤهُ: ثمانًا وتسعًا واثنتين وأربعًا)، أي: إنّه يكفل أربعًا وعشرين امرأة، فمن لهنّ بعده إن أنت قتلته، قالت: (فمن رجل دان يفوم مقامه)، وهي بذلك تؤكد أنّه العائل لهنّ، وهي بذلك تسترحمه، وقالت: (فمهلاً لا تزدنا تضعضعًا)، أي: وهنّا وضعفًا.

إنّ توظيف همزة النداء مكررة مع المُنَادِي جَاءَ لِلإستعطافِ وَطَلَبِ الصَّفْحِ، فغاية خطابِ المرأة أن تُؤثّر في "الحجاج"، وبذلك يصفح عن "أسلم البكوي"، وبعد سماع "الحجاج" لِمَا قَالَتْهُ "الفتاة رِقَّ قلبه، وَحَبَا عَضْبُهُ، فعفا عن "أسلم" إكرامًا لابنته، وأحسن لها ولأبيها العطاء، وكتب بأمر "أسلم" وأمر النسوة،

\* قيل هي: "ابنة أسلم بن عبّيد البكوي، وهي جارية في الثامنة من العمر، دخلت على الحجاج يوم مَقْتَلِ أبيها مع نساء كان يعولهنّ". / يُنظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ص 524.

<sup>1</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 154، 155.

<sup>2</sup> تقي الدين عبد القادر المقرئ: كتاب المُقَمِّي الكبير، ص 204.

فكان جواب الخليفة: "عفوئ عنه أيضًا، وزيد في عطاء أسلم"<sup>1</sup>، فالتكرار هنا أكد على تطابق الرؤية القصدية للشاعرة، وهي تبليغ رسالة طلب الصفح، وأكدت مغزى الخطاب، بل وتعدت رسالة الخطاب الحجاج، ليأتي العفو العام من الخليفة شخصيًا.

❖ **الإستفهام:** يُعد الإستفهام الحجاجي نمطًا من "الإستفهام الذي يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقًا من قيمته الحجاجية"<sup>2</sup>، وهو أحد أهم الأساليب والبنى التأثيرية، وله تركيبة إقناعية تجعل المتلقي يُعمل فكره في القضية المطروحة، فإثاره الأسئلة وتكرارها: "هي جزء فاعل" وله بالغ الأثر في سياق التراكيب الحجاجية<sup>3</sup>، ما يعني إن الإستفهام فعل لغوي يُؤتى به لأغراض إقناعية وحجاجية، وقد وظفه الخوارج كثيرًا في شعرهم، فكان لبنة أساسية في بناء خطاباتهم وتقريرها وإثباتها، والإستفهام المركب — بعد الإحصاء — لم يرد سوى في نموذجين جاءا في سياق الرثاء، وهما:

— تقول "مليكة الشيبانية" في رثاء عمها وصحبه الشراة:<sup>4</sup> [الكامل]

- 01 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَتْ فِعَالُهُمْ عُرِفُوا بِحُسْنِ عَفَافَةٍ وَوَقَارٍ؟  
 02 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا أَتَاهُمْ سَائِلٌ بَدَلُوا لَهُ أَمْوَالَهُمْ بِيَسَارٍ؟  
 03 أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرْنَا دِينَهُمْ قَالَتْ عَشَائِرُهُمْ: هُمْ الْأَخْيَارُ؟

يكتسي الحزن والأسى موضوع هذه المقطوعة، فمليكة تبكي عمها وصحبه من الشراة، فهي في مُستهل كل بيت لا تسأل تريد إجابة، وإنما تسأل لتؤكد على الخصال الحميدة التي أوصف بها هؤلاء القوم، قالت: (من عفة ووقار، بذل للمال، هم الأخيار)، وتكرار تركيب (أين الذين) مصحوبًا بجملي الشرط وجوابها؛ ربط بين المعاني وزادها تماسكًا وحجاجية وإثباتًا وترسيخًا لما طرحتها، فقد وجهت المتلقي إلى الفكرة الأساسية دون شغله بالتفاصيل التي قد تؤثر على حمولة ودلالة الخطاب، ما سهل على المتلقي فهم المطروح بسهولة، فهي قد تدرجت في بيان صفاتهم وخصالهم ترتيبًا تنازليًا، لتصل بذلك إلى الغاية التي تُريد تقريرها وتأكيداها، وترتيب الأدلة في هذا التركيب الإستفهامي كان مقصودًا، فلا يمكن إثبات الخيرية دون

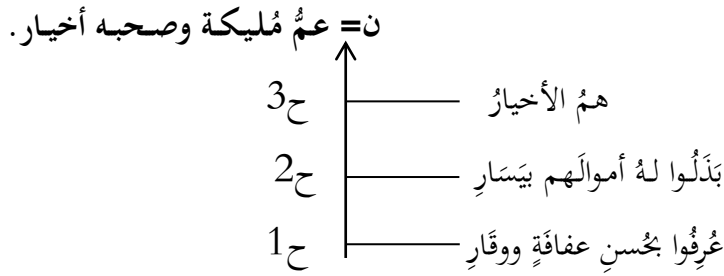
<sup>1</sup> ابن أعمش الكوفي: الفتوح، (ج 7)، ص 95.

<sup>2</sup> أبو بكر الغزالي: اللغة والحجاج، ص 27.

<sup>3</sup> يُنظر: حجّت رسولي، رائد شنان، حجاجية السؤال في المناظرة الأدبية، مجلة دراسات نقدية، جامعة طهران، إيران، مج: 8، ع 1، 2018، ص 76.

<sup>4</sup> إحسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ص 211.

المُرور على ذكر الخصال التي تميّزوا بها تفاعلاً، حتى يتفاعل المُتلقي ويُسلم بالطرح المُقدّم، ويُمكن تمثيل الأدلة التي جاءت لبيان وتقرير خيريتهم بسلم حجاجي كالآتي:



شكل 05: السلم الحجاجي للتركيب الاستفهامي (خيرية المرثي).

- وتقول "مليكة" أيضا في رثاء عمّها: <sup>1</sup> [الكامل]

- 01 أبكي المغيب في السرى بين الضائد والصفائح
- 02 من ذا يرجي للنصيحة حين تعتقد النصائح؟
- 03 أم من يرجي للقريب ومن يكون لكل نازح؟
- 04 أم من يؤمل لليتيم وكل ذي غرب ونائح؟
- 05 أم من يعم صديقه خيراً ويحجر كل نايح؟

تبكي الشاعر عمّها على شكل تأبين، تُعدّد من خلاله مناقبه وصفاته النبيلة، فقد وظفت تراكيب استفهامية شرطية مكررة، تحمل شحنا حجاجية عالية، وهذا التردّد في الأبيات؛ يُعدّ أساساً للوحدة النصية في هذا التركيب، ومن الدوال الاستفهامية التي خرج فيها السؤال عن معناه الحقيقي إلى معاني الإخبار والإشادة، فمليكة شكّلت باستفهامها (من ذا، أم من) تكراراً يجذب المُتلقي إلى صفات المرثي، ويُثبت صورته في ذهنه، وتتحسّر في ذات الوقت على عمّها، وقد أوردت سحبا أصيلة جسدت من خلالها الحزن أولاً، وتدعو بها إلى تخليد ذكر اسم عمّها، ما نتج عن هذه المعاني المكررة تراكم دلالي مؤثّر مُعَبّر عن غابته وهذبه، وهكذا تضافرت حمولة التكرار الاستفهامي مع باقي المكونات، لتشكل خطاباً حجاجياً غايته استمالة المُتلقي والتأثير فيه.

إنّ الملاحظ على خطاب "مليكة"؛ تركيزها على العناصر الجاذبة للمتلقي، من فضلٍ وكرمٍ وشجاعةٍ، وهي حجج بسيطة تستدعي الإقبال على الخطاب لا التفور منه، واستثمرت أيضاً صوت الحرس

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 140.

الإيقاعي لصوت الحاء (الرؤي)، وفعله التآثيري في نفس المتلقي، والمقتضيات التي قدمتها الشاعرة تسمح لنا أن نرتقي بهذا التركيب الحجاجي كالاتي:

- المغيب في الثرى الناصح

- المجير للقريب والبعيد

- المؤوي لليتيم والباكي



تقتضي



رجلاً أصيلاً، كريماً، خيراً، شجاعاً ووفياً.



ما يقتضي



البكاء والحزن عليه.

#### شكل 06: تضافر الحجاج للوصول لمقتضى الخطاب.

يُشكّل التكرار بنية حجاجية لها بالغ الأثر في بناء الخطاب، إذ به يستقر المعنى وتتوطّن الرؤى الحجاجية لدى المتلقي، وفي الوقت ذاته يُعطي للمتكلّم فُسحةً لتجهيز حجته، وبذلك ينجح في: "جذب انتباه المرسل إليه إلى موضوع الخطاب، ما يعني إنّه يحفّز ويحدّد دافعاً لا يمكن أن تُوفّره لغة النصّح المباشر أو التوجيه المكشوف، فهو يتجاوز مجرّد الإخبار والإبلاغ والتأثير إلى الدّفع بالمتلقي إلى تنفيذ الفعل وتغيير السلوك"<sup>1</sup>، والخوارج قد توسّلتوا التكرار لتعزير طاقة خطابهم الحجاجي، حيث تنوع استعمال التكرار في شعرهم بين تكرار الصّوت (الحرف)، اللفظ والتركيب، ما أكسب الخطاب تناسقاً وارتقى به إلى الإقناع وتغيير السلوك، وهي الغاية القصوى من الحجاج.

بناءً على ما تقدّم عرضه وتحليله؛ يُمكن القول بأنّ التكرار ينهض بدور حجاجي يقوّي من تركيب الخطاب وتأثيره في المستمعين/المتلقين، ويُساعد على التبليغ والإفهام، ويعمل أيضاً على ترسيخ الفكرة موضوع الخطاب في الأذهان، والترداد في شعر الخوارج لم يخرج عن هذه الأغراض: التوكيد، التحذير،

<sup>1</sup> محمّد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، (د ط)، 2010، ص 47.

الإيقاع المؤثر في النفس، الفخر، الرثاء، النصح والإرشاد، ما أكسب الخطاب طاقةً حجاجيةً، فالنفس: "أنقر من حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرّر عليها عودًا عن بدء؛ لم يرسخ فيها، ولم يعمل عمله"<sup>2</sup>.

ويمكن توضيح حجاجية التكرار وتداوليته داخل الخطاب في الجدول الآتي:

التكرار	شكله	نوعه باعتبار البنية	غرضه	الوظيفة التداولية الحجاجية
اللفظي	اسمي / علم	"صالح" (04 مرّات)	مدح وفخر	الإشادة بالشجاعة عند مواجهة الأعداء
		"ابن الجعد" (04 مرّات)	عتاب ولوم	نصح ودعوة إلى العودة إلى ركب الخوارج
	فعلي/ ناقص	"كان" (04 مرّات)	الرثاء	تعداد مناقب المرثي وإبراز فضله لخصومه
	استهلاكي	"كلاهما" (05 مرّات)	التوعّد	ذكر المناقب والفخر بالقوة والبطولة
	وحدة الغايات	(04 مرّات)	الفخر/التحدّي	الإفدام والتبأث والتحدّي
التركيبّي	الجملة الشرطيّة	لو + فلو (مرّتان)	الرثاء	بكاء، تحدّ ووعد بأخذ الثأر
		"أحجاج" (03 مرّات)	الإسترحام	استعطاف الوالي في الرجوع عن قرار القتل
	النداء	"يا جمر" (03 مرّات)	النصح	الدعوة إلى الرجوع إلى طريق الحقّ
		"يا هدب" (04 مرّات)		الإشادة بشجاعة "هدبة" وبطولته
	الإستفهام	"أم من" (03 مرّات)	الرثاء	بيان الفجيعة والحزن على المرثي، مع تعداد مناقب الخير والصّلاح التي يتصفون بها
	"أين الذين" (03 مرّات)			

شكل 07: التكرار اللفظي والتركيبّي؛ الوظيفة التداولية الحجاجية.

<sup>2</sup> الرّخشي: تفسير الكشّاف، (ج 3)، ص 295.

## خُلاصةُ الفصل:

بعد دراسةٍ نظريَّةٍ إجرائيَّةٍ للحجاج من منظورِ البلاغةِ الجديدةِ بآلياتها وأشكالها البلاغيَّةِ الإقناعيَّةِ —حسبِ تقسيماتِ بيرلمان وتيتيكا— في "شعر الخوارج" وبيانِ دورها التَّأثيريِّ في الحِطابِ؛ خُلصَ الفصلُ إلى النتائجِ الآتيَّةِ:

- 01 لم تأتِ نظريَّةُ "البلاغةِ الجديدةِ" من فراغٍ، وإنما هي رنطٌ مع القَدِيمِ وتجديدٌ لطُرُقِ التَّواصلِ والحِطابِ.
- 02 هَدَفَ "بيرلمان" من خلالِ مَشروعِهِ إلى إعادةِ تَصحيحِ مَسارِ البلاغةِ القَدِيمةِ، وخَلَصَها من المَعَالِطِ الَّتِي التَّصَقَّتْ بها منذُ قُرُونٍ.
03. وَسَّعَ "بيرلمان" دائرةَ الحِطابِ ليشمَلَ الجماعةَ والأفرادَ، بلَ وجَعَلَ من حَدِيثِ المَرءِ مَعَ نَفْسِهِ حِوَارًا.
04. الحِجاجُ مَعقُولِيَّةٌ وحرِّيَّةٌ وحوارٌ، وليسَ مُغالطاتٌ أو تلاعبٌ بالعقولِ والعواطفِ.
05. أساسُ نظريَّةِ الحِجاجِ قائمٌ على مبدأِ الإحترامِ بينِ الحِطابِ ومُجهورِهِ عندَ "بيرلمان" و"تيتيكا".
06. تَرَفُّضُ "البلاغةِ الجديدةِ" فُرُوقَاتِ الحِجاجِ القَدِيمةِ الَّتِي تشترطُ "الأقرانَ" لِحُصُولِ الحِوَارِ.
- 07 تَحَوُّزُ الأشكالِ البلاغيَّةِ أهميَّةٌ كَبِيرةٌ في حَقْلِ الدِّراساتِ الحِجاجيَّةِ؛ كونها غائيَّةٌ تسعى لتحقيقِ الإقناعِ.
08. لا تقتصرُ وظيفَةُ الأشكالِ البلاغيَّةِ على بَيانِ المَعنى وتوضيحه، بل تتعدَّى ذلكَ إلى الإقناعِ والتَّأثيرِ في المُتلَقِّ، والخوارجُ قد تَفنَّنوا في استِعمالِ هذه الآلياتِ بما يخدمُ حِطابَهُم وقضيتَهُم.
- 09 أشهرُ أنواعِ الإلتفاتِ استعمالاً في شعرِ الخوارجِ؛ "الإلتفاتُ الضَّميريُّ".
- 10 تحتاجُ البلاغةُ الجديدةُ إلى مزيدِ مُراجعةٍ، فتركيزُها على الإقناعِ وإهمالُها للجانبِ الفنيِّ فيه إجحافٌ لِمَا للجانبِ الفنيِّ والأسلوبيِّ من تأثيرٍ في النُفوسِ.
- 11 أظنَى التَّكرارُ التَّجديدَ في طَرِحِ المعاني في حِطابِ الخوارجِ، ما جعلَهُ يَرْتقي إلى مصافِّ الآلياتِ البلاغيَّةِ القويَّةِ الَّتِي تُعزِّزُ القَبُولَ في نَفْسِ المُتلَقِّ.
- 12 تنوَّعتْ أشكالُ التَّكرارِ في شعرِ الخوارجِ بينَ: صوتيِّ، لفظيِّ، استهلاكيِّ وتركيبِيِّ.
- 13 نَوَّعَ شعراءُ الخوارجِ في توظيفِ الأساليبِ البلاغيَّةِ الَّتِي تخدمُ وتُقوي حُججَهُم، والتَّشبيهُ والكنايَةَ وأسلوبًا للإلتفاتِ والتَّكرارِ؛ أبرزُ تلكَ الأشكالِ استعمالاً في شعرِهِم.

# خَاتِمَةُ عَامَّةٍ

## خاتمة:

لِكُلِّ عَمَلٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ، شَطْرُ بَيْتِ لِأَبِي الْبَقَاءِ الرَّنْدِيِّ أَسْتَحْضِرُهُ وَأَنَا عَلَى عَتَبَةِ بَابِ الْبَحْثِ خَارِجًا مِنْهُ، يَخْدُونِي شُعُورٌ بِأَنَّ مَا أَقَدَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدَّرَاسَةِ، مَا يَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدِ تَوْضِيحٍ فِي بَعْضِ مَبَاحِثِهِ، وَهَذَا جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَعَرَائِي فِيهِ أَنَّ مَيْدَانَ الْبَحْثِ فِي التَّدَاوُلِيَّةِ وَاسِعٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدَّعِي مُدَّعٍ بِأَنَّهُ أَتَى فِيهِ بِالنَّهَائِيِّ مِنَ النَّتَائِجِ.

وَأَنَّهُ عِنْدَ خَوْضِي لِعِمَارِ هَذَا الْعَمَلِ، تَوَسَّلْتُ - مَا أَمَكَنَ - الْحُصُولَ عَلَى مَعْلُومَاتٍ تَعَكِّسُ وَاقِعَ الْبَحْثِ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى مَرَاجِعٍ كُبْرَى لِإِثْرَاءِ الْعَمَلِ، وَهَذِهِ الْكُتُبُ تُعَدُّ مِنْ أُمَّهَاتِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَشُورَ الَّذِي خُضْتُ عِمَارَهُ مَعَ تَفَاصِيلِ هَذَا الْبَحْثِ، كَانَ مُنْطَلِقُهُ الْإِشْكَالِيَّةُ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ سُؤَالِ التَّدَاوُلِيَّةِ الْأَشْهَرِ: مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟ وَكَيْفَ تَكَلَّمَ؟ وَمَاذَا يُرِيدُ الْمُتَكَلِّمُ أَنْ يَقُولَ؟ مَعَ أَسْئَلَةٍ أُخْرَى جَوْهَرِيَّةٍ تُعْنَى بِنَحَاعَةِ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ الْخَوَارِجِيُّ تَدَاوُلِيًّا، وَمَدَى قَابِلِيَّةِ خِطَابِهِمْ احْتِوَاءَ هَذِهِ الْمُقَارَنَةِ اللَّسَانِيَّةِ، مَعَ بَحْثِ اسْتِطَاعَةِ الْقِرَاءَةِ الْمُعَاَصِرَةِ أَنْ تَنْسَجِمَ وَالْخِطَابُ الْقَدِيمِ، لِأَصْلِ بِذَلِكَ إِلَى النَّتَائِجِ الْأَتِيَّةِ وَالَّتِي زَاوَجْتُ فِيهَا بَيْنَ النَّظَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِيِّ، وَهَذِهِ تَبَاعًا:

1. شِعْرُ الْخَوَارِجِ وَثِقَةُ تَارِيخِيَّةِ تَعَكُّسِ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ.
2. سَبَقَ عُلَمَاءُ الْعَرَبِ الْأَوَائِلِ الْمُعَاَصِرِينَ فِي دِرَاسَةِ صَيِّغِ الْأَسَالِبِ الْكَلَامِيَّةِ.
3. تُعْنَى التَّدَاوُلِيَّةُ بِالْبُعْدِ الْإِنْجَازِيِّ لِلُّغَةِ، وَتُرَاعَى أَحْوَالُ الْمُتَخَاطِبِينَ وَشُرُوطُ التَّخَاطُبِ.
4. حَرَكَةُ التَّدَاوُلِيَّةِ الدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ لِلْإِقْبَالِ عَلَى دِرَاسَةِ الثَّرَاثِ وَكَشْفِ أَسْرَارِهِ.
5. أَفْضَتِ الدَّرَاسَةُ الْإِجْرَائِيَّةُ إِلَى أَنَّ الْخِطَابَ الْخَارِجِيَّ حَقْلٌ مُلَائِمٌ لِتَطْبِيقِ آيَاتِ التَّحْلِيلِ التَّدَاوُلِيِّ.
6. السِّيَاقُ الْمَقَامِيُّ أَدَاةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ فَاعِلَةٌ فِي الْكَشْفِ عَنِ مَضَامِينِ الْخِطَابِ وَتَحْدِيدِ مَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِينَ.
7. تُعْنَى التَّدَاوُلِيَّةُ فِي دِرَاسَتِهَا لِلُّغَةِ بِأَفْطَابِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ.
8. لَا حَيَاةَ لِلظُّرُوفِ/الْإِشَارِيَّاتِ بَعِيدًا عَنِ الْمَقَامِ الَّذِي أُنتَبِجَتْ فِيهِ.
9. كَشَفَ التَّحْلِيلُ التَّدَاوُلِيُّ لِلْخِطَابِ الْخَارِجِيِّ عَنِ تَعَدُّدِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ وَتَنَوُّعِهَا، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي دَرَجَاتٍ وَرُودِهَا.
10. أَسْهَمَتِ الْأَفْعَالُ الْكَلَامِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ الْخَارِجِيِّ فِي تَوْجِيهِ الْمُتَلَقِّيِّ نَحْوَ الْفِعْلِ وَتَحْقِيقِ التَّفَاعُلِ.
11. كَشَفَتِ الدَّرَاسَةُ عَنِ دَوْرِ الْفِعْلِ الْكَلَامِيِّ فِي تَحْقِيقِ تَفَاعُلِيَّةِ الْخِطَابِ الْخَارِجِيِّ.

12. الأشكال البلاغية عند "بيرلمان" آليات حجاجية، بينما عند "غرايس" أداة لانتهاك الخطاب.
13. تزخر المدونة بلغة حجاجية تراثية مكنت الخوارج من الدفاع عن عقيدتهم والرد على خصومهم.
14. الاستنزام الشخاطي وسيلة لحفظ سياق الكلام على مبدأ الحرية والتأدب.
15. شعر الخوارج مدونة خصبة للعديد من الدراسات الأسلوبية والبيانية.
16. أسقط إحسان عباس العديد من شعر الخوارج ولم يأت عليه في مدونة تحقيقه وجمعه.
17. مدونة شعر الخوارج تحتاج إلى مزيد تنقيح وضبط وتشكيل وتحقيق وشرح.
18. يعد الخطاب الشعري عند الخوارج تداولياً بامتياز، كشف عن مناطق بكر جديدة بالدراسة.

وَتَمَّ ذَا الْجُهْدُ بِحَمْدِ اللَّهِ \*\*\* عَلَى تَمَامِهِ بِلَا تَنَاهِي

# مُلخَص الأَطروحة

❖ **المُلخَصُ بالعربية:** إِنَّ البَحْثَ المَوْسُومَ ب: الحِطَابِ الشَّعْرِيِّ عِنْدَ الخَوَارِجِ (37 هـ - 132 هـ) - مُقَارِنَةً تَدَاوُلِيَّةً - يَهْدَفُ إِلَى دِرَاسَةِ الحِطَابِ الشَّعْرِيِّ عِنْدَ الخَوَارِجِ وَفُقِّ التَّحْلِيلِ التَّدَاوُلِيِّ، وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ الَّتِي تَكْتَسِبُهَا التَّدَاوُلِيَّةُ فِي افْتِحَامِ مِيدَانِ الحِطَابِ الأَدَبِيِّ، بِوَضْفِهَا إِلَيَّ قِرَائِيَّةً وَإِحْرَائِيَّةً جَدِيدَةً لِإِنتِجِ الأَدَبِيِّ، وَفِي ضَوْءِ مُحَاوَلَةِ الكَشْفِ عَنَ أَعْرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ وَبَيَانِ مَقَاصِدِهِمُ التَّوَاصُلِيَّةِ؛ وَقَعَ الإخْتِيَارُ عَلَى مُدَوَّنَةٍ ثَرَائِيَّةٍ، وَالَّتِي تُعَدُّ مِنْ دُزْرِ الشَّعْرِ النَّابِعِ مِنْ مَعِينِ صَادِقٍ، جَاءَ كَرْدُودٍ فِعْلٍ لِمَعَارَضَتِهِمُ السُّلْطَةَ، هُوَ شِعْرٌ ثَوْرِيٌّ عَقْدِي بِالذَّرَجَةِ الأُولَى، أَسْهَمَ فِي تَوْصِيلِ أَرْثِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ، وَعَبَّرُوا بِهِ عَنَ قَضِيَّتِهِمُ الدِّيْنِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ. وَمِنْ نَمَّةٍ فَقَدْ سَعَيْتُ مِنْ جَلَالِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ لِالإِجَابَةِ عَنَ إِشْكَالِيَّاتِ البَحْثِ الكُبْرَى وَالْفِرْعَوِيَّةِ، وَبِخَاصَّةِ الإِجَابَةِ عَلَى سُؤَالِ التَّدَاوُلِيَّةِ الأَشْهَرِ: مَنِ المُتَكَلِّمُ؟ وَكَيْفَ تَكَلَّمَ؟ وَمَاذَا يُرِيدُ المُتَكَلِّمُ أَنْ يَقُولَ؟ لِأَصِلَ إِلَى السُّؤَالِ الحَوَظَرِيِّ الحَامِعِ: كَيْفَ اسْتَطَاعَ الحِطَابُ الخَوَارِجِيُّ أَنْ يَكُونَ تَدَاوُلِيًّا؟ وَمَا مَدَى قَابِلِيَّةِ حِطَابِهِمُ احْتِيََاءَ هَذِهِ المُقَارِنَةِ اللِّسَانِيَّةِ؟.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الشعري، الخوارج، التداولية.

### ❖ **Abstract:**

*The research entitled: The poetic discourse of Al-khawârij (37 A.H - 132 A.H) - A deliberative approach - aims at identifying the poetic discourse of Al-khawârij according to the pragmatic analysis. In view of the increasing importance of pragmatics' entry into the literary discourse, as a new reading and procedural mechanism of literary production, and in an effort to highlight the objectives of the speakers and to clarify their communicative purposes; The choice fell on a heritage code which is among the pearls of poetry that stems from a sincere source, it came as a response to their opposition to power. Furthermore, it is a revolutionary poetry in the first place which contributes to communicating their opinions and beliefs as well expressing their religious and political case.*

*Hence, through this study I have endeavoured to answer the major and subordinate research problematics, in particular to respond the most famous pragmatics question: Who is the speaker? how does he speak? what does the speaker want to say? To get to the core question: How can foreign discourse be pragmanalytic? What is the suitability of their discourse to contain this linguistic approach?*

*Key words : poetic discourse, khawarij, pragmatic.*



### **Résumé :**

*La recherche étiquetée avec : Le discours poétique des Kharijites (37 5-132 AH) - une approche pragmatique - vise à étudier le discours poétique des Kharijites selon le décapage pragmatique, et compte tenu de l'importance que la pragmatique acquiert en pénétrant dans le champ du discours littéraire, comme nouvelle lecture et mécanisme procédural de production, à la lumière de la tentative de révéler les intentions des locuteurs et d'indiquer leurs finalités communicatives ; Le choix s'est porté sur un riche blog, considéré comme l'une des perles de la poésie émanant de Mo'in Sadiq, et est venu en réaction à leur opposition au pouvoir. C'est avant tout une vacance credo, qui a contribué à communiquer leurs opinions et croyances, et à travers elle, ils ont exprimé leur cause religieuse et politique. Ainsi, à travers cette étude, j'ai cherché à répondre aux problèmes majeurs et secondaires de la recherche, notamment la réponse à la question délibérative la plus célèbre : Qui est l'orateur ? Comment avez-vous parlé ? Que veut dire l'orateur ? Pour en venir à la question essentielle : comment le discours de Khariji a-t-il pu être pragmatique ? Dans quelle mesure leur discours peut-il contenir cette approche linguistique ?.*

*Mots-clés : discours poétique, kharijites, pragmatique.*

# مُلْحَق



أولاً. إحصان عَبَّاس (سيرة ذاتية):

01. مَنْ هُوَ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: <sup>1</sup> أديبٌ، مُترجمٌ، ومُؤلفٌ كُتِبَ،

وأستاذٌ جامعيٌّ وناقدٌ ومُحَقِّقٌ بارزٌ مِنْ أعلامِ القَرْنِ العِشرينِ.

هو إحصان رَشيد عَبَّاس، أديبٌ فلسطينيُّ الأصلِ، لُقِّبَ

بشَيْخِ النِّقادِ العربِ نَظراً لثرائهِ الأدبيِّ العريقِ، وإرثهِ القِيمِ الَّذِي

خَلَفَهُ ورأه مِنْ الأعمالِ التَّقديَّةِ والتَّراجِمِ والكَتَبِ والمُؤلفاتِ

الأخرى، فَعَدَا عَلامَةً بارزةً في مجالاتِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ

والعربيَّةِ في القَرْنِ العِشرينِ، فَأَثَرَتْ مُؤلفاتُهُ الأدبِ العربيِّ، وعَطَّتِ العَدِيدِ مِنْ المجالاتِ الأدبيَّةِ الدِّينيَّةِ، حَبْناً إلى

جَنبٍ معِ القَانُونِ، والفِكرِ السِّياسيِّ، والجُغرافيا، والتَّاريخِ، وترجمةٍ لِلتُّصوصِ المُتعلِّقةِ بالتُّراثِ الأدبيِّ

الأندلسيِّ، فترجمَ ما يُقارب (12) كتاباً قديماً، ناهيكَ عنِ اهِتمامهِ بالشُّعرِ الحديثِ، وإثراءهِ مِنْ خلالِ كتابهِ

المُميِّزِ الَّذِي حملَ اسمَ "اتِّجاهاتِ الشُّعرِ العربيِّ المعاصرِ"، وقد كُرِّمَ خلالَ مَسيرتِهِ بالعَدِيدِ مِنْ الجوائزِ

والعُضويَّاتِ العالميَّةِ، وأصبحَ مادَّةً أدبيَّةً للعَدِيدِ مِنْ الكُتَّابِ مِمَّنْ أَلَّفوا أعمالاً حولَ حياتِهِ وأعمالِهِ.

02. ترجمة إحصان عَبَّاس:

وُلِدَ إِحْسَانُ عَبَّاسٌ في قَريَّةِ عَينِ غَزَّالِ قُربَ حَيفَا في فلسطينِ سَنَةَ (1920م)، وأَهِمى مَرحَلَةَ الدِّراسةِ

الأوَّلِيَّةِ في قَريَّتِهِ وفي حَيفَا، وحَصَلَ على الإِعداديَّةِ في صَفَد، وأَتَمَّ المُستوى الثَّانويَّ في حَيفَا وعَكَّا، ثُمَّ اختيرَ

لِإِكمالِ الدِّراسةِ في الكَلِيَّةِ العربيَّةِ في القُدسِ (1937 - 1941م)، و لَمَّا تَخَرَّجَ مِنْهَا خُيِّرَ بَينَ بَعتَينِ

دراسيَّتينِ إحداهما لدراسةِ الأدبِ الإنجليزيِّ، والثَّانيةِ لدراسةِ الأدبِ العربيِّ، فاختارَ الثَّانيةَ، وتابَعَ تَحصيلَهُ

الدِّراسيِّ في قِسمِ الأدبِ العربيِّ بِجامعَةِ "فؤاد الأوَّل" في القَاهِرَةِ فحَصَلَ على الإِجازَةِ في الآدابِ عامَ 1950،

ثُمَّ نالَ الماجستيرَ مِنْ نَفسِ الجامعَةِ سَنَةَ (1952 م)، ثُمَّ نالَ الدُّكتوراهَ سَنَةَ (1954 م)، ولمَّ يَعدُ إِحسانُ

إلى فلسطينِ بِسَبَبِ نَكبَةِ 1948 وقيامِ دَوْلَةِ إِسرائيلِ الَّتِي أزالَتْ قَريَّتَهُ عنِ الخَريطَةِ، وشَرَدَتْ عَائلَتَهُ بَينَ الأردنِ

والعِراقِ وسُوريا ولُبْنانِ وبُلدانِ الشَّتاتِ الأخرى، ولذلكَ ظَلَّ يَردُّدُ عبارَتِهِ المَشهُورَةَ: "الشَّتاتُ مَماتٌ"<sup>2</sup>.

03- عَمَلُهُ: عَمَلَ إِحسانُ عَبَّاسٌ "أستاذاً بِكَلِيَّةِ عُوزْدَن (جامعَةِ الخُرطومِ لَاحِقاً) بالسُّودانِ، مُنذَ عامِ

(1951م) وحتَّى عامِ (1960م) بِقِسمِ اللُّغَةِ العربيَّةِ الَّذِي كانَ يَراهُ مُحَمَّدُ النُّويهي، وقدِ امتَدَحَ عَبَّاسٌ في

<sup>1</sup> موقع: مُفكِّرون. بتصرُّفٍ <https://mufakeroon.com>

<sup>2</sup> موقع: كتاب أونلاين. بتصرُّفٍ <https://ketabonline.com>

مُذكراته ديمقراطيّة التّويهي كثيرًا، غادرَ الخُرطومَ إلى بيروت، حيثُ عملَ أستاذًا بالجامعةِ الأميركيّة منذ عام (1960) وحتى عام (1985)<sup>1</sup>، يقول: "حينَ أعودُ إلى استذكّارِ الحِقبةِ البيروتيةِ في حياتي أجدها تنقسمُ قسمينَ مُتضادين: قسمَ فردوسيّ يمتدُّ من (1960 إلى 1974م)، وقسمَ جهنميّ من (1974 إلى 1985). وكانَ سببَ تغيّرِ القسمِ الثّاني، أحداثُ الحربِ الأهليّةِ في لُبْنان<sup>2</sup>، وفي عام (1985) حصلَ على مكافأةِ نهايةِ الخدمةِ في الجامعةِ الأميركيّة (140 ألف دولار). غادرَ بيروتَ إلى العاصِمةِ الأردنيّةِ عمّانَ عام (1986) بدعوةٍ منَ الحُكومةِ الأردنيّةِ، حيثُ عملَ أستاذًا وباحثًا بالجامعةِ الأردنيّةِ حتّى وفاته<sup>3</sup>."

#### 04- كُتُبُ إحسانِ عبّاس:

1- المُؤلّفة: كثيرة هي مؤلّفاته، بلغت ثلاثين كتابًا، منها:<sup>4</sup>

- الحسَنُ البصريّ، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، 1950.

- عبد الوهاب البيّاتي والشّعر العراقيّ الحديث ، دار بيروت، 1955.

- فنُّ الشّعر ، دار بيروت، 1956.

- فنُّ السّيّرة: دار بيروت، 1956.

- أبو حيّان التوحّيدي، دار بيروت، 1956 .

- تاريخُ بلادِ الشّامِ في العصرِ العبّاسيّ، 1992.

- فُصولٌ حولَ الحياةِ العمرايّةِ والثّقافيّةِ في فلسطين، الأردن، 1993.

- عُربة الرّاعي مُذكّرات، بيروت- عمّان، 1996.

ب- الكُتُبُ المُحقّقة: بلغتْ كُتُبُ عبّاس المُحقّقة أربعةً وأربعين كتابًا، منها:<sup>5</sup>

01. خريدةُ القمَرِ للعمادِ الأصفهانيّ، بالاشتراك مع شوقي ضيف وأحمد أمين، القاهرة، مصر، 1952.

02. فصلُ المقالِ في شرحِ كتابِ الأمثالِ لأبي عُبيدِ البكريّ. بالاشتراك مع مجيد عابدين، السّودان، 1957.

03. جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي. بالاشتراك مع ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، 1980.

04. ديوانُ الرّصافيّ البلبسي، دار الثقافة، بيروت، 1960. الطبعة الثانية، دار الشروق، بيروت ، 1983.

<sup>1</sup> عز الدين المناصرة: بليوجرافيا إحسان عبّاس، مجلّة النّقد الأدبيّ "فصول"، التهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مج 09، ع 65، 2004-2005، ص 413، 414.

<sup>2</sup> إحسان عبّاس: عُربة الرّاعي (سيرة ذاتيّة)، دار الشّروق، بيروت- عمّان، (د ط)، 1996م، ص 239.

<sup>3</sup> عز الدين المناصرة: بليوجرافيا إحسان عبّاس، ص 413، 414.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 414، 415.

<sup>5</sup> المرجع نفسه: ص 415، 416.

05. ديوانُ ابنِ حمديس الصقلي، دار صادر، بيروت، 1960.

06. ديوان المنويري، دار الثقافة، بيروت، 1970.

07. ديوان كثير عزة، دار الثقافة، بيروت، 1971.

**05- الجوائز/التكريمات:** حصل إحسان عباس على عددٍ من الجوائز منها:

- جائزة الملك فيصل العالية عام 1980.

- جائزة جامعة كولومبيا الأميركية للترجمة عام 1983.

- جائزة سلطان العويس الإماراتية عام 1993.

- جائزة السلطنة الفلسطينية التقديرية عام 1998.

وكان قد حصل على وسام القدس من منظمة التحرير الفلسطينية عام 1990، كذلك وسام العارف اللبناني عام 1981، وتم تكريمه في دار الأوبرا بالقاهرة سنة 1995 من قبل وزارة الثقافة المصرية، وتم تكريمه كذلك في معرض الكتاب في العاصمة الأردنية عمان، عام 1998. وأصدرت الجامعة الأميركية في بيروت كتاباً تكريمياً له، بمناسبة بلوغه الستين، ضمّ بحثاً لستة وخمسين مثقفاً عربياً، وكرّمته مؤسسة شومان بعمّان عام 1998، وأصدرت كتاباً عنه بعنوان: (إحسان عباس: ناقدًا ومُؤرِّخًا). وصدَرَ في عمّان أيضاً كتاب بعنوان: (في محراب المعرفة: دراسات مُهداة إلى إحسان عباس)، وكان إحسان عباس قد اختير عضواً في عدّة مجامع عربية: السوري، العراقي، المصري، الأردني. وكان عضواً في لجنة مُحكّمي جوائز الملك فيصل العالمية، سلطان العويس، وجائزة الرواية في مصر، وقد دُعِيَ إحسان عباس أستاذاً زائراً في عددٍ من الجامعات: الألمانية، البريطانية، الأميركية (خصوصاً جامعة بُرنستون)<sup>1</sup>.

**06- وفاته:** توفي في عمّان بالأردن يوم 01 أغسطس/أوت سنة 2003م، وعمره 83 عاماً<sup>2</sup>.

**07- إحسان عباس ناقدًا:**<sup>3</sup>

كان الناقد والشاعر إحسان عباس غزيراً في علمه، وهذا الأمر انعكس بشكلٍ إيجابيٍّ على غزارة إنتاجه الأدبي: النّقديّ منه والشّعريّ، إضافة إلى اشتغاله الكبير في مجال التحقيق والترجمة، وقد ألف إحسان عباس ما لا يقلّ عن خمسة وعشرين كتاباً مختلفة المواضيع، بين النّقديّ الأدبيّ والتّاريخ وغير ذلك، وحقّق

<sup>1</sup> المرجع السابق: ص 414.

<sup>2</sup> موقع: <https://ektab.com>

<sup>3</sup> موقع: أنا عربي. بتصرف <https://i3rbi.com>

حوالي اثنين وخمسين كتابًا من أعظم كتب العرب، وترجم ما يُقارب 12 كتابًا، ولا شك أن اشتغاله على كل هذه العلوم انعكس سلبًا على إنتاجه الشعري الذي كان مُقلًا فيه بسبب انشغاله بعمله الأكاديمي.

وقد اشتهر لإحسان عباس عدد من المؤلفات النقدية التي أضاف من خلالها للنقد العربي فكرًا جديدًا خالداً، ولعلَّ أشهر مؤلفاته هو كتابه "عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث"، الذي يرى فيه أن شعر التفعيلة مُجرّد بدعة مُحدثة للخروج بثورة شعريّة على العمود الكلاسيكيّ الموروث، وقد ترجم عباس كتابًا لأرسطو الذي عنوانه "فن الشعر"، وترجم كتاب "الرؤية المسلّحة" لستانلي هايمن وأصدره بعنوان "النقد الأدبي ومدارسه الحديثة"، فكان مُثقفًا عظيمًا، مُطلّعًا على عددٍ كبيرٍ من الثقافات العربية والغربيّة اطلاعًا كبيرًا، ممّا جعل منه شاعرًا وناقداً كبيرًا يشهد له الأدب وتشهد له كتبه بالعلم والحكمة والعظمة.

### 08- إحسان عباس شاعرًا: <sup>1</sup>

كان إحسان شاعرًا إلى جانب اهتمامه الكبير بالنقد، هذا الاهتمام الذي أثار على تجربته الشعريّة وشغله عنها، فلم يكن ذا إنتاج شعريّ كبير؛ بسبب انشغاله بأمور النقد والتحقيق والترجمة، وجديرًا بالذكر أنه أصدر ديوانه الأول بعد كتابته له بما يُقارب 50 عامًا، فقصائد إحسان عباس التي كتبها في أربعينيات القرن الماضي، ظهرت عام 1999م في ديوانه الذي عنوانه "أزهار بريّة"، وقد تميّز شعره بتأثره ببيئته الريفيّة شأنه في هذا شأن أغلب الشعراء الذين يعكسون بيئتهم التي خرجوا منها، وقد كثرت لفظه الراعي ومشتقاتها في ديوانه، وكان هذا انعكاسًا لصورة الرعاة الذين كان يستمتع بمشاهدتهم في صغره، قد قال فيهم شعرًا كثيرًا، ومنه:

01 نَشِيدُ الرَّعَاةِ وَصَفْصَافَةٌ      وَزَهْرُ الشَّعَابِ وَمَاءُ الْغَدِيرِ

02 وَتَرْنِيمَةُ الطَّيْرِ فِي أَيْكِهِ      وَهَمْسُ الزُّرُوعِ وَنَشْرِ الْعَبِيرِ

وقد أخذ غزله من زهافة طبيعة بلاده، فهو ابنُ الكرمل والطنطورة في فلسطين، حيث البحر والسّاطئ

والربيع وكلّ مظاهر الطبيعة الرائقة، التي تدعو لتصفية الوجدان من كلّ متاعب الحياة، ويظهر هذا في وقوله:

01 مِنْ دَيْرِي النَّائِي وَرَاءَ الْجَرْمَقِ      أَقْبَلْتُ نَحْوَ حَنَائِكَ الْمُتَدَفِّقِ

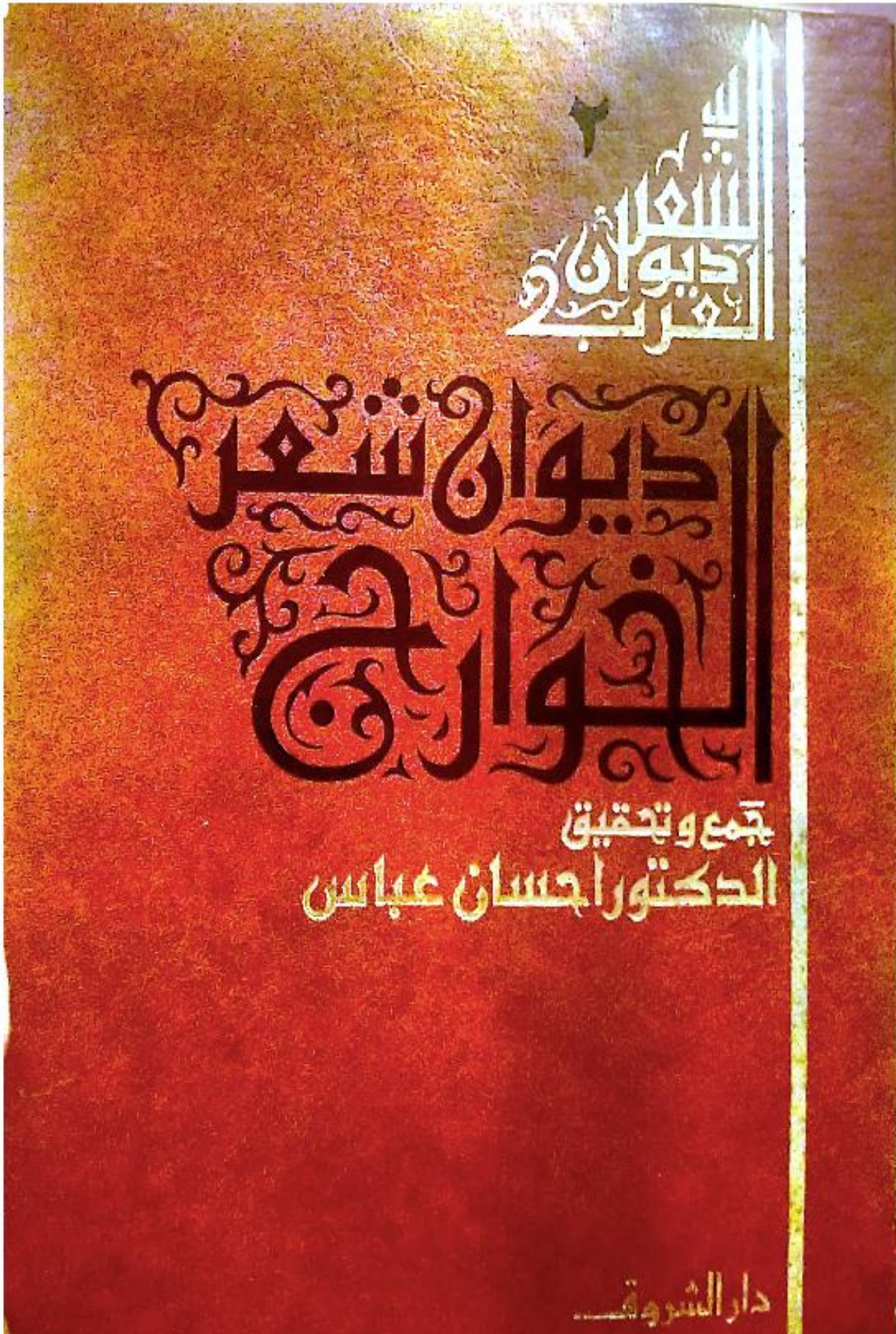
02 قَدْ كُنْتُ مَهْبِطَ فِكْرَتِي فِي غُرَّتِي      وَالْآنَ أَنْتِ عَلَى حَشَايَ وَمَرْفَقِي

03 هَذَا الْعِنَاقُ فَأَيْنَ نَظَرَاتُ الرِّضَا      مَا بَالُ طَرْفِكَ كَالظَّلَامِ الْمُطْرِقِ

04 لَا تُنْكِرِينِي أَنْتِ أُمَّ بَرَّةٌ      لَا تُسَلِّمِينِي لِلشَّقَا وَتَرْفَقِينِي

<sup>1</sup> الموقع السابق.

ثانيًا - ديوانُ أطروحةِ الإشتغال:



Scanné avec CamScanner

## مقدمة الطبعة الثانية

تتميز هذه المجموعة بإضافة قصائد كثيرة ، عثرت عليها في ما اطلعت عليه من مصادر لم يتح لي أن أطلع عليها من قبل ، كما أن ترتيب القصائد فيها قد أعيد على أساس زمني ، وقسم في فئات جديدة بحسب ذلك الأساس نفسه ، وذلك لأن أكثر شعر الخوارج الذي أثبتته المصادر المختلفة متصل بأحداث التاريخ بين معركة النهروان ومعركة قديد ، فوضعه في هذه الصورة يسهل على القارئ فهمه في النطاق التاريخي ، ويمكنه من أن يلمح تدرجه مع الزمن ؛ كذلك فاني زوّدت هذه الطبعة بملاحظ تاريخية جديدة ، ووضعت تحريج القصائد واختلاف الروايات ، والتعريف بالاعلام في الحواشي ، ولم أفرد لها مكاناً خاصاً بعد القصائد ، كما فعلت في الطبعة الأولى ، رغبة في وضع جميع المعلومات عن القصيدة الواحدة وعن صاحبها مجتمعة في حيز واحد أمام القارئ ؛ وقد عنيت هنا أيضاً بشروح إضافية ، كنت أعتقد في الطبعة الأولى أن القارئ في غنى عنها .

وأنا أحسُّ بعد كل هذا الجهد بالموقف الضيق الذي يضع فيه جامع الشعر نفسه : إذ قد تفوته - رغم الاستقصاء الكثير - أبيات ومقطعات وقصائد ، لم يوفق إلى الاطلاع عليها في المظان التي اعتمدها ؛ كما أن جامع الشعر ليس ناقداً

١٥

ينفي ما يشك في صحته ويثبت ما يراه صحيحاً ، وإنما هو أمين لما يجده في المصادر حتى وإن كانت تلك المصادر على خطأ .

ومهما يكن من شيء ، فاني أرجو أن تكون هذه الطبعة أكثر فائدة من الأولى ، وبالله التوفيق .

بيروت في آذار ( مارس ) ١٩٧٤  
إحسان عباس

## محتويات الكتاب

٥	.....	مقدمة الطبعة الرابعة
١٥	.....	مقدمة الطبعة الثانية
١٧	.....	مقدمة الطبعة الأولى
١٩	.....	نظرة في شعر الخوارج
٣٩	.....	الخوارج أيام علي
٥٣	.....	الخوارج أيام معاوية ويزيد وحتى ولاية عبد الملك
٩٥	.....	الخوارج في زمن عبد الملك بن مروان
٢٠٥	.....	الخوارج بعد عبد الملك حتى أواخر الدولة الأموية
٢٦٥	.....	استدراكات
٢٦٩	.....	ملحق
		فهارس الكتاب :
٢٧٩	.....	١ - فهرس الشعراء
٢٨٤	.....	٢ - فهرس القوافي
٢٩٥	.....	٣ - فهرس الأراجيز
٢٩٧	.....	٤ - فهرس الأعلام والأماكن والطوائف
٣١٥	.....	كشف بأسماء المصادر والمراجع
٣٢٥	.....	محتويات الكتاب

ثالثاً- نماذج لِمَا أسقطه "إحسان عباس":

01. ما لَمْ يجعله إحسان عباس شعراً للخوارج (نماذج):

كثيرة هي الأشعارُ التي لَمْ يُعدها الدكتور إحسان عباس شعراً للخوارج، وقد أشار إليها دون التعقيب أو التعليق عليها، ولم يُبين منهنَّ في الحكم على هذه التفتة/المقطوعة/الفصيدة في نسبتها لشعراء الخوارج من عدمها، وما سأعرضُ إليه ليس تقيلاً من جهد شيخ المحققين -مع حفظ المقامات-، وإنما هي دعوة لإعادة النظر في شعر الخوارج، وكل ما سيرعرض إليه هو نقلاً عن: خليل صالح: لهب المعرفة من قضايا الفكر في التراث العربي، ومن هذه النماذج:

أ- التركيب (01):<sup>1</sup>

- |    |   |   |
|----|---|---|
| 01 | عَبْدَ الْعَزِيزِ فَضَحْتَ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ | وَتَرَكْتَهُمْ صَرَعَى بِكُلِّ سَبِيلِ    |
| 02 | مِنْ بَيْنِ ذِي عَطَشٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ     | وَمُلْحَبٍ بَيْنَ الرَّجَالِ قَتِيلِ      |
| 03 | هَلَّا صَبَرْتَ مَعَ الشَّهِيدِ مُقَاتِلًا    | إِذْ رُحْتَ مُنْتَكِثَ الْقُوَى بِأَصِيلِ |
| 04 | وَتَرَكْتَ جَيْشَكَ لَا أَمِيرَ عَلَيْهِمْ    | فَارْجِعْ بَعَارٍ فِي الْحَيَاةِ طَوِيلِ  |
| 05 | وَنَسِيتَ عِرْسَكَ إِذْ تُقَادُ سَبِيَّةً     | تُبْكِي الْعَيُونَ بِرَنَّةٍ وَعَوْبِلِ   |

ذكرت هذه الأبيات في العديد من المصادر الأساسية التي اعتمدها "عباس" في جمعه وتحقيقه لشعر الخوارج، منها: تاريخ الطبري<sup>2</sup> والكمال لابن الأثير<sup>3</sup>، وقد نسبت هذه المصادر الثلاثة الأبيات للخارجي عبد الله بن قيس الرقييات. فكيف لَمْ يعتمدها "عباس" في ديوانه؟

ب- التركيب (02):<sup>4</sup>

- |    |  |
|----|--|
| 01 | مَا لِعَلِيٍّ قَدْ حَكَمَ                    |
| 02 | لَوْ قَاتَلَ الْأَحْزَابَ يَوْمًا مَا ظَلَمَ |

<sup>1</sup> البلاذري: كتاب أنساب الأشراف، (ج 1)، ص 447، 448.

<sup>2</sup> الطبري: تاريخ الأمم والملوك، (ج 6)، ص 173.

<sup>3</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (ج 4)، ص 343.

<sup>4</sup> نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، مصر، (ط 2)، 1382 هـ، ص 512،

يذكر "نايف معروف"<sup>1</sup> عند حديثه عن هذه النتفة، أنها لصالح بن شفيق المرادي، وهو من أوائل الخوارج، وهو من أشد المعارضين لقضية التحكيم، ومحرّضاً على خليفة المسلمين.

### ج- التركيب (03):<sup>2</sup>

- 01 لَحَى اللهُ أَكْبَانَا زِنَادًا وَشَرْنَا وَأَيْسَرْنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبَا  
02 رَأَيْتُهُ لَمَّا نَلْتُ مَالًا وَمَسْنَا زَمَانَ تَرَى فِي حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغْبَا  
03 جَعَلَتْ لَنَا ذُبًّا لِتَمْنَعَ نَائِلًا فَأَمْسِكَ، وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذُبًّا

نُسبت هذه الأبيات ليزيد بن حبناء كما ذكر ذلك المبرّد، وقيل: هي للمغيرة بن حبناء<sup>3</sup>، من رؤوس الخوارج وكبارها<sup>4</sup>.

### د- التركيب (04):<sup>5</sup>

- 01 أَتَمَلِكُنَا وَأَنْتَ بِحَضْرَمَوْتٍ طَلَبْتَ الْمُلْكَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ  
02 أَكِنْدَةُ لَا أَبَاكَ أَمْ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ عَلِمُوا سَنَنَ الْحُدُودِ

دُكِرَ البيتان في كتاب الأغانى، وكذا في كتاب: "بلاغات النساء"<sup>6</sup>، وكلا المصدرين نسبا البيتين لامرأة كِنَانِيَّةٍ قالت لعبد الله بن يحيى الكِنْدِيِّ ودَعَا إلى نفسه أي: بالخِلافة وكانَ رَئِيسَ الإِبَاضِيَّةِ فِي أَيَّامِ مِرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ، أَنَشَدَتْ هَذَا الْقَوْلَ.  
هـ- التركيب (05):

- 01 إِنْ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِرًا وَالرِّيْحَ عَاصِفَةً وَالْمَوْجَ يَلْتَطِمُ

قال الجاحظ: "وأنشد أبو عمرو الشيباني لرجلٍ من الخوارج يصفُ صَيْحَةَ شَيْبِ بنِ يَزِيدِ بنِ نَعِيمٍ، قال أبو عُبَيْدَةَ وَأَبُو الْحَسَنِ: كانَ شَيْبِ يَصِيحُ فِي جَنَبَاتِ الْجَيْشِ إِذَا أَتَاهُ، فلا يَلْوِي أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> نايف معروف: شعر الخوارج، ص 80.

<sup>2</sup> المبرّد: الكامل في اللغة والأدب، (ج 1)، ص 211.

<sup>3</sup> عبد الله الدُّنُورِي: الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1996، (ج 1)، ص 407.

<sup>4</sup> خليل صالح: لهبُ المعرفة، ص 268.

<sup>5</sup> الأصفهاني: الأغانى، (ج 5)، ص 141.

<sup>6</sup> ابن طيفور: بلاغاتُ النساء، ص 168.

<sup>7</sup> الجاحظ: البيان والتبيين: (ج 1)، 128، 129. ويُنظر: خليل صالح: لهبُ المعرفة من قضايا الفكر في التراث العربي،

## 02. مَا لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ "عَبَّاس" وَهُوَ شِعْرٌ لِلخَوَارِجِ (نَمَازِج):

إنَّ الإحاطة بِشِعْرِ شَاعِرٍ وَاحِدٍ يَصْعُبُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، فَمَا ظَنُّنَا بِالَّذِي يَتَّصِدَّى لِاسْتِقْصَاءِ وَتَتَبُّعِ حَرَكَةِ بِأَكْمَلِهَا أَذْبُهَا مُتْرَامٍ بَيْنَ دَقَّاتِ الْعَدِيدِ مِنَ الْكُتُبِ، وَمَا صَنِيعُ د. عَبَّاسٍ إِلَّا جُهْدٌ مُبَارَكٌ، وَمَا الْإِشَارَةُ لِهَذِهِ الْأَمْثَلَةِ إِلَّا دَعْوَةٌ لِلْعِنَايَةِ بِتُرَاثِ الْخَوَارِجِ الْأَدَبِيِّ، وَإِعَادَةِ الْبَحْثِ فِيهِ وَجَمْعِهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ مِنْ بَابِ التَّقْدِيرِ، وَإِنَّمَا هُوَ رِسَالَةٌ عَلَّ بَاحِثًا يُكْمِلُ الْعَمَلَ وَيَجْمَعُ مَا سَقَطَ، وَدُونَكَ بَعْضُ النَّمَازِجِ:

أ- التَّرْكِيبُ (01): قَالَ "عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ"<sup>1</sup>:

01 يَا جَمْرُ نَفْسِي مِنَ الْأَحْدَاثِ مُوحِشَةٌ      مَفْرُوعَةٌ الْقَلْبِ فِي رَوْعٍ وَفِي دَهْشِ  
02 أَبْكِي لِمَصْرَعِ مِرْدَاسٍ وَصُحْبَتِهِ      حَتَّى سَتَنفَدُ مِنْهُ الْعَيْنُ بِالْعَمَشِ  
03 لِيضْرَبَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُجَهِّزَةً      أَشْهَى مِنَ الْمَوْتِ فِي الْأَثَادِ وَالْفُرْشِ

## ب- التَّرْكِيبُ (02):

01 نَجَّيْتَ يَا رَبُّ نُوحًا وَاسْتَجَبْتَ لَهُ      فِي فُلِكَ مَاخِرٍ فِي الْيَمِّ مَشْحُونًا  
02 وَعَاشَ يَدْعُو بِأَيَاتٍ وَبَيِّنَةٍ      فِي قَوْمِهِ أَلْفَ عَامٍ غَيْرِ خَمْسِينَ  
03 (—) نَجَّيْتَهُ مِمَّا أَصَابَهُمْ      وَأَنْتَ مِنْ بَعْدِهِ نَجَّيْتَ ذَا النُّونَا

وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةُ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ، وَكُلُّهَا ذَكَرْتُ أَنَّهَا ل: "عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ"، وَهِيَ: "شَرْحُ اللَّمَعِ"<sup>2</sup> لابن العكبري، و"كِتَابُ الْمُؤَنَّثِ وَالْمَذْكَرِ"<sup>3</sup> لِمُحَمَّدِ الْأَنْبَارِيِّ، و"الْمُفَصَّلُ"<sup>4</sup> لابن يعيش، و"شَرْحُ التَّصْرِيحِ عَلَى التَّوْضِيحِ"<sup>5</sup> لِخَالِدِ الْأَزْهَرِيِّ.

## ج- التَّرْكِيبُ (03):

01 تَوَلَّى وَالرِّيَّاحُ تَنَاسَوَشْتُهُ      وَبَيْنَ يَدَيْهِ نَقْعٌ مُسْتَطَارٌ  
02 وَأَيَّقَنَّ أَنْ فَلَنتَهُ حَيَاةً      وَوَقَفْتَهُ حَيَاةً أَوْ إِسَارًا

<sup>1</sup> سرحان سعيد الأزكوي: كَشَفُ الْعُمَّةِ الْجَامِعِ لِأَخْبَارِ الْأُمَّةِ (مخطوطة المتحف البريطاني رقم: or8076)، نقلًا عن:

خليل صالح: لُبُّ الْمَعْرِفَةِ مِنْ قِضَايَا الْفِكْرِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، ص 268.

<sup>2</sup> ابن بوهان العكبري: شَرْحُ اللَّمَعِ، تح: فايز فارس الحمد، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة القاهرة، 1974، ص 417. نقلًا عن: المرجع نفسه، الصَّفْحَةُ نَفْسَهَا.

<sup>3</sup> مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيِّ: كِتَابُ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ، دار الرِّيَاضِ الْعَرَبِيِّ، السُّعُودِيَّةِ، (د ط)، 1986، ص 281.

<sup>4</sup> ابن يعيش: شَرْحُ الْمُفَصَّلِ، (ج 7)، ص 60.

<sup>5</sup> خَالِدُ الْأَزْهَرِيِّ: شَرْحُ التَّصْرِيحِ عَلَى التَّوْضِيحِ، تح: مُحَمَّدُ عِيُونِ السُّودِ، دار الكُتُبِ الْعَمَلِيَّةِ، بِيروت، لُبْنَانِ، (د ط)،

2000، (ج 1)، ص 376.

## 03 وَأُخْصَنَ دِرْعَهُ هَرَبٌ وَأَوْقَى سِلَاحٍ يَسْتَعِينُ بِهِ الْفِرَارُ

أُورِدَ "العُمَيْدِي" في كتابه: "الإبانة عن سرقاتِ المُتَنَبِّي" أن هذه الأبيات للحسن بن عمر الإباضي من أعيان الخوارج الإباضيَّة<sup>1</sup>.

د- التَّرْكِيب (04): وهذا البيتُ أيضاً ذَكَرَهُ "العُمَيْدِي"<sup>2</sup> ونَسَبَهُ لِلجَعْدِ الرَّقَاشِي مِنْ أَشَدِّ الخَوَارِجِ فَتَنًا.

## 01 وَأَعْجَبُ مِنْ أَرْضٍ سَقَاها حُسَامُهُ وَلَمْ تُرَوْ يَوْمًا مِنْ عَزَالِي السَّحَابِ

ه- التَّرْكِيب (05):

## 01 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَشَادٍ وَغَيْرِ هِدَايَةٍ نَعَمَ الْأَمِيرِ

## 02 أَمِيرٌ يَفْضُلُ الْأَمْرَاءَ فَضْلًا كَمَا فَضَّلَ السُّهْلُ الْقَمَرَ الْمُنِيرُ

ذَكَرَ البَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ: "الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ"<sup>3</sup> أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لَطَلْحَةَ بْنِ فَهْدِ الْخَارِجِيِّ.

و- التَّرْكِيب (06): جَاءَ هَذَا الرَّجَزُ فِي كِتَابِ: "تَارِيخِ المَوْصِلِ"<sup>4</sup> لِلأَزْدِيِّ، وَقَالَ إِنَّهَا لِلضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ.

## 01 رَائِعَةٌ تَحْمِلُ شَيْخًا رَائِعًا

## 02 مُجَرَّبًا قَدْ شَهِدَ الْوَقَائِعَ

## 03 قَدْ صَادَفَتْ شَيْبَانَ مُلْكًا ضَائِعًا

ز- التَّرْكِيب (07): ذَكَرَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي "الكامل"<sup>5</sup> أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَنَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ.

## 01 وَبِالطَّائِفِ المَعْمُورِ جَرَّتْ خِيُولُنَا وَنَخْلًا صَبِحْنَا دَارِعِينَ وَحُسْرًا

إِنَّ هَذِهِ التَّرَاكِيِبَ مَا هِيَ إِلَّا نَمَازِجٌ لَعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَشْعَارِ الَّتِي هِيَ لِشُعْرَاءِ الخَوَارِجِ الَّتِي لَمْ يَقِفْ عَلَيْهَا د. إِحْسَانُ عَبَّاسٍ، وَلِلإِسْتِرَادَةِ فِي هَذَا المَوْضُوعِ؛ يُرَاجَعُ كِتَابُ: خَلِيلِ صَالِحٍ: لَهْبُ المَعْرِفَةِ مِنْ قَضَايَا الفِكْرِ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ غَيْرَ مُتَخَصِّصَةً فِي شِعْرِ الخَوَارِجِ، إِلَّا إِنَّهَا تُسَاعِدُ البَاحِثَ وَتُجِيلُهُ إِلَى عَشْرَاتِ الكُتُبِ الَّتِي تَحْوِي بَيْنَ جَنَبَاتِهَا عَدَدًا هَائِلًا مِنَ الأَشْعَارِ، وَالَّتِي قَدْ تَبَلَّغَ دِيوَانَ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ أَوْ تَفَوْقَهُ عَدَدًا.

<sup>1</sup> مُحَمَّدُ العُمَيْدِيُّ: الإبانةُ عن سرقاتِ المُتَنَبِّي، تح: إبراهيم الدسوقي، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1961، ص 60.

وَيُرَاجَعُ: خَلِيلِ صَالِحٍ: لَهْبُ المَعْرِفَةِ مِنْ قَضَايَا الفِكْرِ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، ص 276.

<sup>2</sup> مُحَمَّدُ العُمَيْدِيُّ: الإبانةُ عن سرقاتِ المُتَنَبِّي، ص 106.

<sup>3</sup> البَغْدَادِيُّ: الفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، ص 77.

<sup>4</sup> أَبُو زَكَرِيَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ الأَزْدِيِّ: تَارِيخُ المَوْصِلِ، تح: علي حبيبة، مؤسَّسة دار التَّحْرِيرِ، مصر، (د ط)، 1967، ص 70.

<sup>5</sup> ابْنُ الأَثِيرِ: الكامل، (ج 4)، ص 201.

# مَكْتَبَةُ الْبَحْثِ

– القرآن الكريم: المصحف الإلكتروني، رواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السعودية، 2020.

#### ❖ مصادر البحث:

- عبّاس إحسان: ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، القاهرة، مصر، (ط 4)، 1402 هـ – 1982 م.
1. ابن أعثم أبو محمد أحمد: كتاب الفُتوح، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1978، (ج 7).
  2. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، اعتنى به: أبو صُهب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، (د ط)، 1981.
  3. أبو أيوب الأنصاري سعيد بن أوس النحوي: النوادر في اللغة، تح: محمد عثمان، مرا: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 2011.
  4. أبو حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1996، (ج 4).
  5. الأصفهاني علي بن الحسن: كتاب الأغاني، تر: سمير جابي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، 1986، (ج 15).
  6. البلاذري أحمد بن يحيى: كتاب جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1996، (ج 5).
  7. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك – تاريخ الطبري –، اعتنى به: أبو صُهب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، (د ط)، (د ت).
  8. ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، اعتنى به: حسّان عبد المنان، بيت الأفكار الدولي، الأردن – السعودية، (ط 4)، 2004، (ج 10).
  9. الطرمّاح الحكم بن حكيم: ديوان الطرمّاح، تح: عزّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1994.
  10. معروف نايف: ديوان الخوارج، دار المسيرة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1978.

#### ❖ مراجع البحث:

##### أ- الكتب العربية:

1. ابن الأثير عز الدين بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1975، (ج 3).
2. أدراوي العياشي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، دار الأمان، المغرب، (ط 1)، 2011.
3. \_\_\_\_\_: الحوار الإختلافي أو مسلك التناظر الكلامي – مساهمة في إعادة بناء أصول الخطاب –، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2012.
4. عبّاس إحسان: غربة الراعي سيرة ذاتية، دار الشروق، بيروت – عمان، (د ط)، 1996 م.
5. إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، الكويت، (د ط)، 2004.
6. الأزدي أبو زكريا يزيد بن محمد: تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، مؤسسة دار التحرير، مصر، (د ط)، 1967.
7. الأزهرّي خالد: شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 2000، (ج 1).
8. الأزهرّي محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تح: إسلام سرحان، الدار المصرية، مصر، (د ط)، (د ت)، (ج 7).
9. محمد بن القاسم الأنباري: كتاب المذكر والمؤث، دار الرياض العربي، السعودية، د ط، 1986.
10. إسماعيل صلاح: نظريّة المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية، مصر، (د ط)، 2005.
11. الأعظمي علي ظريف: مختصر تاريخ البصرة، تح: عزّة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ط)، (د ت).

12. أمحمد تركي: التشبيه بين الجمالية والحجاجية نظرات في تراثنا العربي القديم، المؤسسة العربية للتربية، مصر، 2017.
13. أمين أحمد: فجر الإسلام - الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية -، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1933.
14. باديس نرجس: المُشيراثُ المقاميّة في اللّغة العربيّة، مركز النّشر الجامعيّ، تونس، (د ط)، 2009.
15. الباهي حسان: الحوارُ ومنهجية الفكر النقديّ، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2004.
16. بدوي عبد الرحمان: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (ط 1)، 1984، (ج 1).
17. البستاني بشرى: التداولية في البحث اللغوي والنقديّ، مؤسسة السيّاب، لندن، (ط 1)، 2012.
18. يعطيش يحيى: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، بحثٌ ضمن كتاب: التداوليات وعلم استعمال اللّغة، تق: حافظ إسماعيل علوي. عالم الكتب الحديث، ط 1، الأردن، 2011.
19. البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق، تح: محمد الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، (د ط)، 2000.
20. البغدادي محمد بن حبيب: أسماء المعتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تح: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1998.
21. البكاي لطيفة: حركة الخوارج - نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي -، دار الطليعة، لبنان، 2001.
22. بلخير عمر: تحلي الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط 1)، 2009.
23. بوجادي خليفة: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، (ط 1)، 2009.
24. بوقرة نعمان: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د ط)، 2009.
25. \_\_\_\_\_: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب - دراسة مُعمّية -، جدارا للكتاب العالميّ، الأردن، (د ط)، 2009.
26. \_\_\_\_\_: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د ط).
27. التميمي صبيح: هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، (د ط)، 1998، (ج 1).
28. ابن تيمية تقي الدين أحمد: مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة، السعودية، (د ط)، 1995، (ج 3).
29. جابر صالح محمد عادل: شعرة الجزيرة الفراتية في العصر الأموي، دار القدس للنشر، مصر، (د ط)، 2004.
30. الجاحظ أبو عثمان: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، (د ت)، (ج 1).
31. الجراح عامر: التفكير البياني عند العرب - قراءة تداولية -، دار سنابل، اسطنبول، تركيا، (ط 1)، 2019.
32. الجرجاني علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تح: محمد إبراهيم وعلي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، مصر، (ط 4)، 1966.
33. جفال علي: الخوارج - تاريخهم وأدبهم -، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1990.
34. ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: عبد الوهاب هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1421 هـ، (ج 1).
35. جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز، الأردن، (ط 1)، 2016.
36. جودي حمدي منصور: الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، عمان، (ط 1)، 2018.

37. الحباشة صابر: التداوليّة والحجاج -مداخل ونُصوص-، صفحات للدراسة والنشر، (ط 1)، 2008.
38. حجازي علي سعد: أعلى المراتب من سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، دار الكتب، لبنان، (د ط)، 2011.
39. الحريري عليّ بن محمّد: شرح ملحّة الإعراب، تع: كامل الهنداوي، دار الكتب العلميّة، (د ط)، (د ت).
40. الحسن شاهر: علم الدلالة -السّمانيّة والبراهمانيّة في اللّغة العربيّة-، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2001.
41. الحسيني محمّد: لواعج الشّجن في مقتل الحسين، تع: حسن الأمين، دار الأمير، السّعوديّة، (ط 1)، 1996.
42. الحقباني فيض الرّحمان: شرح ديوان الحماسة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1971.
43. حمداوي جميل: التداوليات وتحليل الخطاب، مؤسّسة المثقف العربي، سيدني، أستراليا، (ط 1)، 2015.
44. حمودة عبد العزيز: المرايا المُحدّبة من البنيويّة إلى التّفكيك، المجلس الأعلى للآداب، الكويت، (د ط)، 2008.
45. الحموي محمّد بن واصل: تجريد الأغاني، تع: طه حسين، كطبعة مصر، القاهرة، (د ط)، 1955، (ج 3).
46. حنبكة عبد الرّحمان: البلاغة العربيّة أسسها وعُلموها وفنونها، دار القلم، دمشق، (ط 1)، 1996، (ج 1).
47. حنفي حسن: مقدّمة في علم الاستغراب، دار مجد للنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، (ط 3)، 2006.
48. خطابي محمّد: لسانيّات النصّ -مدخل في انسجام الخطاب-، المركز الثّقافي، المغرب، (ط 2)، 2006.
49. ابن خلدون عبد الرّحمن: تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، مُرا: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2000، (ج 3).
50. الخوارزمي محمّد البلخي: مفاتيح العلوم، تع: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (ط 2)، 1989.
51. خليل حامد: المنطق البراغماطي عند تشارلز بيرس، دار الينايع، دمشق، سوريا، (د ط)، 1996.
52. خميس عبد الله بن محمّد: تاريخ الإمامة -معاني الدّيار وما لها من أخبار وآثار-، دار الملك عبد العزيز، (د ب)، (د ط)، 1987، (ج 7).
53. الخواجه إبراهيم شحادة: الصّراع السّياسي في القرن الثّاني الهجريّ، شركة كاظمة للنشر والترجمة، الكويت، (ط 1)، 1984.
54. الدّريدي سامية: الحجاج في الشعر العربيّ بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، الأردن، (د ط)، 2011.
55. الدّثوري عبد الله: الشّعور والشّعراء، تع: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1996، (ج 1).
56. الرّازي فخر الدّين محمّد بن عمّار: اعتقادات فِرَق المسلمين والمُشركين، مُرا: علي سامي النشار، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، (د ط)، 1938.
57. الرّاضي رشيد: الحجاج والمُغالطة من الحوار في العقل إلى العقليّ في الحوار، دار الكتاب الجديد، بيروت، (ط 1)، 2010.
58. ربّاع كامل: نظريّة الخروج في الفقه السّياسي الإسلاميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، 2004.
59. عبد الرّحمان طه: اللّسان والميزان أو التّكوّن العقليّ، المركز الثّقافي العربيّ، المغرب، (ط 1)، 1998.
60. رشوان محمّد وعصام زكريا: فلسفة اللّغة، دار المسيرة، عمان، (ط 1)، 2012.
61. الرّيفي هشام: الحجاج عند أرسطو، ضمن أهمّ نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، شر: حمّادي صمّود، كليّة الآداب، منوبة، تونس، (د ط)، (د ت).

62. زرقان عؤوز: الحسين سياسي: الخوارج في شعرهم - أهم القضايا والظواهر الفنية - دراسة نقدية، البدر الساطع، العلمة، الجزائر، (ط 1)، 2017.
63. الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضيل الدميطي، دار الحديث، مصر، (د ط)، 2006.
64. الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د ط)، 1989، (ج 7).
65. زماش مصطفى: الإحالة في ديوان الجزائر لمصطفى العيسى - دراسة نصية -، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، (د ط)، 2016.
66. الزناد الأزهري: نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً -، المركز العربي، المغرب، (ط 1)، 1993.
67. الزهري نعيمة: الأمر والنهي في العربية، منشورات كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، (د ط)، 1997.
68. زهو محمد محمد: الحديث والمحدثون، رئاسة البحوث العلمية، الرياض، السعودية، (د ط)، 1404 هـ.
69. سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني مع شروح التلخيص، دار أدب الحوزة، إيران، (د ط)، (د ت)، (ج 2).
70. سعودي نوري: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، (ط 1)، 2009.
71. السكاكي يوسف: مفتاح العلوم، تح: جميل هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، 1971.
72. السلمان عبد العزيز: مجموعة القصائد الزهديات، مطابع الخالد، الرياض، (ط 1)، 1409 هـ، (ج 1).
73. سلوم داود: نوري حمودي القيسي، شخصيات كتاب الأغاني، المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د ط)، 1982.
74. سليم محمد شريف: ملخص تاريخ الخوارج، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2007.
75. سيبويه عمرو بن عثمان: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (ط 3)، 1988، (ج 2).
76. السيساوي يوسف: الإشارات: مقارنة تداولية، كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، (ط 1)، 2011.
77. الشبوطي جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، لبنان، (ط 1)، 1998.
78. \_\_\_\_\_: الإتقان في علوم القرآن، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر، (د ط)، 1967.
79. الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم: الموافقات في الأصول والشريعة، تح: عبد الرزاق عفيفي، دار الصمعي، الرياض، السعودية، (ط 1)، 2003، (ج 1).
80. شاهين كامل السيد: اللباب في العروض والقافية، دار الجمهورية للصحافة، مصر، (د ط)، 2009.
81. شرتح عصام: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، دار اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2005.
82. الشرتوني رشيد: مبادئ العربية في الصرف والتحو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (ط 4)، (د ت).
83. الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (ط 1)، 1950، (ج 1).
84. الشعكة مصطفى: الأدب في الحضارة الإسلامية، مكتبة الإنجاد، القاهرة، مصر، (د ط)، 1968.
85. الشهرستاني تاج الدين: الملل والنحل، تح: محمد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، (د ط)، 1989، (ج 1).
86. الشيباني خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، (ط 2)، 1977، (ج 1).

87. صادق مثنى كاظم: أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي -تنظير وتطبيق على السور المكية-، منشورات الاختلاف، لبنان، (ط 1)، 2015.
88. صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، دار التنوير، الجزائر، (ط 1)، 2008.
89. الصراف علي محمود: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية في معجم سياقي-، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2010.
90. أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، (ط 1)، 1986.
91. صلاح الدين أحمد محمد: التصوير المجازي والكنائي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، (ط 1)، 1988.
92. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت).
93. صالح خليل: لهب المعرفة من قضايا الأدب والفكر في التراث العربي، دار الكتاب، الأردن، (د ط)، 2012.
94. الصغیر محمد حسين: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (د ط)، 1981.
95. صولة عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، الإدارة العامة للبحث العلمي، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس 1، (د ط)، (د ت).
96. \_\_\_\_\_: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007.
97. آل صمويت مؤيد: الخطاب القرآني -دراسة في البعد التداولي-، مكتبة الحضارة، لبنان، (ط 1)، 2010.
98. ضيف شوقي: البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1970.
99. \_\_\_\_\_: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط 6)، 1977.
100. \_\_\_\_\_: تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي-، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط)، 1961.
101. \_\_\_\_\_: فنون الأدب العربي الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط 4)، 1991.
102. طاليس أرسطو: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، لبنان، (ط 1)، 1979.
103. الطبطبائي طالب سيد هاشم: نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.
104. طروس محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (ط 1)، 2005.
105. طعيمة صابر: دراسات في الفرق، مكتبة العارف، الرياض، السعودية، (د ط)، 2007.
106. طقوش محمد سهيل: التاريخ الإسلامي الوجيز، دار الثنائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د ط)، 2003.
107. الطلحي زدة الله بن عبد الله: دلالة السباق، جامعة أم القرى، السعودية، (ط 1)، 1424 هـ.
108. طليمات غازي وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2008.
109. \_\_\_\_\_: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، (ط 2)، 2000.
110. عبد التواب أحمد: الكاريكاتير السياسي، مجموعة النيل العربي، مصر، (ط 1)، 2018.
111. عبد الحق صلاح: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، (ط 1)، 1993.
112. عبد الرزاق زايد: كتاب سير الفصاحة -دراسة وتحليل-، مكتبة الشباب، مصر، (ط 1)، 1976.

113. عبد الكريم محمود يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن، مطبعة الشام، دمشق، (د ط)، 2000.
114. ابن عبد ربه أحمد بن محمد: العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار العلمية، لبنان، (ط 1)، 1983، (ج 1).
115. عبيد صابر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، اتحاد الكتاب، سوريا، (د ط)، 2001.
116. العربي القاضي أبو بكر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تح: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1405 هـ.
117. العزاوي أبو بكر: اللغاة والحجاج، العمدة للطباعة والنشر، مصر، (ط 1)، 2006.
118. العكبري ابن برهان: شرح اللمع، تح: فايز فارس الحمد، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة القاهرة، 1974.
119. العسقلاني أبو حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1984، (ج 2).
120. عشير عبد السلام: عندما نتواصل نغير - مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج -، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 2006.
121. عصفور جابر: الصورة الفنية في التراث النحوي والبلاغي عن العرب، المركز الثقافي، لبنان، (ط 3)، 1992.
122. العقيلي عبد الله بن عبد الرحمن: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد عبد الحميد، دار التراث العربي، القاهرة، مصر، (ط 20)، 1980، (ج 3).
123. عكاشة محمود: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2003.
124. عكاوي إنعام: المعجم المفضل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، العراق، (د ط)، 1987 م.
125. العكبري أبو البقاء عبد الله: اللباب في علل بناء الإعراب، تح: عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، (ط 2)، (د ت)، (ج 1).
126. علوي حافظ إسماعيل: التداوليات - علم استعمال اللغة -، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د ط)، 2014.
127. العلوي يحيى: الطراز لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، المكتبة المصرية، بيروت، (ط 1)، 1423 هـ، (ج 3).
128. العميدي محمد: الإبانة عن سرقات المتنبي، تح: إبراهيم الدسوقي، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1961.
129. علي محمد يونس: المعنى وظلال المعنى أنظمتها الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، لبنان، (ط 2)، 2007.
130. عمارة حاكم: الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، دار العصماء، سوريا، (ط 1)، 2014.
131. عمر أحمد مختار: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (ط 5)، 1998.
132. عوض أحمد: الخواج - تاريخهم، فروعهم، أدبهم -، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 2)، 2012.
133. عويص موسى حسن: الأداء المخيلاقي المسرحي، دار زويراك، د بلد، (د ط)، 2004.
134. عيادي بن عبد الحليم، دار البيان الحديثة، القاهرة، مصر، (ط 1)، (ج 2)، 2003.
135. العيساوي خالد: الخطاب الإشهاري بين البعد التداولي وسلطة النص، بحث ضمن كتاب: التداولية في ظلال المفهوم وآفاقه، مجموعة مؤلفين، تح: حسن الملخ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، (ط 1)، (د ت).
136. الغري حسن: حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2001.
137. الغصن سليمان بن صالح: الخواج - نشأهم، فروعهم، صفاتهم والرد على أبرز عقائدهم -، دار كنوز إشبيليا، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، (ط 1)، 1430 هـ، 2009.
138. الغلابي مصطفى: جامع الدروس العربية، مكتبة العصري، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2003.
139. فاحوري عادل: تيارات في السيمياء، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2029.

140. الفارابي أبو نصر محمد: الألفاظ المُستعملة في المنطق، موقع الورّاق، أبو ظبي، الإمارات، (د ط)، 2015.
141. فرُوخ عُمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1943.
142. فريثُ البحث في البلاغة والحجاج: أهمُّ نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمّادي صمّود، الإدارة العامّة للبحث العلميّ، كليّة الآداب جامعة مُنوبة، تونس 1، (د ط)، (د ت).
143. فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النصّ، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 1990.
144. الفقي صبحي إبراهيم: علم اللّغة النّصيّ بين النّظريّة والتّطبيق، دار قباء، مصر، (ط 1)، 2000، (ج 2).
145. قاسم مقداد محمّد شاكر: البنية الإيقاعيّة في الشّعر الجواهريّ، دار دجلة، العراق، (ط 1)، 2010.
146. القاضي النّعمان: الفرق الإسلاميّة في الشّعر الأمويّ، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1970.
147. ابن قتيبة عبد الله الدّنوري: عُيُونُ الأخبار، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، (ط 1)، 1985.
148. القرطاجني أبو حازم: منهاجُ البلغاء وسراجُ الأبداء، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1982.
149. القط عبد القادر: في الشّعر الإسلاميّ الأمويّ، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، د ط، 1989.
150. قلماويّ سهير: الخوارج في العصر الأمويّ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة، القاهرة، مصر، (د ط)، 1945.
151. قيس الجنابي: أثر الشّعر في تدوين الأحداث التّاريخيّة في العصر الأمويّ، الآفاق العربيّة، مصر، (ط 1)، 1996.
152. كاظم مرتضى جابر: اللّسانيّات التّداوليّة في الخطاب القانونيّ قراءة استكشافيّة للتّفكير التّداوليّ عند القانونيّين، دار عدنان، بغداد، العراق، (ط 1)، 2015.
153. كنون أحمد: التّداوليّة بين النّظريّة والتّطبيق، دار التّأبغة، القاهرة، مصر، (د ط)، 2005.
154. الكواكيّ عبد الرّحمان: طبائع الاستبداد ومصارغ الاستعباد، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (د ط)، 2013.
155. الكيلاني محمّد: تاريخ الفلسفة اليونانيّة من منظور معاصر، دار التنوير، لبنان، (ط 1)، 2008.
156. الحويدق عبد العزيز: نظريّات الاستعارة في البلاغة الغربيّة — من أرسطو إلى لاكوف ومارك جونسون —، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، (ط 1)، 2015.
157. المراديّ بدر الدّين حسن بن قاسم: كتاب توضيح المسالك بِشرح ألفيّة ابن مالك، شر وتحر: عبد الرّحمان سليمان، دار الفكر العربيّ، مصر، (ط 1)، 2008، (ج 1)، (مج 1).
158. الماوريّ عليّ بن محمّد: أدب الدّنيا والدّين، شر: محمّد كريم راجح، دار إقرأ، مصر، (د ط)، (د ت).
159. ابن المبارك عبد الله: ديوان ابن المبارك، جمع: مُجاهد مصطفى بهجت، مكتبة الملك فهد، الرّياض، (ط 4)، 1432 هـ.
160. المبخوت شكري: دائرة الأعمال اللّغويّة — مُراجعات ومُقترحات —، دار الكتب، لبنان، (د ط)، 2010.
161. المبرّد أبو العبّاس محمّد بن يزيد: الكامل في اللّغة والأدب، مكتبة الهلال، لبنان، (ط 1)، 1998، (ج 3).
162. \_\_\_\_\_: المُقتضب، تح: محمّد عظيمه، عالم الكتب، لبنان، (د ط)، 1996، (ج 2).
163. المتوكّل أحمد: الإستلزام التّخاطبيّ بين البلاغة العربيّة والتّداوليّات الحديثة، ضمن كتاب: حافظ إسماعيل علوي، التّداوليّات علم استعمال اللّغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (ط 1)، 2011.
164. \_\_\_\_\_: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفيّة، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، المغرب، (ط 1)، 1986.
165. \_\_\_\_\_: اللّسانيّات الوظيفيّة — مدخل نظريّ —، منشورات عكاظ، الرّباط، المغرب، (د ط)، 1989.
166. \_\_\_\_\_: الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، (ط 1)، 1985.

167. مجلي أحمد محمّد: الفرق في تاريخ المسلمين - الخوارج والشيعة-، مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، السعودية، (ط 1)، 1986.
168. محمود جمال: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009.
169. مدّاس أحمد: لسانيات النصّ - نحو منهج لتحليل الخطاب الشعريّ-، عالم الكتب، سوريا، (ط 2)، 2014.
170. مرتاض عبد الجليل: اللسانيات والأسلوبية، دار هومه للنشر، الجزائر، (د ط)، 2013.
171. المرزباني محمّد بن عمران: معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2010، (ج 1).
172. مزيد بهاء الدين: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسيّ، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط 1)، 2010.
173. المسدي عبد السلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، (ط 2)، 1986.
174. \_\_\_\_\_: الأسلوب والأسلوبية، الدار الكتب الجديدة، بيروت، (ط 5)، 2006.
175. المسعودي عليّ بن الحسين: التنبيه والإشراف للمسعودي، دار المعرفة، لبنان، (د ط)، 2004، (ج 3).
176. \_\_\_\_\_: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المعرفة، لبنان، (د ط)، 2006، (ج 2).
177. المقدسيّ المطهر بن طاهر: كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د ط)، (د ت)، (ج 6).
178. مطلوب أحمد: أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، وكالة المطبوعات، الكويت، (ط 1)، 1980.
179. ابن المعتز عبد الله: البديع، دار المسيرة، بيروت، لبنان، (ط 3)، 1982.
180. المنقري نصر بن مزاحم: وقعة صفين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، (د ط)، 1382 هـ.
181. معروف نايف: الخوارج في العصر الأمويّ، دار التفائس، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1977.
182. معيطة أحمد: الإسلام الخوارجيّ - قراءة في الفكر والقرن-، دار الحوار، سوريا، (ط 1)، 2000.
183. المفتي حسن: خلاصة المعاني، تح: عبد القادر حسين، الناشر العرب، السعودية، (د ط)، 1403 هـ.
184. المقرزي تقي الدين عبد القادر: كتاب المقتضى الكبير، دار الغرب الإسلامي، (د ط)، (د ت)، ج 3.
185. النحر نادية رمضان: الإتجاه التداوليّ والوظيفي في الدرس اللغويّ، مؤسسة حورس، مصر، (ط 1)، 2013.
186. نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة للبحث اللغويّ المعاصر، دار المعارف الجامعية، مصر، (ط 1)، 2006.
187. نصير أمل: صورة المرأة في الشعر الأمويّ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، (ط 1)، 2000.
188. النهشلي عبد الكريم القيرواني: الممتع في صنعة الشعر، دار الكتب العمليّة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
189. الثوري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب القومية، مصر، (ط 1)، 1423 هـ، (ج 20).
190. نويري محمّد: البلاغة وثقافة الفحولة - دراسة في كتاب العصا-، كلية الآداب، تونس، (د ط)، 2003.
191. هارون عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (ط 5)، 2001.
192. الهاشمي أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
193. هشام جمال الدين الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، اعتنى بها: محمّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان، بيروت، (ط 1)، 2001.
194. الولي محمّد: الاستعارة في محطّات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، الرباط، (ط 1)، 2005.
195. يالجن مقداد: علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، (ط 2)، 2003.
196. ابن يعيش موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د ط)، 1985، (ج 5).

197. يونس محمد: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2004.

### ب- المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دار الحديث، مصر، (د ط)، 1423 هـ - 2003 م، (مج 3).
2. الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د ط)، 1977، (ج 1).
3. خميس عبد الله: معجم جبال الجزيرة، دار اليمامة، السعودية، (ط 1)، 1989، (ج 1).
4. الزمخشري جاز الله: أساس البلاغة، تح: محمد باسيل عيون السود، منشورات: محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط 1)، 1419 هـ - 1998.
5. الفيروز آبادي محد الدين: القاموس المحيط، تح: مكتب التراث، بيروت، لبنان، (د ط)، 2005، (ج 2).
6. قلنجي محمد: معجم لغة الفقهاء، دار التفاس، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1985.
7. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار المعارف، مصر، (ط 2)، 1972، (ج 1).
8. مطلوب أحمد: معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (ط 1)، 1989، (ج 1).
9. منصور جميل: معجم شاعرات العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار البشائر، لبنان، (د ط)، 2010.
10. نصار نواف: معجم المصطلحات الأدبية - عربي إنجليزي-، دار المعتر، عمان، الأردن، (ط 1)، 2011.
11. وهبة مجدي، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، (د ط)، 1984.
12. الياسين بن مساعد: كشاف الألقاب - معجم ألقاب الأستر الكويتية-، مكتبة العروبة، الكويت، (د ط)، (د ت).

### ج- الكتب المترجمة:

1. أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، الرباط، المغرب، (د ط)، 2004.
2. أفلاطون: جمهورية أفلاطون، تر: حنا حجاز، دار القلم، بيروت، لبنان، (ط 2)، 1980.
3. أوستين جون: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات-، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1991.
4. \_\_\_\_\_: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات-، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (ط 2)، 2008.
5. براون جون ويول جون: تحليل الخطاب، تر: محمد الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، السعودية، (د ط).
6. بروتون فيليب، جيل جوتيه: تاريخ تطور نظريات الحجاج، تر: محمد صالح الغامدي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، (ط 1)، 2011.
7. بلانشي روبر: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسيل، تر: خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، (ط 2)، 2002.
8. بلانشيه فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، ط 1، 2007.
9. دايك فان: النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2000.
10. دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد مجياتن، ديوان مطبوعات الجامعة، (د ط)، (د ت).
11. دي بوجراند روبرت: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، لبنان، (د ط)، 1998.

12. ديسوسير فدياندا: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مرا: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربيّة، بغداد، العراق، (ط 3)، (د ت).
13. ريبول آن وموشلار جاك: التداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد شيباني، مرا: لطيفة زيتوني، المنظمّة العربيّة للتّرجمة، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 2003.
14. سيرل جون: العقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعيّ، تر: سعيد الغانمي، منشورات دار الاختلاف/المركز الثّقافي العربيّ، الجزائر/بيروت، (د ط)، 2008.
15. شارل باتريك: الحجاج بين النّظرية والأسلوب، تر: أحمد الوردني، دار الكتب الجديدة، لبنان، (ط 1)، 2009.
16. شارودو باتريك ومانغونو دومينيك: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سينتارا، تونس، (د ط)، 2008.
17. طاليس أرسطو: الخطابة، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشّرق، (د ط)، 2008.
18. فان جان: الفلّسفة الفرنسيّة، تر: فؤاد كامل، دار الكاتب العربيّ للنّشر، القاهرة، مصر، (د ط)، 1998.
19. كاترين كيربات أركيوني: المضمّر، تر: ريتا خاطر، مُر: جوزيف شريم، المنظمّة للتّرجمة، لبنان، (ط 1)، 2009.
20. ليتش جيوفري: مبادئ التّداوليّة، تر: عبد القادر قنيني/ إفريقيا الشّرق، المغرب، (د ط)، 2013.
21. ليونز جون: اللّغة والمعنى والسّياق، تر: عبّاس صادق عبد الوهاب، دار الشّؤون العامّة، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، العراق، (ط 1)، 1987.
22. مانغونو دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمّد يجياتن، الدّار العربيّة، لبنان، (د ط)، 2000.
23. موشلار جاك وريبول آن: القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، تر: مجموعة من الباحثين، إشراف: عز الدين المجذوب، دار سينتارا، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، 2010.
24. هدرسون ريتشارد أنتوني: علم اللّغة الاجتماعيّ، تر: محمود عياد، مُر: عبد الأمير الأعسم، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد-الدّار البيضاء، (ط 1)، 1987.
25. هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية - نحو نموذج سيميائي لتحليل النّصوص -، تر: محمد العمري، إفريقيا الشّرق، المغرب، (ط 2)، 1999.
26. يول جورج: التّداوليّة، تر: قصي العتاي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، (د ط)، 2010.
- د- مُصنّفات الأحاديث وشروحها:**
1. ابن أبي شيبة الحافظ عبد الله بن محمّد: المُصنّف، تح: حمد عبد الله الجمعة، مكتبة الرّشد ناشرون، السّعوديّة، (ط 1)، 2004، (ج 15).
2. البخاريّ محمّد بن إسماعيل: صحيح البخاريّ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (ط 1)، 2002.
3. البيهقيّ أحمد بن الحسين بن عليّ: السّنن الكبرى، تح: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، (ج 8).
4. ابن حنبل أحمد: المُسنّد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، (ج 1).
5. ابن عبد البر الحافظ يوسف بن عبد الله: التّمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، تح: سعيد أحمد أعراب، دار الحديث الحسنيّة، المغرب، (د ط)، 1976، (ج 5).

6. العسقلاني الحافظُ شهابُ الدِّينِ بنُ أحمدَ بنِ حَجْرٍ: فَتْحُ البَّاريِ شرحٌ على صحيحِ البخاري، تح: عبدُ القادرِ شَيْبَةُ الحُمْد، مكتبة الملك فهد، الرِّياض، السُّعُودِيَّة، (ط 1)، 2001، (ج 13).
7. النَّوويُّ يحيى الحُزَّاميُّ: صحيحُ مُسلمٍ يشرحُ النَّوويُّ، المكتبة المصريَّة، مصر، (ط 1)، 1929، (ج 7).
8. النيسابوري مُسلم بنُ الحجاجِ القُشَيْرِيُّ: صحيحُ مُسلمٍ، تح: محمَّدُ فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1991، (ج 1).

#### هـ- كُتُبُ التَّفْسِيرِ:

1. البيضاوي ناصر الدِّين: التَّنْزِيلُ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، تح: أحمد لطرش، دار الرشد، لبنان، (ط 1)، 2000، (ج 1).
2. السعدي عبد الرَّحمن ناصر: تيسيرُ الكَريمِ الرَّحْمَنِ في تفسِيرِ كَلامِ المَنانِ، تح: عبد الرَّحْمَنِ بنِ معلاً اللُّويحِق، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، (ط 1)، 2005.
3. الرَّمَحْشَرِي جازُ اللهُ محمُود: تفسِيرُ الكَشَّافِ، العبيكان للنشر، السُّعُودِيَّة، (د ط)، 1998، (ج 2).

#### ❖ الكُتُبُ بِاللُّغَةِ الأَجْنِبِيَّة:

1. *Al-kamil al-wasit plus, dictionnaire français, Youssouf m-reda, imprime an liban, 1997.*
2. *Dictionnaire des élèves, arabe, français bilingue français- arabe, libi maliha fayad, daral-kotob, Bierut, libanan, 2eme édition, 2005*
3. *F.L Traverse, le pragmatique –historique et critique-, piere mordage éditeur, Bruxelles, Belgique, 1987.*
4. *Grice Paul: Logic and Conversation, Studies in the way first Harvard university press paperback edition, London, 1991.*
5. *Kanze al-taleba dictionnaire des étudiants français- arabe bilingue, par gerwan sabek entre brise nationale du liver alger, 1 er édition, 1991.*
6. *Perlman Chaïm et Lucie Olbrechts Tyteca, traité de l'argumentation, Edition de l'université de Bruxelles, Belgique, 2008.*

#### ❖ النَّدَوَات:

1. طه عبد الرَّحْمَنِ: الدَّلاليَّات والتَّداوُلِيَّات أشكال وُحدود، البَحْثُ اللِّسَانِيَّ والسِّمِّيَّاتِيَّ، مطبعة النَّجَّاح الجديدة، منشورات كَلِيَّةِ الأَداب، الرِّياض، سلسلة: ندوات ومُناظرات رقم 06، الدَّارُ البِيضاء، المَغرب، (ط 1)، 1984.
2. الدَّلاليَّات والتَّداوُلِيَّات –أشكال وُحدود–، ندوة البَحْثِ اللِّسَانِيَّ والسِّمِّيَّاتِيَّ، كَلِيَّةِ الأَداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة محمَّد الخامس، الرِّياض، المَغرب، (ط 1)، 1984.

#### ❖ الأَطْرُوحَات:

1. صحراوي مسعود: الأفعالُ المُتضمَّنةُ في القولِ بين الفكرِ المُعاصرِ والتُّراثِ العَرَبِيِّ، رسالة دكتوراه، قسمُ اللُّغة العَرَبِيَّة، كَلِيَّةِ الأَداب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2003، 2004.
2. كادة ليلي: المُكوَّنُ التَّداوُلِيُّ في النَّظَرِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ العَرَبِيَّة –ظاهرةُ الإِستلزامِ التَّخاطبيِّ أُمُودَجًا–، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012.

#### ❖ المَقالات:

1. أرفيس بلخير: أُصولُ التَّداوُلِيَّةِ في التَّفكيرِ البلاغيِّ عند العرب، مجلَّةُ المُقَرِّي، جامعة مُحمَّد بوضياف المسيلة، الجزائر، مج 1، ع 1، 2017.

2. بلبع عيد: التداولية وإشكاليات المفاهيم بين السّياقين الغربيّ والعربيّ، مركز الخدمة البحثية واللّغات، جامعة المنوفية، مصر، مج 1، ع 1، 2008.
3. بلعلي آمنة: المنطق التداوليّ عند طه عبد الرّحمان وتطبيقاته، مجلّة اللّغة والأدب العربيّ، جامعة الجزائر، مُلتقى علم النصّ، ع 97، جانفي 2006.
4. بوقمرة عمر: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمان -دراسة نقدية-، مجلّة أمارات في اللّغة والتّقد، جامعة حسية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، مج 05، ع 02، 2021.
5. حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآنيّ، مجلّة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع 26، سبتمبر 2016.
6. رسولي حجّت: رائد شتّان، حجاجية السؤال في المناظرة الأدبية، مجلّة دراسات نقدية، جامعة طهران، إيران، مج: 8، ع 1، 2018.
7. سعديّة نعيمة: الأسماء الموصولة بين المفهوم والوظيفة في ضوء اللّسانيّات المعاصرة، مجلّة حوليات، جامعة محمّد خيضر بسكرة، ديسمبر، ع 2، 2014.
8. طه عبد الرحمان: مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التّهديب، مجلة كلية الآداب، بني ملال، المغرب، ع 1، 1994.
9. عبید حاتم: نظرية التأدب في اللّسانيّات التداولية، مجلة عالم الفكر، مج 34، ع 1، الكويت، 2014.
10. عليّ رضي عبد الله: الشّعْر بين الشّكل الوَجيز والمعنى المُتعدّد، مجلّة نزوى، وزارة الإعلام، عُمان، ع 106، فبراير 2016.
11. غمازي نصيرة: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلّة اللّغة والأدب، جامعة الجزائر 02، مج 11، ع 1، 2006.
12. كشاش محمّد: صناعة الكلام بين النّظرية والتّقنية، مجلّة المعرفة السّوريّة، ع 37، سوريا، 1998.
13. مدقن كلثوم: دلالة المكان في رواية مَوسم الهجرة إلى الشّمال، مجلّة الأثر، ورقلة، الجزائر، ع 4، ماي 2005.
14. المناصرة عزّ الدين: بليوجرافيا إحسان عبّاس، مجلّة التّقد الأدبيّ "فضول"، التهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مج 09، ع 65، 2004-2005.

#### ❖ الموسوعات:

1. الموسوعة العربيّة: <http://arab-ency.com>.
2. يعقوب إمبيل بديع: موسوعة اللّغة العربيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، (ج 2).

#### ❖ المواقع الإلكترونيّة:

1. موقع: مُفكّرُون <https://mufakeroon.com>
2. موقع: كتاب أونلاين <https://ketabonline.com>
3. موقع: <https://ektab.com>
4. موقع: أنا عربي <https://i3rbi.com>

السورة	الآية	الصفحة
البقرة	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ﴾ البقرة 186	28
	﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ۗ عَلَبَثَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَاؤِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ البقرة 249	41
آل عمران	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلًا ۗ﴾ آل عمران 125	132
الكهف	﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴿٢٩﴾﴾ الكهف 29	297
طه	﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٧٨﴾﴾ طه 108	319
الأنبياء	﴿وَجَنَيْنَاهُ وَوُطِّئَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۗ﴾ الأنبياء 71	327
الزمر	﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُتْ ۗ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ﴾ الزمر 09	459
الفتح	﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۗ﴾ الفتح 29	515
الذاريات	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾﴾ الذاريات 17	521
الغاشية	﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿٥٥﴾﴾ الغاشية 15.	592
الليل	﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾﴾ الليل 14	595

جدولُ مُصطلحاتِ الدِّراسةِ: فرنسي/إنجليزي

<b>A</b>			
<i>Actes de parole</i>	أفعالُ الكلام	<i>Acte de discours</i>	فِعْلُ الخِطَابِ
<i>L'argumentation</i>	النَّظَرِيَّةُ الحِجَاجِيَّةُ	<i>Acte Locutoire</i>	الفِعْلُ اللُّغَوِيُّ
<i>Acte Illocutoire</i>	قُوَّةُ فِعْلِ القَوْلِ	<i>Acte Perlocutoire</i>	ناتِجُ فِعْلِ القَوْلِ
<i>Acte D'énonciation</i>	فِعْلُ القَوْلِ	<i>Acte Propositionnel</i>	الفِعْلُ الإِسَادِيُّ
<i>Acte Performatif</i>	فِعْلُ الإنشَاءِ العَمَلُ الإنجَازِيُّ	<i>Acte Perlocutif</i>	فِعْلُ التَّأثيرِ/عَمَلُ التَّأثيرِ
<i>Assertives</i>	الإِخيارِيَّاتُ	<i>Argumentation</i>	الحِجَاجُ
<i>L'argumentation persuasive</i>	الحِجَاجُ الإِقناعِيّ	<i>L'argumentation Convaincante</i>	الحِجَاجُ الإِقناعِيّ
<i>Anaphore</i>	التَّكَرُّارُ الإِسْتِهلالِيُّ	<i>Analogie</i>	التَّشْبِيهُ
<i>Argumentative Energy</i>	طَاقَةُ حِجَاجِيَّةُ	<i>Apostroph</i>	الإِلْفَنَاتُ
<b>B</b>			
<i>Behabitives</i>	السُّلوكِيَّاتُ	////////////////////	////////////////////
<b>C</b>			
<i>Conversational Implicature</i>	الإِسْتِزَامُ الحِواريُّ أَوْ التَّخاطِبيُّ	<i>Contexte</i>	السِّيَاقُ
<i>Communication</i>	التَّوَاصُلُ	<i>Constative</i>	الأَفْعَالُ الإِخبارِيَّةُ
<i>Commisives</i>	الوَعْدِيَّاتُ / الإلتِزامِيَّاتُ	<i>Conditions Préparations</i>	الشُّرُوطُ المُعَدَّةُ
<i>Content Proposition</i>	المُحتوى القَضويّ	<i>Calculability</i>	القابِلِيَّةُ للتَّقديرِ
<i>communication intrapersonnelle</i>	الحِوارُ معَ النَّفْسِ	////////////////////	////////////////////
<b>D</b>			
<i>discours annalysis</i>	تَحليلُ الخِطَابِ	<i>Dectiques</i>	الإِشارِيَّاتُ
<i>Discoure Deixis</i>	الإِشارِيَّاتُ الخِطابِيَّةُ	<i>Désigner</i>	لَفْتُ النَّظَرِ/الإِشارَةُ
<i>Deixis Mémoirelle</i>	إِشارِيَّاتُ إجتماعِيَّةُ	<i>Déroulement du Discours</i>	سَيَرُورَةُ الخِطَابِ
<i>Discriptive Fallacy</i>	المُغالطة الوُصفيَّةُ	<i>Directives</i>	التَّوجِيهِيَّاتُ/الأَمْرِيَّاتُ
<i>Declaratives</i>	الإِعلانيَّاتُ/التَّصريحِيَّاتُ	<i>Direction of Fit</i>	اتِّجاهُ المُطابِقَةِ

<i>Defeasible</i>	القابليَّةُ للإلغاءِ	<i>Discours narratif gradué</i>	خطابٌ سرديٌّ مُتدرِّجٌ
<b>E</b>			
<i>Embrayeurs</i>	الرِّبطُ والوَصْلُ	<i>Exercitives</i>	التَّفيدِيَّاتُ
<i>Commissures</i>	الوعدِيَّاتُ/الإلتزامِيَّاتُ	<i>Enoncés Respctifs</i>	الألفاظُ التَّقديريَّةُ
<i>Expositives</i>	العرضِيَّاتُ/الإيضاحِيَّاتُ	<i>Expressives</i>	التَّعبيريَّاتُ/البوحِيَّاتُ
<i>Ethos</i>	الباتُّ أو الخطيبُ	<i>Enallage de temps</i>	الإلتفاتُ في الأزمنةِ
<i>Enallage de personne</i>	الإلتفاتُ في الضَّمائرِ	////////////////////	////////////////////
<b>F</b>			
<i>Force de l'acte</i>	القوَّةُ الإنجازِيَّةُ	<i>Face</i>	الوَجْهَ
<i>Face Threatening Act</i>	فعلٌ تهديدِ الوجهِ	<i>Focus</i>	بُؤرةٌ
<b>I</b>			
<i>Intentionnalité</i>	القصدِيَّةُ	<i>Index</i>	الوحدةُ الإشارِيَّةُ
<i>Indice de l'énonciation</i>	دليلُ التَّلَقُّظِ	<i>Intention</i>	القَصْدُ
<b>L</b>			
<i>Linguistics</i>	اللِّسانِيَّاتُ	<i>Logos</i>	الرِّسالةُ
<i>L'intentionnalité</i>	قصدِيَّةُ المُتكلِّمِ	<i>Loi de Passage</i>	قانونُ العبورِ
<b>M</b>			
<i>Manner</i>	الطَّرِيقَةُ	<i>Maxim of Quantity</i>	قاعدةُ الكَمِّ
<i>Maxim of Quality</i>	قاعدةُ الكَيْفِ	<i>Maxim Of Relation</i>	قاعدةُ الملاءمةِ/المُناسبةِ/العلاقةُ
<i>Maxim of Manner</i>	قاعدةُ الجِهَةِ	<i>Modalité Injonctive</i>	التَّوجِيهَةُ الإلزامِيَّةُ
<i>Modalité Interrogative</i>	التَّوجِيهَةُ الإستفهامِيَّةُ	<i>Modalité Optative</i>	التَّوجِيهَةُ بالتَّمَنِّيِ
<i>Métaphore</i>	الإستعارةُ	<i>Monologue</i>	حوارٌ ذاتيٌّ
<i>La Métonymie</i>	الكِنايَةُ	////////////////////	////////////////////
<b>N</b>			
<i>Natural Meaning</i>	المعنى الطَّبِيعِيُّ	<i>Non Natural Meaning</i>	المعنى غيرُ الحَقِيقِيِّ

<i>Non Etachable</i>	لا يَقْبَلُ الْإِنْفِصَالَ	<i>La Nouvelle Rhétorique</i>	البلاغةُ الجديدةُ
<i>La négative</i>	التَّفْيُّ الْحِجَاجِيُّ	////////////////////	////////////////////
<b>P</b>			
<i>Pragmatique</i>	تداوِليَّة	<i>Présupposition</i>	الإفْتِراضُ المُسَبِّقُ
<i>Performative</i>	الأفعالُ الإنشائيَّةُ/ الأدايَّةُ	<i>Proposition</i>	قضيَّة
<i>Personnel Deictics</i>	الإشاريَّاتُ الشَّخصيَّةُ	<i>Person</i>	شخصٌ
<i>Platon</i>	أفلاطون	<i>Pathos</i>	المتلقَّى
<i>La pensé négative</i>	الفِكرُ السَّالِبُ	<i>Top Performance</i>	حُسْنُ الأداءِ
<b>Q</b>			
<i>Quantity</i>	الكمُّ	<i>Quality</i>	الكَيْفُ
<b>R</b>			
<i>Relation</i>	الملاءمةُ	<i>Raisonnement</i>	الاستدلالُ
<i>La Rhétorique</i>	الخطابَةُ	<i>Rhétorique Figure</i>	الصُّورةُ البيانيَّةُ
<i>Répétition</i>	التَّكرارُ	<i>Repeated</i>	الإعادةُ
<b>S</b>			
<i>Syntax</i>	التَّركيبُ	<i>Sémantiques</i>	علمُ الدَّلالةِ
<i>Signe</i>	علامةٌ	<i>Spatial Deictics</i>	الإشاريَّاتُ المَكانِيَّةُ
<i>Les Sophistes</i>	السُّفسطائيِّين	////////////////////	////////////////////
<b>T</b>			
<i>Temporal Deictics</i>	الإشاريَّاتُ الزَّمانيَّةُ	////////////////////	////////////////////
<b>V</b>			
<i>Verdictives</i>	أفعالُ الحُكمِ/ الحُكميَّات	////////////////////	////////////////////

الصفحة	المحتوى
	شكر وتقدير.....
	مسرد الاختصارات.....
١ - خ	مقدمة.....
22 - 09	<b>مدخل: الأسس النظرية والمعرفية للتداولية</b>
09	توطئة.....
14 - 10	أولاً- التداولية؛ المفهوم والنشأة.....
10	01. مفهوم التداولية.....
11	02. نشأة التداولية.....
14	03. مميزات التداولية.....
18 - 15	ثانياً- التداولية؛ محاورها ومهامها.....
15	01. محاور التداولية.....
17	02. مهام التداولية.....
21 - 18	ثالثاً- تقاطع التداولية مع بعض التخصصات.....
22	خلاصة المدخل.....
64-24	<b>الفصل الأول: الخوارج؛ تاريخهم وأدبهم</b>
24	توطئة.....
38-24	المبحث الأول: الخوارج النشأة والمعتقد.....
24	أولاً- الخوارج؛ نظرة في التاريخ الإسلامي.....
24	01. الخوارج؛ المصطلح والظهور.....
24	أ- الخوارج في اللغة والإصلاح.....
25	ب- إخبار النبي عن الفتن وظهور الخوارج.....
26	ثانياً- مقتل عثمان وبداية الفتنة.....
28	01- مقتل عثمان <small>رضي الله عنه</small> .....
30	02- علي <small>رضي الله عنه</small> والفتنة الكبرى.....
33	03- تشكل الحركة الخارجية.....
35	ثالثاً- الخوارج؛ فرقهم، ألقابهم ومبادئهم.....
35	01. فرق الخوارج.....
36	02. ألقابهم.....
37	03. المبادئ العامة في فكر الخوارج.....
64-39	المبحث الثاني: شعر الخوارج؛ موضوعاته، أغراضه وخصائصه.....

39	أولاً - موضوعات شعر الخواج.....
47	ثانياً - أغراض شعر الخواج.....
57	ثالثاً - خصائص شعر الخواج.....
64	خلاصة الفصل.....
114-65	<b>الفصل الثاني: الإشاريات المقامية ومرجعيتها الخطابية في شعر الخواج</b>
65	توطئة.....
71-66	المبحث الأول: الإشاريات مبحث تداولي.....
66	أولاً: مفهوم الإشاريات وتحديد أنواعها.....
66	01. الإشاريات لغة واصطلاحاً.....
67	02. أنواع الإشاريات.....
69	ثانياً: تسميات الإشاريات.....
69	ثالثاً: مُصطلح الإشاريات في الإستعمال العربي.....
69	01. مُقابلات الإشاريات عند العرب.....
71	02. أهمية الإشاريات.....
114-73	المبحث الثاني: المرجعية الخطابية للإشاريات.....
73	أولاً: الإشاريات الشخصية ( <i>Personnel Deictics</i> ).....
73	01. الضمائر.....
82	02. الأسماء الموصولة.....
86	ثانياً. الإشاريات الاجتماعية ( <i>Le Deixis Mémoirelle</i> ).....
90	ثالثاً. الإشاريات المكانية ( <i>Spatial Deictics</i> ).....
90	01. أسماء الإشارة.....
93	02. ظروف المكان (المختصة والمبهمة).....
100	رابعاً. الإشاريات الزمانية ( <i>Temporal Deictics</i> ).....
101	01. ظروف الزمان (المبهمة وغير المبهمة).....
106	02. الزمن التحويلي (الأفعال).....
114	خلاصة الفصل.....
166-116	<b>الفصل الثالث: إنجازية الأفعال الكلامية في شعر الخواج</b>
127	توطئة.....
124-117	المبحث الأول - منطلقات نظرية الأفعال الكلامية.....
117	أولاً. أسس نظرية الأفعال الكلامية.....
117	01. مرحلة التأسيس.....
118	02. الفعل الكلامي ( <i>ACTE de Parole</i> ).....

199	ثانيًا- تصنيف "أوستين" للأفعال الكلامية.....
119	01. بنية الفعل الكلامي عند أوستين.....
121	02. صُنافه "أوستين" للأفعال الكلامية.....
123	ثالثًا. تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية.....
123	01. مفهوم الفعل الكلامي عند "سيرل".....
123	02. طبقات الفعل الكلامي عند "سيرل".....
124	03. صُنافه "سيرل" كبديل لتصنيف "أوستين".....
166-125	المبحث الثاني- إنجازية الأفعال الكلامية في شعر الخوارج.....
125	أولًا. الإخباريات في شعر الخوارج.....
133	ثانيًا. التوجيهيات في شعر الخوارج.....
147	ثالثًا. الإلتزاميات في شعر الخوارج.....
154	رابعًا. التعبيرات في شعر الخوارج.....
162	خامسًا. الإعلانات في شعر الخوارج.....
166	خلاصة الفصل.....
218-167	<b>الفصل الرابع: الإلتزام التخاطبي في شعر الخوارج</b>
167	توطئة.....
204-168	المبحث الأول: منطلقات نظرية الإلتزام التخاطبي.....
168	أولًا- الإلتزام التخاطبي (الحد، التأسيس والخصائص).....
168	01. الحد والتأسيس.....
169	02. سمات/خصائص الإلتزام التخاطبي/الحواري:.....
170	ثانيًا- تمظهر قواعده التخاطبي في شعر الخوارج.....
170	01. مبدأ التعاون (Grise).....
179	02. مبدأ التأذب (Robin Lakko).....
184	03. مبدأ الوجه (Brown and Levinson).....
190	04. مبدأ التأذب الأقصى (Leach).....
197	05. مبدأ التصديق طه عبد الرحمن.....
199	ثالثًا- آليات العُدول في التخاطب (نماذج).....
199	01. الإلتزام التخاطبي في بُني الإستعارة والتشبيه:.....
199	أ- الإستعارة.....
200	ب- التشبيه.....
202	العُدول في بُني التهكم والمبالغة.....
202	أ- التهكم.....

203	ب- المُبالغة.....
218-205	المبحث الثاني - الوعي البلاغي بمفهوم الإستلزام التَّخاطبيّ / الحواريّ.....
206	أولاً. الإستفهام.....
209	ثانياً. الأمر والنهي.....
213	ثالثاً. النداء والتّمتّي.....
218	خلاصة الفصل.....
266 -219	<b>الفصل الخامس: الحجاج البلاغي في شعر الخوارج</b>
219	توطئة.....
23-220	المبحث الأول: الوظيفة الحجاجيّة للصور البيانيّة:.....
226	أولاً. التّشبيه ( <i>Analogie</i> ).....
271	ثانياً. الكناية ( <i>La Métonymie</i> ).....
235	المبحث الثاني. حجاجيّة الأساليب البلاغيّة.....
235	01. الإلتفات ( <i>Apostroph</i> ).....
247	02. التّكرار ( <i>Répétition</i> ).....
266	خلاصة الفصل.....
268	خاتمة عامة.....
270	ملخص الأطروحة.....
271	ملحق.....
282	مكتبة البحث.....
294	فهرس الآيات.....
295	فهرس مُصطلحات الدّراسة.....
301-298	فهرس الموضوعات/المحتويات.....